

لمؤلفه

العالم العامل والكامل الباذل صدر الحكماء ورئيس العلماء

السيد نعمة الله الجزائري

طاب ثراه وجعل الجنة مثواه

المتوفى ١١١٢ هـ

الجزء الثالث

دار القارئ

دار الكوفة

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٤١٣٢٥٦ / ٠٣ بيروت - لبنان بريد إلكتروني: DAR_ALKARI@hotmail.com

دار الكوفة طباعة - نشر - توزيع - بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

(نور يكشف عن احوال الغيبة)

وفيه اقسامها المحظورة والجايزة وذكر التوبة منه وعلاجه وما يلحقه من المناسبات اعلم وفقك الله تعالى ان الغيبة من أعظم الكبائر وقد توعد عليها النار ومع هذا فهي ذنب قد طمّت بليّته الخاص والعام وقد احترز واعن غيره ولم يحترز واعنه وذلك لأمور:

احدها الغفلة عن تحريمه وماورد فيه من الوعد والوعيد ولآيات والرّوايات وهذا هو السبب الأقل لأهل الغفلات.

وثانيها انّ مثل هذه المعصية لايخل بمراتب الناس ولايسقط محلهم عندهم لخفاء هذا النوع من المنكر على من يرومون المنزلة عنده من اهل الجهالات وايضاً فإن الناس كلّهم في بلاء من هذه المصيبة ولو وسوس اليهم الشيطان ان اشربوا الخمر او زنوا بالمحصنات ما أطاعوه لظهور فحشه عند العامة ولو راجعوا عقولهم لوجدوا انّ الغيبة اشدّ نكالاً وعذاباً وتقبيحاً من ذنوب كثيرة خصوصاً ممّا كان حقه لله تعالى وحده.

وثالثها موافقة الناس في مجالسهم كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى.

واما تعريفها في الأصطلاح فقد ذكر له اثنان احدهما مشهوري وهو ذكر الأنسان حال غيبته بما يكره نسبته اليه مما يعد نقصاً في العرف بقصد الأنتقاص والذم، وثانيها وهو الذي عوّلنا عليه في شرح الصحيفة انها التعرض لإنسان معين وما في حكمه بما يكون فيه بحيث لو سمعه لغضب ويعد في العرف نقصاً ويكون قاصداً لذلك النقص سواء كان ذلك التعرض بالقول او الأشاة او الكناية او الكتابة، والتقيد بالمعين لإخراج مثل قولك في هذا البلد رجل فاسق وامّا عمر وفاسق فإنه امّا غيبة لأحدهما كما قيل ويترتب عليه ذنب واحد وامّا غيبة لكليهما فيكون عليه ذنبان وهو الأصّح لغضبهما عند سماع هذا القول واخراج مثل هذا القول عن الغيبة كما قيل به فاسد، وقولنا بما يكون فيه لإخراج البهتان والتهمة فانهما اشد ذنباً من الغيبة، والتقيد بكونه نقصاً لإخراج مثل نسبة عبادة او نحوها الى غائب بحيث لو سمعها لغضب فانّه لايعد غيبة.

وقولنا ويكون قاصداً لذلك النقص لإخراج ذكر العيب عند الطبيب مثلاً او لإستدعاء المرحمة من السلطان في حق الزمن والأعمى بذكر نقصانهما فانّه لايعد غيبة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ترون ما الغيبة؟ فقالوا الله اعلم ورسوله أعلم، قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أرأيت ان كان في أخي ما أقول؟ قال ان كان فيه ماتقول فقد اغتبته، وان لم يكن فيه فقد بهتّه،

وذكر عنده رجل فقالوا ماأعجزه فقال صلى الله عليه وآله وسلم اغتبتم صاحبكم فقالوا يارسول الله قلنا مافيه قال ان قلتم ماليس فيه فقد بهتّموه، وقد شبهت في القرآن بلحم الميتة فقال ولايغتب بعضكم بعضاً ايحب احدكم ان يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لايغفر له حى يغفر صاحبه، وقال صلى الله عليه وآله وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم، فقلت ياجبرئيل من هؤلاء؟ فقال هؤلاء يغتابون النّاس ويقعون في اعراضهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم لاتغتابوا المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته يفضحه في جوفق بيته.

وخطب عليه السلام ذات يوم فذكر الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ستَ وثلاثين زنية يزنيها الرجل، وفي حديث آخر يزنيها الرجل بمحارمه في جوف الكعبة، ثم قال وانّ أربى الربا عرض الرجل المسلم وروي انّه صلى الله عليه وآله وسلم أمر بصوم يوم وقال لايفطرن أحد حتى آذن له، فصام الناس حتى اذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول يارسول الله ظللت صائماً فاذن لي لأفطرن فاذن له والرّجل والرجل حتى جاء رجل فقال يارسول الله فتاتان من اهلي ظللتا صائمتين وانهما تستحيان فاذن لهما ان تفطرا، فأعرض عنه ثم عاوده فأعرض عنه، ثم عاوده فقال انهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس؟ اذهب فمر هما ان كانتا صائمتين ان تستقيئا فرجع اليهما فأخبرهما، فاستقائا، فقاءت كل واحدة منها علقة من دم، فرجع الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار.

وفي رواية انه لما أعرض عنه جائه بعد ذلك وقال يارسول الله انهما والله لقد ماتا او كادتا ان تموتا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إيتوني بهما، فجاءتا، فدعى بقدح فقال لأحدهما قيئي فقاءت من قيح ودم صديد حتى ملأت القدح، وقال للأخرى قيئي فقاءت كذلك، فقال ان هاتين صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ماحرم الله عليهما جلست احديهما على الأخرى فجعلتا يأكلان لحوم الناس، وروي انه من أكل لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الآخرة، فقيل له ميتا كما أكلته حياً، فيأكله ويكلح، ولّما رجم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرجل في الزنا قال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب، فمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم معها بجيفة فقال انهشا منها، فقالا يارسول الله ننهش جيفة؟ فقال ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه.

وقال الصادق عليه السلام الغيبة حرام على كل مسلم، وانها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وقد اوحى الله عز وجل الى موسى بن عمران انّ المغتاب اذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة، وان لم يتب فهو اول من يدخل النّار، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من أغتاب مسلماً او مسلمة لم يقبل الله صلاته ولاصيامه أربعين يوماً وليلة الاّ ان يغفر له صاحبه، ومن أغتاب مسلماً في شهر رمضان لم يؤجر على صيامه.

وقال عليه السلام يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله ويدفع اليه كتابه فلا يرى حسناته، فيقول الهي ليس هذا كتابي، فانّي لا أرى فيه طاعتي، فيقال له ان ربك لايضل ولاينسى، ذهب عملك بأغتياب الناس ثم يؤتى بآخر فيدفع اليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة، فيقول ياالهي ماهذا كتابي فاني ماعملت هذه الطاعات، فيقال ان فلاناً اغتابك فدفعت حسناته اليك، وقال عليه السلام كذب من زعم انّه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة اجتنب الغيبة فانّها إدام كلاب اهل النار.

وقال عليه السلام عذاب القبر من النميمة والغيبة والكذب، وروي ان عيسى عليه السلام مرَ والحواريّون على جيفة كلب، فقال الحواريون ما أنتن هذه، فقال عيسى عليه السلام ما أشدَ بياض أسنانه، كأنه ينهاهم عن غيبة الكلب وينبههم على انه لايذكر من خلق الله الاّ أحسنه، وقد قيل في السبب الموجب للتّشديد في أمر الغيبة وأنها أعظم من كثير من المعاصي هوأشتمالها على المفاسد الكلية المنافية لغرض الحكيم سبحانه، بخلاف باقي المعاصي فانها مستلزمة لمفاسد جزئية، وبيان ذلك ان المقاصد المهمة للشارع إجتماع النفوس على همّ واحد وطريقة واحدة، وهي سلوك سبيل الله بسائر وجوه الأوامر والنّواهي، ولايتم ذلك الا بالتعاون والتعاضد بين ابناء النّوع الأنساني، وذلك يتوقف على إجتماع همهم وتصافي بواطنهم، واجتماعهم على الألفة والمحبة حتى يكونوا بمنزلة عبد واحد في طاعة مولاه، ولن يتم ذلك الا بنفي الضّغائن والأحقاد والحسد، وكانت الغيبة مفرقة بينهم فكانت مستلزمة لنقيض غرض الشارع من خلق العالم ومافيه.

واما تفصيل اقسامها فهي كما عرفت التّعرض للمؤمن بما يكرهه بنقصان، وذلك النقصان إما في بدنه، او نسبه او خلقه بضم الخاء، او فعله، او قوله او دينه او دنياه او ثوبه او داره او دابته، وقد أشار الصادق عليه السلام الى ذلك مجملاً بقوله وجوه الغيبة يقع بذكر عيب في الخلق، والفعل والمعاملة والمذهب والجهل وأشباهه فالبدن كذكرك فيه العمش والحول والعمى وجميع مايكرهه من الأوصاف.

واما النسب فان يقول ابوه زان او فاسق او حائك او اسكاف او نحو ذلك ممّا يكرهه كيف كان، واما الخلق فأن يقول انّه سيء الخلق خسيس متكبر شديد الغضب ونحو ذلك، واما

افعاله المتعلقة بالدين فكقولك قليل الأدب، متهاون بالناس كثير الأكل اذا دخل المجلس يجلس في غير موضعه، واما في ثوبه فكقولك انه واسع الكم، طويل الذيل وسخ الثياب ونحو ذلك، وهذا لايكون مقصوراً على اللسان بل يجري في الكناية والأشارة والغمز والرموز، ومن ذلك ماروي عن عائشة انها قالت دخلت علينا امرأة، فلما ولّت اومأت بيدي أي قصيرة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم إغتبتها، ومن ذلك تقليد الأعرج في مشيته، او كما يمشي الغير بل هو اشد من الغيبة، لأنه أعظم في التصوير والتفهيم، وكذلك الغيبة بالكتاب فان الكتاب كما قيل أحد اللسانين، ومن ذلك كما قاله الشهيد الثاني طاب ثراه ذكر المصنف شخصاً معيناً وتهجين كلامه في الكتاب الا ان يقترن به شيء من الأعذار المحوجة الى ذكره كمسائل الأجتهاد التي لايتم الغرض من الفتوى واقامة الدّليل على المطلوب الاّ بتزييف كلام الغير ونحو ذلك، ويجب الأقتصار على مايندفع به الحاجة.

وقد بقي افراد خفية من الغيبة، الفرد الأول ممّا يستعمله أهل العلم والمعرفة المرائين، فأنهم يفهمون المقصود على صنعة أهل الصلاح ويظهرون التعفف عن الغيبة ولايدرون، لجهلهم انهم جمعوا بين الرياء والغيبة، وذلك مثل ان يذكر عنده إنسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلينا بحب الرّئاسة او بحب الدنيا، ويقول نعوذ بالله من قلة الحياء او من سوء التوفيق، او نسأل الله ان يعصمنا من كذا، بل مجرد الحمد على شيء اذا علم اتصاف المحدث عنه بما نافيه ونحو ذلك، فانه يغتابه بلفظ الدّعاء وسمة أهل الصلاح، وانّما قصد ان يذكر عيبه بضرب من الكلام المشتمل على الغيبة والرياء ودعوى الخلاص من الرذائل وهو عنوان الوقوع فيها.

الثاني ان يقدم من يريد غيبته فيقول ماأحسن أحوال فلان ماكان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتر وابتلي بما نبلي به كلّنا وهو قلّة الصبر، فيذكر نفسه بالذّم ومقصوده ان يذّم غيره وان يمدح نفسه بالتّشبّه بالصالحين في ذم أنفسهم، فيكون مغتاباً مرائياً مزكياً نفسه، فيجمع بين ثلاث فواحش وهو ان يظن لجهله انّه من الصالحين المتعففين عن الغيبة، هكذا يلعب الشيطان بأهل الجهل اذا أشتغلوا بالعلم او العمل من غير ان يتفطّنوا الطريق، الثالث ان يذكر ذاكر عيب الأنسان فلا ينتبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصغي الغافل الى المغتاب ويعلم مايقوله فيذكر الله، ويستعمل اسمه آلة في تحقيق خبثه وباطله وهو يمنّ على الله بذكره جهلاً وغروراً.

الرابع ان يقول جرى لصاحبنا او صديقنا كذا تاب الله علينا وعليه، يظهر الدعاء له والتألم والصداقة والصحبة والله مطّلع على خبث سريرته، وهو لايدري انّه قد تعرض لمقت أعظم ممّا يتعرض له الجهّال اذا جاهروا بالغيبة، الخامس الأصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب

فانَه انَما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة، فيزيد فيها لأستخراج الغيبة منه بهذا الطريق، فيقول عجبت مما ذكرته ما كنت أعرف من فلان ذلك، يريد بذلك تصديق المغتاب واستدعاء الزيادة منه باللطف والتصديق بها غيبة بل الأصغاء اليها بل السكوت عند سماعها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المستمع احد المغتابين وذلك انّ احدهما يتكيّف لسانه بها والآخر يتكيّف سمعه بها، فالمستمع لايخرج من اثم الغيبة الاّ بأن ينكر بلسانه، فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام غيره فلم يفعله لزمه ولو قال بلسانه اسكت وهو يشهي ذلك بقلبه فذلك نفاق وفاحشة أخرى زائدة لاتخرجه عن الأثم مالم يكرهه بقلبه.

وقد روى عن النبي صلى الله عليه واله انه قال من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره فلم ينصره اذله الله يوم القيامه على روس الاشهاد(الخلائق خ)وقال صلى الله عليه واله من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حتما على الله ان يرد عن عرضه يوم القيامه ، وقال صلى الله عليه واله من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حتما على الله ان يعتقه من النار، وروى الصدوق ره باسناده الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من تطول على اخيه في غيبة سمعها منه في مجلس فردها عنه رد الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا وىلآخرة، وان هو لم يردها وهو قادر على ردها كان عليه كوزر من أغتابه سبعين مرة.

واما العلاج الذي يمنع الأنسان عن الغيبة فأعلم ان مساوىء الأخلاق انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضاد سببه فلنذكر اسباب الغيبة اولاً ثم نذكر علاج كف اللسان عنها على وجه يناسب علاج تلك الأسباب، فنقول جملة ماذكروه من الأسباب الباعثة على الغيبة عشرة أشياء، وقد أشار الصادق عليه السلام اليها إجمالاً بقوله الغيبة تتنوع بعشرة انواع، شفاء غيض، ومساعدة قوم، وتصديق خبر بلا كشفه، والتبري من عيب، وسوء ظن وحسد وسخرية وتعجب وتبرم وتزين.

واما تفصيلها اولها تشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب فاذا هاج الغضب تشفى بذكر مساوئه وسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن دين وورع(ديناً وورعاً)، وقد يمنع من تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن ويصير عقداً ثانياً، فيكون سبباً لذكر المساوىء، فالحقد والغضب هما البواعث العظيمة على الغيبة، الثاني موافقة الأقران ومجالسة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض فيرى انه لو انكر او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم، ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم اظهاراً للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوىء، الثالث ان يستشعر من أنسان انه سيقصده ويطول لسانه او يشهد

عليه بشهادة فيبادر قبل ذاك ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته وفعله او يبتدي بذكر مافيه صادقاً ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد به ويقول مامن عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت، الرابع ا ينسب الى شيء فيريد ان يتبرىء منه فيذكر الذي فعله وكان حقه ان يبري نفسه ولايذكر الذي فعله ولاينسب غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركاً له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك، وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويوهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه بذلك السادس الحسد وهو انه ربملا حد من ثني الناس عليه ويحبونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيل اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط محله عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء عليه السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزيين الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب، الثامن السخرية والأستهزاء استحقاراً له فان ذلك قد يجري في الحضور فيجري ايضاً في الغيبة ومنشأة التكبر استصغار المستهزىء به التاسع وهو مأخذ دقيق ربما يقع فيه الخواص وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به احد فيقول يامسكين فلان قد غمني امره ويذكر سبب الغم ويكون صادقاً في اهتمامه ويلهيه الغم عن ذكر اسمه فيذكره بما يكرهه فيصير به مغتاباً فيكون غمه ورحمته خيراً ولكن ساقه الى شر من حيث لايدري والترحم والتغمم ممكن من دون ذكر اسمه ونسبته الى مايكره فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه العاشر الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه فيظهر غضبه ويذكر اسمه على غير وجه النهي عن المنكر وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه على ذلك الوجه خاصة وهذا مما يقع فيه الخواص ايضاً فانهم يظنون ان الغضب اذا كان لله تعالى كان عذراً كيف كان وليس كذلك واما علاجات هذه الأمور فهي امران مجمل ومفصل اما الأول فبان يعلم انه تعرض لسخط الله تعالى ونقل حسناته الى ميزان غيره ويشتغل في تدبير عيوب نفسه عن عيوب غيره وان كان ذماً خلقياً فالذم له ذم للخالق، من ذم صنعه فقد ذم الصانع، قال رجل لبعض الحكماء ياقبيح فقال ماكان خلق وجهي الي فأحسنه وروي ان نوحاً عليه السلام مر على كلب اجرب فقال ماهذا الكلب؟ فنطق الكلب وقال يانوح هكذا خلقني ربي فان قدرت ان تغير صورتي باحسن من هذه الصورة فافعل، فتندم"فندم" على ماقال وبكى على هذه المقالة اربعين سنة فسماه الله نوحاً وكان اسمه عبد الملك او عبد الجبار واما الثاني فهو ان ينظر الى السبب الباعث له على الغيبة ويعالجه فان علاج العلة يقطع شينها وقد عرفت الأسباب الباعثة اما الغضب فيعالجه بان يقول ان امضيت غضبي عليه لعل الله تعالى يمضي علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنها وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان لجنهم باباً لايدخله الا

من شفى غيضه بمعصية الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كظم غيظاً وهو يقدر ان يمضيه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء وفي بعض كتب الله ياأبن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك حين امحق واما الموافقة فبان تعلم ان الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضاء المخلوقين فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقّر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله تعالى وذلك لايوجب ان تذكر المغضوب عليهم بسوء بل ينبغي ان تغضب لله ايضاً على رفقائك اذ ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بأفحش الذنوب وهو الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة الخيانة الى الغير حيث يستغني عن ذكر الغير فيعالجه بأن يعرف ان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى يقيناً ولاتدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلّص نفسك في الدّنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة وتحصل ذم الله تعالى لك نقداً وتنتظر دفع ذمَ الخلق نسية وهذا غاية الجهل والخذلان.

واما عذرك كقولك انّي ان اكلت الحرام ففلان يأكل وان فعلت كذا فلان يفعل وان قصرت في كذا من الطاعة ففلان مقصّر ونحو ذلك فهذا جهل لأنّك تعتذر بالإقتداء بمن لايجوز الأقتداء به، فانّ من خالف أمر الله تعالى لايقتدي به كائناً من كان، ولو دخل غيرك النار وانت تقدر على ان تدخلها لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك فما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها ما أعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى الغير تردّي نفسه من الجبل فهي ايضاً تردّي نفسها، ولو كان لها لسان وصرّحت بالعذر وقالت الغير اكيس منّي وقد اهلك نفسه فكذلك افعل لكنت تضحك جهلها، وحالك مثل حالها ثم لاتتعجّب ولاتضحك من نفسك.

واما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم بما ذكرته أبطلت فضلك عند الله تعالى وانت من إعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص إعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس[١] واما الغيبة للحسد وهو جمع بين عذابين لأنك حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذّباً بالحسد فما قنعت بذلك حتى أضفت اليه عذاب الآخرة فكنت خاسراً في الدّنيا فجعلت نفسك خاسراً في الآخرة لتجمع بين النّكالين، فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت اليه حسنتك فاذا انت صديقه وعدوّ نفسك، اذ لاتضره غيبتك وتضرك وتنفعه لأنتقال حسناتك اليه وسيئآته اليك، فقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربّما

---

(١)(ثلبه ثلباً) عابه ولامه.اغتابه،سبه.طرده.

يكون حسدك وقدحك فيه سبب إنتشار فضله، فقد قي واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود

وقد جاء في الرواية عن امير المؤمنين عليه السلام انّ من اغتابك فهو اصدق اصدقائك، وذلك انّه رجَحك على نفسه بأن رضي بدخول النار ورضي لك بدخول الجنة فمن آثرك على نفسه فهو الصديق، وفي حديث ىخر أنه أتعب نفسه بالصيام والقيام ووضع ذلك في طبق مغشي وأرسله اليك هدية بدل ماأغتابك فكيف لايكون صديقك وقال رجل لعابد انّي قد رق قلبي لك هذا اليوم ورحمك، فقال ممَ؟ فقال من استغابة الناس لك، فقال سمعت مني يوماً انّي استغبت احداً منهم، فقال لا، فقال غذن فارحمهم فهم محل الرحمة.

اما الأستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة، فلو تفكَرت في حسرتك وخجلتك وخزيك يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق به الى النار لأدهشك ذلك عن اخزاء صاحبك، ولو عرفت حالك لعرفت انك انت المضحكة فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضَت نفسك لأن يأخذ بيدك في القيامة على ملإ من الناس ويسوقك كما يساق الحمار الى النار مستهزئاً بك وفرحاً بخزيك، واما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ماهو أكثر من رحمتك فيكون جبراً لإثم المرحوم فتصير انت المرحوم لاهو اذ حبط أجرك ونقصت حسناتك.

واما الأعذار المسوغة للغيبة فقد حصرها الأصحاب رضوان الله عليهم في عشرة الأول التظلَم كأن يتظلَم من قاض ظلمه عند من يرجو منه ازالة ظلمه، فانّه يجوز له ان ينسب القاضي الى الظلم، اذ لايمكن استيفاء حقه الا به فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لصاحب الحق مقال وقال مطل الواجد يحلَ عقوبته وعرضه.

الثاني الأستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح، وهذا يرجع الى النيّة والقصد.

الثالث الأستفتاء كما تقول للمفتي قد ظلمني أبي وأخي فكيف طريقي في الخلاص والأولى هنا التعريض بأن يقول ماقولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه، وقد روي ان هنداً قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ابا سفيان رجل شحيح لايعطيني مايكفيني أنا وولدي أفأخذ من غير علمه؟ فقال خذي مايكفيك وولد ك بالمعروف، فذكرت الشحَ والظَلم ولم يزجرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ كان قصدها الأستفتاء.

الرابع تحذير المسلم من الوقوع في الخطر والشَرّ ونصح المستبشر فاذا رأيت متفقها يتلبس بما ليس من أهله فلك ان تنبّه الناس على نقصه وقصوره عمّا يؤهل نفسه له وكذا اذا رأيت رجلاً

يتردد الى فاسق يخفي امره وفت عليه من الوقوع بسبب الصَحبة بما لايوافق الشَرع فلك ان تنبههم على فسقه مهما كان، وكذلك اذا كان في العبد عيب فلك ان تحدّثه بعيوبه ولكن تقتصر في كل عيب على محل الحاجة ولاتذكر العيب الآخر الذّي لامدخل له في التحذير، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أترعوون عن ذكر الفاجر حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه تحذره الناس، وقال صلى الله عليه وآله وسلملفاطمة بنت قيس حين شاورته في خطَابها أما معاوية فرجل ملوك لامال له، وأما ابو جهم فلا يضع العصا عن عاتقة.

الخامس الجرح والتعديل للشاهد والراوي، ومن ثم وضع العلماء كتب الرِجال وذكروا اسباب الجرح لكن يشترط ان يكون القصد فيه صحيحاً.

السادس ان يكون المقول فيه مخستحقاً لتظاهره بسببه كالفاسق المتجاهر بفسقه بحيث لايستنكف من ان يذكر بذلك الفعل الذّي يرتكبه، فيذكر بما هو فيه لابغيره، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له، وظاهر الخبر جواز غيبته ان استنكف من ذكر ذلك الذنب وان يكون معنى الحديث انَ من نزع جلباب الحياء لاغيبة له يعني انَ ما يقال فيه لايدخل في الغيبة ولايطلق عليه لفظها الا انَها غيبة جائزة، وفي جواز أغتياب مطلق الفاسق إحتمال ناش من قوله صلى الله عليه وآله وسلم لاغيبة لفاسق ورد بمعنى اصل الحديث، وبحمله على فاسق خاص، او بحمله على النبي وان كان بصورة الخبر، وهذا هو الأجود الا ان يتعلق بذلك غرض ديني ومقصد صحيح يعود على المغتاب بأن يرجو إرتداعه عن معصيته بذلك، فيلحق بباب النهي عن المنكر.

السابع ان يكون الأنسان معروفاً باسم يفصح عن عيبه كالأعرج والأعمش فلا إثم على من يقول ذلك، فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التَعريف ولإنَه صار بحيث لايكرهه صاحبه لو علمه بعد ان صار مشهوراً به.

الثامن لو اطلع العدد الذين ثبت بهم الحدّ او التَعزيز على فاحشة جاز ذكرها عند الحكّام بصورة الشهادة في حضرة الفاعل وغيبته ولايجوز التَعرض اليها في غير ذلك الاَ ان يتّجه فيه أحد الوجوه الأخرى.

التاسع قيل اذا علم اثنان من رجل معصيته شاهداها فأجرى أحدهما ذكرها في غيبة ذلك العاصي جاز لأنَه لايؤثّر عند السَامع شيئاً وان كان الأولى تنزيه النفس واللّسان عن ذلك لغرض من الأغراض المذكورة وخصوصاً مع أحتمال نسيان المقول لتلك المعصية او خوف استتارها عنهما.

العاشر اذا سمع احد مغتاباً لآخر وهو لايعلم استحقاق المقول عنه فيحمل فعل القائل على الصّحة مالم يعلم فساده لأنّ ردعه يستلزم انتهاك حرمته وهو ان احد المحرمين والأولى التّنبيه على ذلك الى ان يتحقّق المحتاج منه لعموم الأدلّة وترك الأستفصال فيها وهو دليل ارادة العموم حذراً من الأغراء بالجهل، ولأنّ ذلك لو تمّ لتمشى فيمن يعلم عدم استحقاق المقول عنه بالنسبة الى السامع لإحتمال إطّلاع القائل على مايوجب تسويغ مقاله وهو يهدم قاعدة النبي عن الغيبة، وهذا الفرد مستثنى من جهة سماع الغيبة، وبالجملة فأمر الغيبة في غاية الأشكال وعلى الله الأتكال، بقي الكلام في كفارة الغيبة.

اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتأسف على افعل ليخرج من حق الله تعالى ثم يستحلّ المغتاب ليحلّه فيخرج عن مظلمته، وينبغي ان يستحلّه وهو حزين نادم والاّ فالمرائي قد يطلب المحالة فيكون عليه ذنب آخر، وقد ورد في كفّارتها حديثان احدهما قوله صلى الله عليه وآله وسلم كفّارة من أغتبته ان تستغفر له، وفي حديث آخر كلّما ذكرته، ومعنى قوله كلّما ذكرته يعني كلما ذكرته على طريق الغيبة، او كلّما عنّ في خاطرك او جرى ذكره على لسانك بعد المحالة الأولى، الثاني قوله صلى الله عليه وآله وسلم من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليستحللها(فليحتلّها خ) منه قبل ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولادرهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات أخذ من سيّئات صاحبه فيزيد على سيّئاته، وجمع بين الحديثين شيخنا الشهيد الثاني قدّس الله روحه يحمل الأستغفار على من لم يبلغ غيبة المغتاب فينبغي الأقتصار على الدّعاء له والأستغفار لأنّ في محالته إثارة للفتنة وجلباً للضغائن، وفي حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول اليه لموت او غيبة، وحمل المحالة على من يمكن التّوصّل اليه مع بلوغه الغيبة، أقول ويمكن الجمع بينهما بوجهين.

احدهما ان الأستغفار له كفّارة معجّلة تكون مقارنة للغيبة والمحالة متأخّرة عنه فيجب عليه المبادرة بذاك لعدم توقّفه على التّمكن وعدمه والمحالة اذا تمكن بعد هذا فيكون الواجب اثنين لا واحداً كما هو مذكور في القول الأول.

الثاني حمل الأستغفار على الأستحباب، والواجب انما المحالة لاغير، واذا جاء الى المغتاب فينبغي ان لايظهر له الكلام الذي اغتابه خوفاً من اثارة الشحناء وتجديد العداوة، بل يقول له يأخي لك عليّ حقوق عرضية وأريد تحالني منها ونحو ذلك من العبارات المجملة، ويستحب للمتعذر اليه قبول العذر والمحالة استحباباً مؤكّداً، قال الله تعالى{خذ العفو}الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ياجبرئيل ماهذا العفو؟ فقال ان الله يأمرك ان تعفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك، وتعطي من حرمك.

وروي عن بعضهم انَ رجلاً قال لقد اغتابك فلان، فبعث اليه طبقاً من الرطب وقال بلغني انَك قد أهديت اليَ حسناتك فأردت ان أُكافئك عليها، فاعذرني فاني لااقدر ان أكافئك على التمام، ولافرق بين غيبة الصغير والكبير والحي والميت والذكر والأنثى، وليكن الأستغفار والدَعاء على حسب مايليق بحاله، فيدعو للصَغير بالهداية وللميَت بالرحمة والمغفرة ونحو ذلك، ولايسقط الحق بإباحة عرضه للنَاس لأنَه عفو عمّا يجب، ولقد صرَح الفقهاء بأنَ من أباح قذف نفسه لم يسقط حقَه من حدَه، وما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيعجز احدكم ان يكون كأبي ضمضم، كان اذا خرج من بيته قال اللَهم اني تصدَقت بعرضي على الناس، معناه انَي لااطلب مظلمته في القيامة ولا أخاصم عليها لا انَ غيبته صارت بذلك حلالاً، ويجب النيَة لها كباقي الكفارات.

(نور يكشف عن الحسد والنميمة ولواحقهما)

اعلم ان الحسد من اعضل[1] الأدواء وأكبر المعاصي وأفسدها للقلب، وكفى به شراً انَه اول خطيئة عصي الله تعالى بها، وذلك هو حسد ابليس لأبينا آدم عليه السلام فاستمرت تلك البلية الى يوم القيامة، وقد امر الله تعالى نبيه بالإستعاذة منه فقال{من شر حاسد اذا حسد}، بعد ان استعاذ من اليطان والساحر فأنزله منزلتهما، وقال صلى الله عليه وآله وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب[2].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ستّة يدخلون النار قبل الحساب بستَة، الأمراء بالجور، والعرب بالعصبية، والدَهاقين بالكبر، والتَجار بالخيانة، واهل الرستاق بالجهالة، والعلماء بالحسد، وفي حديث آخر ان الحسد عشرة اجزاء منها تسعة بين العلماء وواحد في الناس ولهم من ذلك الجرء والحظَ الأوفر، وقال عليه السلام لايخلو المؤمن من شيطان يغويه، ومنافق يقفو اثره، ومؤمن يحسده، اما انه اشد عليه، وذلك انَه يقول القول فيه فيصدق.

وعن داود الرقيَ قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول اتَقوا الله ولايحسد بعضكم بعضاً انَ عيسى بن مريم عليه السلام كان من شرائعه السيح في البلاد فخرج فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير، وكان كثير اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى الى البحر فقال بسم الله بصحَة يقين منه فمشى على ظهر الماء، فقال الرجل القصير حين نظر الى عيسى جاز بسم الله بصحَة يقين منه فمشى على الماء ولحق بعيسى عليه السلام فدخله العجب بنفسه، فقال هذا

---

(١) أي من أعيا الأدواء.

(٢) حسد المرء يأكل الحسنات وان اعتاد على كسبها سنوات.

عيسى روح الله يمشي على الماء وانا امشي على الماء فما فضله عليّ، قال فرمس في الماء فاستغاث بعيسى عليه السلام فتناوله من الماء فأخرجه ثم قال له ماقلت ياقصير؟ قال قلت هذا روح الله يمشي على الماء فدخلني من ذلك عجب، فقال له عيسى لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ماقلت فتب الى الله تعالى ممَ قلت قال فتاب الرجل وعاد الى مرتبه التي وضعه الله فيها، فاتقوا الله ولايحسدن بعضكم بعضاً وقال صلى الله عليه وآله وسلم كاد الفقر ان يكون كفراً، وكاد الحسد ان يغلب القدر، وقال الصادق عليه السلام انّ المؤمن يغبط ولايحسد، وان المنافق يحسد ولايغبط، وفي خبر معاذ الطويل ان صلاة الحاسد ترد من السماء الخامسة، وقال الصادق عليه السلام الحاسد مضرّ بنفسه قبل ان يضرّ بالمحسود كإبليس اورث بحسده له اللَعنة ولآدم عليه السلام الأجتباء والهدى والرَفع الى محل حقائق العهد والأصطفاء، فكن محسوداً ولاتكن حاسداً فانّ ميزان الحاسد ابداً خفيف يثقل ميزان المحسود، والرزق مقسوم فما ينفع الحسد الحاسد، ومايضرّ المحسود الحسد، والحسد يهيج خمسة اشياء:

احدها افساد الطَاعات لما عرفت من انه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والثاني فعل المعاصي والشرور، والثالث التعب والغم من غير فائدة بل مع كل وزر، والرابع الحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر بمراد ولاينصر على عدوّ، وكيف يظفر بمراده ومراده زوال نعم الله عن عباده، وكيف ينصر على اعدائه وهم عباد الله الّذين ساق اليهم النعم لتأهّلهم لها.

فان قلت قد ظهر من هذه الأخبار والكلمات انّ الحاسد لايضر المحسود ولايكون حسده باعثاً لزوال نعم الله سبحانه فكيف يجمع هذا مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم كاد الحسد ان يغلب القدر، فانّ ظاهره انّ للحسد تأثيراً شديداً في أمر المحسود وزوال النَعمة عنه، قلت وجه الجمع انّ الحاسد وان كان سبباً في زوال تلك النعمة عن المحسود كتأثير العين الصّائبة الاّ انه ينقل المحسود من نعمة حقيرة الى نعمة جزيلة، امّا في الدّنيا بأن يكون الحاسد مثلاً سبباً في زوال نعمة تأتي المحسود من بعض إخوانه، فأوقع الحاسد اموراً منعت من وصول تلك النعمة اليه كما يتفق في كثير من الأوقات، فاذا كان كذلك ساق الله سبحانه تلك النعمة اليه من محل آخر بناء على ماعرفت من انّ الرزق مقسوم، ومن قوله صلى الله عليه وآله وسلم لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب، وامّا في الآخرة والأمور المتعلقة بها فقد يكون حسد الحاسد باعثا لإرتقاء درجات المحسود كما في حكاية ابليس لآدم عليه السلام فانه انما ارتقى الى درجة الأصطفاء والعصمة بأعماله العظيمة التي وقعت بعد الحسد اذا عرفت هذا فأعلم انه قد بقي هنا امور:الأول حقيقة الحسد هو انبعاث القوة الشهوية الى تمني مال الغير او حاله التي هو عليها وزوالها عن ذلك الغير وهو مستلزم لحركة القوة الغضبية ولذلك قال علي عليه السلام الحاسد

مغتاظ على من لاذنب له وقد اتفق العقلاء على ان الحسد مع انه رذيلة عظيمة للنفس فهو من الأسباب العظيمة لخراب العالم اذا كان الحاسد كثيراً مايكون حركاته وسعيه في هلاك ارباب الفضائل واهل الشرف والأموال الذين تقوم بوجودهم عمارة الأرض اذ لايتعلق الحسد بغيرهم من اهل الخسة والفقر.

واما الغبطة المحمودة فهي انّك لاتتمنى زوال تلك النعمة عنه ولكنّك تشتهي لنفسك مثلها كما قال الصادق عليه السلام انّما نغبطكم يا أهل العراق على الأرز.

الثاني في الأسباب المثيرة للحسد وقد حصروها في سبعة: العداوة والتعزز والتكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد وحب الرئاسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لأنه عدوه لايريد له الخير وهذا لايختص بالأمثال واما لأنه يخاف ان يتكبر بالنعمة عليه وهو لايطيق احتمال كبره وعظمته لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويتمنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبّر واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيراً ويتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بأن يتواصل به الى مزاحمته في اغراضه واما ا يكون لحب الرئاسة التي تبتنى على الأختصاص بنعمة لايساوي فيها، واما ان لايكون بسبب من هذا الأسباب بل بخبث النّفس وشحّها بالخير لعباد الله.

وقد أشار سبحانه الى السّبب الأوّل بقوله{ودوا ماعنتّم قد بدت البغضاء من أفواههم} والى الثالثة بقوله{لو انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم}، أي كان لايثقل علينا الأنقياد لأنهم قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم، والى الرابعة بقوله{ما أنتم الا بشر مثلنا}، وأعظم الأسباب فساد الخامس والسادس لتعلقهما غالباً بعلماء السوء ومناط الخامس يرجع الى متزاحمين على مطلوب واحد ومن هذا الباب تحاسد الضّرات في التّزاحم على مقاصد الزوجية.

الثالث في بيان الدواء الذّي ينقي مرض الحسد عن القلب الا بالعلم والعمل، والعلم النافع لغرض الحسد هو ان يعلم يقيناً ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين ولاضرر به على المحسود في الدنيا ولا في الدين بل ينتفع به فيها فيه ومهما عرفت هذا عن بصير ولم تكن عدوّ نفسك وصديق عدوّك فارقت الحسد لامحالة وما أحسن ماقيل:

لامات أعداؤك بل خلدوا — حتى يروا منك الذي يكمد
لازلت محسوداً على نعمة — فانّما الكامل من يحسد

وفي هذا الحديث انّ اهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه، أي من يكف عنه الأذى والحد والبغض، هذا مجمل الكلام في الحسد.

واما النميمة فهي نقل قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان تكلم فيك بكذا وكذا سواء كان نقل ذلك بالقول ام بالكتابة ام بالإشارة والرمز، وذلك انّ النقل كثيراً مايكون متعلّقه نقصاناً او عيباً في المحكي عنه موجباً لكراهته وإعراضه عنه فيكون راجعاً الى الغيبة ايضاً، فقد جمع بين معصية الغيبة والنَميمة، وهي من المعاصي العظيمة لأنها توجب العداوة بين الأحباب وتهدم حصول الألفة بين الأقارب والأنساب ومن ثم قال سبحانه {همّاز مشاء بنميم}، وقال{عتل بعد ذلك زنيم}، قال بعض العلماء دلّت هذه الآية على انّ من لم يكتم الحديث ومشى بالنَميمة ولد زنا لأنَ الزنيم هو الدعي، وقال تعالى في امرأة نوح ولوط{فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النّار مع الدّاخلين}، وكانت امرأة لوط تخبر بالضَيفان، وامرأة نوح تخبر بأنَه مجنون، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي، قالت سعد من دخلني، قال الجبَار جل جلاله وعزتي وجلالي لايسكن فيك ثمانية نفر من الناس، لايسكن فيك مدمن خمر، ولامصر على الزنا، ولاقتّات وهو النَمام، ولاديّوث ولاشرطيَ، ولامخنَث، ولاقاطع رحم، ولا الذي يقول على عهد ان لم افعل كذا وكذا ثم لم يف به.

وروي ان موسى عليه السلام استسقى لبني اسرائيل حين اصابهم قحط، فأوحى الله تعالى انَي لااستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمّام قد أصرَ على النميمة، قال موسى عليه السلام من هو يارب حتى نخرجه من بيننا؟ فقال ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نمّاما فتابوا بأجمعهم فسقوا، وروي ان رجلاً أتبع حكيماً سبعمأة فرسخ في سبع كلمات فلمّا قدم عليه قال انَي جئتك للذَي أتاك من العلم، أخبرني من السماء وما أثقل منها، وعن الأرض وماأوسع منها، وعن الحجارة وماأقسى منها، وعن النار وماأحرَ منها، وعن الزمهرير ومـاأبرد عنه، وعن البحر وماأغنى منه، وعن اليتيم وماأذلَ منه، فقال البهتان على البرى اثقل من السماوات، والحق اوسع من الأرضين، والقلب القانع أغنى من البحر، والحرص والحسد أحرَ من النار، والحاجة الى القريب اذا لم ينجح أبرد من الزَمهرير، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والنَمام اذا بام أمره أذلَ من اليتيم.

وفي بعض الكتب ان رجلاً اراد ان يشتري عبداً فقال له صاحبه انَه لاعيب فيه سوى النميمة، فقال لاعلي من نميمته، فاشتراه فبقي عنده، فأتى يوماً لإمرأة مولاه فقال مولاي لايحبك فان قدرت ان تأخذي شعرة من لحيته حتى أقرأ عليها شيئاً من الأسماءوالتعويذات فانه يعود الى محبتك، فرضيت وقالت اذا نام أقطع من لحيته شعرة بالموسى فأتى الى مولاه وقال يامولاي

الواجب ان انصحك اعلم ان امرأتك أظهرت لي انها تريد ان تذبحك اذا نمت بالموسى، فان لم تصدق فتناوم هذا اليوم حتى تنظر ماتفعل فلمّا تناوم أقبلت المرأة ومعها الموسى تريد قطع الشَعرة، فلمّا دنت الى الرجل قام وأخذ لها السيف فضربها به حتى قتلها، فسمع أهلها فأتوا الى الرَجل وقتلوه وثارت الفتنة بين القبائل حتى قتل منهم أناس كثيرة، ومن هذا احل الله الكذب في الأصلاح بين الناس وبغض الصدق فيه، فقال عليه السلام المصلح ليس بكذاب، مع ان الكذب من اقبح المعاصي حتى انه سأل عليه السلام ان المؤمن هل يزني؟ فقال ان المؤمن يزني ويلوط ويسرق ويشرب الخمر ويفعل الكبائر لكنه لايكذب، فجعل الكذب أعظم من هذه الذنوب والوجه فيه ظاهر، وهو انّ المفسدة التي تترتب عليه أعظم من غيرها، فإنّ بها سفك المهج وخوض اللّجج كما عرفت، قال بعض بعض المحققين كل من حملت اليه النّميمة فعليه ستّة امور:

الاول ان لايصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهاده قال الله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهاله

الثاني ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله ؛ قال الله تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر ، الثالث ان يبغضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله ؛الرابع ان لاتظن بأخيك السوء بمجرد قوله، لقوله تعالى{اجتنبوا كثيراً من الظن} بل يثبت حتى يتحقق الحال.

الخامس ان لايحملك ماحكي لك على التجسس والبحث لقوله تعالى{ولاتجسسوا}،

السادس ان لاترضى لنفسك بما نهيت النّمام عنه فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نماماً ومغتاباً وقد تكون أتيت بما عنه نهيت، وروي انّ رجلاً أتى امير المؤمنين عليه السلام يسعى اليه برجل، فقال ياهذا نحن نسأل لما قلت فان كنت صادقاً مقتناك، وان كنت كاذباً عاقبناك، وان شئت ان نقيلك اقلناك، قال اقلني ياأمير المؤمنين.وروي ان حكيماً من الحكماء زار بعض اخوانه فأخبره بخبر عن غيره، فقال له الحكيم قد أبطأت في الزيارة وأتيتني بثلاث جنايات، بغَضت اليّ أخي، وشغلت قلبي الفارغ، واتّهمت نفسك الأمينة.

خاتمة هذا النَور في ذكر ذي اللّسانين وهو الذ يتردد بين الأثنين سيّما المتعادين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه، وقلّ مايخلو عنه من يشاهد متعاديين، وذلك عين النفاق، وهو من الكبائر المتوَعد عليها النار، وروى عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة، وروى الصدوق ره بإسناده الى علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه وآخر من قدامه يلتهبان ناراً ثمّ يلهبان جسده، ثمّ يقال هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين

يعرف بذلك يوم القيامة، ويتحقق كونه ذا اللّسانين يعرف بذلك يوم القيامة، ويتحقق كونه ذا اللسانين كما قال شيخنا الأجلَ الشّيخ زين الدّين بأمور:

منها ان ينقل كلام كل واحد الى الآخر وهو مع ذلك نميمة وزيادة، فان النميمة يتحقق بالنقل من احد الجانبين فقط، ومنها ان يحسن لكل واحد منها ماهو عليه من المعادات مع صاحبه وان لم ينقل بينهما كلاماً، ومنها ان يعد كل واحد منهما بأن ينصره ويساعده ومنها ان يثني على كل واحد منهما في معاداته، واولى منه ان يثني عليه في وجهه واذا خرج من عنده ذم، والذي ينبغي له اما ان يسكت او يثني على المحق منها في حضوره وغيبته وبين يدي عدوه، ولا يتحقق اللسانان بالدخول على المتعاديين ومجاملة كل واحد منهما مع صدقه في المجاملة، وان الواحد قد يصادق المتعاديين ولكن صداقة ضعيفة لاتصل الى حد الأُخوة، اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة العدو كما هو المشهور من ان الأصدقاء ثلاثة الصديق، وصديق الصديق، وعدو العدو، والأعداء ثلاثة العدو وعدو الصديق، وصديق العدو.

فان قيل كثيراً ما يتفق لنا اختلاف اللسانين مع الأمراء واعداء الدين فهل يكون ذلك داخلاً في النهي والنفاق كما ورد من انه سأل بعض الصحابة ان ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره، قلنا ان كان القائل مستغنياً عن الدخول على الأمير وعن مخالطة العدو الديني وأختار الأجتماع معه والصحبة له اختياراً طلباً للجاه والمال زيادة على القدر الضَروري فهو ذو لسانين ومنافق كما ذكره الصحابي، وعليه يحمل الخبر، وان كان محتاجاً الى ذلك اتقاء ضرورة فهو معذور لاحرج عليه، فانَ اتقاء الشر جائز، قال ابو الدَرداء انَا لنشَ في وجوه أقوام وان قلوبنا لتبغضهم، وروي انَه مر رجل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال بئس رجل العشيرة، فلمَا دخل عليه أقبل عليه فقيل له في ذلك، فقال انَ شرَ النَاس الذَي يكرم اتقاء شرَه، وأكثر التحقيقات التي في هذين النَورين قد أخذنا من كلام شيخنا الشهيد الثاني طاب ثراه.

(نور في الكبر والفخر وعلاجاتهما وما يناسب ذلك)

اعلم وفقك الله تعالى انَ الغرض الذَاتي من خلق الإنسان انَما هو الأطاعة والقيام بوظائف العبودية، قال تعالى{وماخلقت الجن والأنس الا ليعبدون} وليس المثل الاَ كمولى يشتري عبداً فإنه ليس العلَة في شرائه الاَ ان يأتي برسوم العبودية ولوازمها، وحينئذ فإرتقاؤه في درجات الكمال انَما يكون بإرتقائه في درجات العبودية سواء كان نبياً او غيره، ومن هذا فضَلت مرتبة العبودية على مرتبة النبوة والرَسالة، فقال تعالى مخبراً عن غاية قرب نبيَه وتمام التنويه باسمه

{سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى} ولم يقل في هذا المقام أسرى برسوله، مع انّها الحالة الّتي امتاز بها عن سائر الأمة.

ووجه ذلك انّ العبودية نسبة بين العبد ومولاه والرّسالة نسبة بين النبي وأمتّه وهو كونه رسولا اليهم، ولاريب في اشرفيّة النسبة الأولى لمكان طرفيها، ولأنها النسبة المقصودة بالذات، وأما الرسالة وماشابهها فهي نسبة عرضية لاذاتية، ومن ذلك كانت الأولى هي المقدمة في الوجودين فانّه عزّ وجلّ لم يرسله الى الأمة الاّ بعد اربعين سنة، وهي مدة سيره في تحصيل كمال العبودية فانه ترقى فيها حتى اخبر عنه بقوله {فكان قاب قوسين او ادنى}، ولما كمل في تلك الدرجة أهبه منها الى درجة سافلة وهي الرسالة، فقال عزّ من قائل{انا انزلنا اليكم ذكراً رسولاً} ففي قوله انزلنا اشارة الى هذا الإنزال المعنوي وهو من درجة الى درجة، وليس المراد الأنزال الحسي لأنَه لم يكن في السماء حتى ينزل الى الأرض بل كان بين ظهرانيهم وماكان أشق هذا الأنزال عليه لأنه كان في الدرجة الأولى يحاكي جناب القدس في عالم الملكوت، وقد صار هذا لشيء عجاب، فانَهم كانوا يعبدون ثلاثمائة وستين صنماً، ولما أنزل صلى الله عليه وآله وسلم اليهم أمرهم بالتوحيد فاظهروا هذا التعجب من قوله، وقد حصل له من ردّهم عليه مقالته تعب عظيم وألم جسيم، وتعب القلب اشدَ من ضرب السيوف لأنَه من ربّى اربعين سنة في حجر جبرئيل عليه السلام وكان المعلم له رب الملكوت فأدّبه بآدابه واطّلعه على مراتب جبروته، ثم تنزل من هذا كله حتى أمر بمعاشرة أجلاف العرب واهل ترك الأدب مع فرط روحانيّتة ولطافة قدسيته كان عليه هذا أثقل من الجبال الرواسي لولا امره سبحانه له بمثله.

وفي الروايات ان سليمان عليه السلام لما أراد تأديب الهدهد أمر به فحبس مع الحدأة في قفص واحد، فلما رأى حاله معها طلب من سليمان ان يخرجهمن القفص وان يعذّبه في كلَ ماأراد من أنواع العذاب فقد كان أخف عليه، ومن هنا قال سبحانه{من تدخل النار فقد أخزيته}، ولم يقل فقد أحرقته او عذبته، وذلك انَ الخزي عذاب الروح والإحراق عذاب البدن وعذاب الروح اشدَ وافضع لو كانوا يشعرون، وروي ايضاً انه سأل عليه السلام عن الحمل الثقيل يحمله الرجل رأسه فلا يثقل عليه كثيراً ويرى الرجل المكروه يجلس على بعد من الأنسان ويكون ثقله ومشقّته عليه أعظم من ذلك الحمل الثقيل فقال عليه السلام انّ الحمل الثقيل يحمله البدن والرجل المكروه تحمله الروح وهي انّ من الذنوب ذنوباً قد تناهت في العظم فلا يكفّرها الا الهمّ والغمّ والصّبر على المصائب وذلك لأنَه عذاب الروح فيكون مكفر الذنوب البدن او شهواته الحيوانيّة واذا حققّت هذا.

فاعلم ان الناس كلهم بل كل اصناف المخلوقات متساوون في العبودية لأنّ مولاهم واحد فهم من قبيل ان يكون سلطان عنده انواع من العبيد فليس للأبيض ان يفخر على الأسود في أصل العبودية، ومن هذا جاء الحديث انّ الله سبحانه أوحى الى موسى عليه السلام اذا جئت للمناجاة فاصحب معك من تكون خير منه، فنزل عن الناس وشرع في أصناف الحيوانات حتى مرَ بكلب اجرب، فقال أصحب هذافجعل في عنقه حبلاً ثم مرَ به، فلما كان في بعض الطريق شمر الحبل وارسله، فلما جاء الى مناجاة الرب سبحانه قال ياموسى اين ماأمرتك به؟ قال يارب لم اجده، فقال تعالى وعزّتي وجلالي لو أتيتني بأحد لمحوتك من ديوان النبوة، فهذا الحديث وماروي في معناه منزّل على ماذكرناه، والاّ فلا خلاف في انّ كلّ نبي بعث في زمانه فهو افضل واشرف من اهل زمانه وكذلك الناس يتفاوتون في الفضل والشّرف على قدر خدمتهم لمولاهم، فيكون هذا الشرف عارضياً ومع هذا فلا ينبغي للعبد ان يفتخر على غيره به وذلك لأنّه شيء قد ألزم به وهو واجب عليه، فينبغي له ان يكل الفخر والمدح الى مولاه بأن يكون هو الذي يباهي به ويظهر شرفه.

وفي الحديث ان الله تعالى يباهي الملائكة ويفاخرهم بأقوام، منهم رجل صار في قفر من الأرض ليس معه أحد فيقوم يؤذّن ويقيم للصلاة فيقول سبحانه أنظروا ياملائكتي الى عبدي هذا قام يذكرني في هذه الفلاة من الأرض، ورجل قام الى صلاة الليل فأخذه النّعاس وهو ساجد فيقول سبحانه انظروا الى عبدي روحه عندي في قبضتي وبدنه ساجد لي ورجل لم يقم لصلاة الليل لعارض، ثمّ اذا جاء النهار قام يقضيها، الى غير ذلك فيكون المولى هو المادح لهم والمثني عليهم، ولهم الفخر الواقع في نفس الأمر، وفي الدّيوان المنسوب الى مولانا امير المؤمنين عليه السلام:

النـاس مـن جهـة التّمثـال اكفـاء	أبـوهم آدم والأمّ حـواء
فـان لم يكـن في أصـلهم شـرف	يفـاخرون بـه فـالطّين والمـاء
مـاالفخر الاّ لأهـل العلـم انهـم	علـى الهـدى لمـن اسـتهدى أدّلاء
وقيمـة المـرء ماقـد كـان يحـسنه	والجـاهلون لأهـل العلـم أعـداء

نعم اذا اراد الأنسان بيان احواله اذا كانت مجهولة لغرض من الأغراض الشرعية جاز له وان كان فيه عبارات الفخر، لكن لايكون الفخر والكبر مقصودين له كما كان يستعمله قدماء علمائنا من ذكرهم مدائحهم ومعالي منابتهم في كل عنوان، ومن هذا جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وآله وسلم انا خير الخلق ولافخر، وأنا أفصح العرب ولافخر، الى غير ذلك ومقصوده عليه السلام اظهار بيان شيء من شأنه عند جهّال الناس لا الفخر، ولهذا بالغ في نفيه بلا الجنسيّة،

والكبر والفخر ليسا من مساوىء الأخلاق بل من أشرف الصفات والحالات وهما من صفات الأكرام له سبحانه وتعالى، ومما إختصا به فلا يجوز لأحد ان ينازعه في أخصّ صفاته.

قال ابو جعفر عليه السلام العزّ رداء الله والكبر إزاره فمن تناول شئاً منه أكبّه الله في جهنّم، وفي الحديث القدسي العزّ ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعنيهما ادخله ناري ولا ابالي، فهما بالنسبة الينا صفات ذم لأنهما ثوبان مغصوبان قد لبسنا هما والثوب المغصوب يحرم استعماله في جميع الأحوال حتّى من انّ المراد المساواة في أصل العبودية، ويجوز ان يكون هذا الحديث منزّلاً على ارادة المؤمنين والمسلمين، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ماترك الأيمان لذي شرف شرفاء، فإنهم كانوا يتكبرون ويفخرون في أعصار الجاهليّة حتى بلغ بهم الحال الى ان الرجل العظيم منهم اذا كان له بنت انتظر بها حتى اذا بلغت مبالغ النساء زيّنها وحلاّها بأنواع الحليّ والحلل واخذها الى المقابر وحفر لها او دفنها فيه وهي في عالم الحياة، وذلك لأنّه ليس لها كفوٌ بزعمه حتّى يزوّجها منه، فنفي سبحانه هذه المقالة عليهم بقوله {واذا المؤدة سئلت بأي ذنب قتلت}.

وقد حكى عمر بن الخطاب فيما روي عنه انّه قال: أدركني الرقّة على ابنة لي في أعصار الجاهلية، وذلك انّي امرت بأن يحفر لها قبر لأدفنها فيه، فلمّا أتيت بها الى القبر، كان الحفّار يخرج التراب من القبر فتناولت منه التراب، فعلّق بعض التراب بلحيته، فأخذت البنت تنفضه منها فرققت لها، ثم دفنتها وهي حية، فلمّا جاء الأسلام أبطل تلك الأمور وعطّلها، حتّى انه صلى الله عليه وآله وسلم صعد المنبر يوماً وذكر ماكانوا به يتفاخرون ويتكبرون فقال: انه موضوع تحت قدمي الى يوم القيامة، ولم ينزل من المنبر حتّى زوّج بنت صفية ابنة عبد المطلب من المقداد مع انّه كان افقر الناس حالاً وأقلهم مالاً، وقد ساوى بينهم في أعزّ الأمور وأنفسها وهو أمر الدماء، فقال: صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين اخوة تتكافأ دمائهم ويسعى بذمتهم ادناهم، فاذا كان دم السلطان والكنّاس على حدّ سواء يقتل هذا بهذا فانّي للسلطان والفخر والتكبّر على الكنّاس.

وامّا حطّ دية العبيد عن الأحرار فلكون الغالب فيهم النّشو والنماء على ملل الكفر وحالاتهم، وأما نقصان المرأة عن الرجل فلنقصان عقلها ودينها، اما العقل فهو انّ شهادة إمرأتين شهادة رجل واحد، وامّا الدين فهو انّ المرأة تمكث زماناً لاتصلي فيه ولاتصوم لمكان حيضها، وايضاً فإن الأنسان اذا تفكر في مبادىء أحواله وأواخرها ذلّت عنده نفسه ولم يدخلها في ميدان الفخر والكبر، ولهذا قال امير المؤمنين عليه السلام: ابن آدم اني لك والفخر فانّ اولك جيفة وآخرك جيفة وفي الدنا حامل الجيف، ولينظر الى احوال هذه الجيف فانّها ليست كجيف الحيوانات، اما الجيفة الأولى فهي المني فقد غلّظ الشارع نجاستها حتى فهم بعض الأصحاب من

تغليظه ان تطهير الثياب والأبدان منها يحتاج الى الغسل مرتين، كما ورد في ازالة البول ايضاً وانّها يخرج من طريقين نجسين بالبول فيكون حاله ضمّ نجاسة الى نجاسة، واما الجيفة الأخيرة وهي ميتته فإنها أخسّ وأخبث من ميتة الكلب والنزير، وذلك ان كل من مس ميتة الكلب لم يوجب الشارع عليه غسلاً واما من مسّ جلد الميت فقد أوجب عليه تطهير كلّ بدنه مبالغة في خبث جيفته وفي اجتناب الناس له، حتى يعتبر الأحياء برؤية الأموات، وقد ألقى أيضاً على جيفته وهو في عالم الحياة فهي اظهر من ان تذكر، وحاله في الدّنيا أخسّ من حمار قد حمل جوالقا من العذرة.

والعجب انّه لو مرّ على مثل هذا الحمار لتنفسّ منه وبعد عنه ولعن الحمار وشم صاحبه ولم يتفكر في انّ هذا البلاء الذي قد اصاب الحمار انّما هو منه والاّ فالحمار أنّى له والعذرة، فها قد تراوحا على الجوالق، فقد كان الحامل له اوّلاً هذا الرجل الظّريف الذي يقبض الآن على انفه منه، ثمّ لّما عجز عن حمله ولم يطقه رمى ذلك الجوالق على الحمار الفقير فأخذ الحمار ليبعد عنه، فذلك الجوالق قد تراوح عليه حماران إن كنت تعقل.

وقد رأيت بخطّ شيخنا الشيخ بهاء الدين قدّس الله زكيّ تربته هذين البيتين وهما من قوله:

وثــورين أحاطــا بهــذا الــورى	فثــور الثّريّــا وثــور الثّــرى
فهـم(وهـم) فـوق هـذا ومـن بـين ذا	حمــير مــسرّحة في القــرى

ولعمرك انّهم اخس من الحمير والثيران، فقد حكى سبحانه عن جماعة قصروا في القيام بوظائف العبوديّة فقال: وان هم الاّ كالأنعام بل هم أضل سبيلاً، وذلك انّ الأنعام تهرب من الضار لها وتقبل على من قصد ايصال النفع اليها بخلاف الأنسان فأنّه يهرب عمّن قصد نفعه وهو الذي ربّاه صغيراً ورزقه كبيراً، ويقبل من أراد ضرره وهم شياطين الجنّ والأنس، فقد قال سبحانه{والله يدعو الى دار السلام}وانت تهرب عمن يدعوك الى دار السّلم وتقبل على من يدعوك الى طبقات النيران، وفي الحديث انّ اهل النّار اذا دخلوها دخل الشيطان فيوضع له منبر من نار ويلبس ثياباً من نار، كما قال سبحانه{فالذين كفروا قطّعت لهم ثياب من نار} فيرقى فوق المنبر ثم يأخذ في السخرية والأستهزاء على من تحت منبره، فتضجّ اهل النار بلعنه وسبه، فيقول لهم أنصتوا لكلامي، فيقول أيّها الجهّال ان الله تعالى ارسل اليكم مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي يدعونكم الى تلك الجنّة العالية فلم تقبلوا قولهم وأنا دعوتكم وحدي الى هذه النار الشّديدة العذاب فأطعتموني فلا تلوموني ولوموا أنفسكم.

واما لأن الأنعام تعرف بيت صاحبها فتغدوا عليه وتروح وتسرح وتجيء فحالها أحسن من حالك، وذلك انك تهرب من المساجد والبيت والكعبة ومن اولياء الله وأحبائه وإمّا لأن الأنعام قد قامت بوظائف ماخلقت له فانّ الثور انما خلق للحرث والفرس للركوب ونحو ذلك ولم يحصل منها تقصير في هذه الغايات، وامّا انت فانّما خلقت للعبادة ولم تأت بشيء منها فهي أهدى منك وأحسن حالاً، ولو تفكّرت أيها الفاخر المتكبّر لرأيت انّ اول من سبقك بهذه الخصلة القبيحة هو امامك الشيطان حيث أبى عن السجود بقوله له خلقتني من نار وخلقته من طين، فانّه نظر الى ان جوهر النار وان ارتفع سنانها في الهوى وشبّت لكنه لحظة واحدة ثم لايحصل منها بعد الاّ الرماد الذي لاينتفع به، وأمّا التراب فهو وان كان موضوعاً تحت الأقدام لكنه بسبب هذا التواضع قد صار مادة لأنواع الورد والريحان وكل خير فهو اذن اشرف من النّار وانفع منها، فقد غلط في القياس كما سبق تحقيقه، وقد تقدّم في وظائف الصلوات ان الله سبحانه انما جعل موسى كليمه لأنه اذا فرغ من الصلاة عفّر خديه على التراب، فانظر الى شرف التراب كيف ترقت بسببه الأنبياء الى مراتب القدس ومكالمة الحقّ.

وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام فقال: اتدري لم رزقتك النبوة؟ فقال: يارب انت اعلم به مني، فقال: تذكر اليوم الذّي كنت ترعى الغنم بالموضع الفلاني فعدت شاة فعدوت خلفها، فلمّا لحقتها لم تضربها وقلت أتعبتني وأتعبت نفسك، فحين رأيت منك تلك الشفقة على ذلك الحيوان رزقتك النبوة، وبالجملة فليس الفخر والشرف الاّ لمن شرّفته الطّاعة، كما قال في الحديث القدسي: ليس الشّريف الا من شرّفته طاعتي.

وفيه ايضاً ان الناس يطلبون اشياء في اشياء فلا يجدونها لأنّي وضعتها في غيرها يطلبون العلم في الوطن فلا يجدونه لأنّي وضعته في الغربة، ويطلبون الغنى في جمع المال فلا يجدونه لأنّي وضعته في القناعة، ويطلبون العزّ بخدمة السّلطان فلا يجدونه لأنّي وضعته بخدمتي، ومن هذا قال سبحانه ﴿إن اكرمكم عند الله اتقاكم﴾ ولم يقل ان أكرمكم أتقاكم، اشارة الى ماحققناه من انّ الفخر والشّرف انّما ينبغي ان يكون هو الذي يفعله بالأنسان وينشر مدائحه ويرقّيه فوق درجات المعالي من غير ان يكون الأنسان هو المتولّي لذلك، وناهيك بالتكبر ذماً بعد الناس عن صاحبه بالذل فهو لايحبهم وهم لايحبّونه وذمّه على ألسنة الخلائق وان الله يبتليه في أغلب الأوقا بالذلّ والهوان فانّ الصادقين عليهما السلام قد مثّلوا الدنيا ببيت سقفه مخفوض[1] فالدّاخل اليه لابدّ له

---

(١) خفضه خفضا ضد رفعه.

من ان يطأطأ رأسه عند الدخول ومن فع رأسه تلك الحالة شجه السقف وأخرج دمه ورمى بعمامته من فوق رأسه وفضحه بين الأقران الذين كان يريد الترفع اليهم.

وجاء عن الصادق عليه السلام انه قال لبعض تلاميذه يوماً: أيّ شيءٍ تعلمت مني؟ قال يامولاي: ثمان مسائل، قال عليه السلام: قصها عليّ لأعرفها، قال: الأولى رأيت كل محبوب يفارق محبوبه عند الموت فصرفت همي الى من لايفارقني وهو فعل الخير، قال: احسنت والله الثانية رأيت قوماً يفخرون بالحسب وآخرين بالمال والولد واذا ذلك لافخر، ورأيت الفخر العظيم قوله تعالى{ان اكرمكم عند الله اتقاكم} فاجتهدت ان اكون عند الله كريماً قال: احسنت والله، الثالثة قال: رأيت الناس في هولهم وطربهم وسمعت قوله تعالى{واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى}فاجتهدت في صرف الهوى عن نفسي حتى استقرت على طاعة الله تعالى، قال: احسنت والله، الرابعة قال: رأيت كل من وجد شيئاً يكرم عنده إجتهد في حفظه، وسمعت قوله تعالى{من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم} فأحببت المضاعفة ولم أر أحفظ مما يكون عنده، فكلما وجدت شيئاً يكرم عندي وجهت به اليه ليكون زخر الى وقت حاجتي اليه قال: احسنت والله.

الخامسة قال: رأيت حسد الناس بعضهم لبعض، وسمعت قوله تعالى{نحن قسمنا معيشتهم بينهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون} فلما عرفت ان رحمة الله خير مما يجمعون ماحسدت أحداً ولاتأسفت على مافاتني، قال: احسنت، السادسة قال: رأيت عداوة(الناس يعاندون) الناس بعضهم لبعض في دار الدنيا، وسمعت قول الله تعالى انّ الشيطان لكم عدوّ مبين فاشتغلت بعداوة الشيطان عن عداوة غيره، قال: احسنت، السابعة قال: رأيت كدح الناس واجتهادهم في طلب الرزق وسمعت قوله تعالى{وماخلقت الجنّ والأنس الاّ ليعبدون ماأريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون انّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين}فعلمت ان وعده حق وقوله صدق فسكنت الى قوله ووعده ورضيت بقوله واشتغلت بماله عليّ عما لي عنده قال: احسنت والله، الثامنة قال: رأيت قوماً يتكلون على ابدانهم وقوماً على كثرة اموالهم وقوماً على خلق مثلهم وسمعت قوله تعالى{ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا}فاتكلت على الله وزال اتكالي عن غيره، فقال: والله انّ التوراة والأنجيل والزبور والفرقان وسائر الكتب مشحونة بهذه المسائل.

واعظم اسباب التكبر الغنى وجمع الأموال، وروي ان اول من سك الدراهم والدنانير النمرود، فأول درهم ودينار سكهما الصائغ اخذهما الشيطان وقبلهما ووضعهما على عينيه،

وقال: انال مأريد من الناس بهذين، فكان كما قال، ومن هنا قال عليه السلام: انّ الله يبغض الشيخ الزاني، والفقير المتكبر، وذلك لعدم وجود الداعي فيهما وهو الشهوة والمال، وفي بعض التواريخ انّه قد سأل الفضل بن يحيى البرمكي عن سبب التكبر الذي كان يفعله مع النّاس ومن اين أخذه، فقال: اخذته من فلان وهو رجل من أقارب الخليفة، وذلك انّ الخليفة جعلني عاملاً على قم وتوابعها وكان لي من يكرهني عند الخليفة، فقالوا له: ينبغي ان تأخذ منه خراج هذه السنة قبل ان يمضي الى قم فأتتني غلمان الخليفة والخراج كان مالاً جزيلاً فقال لي ابي: إمض الى فلان وقل له انّ ابي يقرأ عليك السلام وتقول القصّة كذا وكذا، فان حصل شيء تقرضنا حتى نأتي بالخراج فمضيت اليه ووجدته جالساً وحده متكياً على محجّر، فسلّمت عليه ولم ينظر اليّ فتندّمت على المجيء اليه فقلت له ماقال لي ابي فلم يكلّمني فخرجت ولم أحك ماجرى لأبي، فلما كان قد مضى ساعة واذا الجمال محملة بتلك الأموال معها غلمانه، واذا هي تفي بالخراج وفوقه، فأوصلناها الى خزانة الخليفة، فلمّا جمعت الخراج أتيت بها الى بغداد حملت الجمال تلك الأموال وتقدّمتها فرأيته جالساً على تلك الهيئة فلما رأى الجمال قال: ماهذه الجمال؟ فقلت هذه الأموال التي استقرضها أبي منك، فقلت انّي كنت خزّاناً لأبيك، خذ أموالك وامض، فلم يكلمني غير هذه الكلمة، فأتيت بالأموال فأعجبني تكبره لأنّه مشفوع بالكرم.

واما حال المتكبر في الآخرة فهو شنيع فضيع، قال عليه السلام: يحشر المتكبرون يوم القيامة بصورة الذرّ تطأهم الخلائق بأرجلها حتى يفرغ الله من الحساب، فهذا الهوان والذلّ بأزاء ماراموه في الدنيا من الفخر والكبر لم يحصلوه.

بقي الكلام في معناه وفي تحقيقه فقد روى الكليني(ره) في الصّحيح مسنداً الى محمّد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال: لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من الكبر، قال: فاسترجعت، فقال: مالك تسترجع؟ قلت لما سمعت منك، فقال ليس حيث تذهب انّما هو الجحود، وقال الصادق عليه السلام الكبر ان تغمص[1] الناس: وتسفه الحق وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان اعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحقّ، قال: قلت وماغمص الخلق وسفه الحق؟ قال: يجهل الحق ويطعن على أهله، فمن فعل ذلك فقد نازع الله تعالى ردائه وعن عمر بن يزيد عن ابيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام انّي آكل الطعام الطيّب، وأشم الريح الطيبة، وأركب الدابة الفارحة، ويتبعني الغلام، فترى في هذا شيئاً من التجبّر فلا افعله، فأطرق ابو عبد الله عليه السلام ثم قال: انّما الجبار الملعون من غمص الناس جهل الحق، قال:

(١) غمصه احتقره،رجل غمص عيوب.

عمر فقلت اما الحق فلا اجهل والغمص لادري ماهو؟ قال: من حقَر الناس وتجبر عليهم فذلك الجبَار، والغمص بالغين المعجمة والصَاد المهملة هو تحقير الناس، أقول دلت هذه الأخبار على ان الكبر المتوعد عليه هو تحقير الناس وعدم قبول الحق فيدخل في هذا أمور:

الأول مايقع في مناظرة بين ارباب العلم فان الغالب من احوالهم انَه يريد كل واحد منهم إقحام خصمه ليترفع عليه في المجالس، واذا ظهر له انَ كلام خصمه حق ردَه ولم يقبله منه لئلا يظهر للناس انَه قد أفلج، فمثل هذا المناظر يدخل في تعريف هذا المتكبر ولأنَه رد الحق بعد ماظهر له انَه حق، وايضاً فقد حقَر قائله حيث زعم الناس انَه هذا الرجل المبطل هو المحقَ وذلك المحق هو المبطل.

ومن هنا المولى الصالح العالم عبد الله التستري اذا سأل التَقي الورع المولى احمد الأردبيلي عن مسئلة وتكلما فيها سكت الأردبيلي في أثناء الكلام، او قال حتى أراجعها في الكتب، ثم أخذ بيد التستري ويخرجان من النجف الأشرف الى خارج البلد فاذا انفردا قال المولى الأردبيلي: هات ياأخي تلك المسئلة، فيتكلم فيها ويحققها الأردبيلي على مايريد المولى التستري، فيسأله فيقول ياأخي هذا التحقيق لم لاتكلَمت به هناك لَما سألتك؟ فيقول له ان كلامنا كان بين الناس، ولعل كان فيه تنافس وطلب الظفر منك او منَي والآن لاأحد معنا الاَ سبحانه.

الثاني في التواضعات بأن يقوم لبعض الناس على وجه التعظيم ولايقوم للبعض الآخر على وجه التَحقير بأن يخطر بباله انَ هذا لايستأهل التعظيم والقيام له، امَا لو كان بعض الناس يتوقع التعظيم والآخر لايتوقعه ولايطلبه من ذلك الرجل بل ربما شق عليه تواضعه له فالظاهر انَ تركه له لايعد من باب التكبر والفخر، وكذا في باب السلام والتحيَات فانَ كثيراً من الناس اذا تلاقوا مع اخوانهم لايبتدؤنهم بالسلام عمداً وقصداً ويحقَرونهم ويبخلون عليهم بالسلام، ويطلبون ان يكون المبتدي بالسلام هو ذلك الرجل الذي حقَروه، مع قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ياعلي كل من لقيته فسلَم عليه، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم انَ من المنجيات من عذاب الله تعالى إفشاء السلام، وقوله ان البخيل من بخل بالسلام، وماورد من انَ ثواب المسلَم أكثر من ثواب الرادَ للسلام مع انَ الأول مستحب والثاني واجب، فهذا من المواضع المستثناة من القاعدة الكلية وهي انَ الثواب الواجب أزيد من ثواب المستحب، ومن المستثنى ايضاً إنظار المعسر وإبراؤه من الدين، فانَ الأول واجب والثاني مستحب، والثاني يفضل على الأول في الثَواب.

ومنها الصلاة المعادة بالجماعة بالنسبة الى الأولى، وقد عدَ منها الصلاةو في الأماكن الشَريفة والبقاع فانَه افضل من الصلاة في غيره، قال شيخنا البهائي(ره) ويمكن المناقشة في حكاية إنظار المعسر فانَ الواجب عدم مطالبته سواء حصل في ضمن الأنظار او الأبراء لكن حصوله في

ضمن الأبراء أفضل الواجبين، وقس عليه المناقشة في حكاية الصلاة في البقاع الشريفة بل هي فيه أظهر انتهى، أقول يمكن رفع المناقشة بأن الواجب في المعسر ليس هو عدم المطالبة مطلقاً بل عدم المطالبة الى وقت الأيسار فالواجب انّما هو هذا الفرد، وامّا عدم المطالبة مطلقاً فليس هو بواجب بل مستحب فيدخل في جملة الأفراد، وامّا المناقشة في الأخير فجوابها ان مراد القائل بها انّ الصلاة النّافلة في الأماكن الشريفة تفضل على الصلاة الواجبة في غيرها كما وردت في الأخبار، وليس المراد به الصلاة الواجبة الواقعة في البقاع الشريفة كما لايخفى، وقد روى الشيخ ره في الصحيح عم معاوية بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام رجلان افتتحا الصلاة في ساعة واحدة فتلا هذا القرآن فكانت تلاوته اكثر من دعائه، ودعا هذا فكان دعاؤه اكثر من تلاوته، ثمّ انصرفا في ساعة واحدة فأيّهما أفضل، قال: كل فيه فضل كل حسن، قلت اني قد علمت انّ كلا حسن وانّ كلا فيه فضل، فقال: الدعاء أفضل أما سمعت قول الله عز وجل {وقال ربكم ادعوني استجب لكم انّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين} هي والله العبادة هي والله أفضل الحديث، وقد جعل بعضهم هذا الفرد الخاص من جملة الأفراد المستثناة فردّ عليه شيخنا البهائي طاب ثراه بقوله ماتضمنه من تفضيل الدعاء على قرآءة القرآن في الصلاة لايدلّ على تفضيل المستحبّ على الواجب فلعل المراد بالقراة ماعدا القراءة الواجبة ان قلنا باستحباب السورة او المراد بالدعاء القنوت ان قلنا بوجوبه وان اريد بالقراءة والدعاء الواقعان بعد الصلاة في تعقيبها فلا إشكال، هذه كلامه ولايخفى مافيه اذ القول بوجوب القنوت نادر، كما ان القولابأستحباب السورة خلاف المشهور، وقد خطر بالبال جواب عن أصل السؤال، وحاصله انّ قراءة السورة وان وصف بالوجوب من حيث حصول القراءة في ضمنها لكنّها توصف بالأستحباب ايضاً من حيث الطول والقصر وغيرهما من الأعتبارات، ومن ثم قال الأصحاب رضوان الله عليهم تبعاً للأخبار: يستحب قراءة سورة كذا فهي من حيث انّها سورة طويلة توصف بالحكمين الوجوب والأستحباب لكن كل واحد بأعتبار فيكون عليه السلام قد فضل الدّعاء المستحب على قراءة السورة مثلاً لكن لامن حيث الوجوب وجهته، بل من جهة الأستحباب واعتباره اذ السورة الطويلة مثلاً يثاب عليها صاحبها مرتين، مرّة لحصول الواجب في ضمنها ومرة اخرى بكونها أطول من غيرها فتكون مستحبة، وبالجملة فهو تفضيل مستحب على مثله، وهذا كلام وقع في البين فلنرجع الى تمام كلامنا السابق فنقول:

انّه قد تعارف في بعض البلاد ان يسلّم زيد مثلاً على عمر ابتداءً فلو ترك عمر والأبتدار بالتسليم نظراً الى الرسوم المتعارفة لا من جهة التّحقير فالظّاهر انّه لابأس به نعم قد فوّت على

نفسه مزيد الثواب، والعلة في توفير ثواب المسلم على المجيب انّ المسلم هو السبب في حصيل الثواب للمجيب فمن هذا زاد عليه.

الأمر الثالث في الجلوس في المجالس والتّصدّر فيها وتحقير الفقير بحيث لايرضى الغير بجلوسه في قرب منه، كما روي عن الصادق عليه السلام قال: جاء رجل موسر الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقيّ الثوب فجلس الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجاء رجل معسر درن[١] الثّوب فجلس الى جنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خفت ان يمسك من فقره شيءٌ، قال: لا خفت ان يصيبه من غناك شيءٌ، قال لا، قال: فخفت ان يوسخ ثيابك، قال لا، قال: فما حملك على ماصنعت؟ فقال ارسول الله انّ لي قريباً (ينا) يزيّن لي كلّ قبيح ويقبح لي كل حسن، فقد جلت له نصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمعسر أتقبل؟قال: لا، فقال له الرجل ولم؟ قال اخاف ان يدخلني مادخلك، فهذا ايضاً نوع من انواع العجب وأفراده.

الأمر الرابع في المحاورات والمكالمات، فان كثيراً من الناس من يعبّر عن نفسه بالعبارات الموجبة للتعظيم والتكبر كأن يقول انا أمرت وأنا نهيت الى غير ذلك من العبارات الظاهرة في الفخر والتعظيم، وقد روي ان رجلاً جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدقّ عليه الباب، فقال من بالباب؟ فقال انا فغضب صلى الله عليه وآله وسلم من قوله، فخرج وهو يقول من القائل أنا وهي لاتليق الاّ بالله الذي يقول أنا الجبار أنا القهّار أنا الخالق، ثم قال: صلى الله عليه وآله وسلم ان في رأس كل واحد من الناس سلسلتين، فواحدة من رأسه الى العرش وطرفها في يد ملك جالس هناك، والأخرى تنتهي الى تحت الأرض وطرفها في يد ملك هناك ايضاً، فاذا تواضع لله قال الله سبحانه للملك الذي في العرش قد واضع فلان فارفعه بين الناس حتى تكون مرتبته الى العرش، واذا تكبّر قال الله سبحانه للملك الآخر أخفضه بين الناس واهبط درجته حتّى ينتهي حاله الى ماتحت الثّرى.

الأمر الخامس في تبخترهِ في المشي إمّا بأن يضرب الأرض برجله كأنّه يريد أن يخرقها، او يمشي الهوينا[٢] متبختراً متخيّلاً في المشي جاذباً عنقه، وربّما قلب عمامته فوق وجهه كما يفعله المتكبرون، كأنّه يريد ان يبلغ السماء حتى ان الأرض تخاطبه وتقول ياامتكبر تمشي على وجهي بهذه الطريقة فأنا أتقاضى منك اذا وصلت الى بطني، فاذا مات قالت له الأرض هذا الكلام ايضاً، ثم تضغطه ضغطة شديدة حتى تخرج مخ رأسه من تحت أظافير رجليه.وروي انّ ذا النون

---

(١)درن درناً الثوب:علاه الوسخ.الدرين الثوب البالي.

(٢)الهوينا التؤدة والرفق،وهي تصغير الهوني والهوني تأنيث الأهون.

المصري رأى(رجلا خ) عبداً اسود متزراً بأزار يتبختر عند البيت في جماعة من أتباعه، فقال من انت وماهذا التبختر؟ قال كيف لاأتبختر وأنا عبد ملك مكة، قال ذو النون فأنا بالتبختر أولى لي منك فإني عبد ملك الناس ويوم الدين، وبالجملة فأنواع التكبر كثيرة وأكثرها يرجع الى القصد والنية، وكلها تشترك في ذلك العذاب الشديد نعوذ بالله من سيئات الأعمال ومساوىء الأخلاق.

(نور يكشف عن تحريم معونة الظالمين مطلقاً)

اعلم ايدك الله وسددك والى كل خير وفقك وارشدك ان المقصود من ايجاد هذا العالم انما هو التعاون على البر والتقوى وقضاء مآرب بعضهم بعضاً حتى يتم أمر الأجتماع والأئتلاف، ومن ثمَ ورد الحث على مثل هذا حتى في الأمور القليلة، فقال سبحانه{ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين هم يراؤن، ويمنعون الماعون} والمراد بالماعون الالآت التي يحتاج اليها الجيران والمؤمنون مثل الظروف والفروش والفأس والمسحاة وغيرها، فقرن من منع جيرانه وإخوانه من إعارة هذه الأمور بالمرائي الذي جعل له الويل، وهو واد في جهنم، وفي ظاهره دلالة على وجوب اعارة هذه الالآت، وحيث انعقد الأجماع على الأستحباب قلنا به والاَ فالقول بالوجوب لايخلو من وجه خصوصاً اذا استلزم الهوان به وقصد تحقيره ومذلته، فان القول بتحريم المنع قوي جداً، لما عرفت في النور السابق، ولاريب ان الظلم والتعدي مما يخل بنظام نوع الأنسان، اذ فيه تفريق ماأجتمع ومن ثم وقع في الشرع الأمر بالأخذ على يدي الظالم فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أنصر أخاك ظالماً كان او مظلوماً، فقيل يارسول الله ننصره مظلوماً فما بالنا ننصره ظالماً؟ فقال: خذوا على يديه وامنعوه عن الظلم فهذه نصرتكم لأخيكم، وكما حرم الظلم حرم معونة الظالمين أمَا الذي له مدخل في الظلم فقد انعقد الأجماع على تحريمه، مثل ان يكون صاحب سيف أو سوط عند الظالمين، أو يكون يكتب لهم المظالم او يبعثونه في تحصيلها، الى غير ذلك، اما الذي لامدخل له في الظلم كالخيَاط يخيط لهم ثيابهم والبنَاء يبني لهم المنازل، او النَجار او الحدَاد ونحوهم فالمشهور بين الأصحاب هو عدم تحريمه، وناقشهم فيه شيخنا البهائي طاب ثراه وذهب الى تحريم معونة الظالمين مطلقاً، وهو الذي أخترناه في شرح الصحيفة، ولنذكر هنا بعض من الدلائل.

منها قوله تعالى{ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار} فالركون هو مطلق الميل سواء كان بالقلب او اللسان او الأعضاء والجوارح أو المعونة او نحوها، فاذا كان بالقلب كان فيه موادة

الظالم، وقد أخبر سبحانه عن أقوام ونعى عليهم هذه الزلّة فقال{يوادّون من حادّ الله} ولاريب ان الظالم ممّن نصب الحرب مع الله تعالى، واذا كان باللسان او بغيره من الأعضاء كان فيه مع الموادة الأعانة المحرمة، فيكون قد أتى بحرامين مغلّظين، وقد نفى سبحانه في هذه الآية معونة الظالمين مطلقاً، وعقّبها بدخول النار على طريق العذاب، اذ لم يقل ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتدخلوا النار، وذلك انّ دخول النار لايستلزم مسيّها والعذاب فيها.

روى شيخنا الكليني طاب ثراه عن الوصا في قال: سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول انّ فيما ناجى الله عبده موسى عليه السلام قال: انّ لي عباداً أبيحهم جنتي وأحكمهم فيها، قال: يارب ومن هؤلاء الذين تبيحهم جنّتك وتحكمهم فيها؟ قال: من أدخل على مؤمن سروراً، ثمّ قال: انّ مؤمناً كان في مملكة جبار فولع به، فهرب منه الى دار الشرك، فنزل برجل من أهل الشرك فأظلّه وأرفقه وأضافه، فلمّا حضره الموت أوحى الله عز وجل اليه وعزّتي وجلالي لو كان لك في جنتي مسكن لأسكنتك فيها، ولكنها محرمة على من مات بي مشركاً، ولكن يانار هيديه ولاتؤذيه، ويؤتى برزقه طرفي النهار قلت من الجنة؟ قال: من حيث شاء الله وقوله هيديه على مافي القاموس معناه أصلحي أحواله، فهذا قد دخل النار ولم تمسه، فانظر الى عظم شأن المؤمن عند الله سبحانه حيث أدخل المشرك الكافر جنته لأجل ضيافة المؤمن مرّة واحد، فمن أحب المؤمن وأضافه كساه ودمه كيف يكون حاله عند الله سبحانه وتعالى.

وروي عن الصادق عليه السلام قال: انّ الله يأمر بأدخال جماعة الى النّار، ويقول لمالك يامالك قل للنار لاتحرق لهم أيدياً لأنهم كانوا يرفعونها الى اوقات الصلوات، وقل للنار لاتحرق لهم وجوهاً لأنهم كانوا يسبغون الوضوء، وقل للنّار ولاتحرق لهم أرجلاً لأنّهم كانوا يمشون بها الى المساجد، فيأتي اليهم مالك فيقول لهم ياأشقياء ماكانت أعمالكم التي دخلتم بها النار؟ فيقولون انّا كنّا نعمل لغير الله، فتخطف النار قلوبهم، فهؤلاء ايضاً لاتمس النار لهم ابداناً.

ومنها مارواه الشيخ في الحسن عن بن ابي بعفور قال: كنت عند ابي عبد الله عليه السلام اذ دخل عليه رجل من أصحابه، فقال له: أصلحك الله انّه ربّما أصاب الرجل منّا الضّيق او الشّدة فيدعى الى البناء فيبنيه او النّهر بكريه والمسناة يصلحها فما تقول في ذلك؟ فقال ابو عبد الله عليه السلام: ماأحب انّي عقدت لهم عقدة، او وكيت لهم وكاء وانّ لي مابين لابتيها لا ولامدة بقلم، انّ اعوان الظالمين يوم القيامة في سرادق من نار حتّى يحكم الله بين العباد، وهذا صريح في تحريم اعانتهم بالمباحات فان شدّاً لوكاء وأمثاله ممّا لامدخل له في الظلم كما قاله العلماء في المثال.

ومنها مارواه الكليني قدس الله روحه عن علي بن ابي حمزة قال: كان لي صديق من كتاب بني اميّة، فقال: استأذن لي على ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام،

فاستأذنت له فأذن له، فلمّا دخل وسلّم جلس، ثمّ قال: جعلت فداك انّي كنت في ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً وأغمضت في مطالبه، فقال ابو عبد الله عليه السلام: لولا انّ بني اميّة وجدوا من يكتب لهم ويجيء لهم الفيء ويقاتل عنهم ويشهد جماعتهم لما سلبونا حقّنا، ولو تركهم الناس وما في ايديهم ماوجدوا شيئاً الاّ ماوقع في ايديهم الحديث وهو شامل للمباح والمحرم بل والمستحب ايضاً لمكان قوله ويشهد جماعتهم، وقد أغرب العلاّمة(ره) في التذكرة حيث أستدلّ بهذه الأخبار على ماذهب اليه من تخصيص التحريم بمعونتهم بالمحرّم.

ومنها مارواه أهل كتب الرجال عند ترجمة صفوان بن مهران روى الكشّي عن الحسن بن علي بن فضال قال: حدثني صفوان بن مهران الجمّال قال: دخلت على ابي الحسن الأول عليه السلام، فقال لي: ياصفوان كل شيء منك حسن جميل ماخلا شيئاً واحداً، فقلت أي شيء جعلت فداك؟ قال: اكراهك جمالك من هذا الرجل، يعني هارون، قلت والله ماأكريته أشراً ولابطراً ولالصيد ولا للهو، ولكن أكريته لهذا الطريق يعني طريق مكّة، ولا أتولاّه بنفسي ولكن ابعث معه غلماني، فقال لي: ياصفوان أيقع كراك عليهم قلت نعم جعلت فداك، قال: فقال لي أتحبّ بقاءهم حتى يخرج كراك عليهم قلت نعم، قال فمن احب بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان ورد النار، قال: صفوان فذهبت وبعت جمالي عن آخرها فبلغ ذلك هارون، فدعاني فقال لي: ياصفوان بلغني انّك بعت جمالك؟ قلت نعم، فقال: ولم؟ قلت انا شيخ كبير وانّ الغلمان لايقوم بالأعمال، فقال: هيهات هيهات انّي لأعلم من أشار اليك بهذا موسى بن جعفر، قلت مالي ولموسى بن جعفر، فقال: دع هذا عنك فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك، وهذا الحديث أبلغ من الأخبار السابقة فانّه بظاهره يعطي تحريم معونتهم حتى في الأمر الواجب كسفر مكة وأمثاله.

ومنها ماسنح بالبال وهو انّ الأمور التي ذكروها وقسّموها قسمين وجعلوا منها ماله مدخل في الظلم، ومنها ماليس كذلك ليس على ماينبغي فانّ الأمور التّي ذكروها ممّا لها مدخل في الظلم كلّها، وذلك انّ الخياطة والبنائية ونحوهما من الأمور التي جعلوها من القسم الثاني لو تركها أهلها لأقلع الظالمون عمّا هم فيه، وذلك انّ الخيّاط لو ترك الخياطة ثياب الظالمين والبناء ترك بناء منازلهم لبقوا بلا منزل ولاثياب وكذا باقي الحرف وأهل الكسب، فدل على ان كل هذه الأمور ممّا لها مدخل في الظلم لكن بعضها أقرب الى الظلم من بعض، كالكتابة في ديوانهم فانها اقرب الى الظلم من الحدادة والخياطة، ومن ثم صارت الكتابة معونة في العرف دون الثانيةوالا فالكل من واد واحد مع انّك قد عرفت انّ الأمور التي جعلوها من القسم الثاني يجب تحريمها من جهة اخرى ايضاً وهي انها مستلزمة لوداد من حاد الله ورسوله فهو حرام على كل وجه، ومنها

انه يرد على التخصيص اعتراض وهو ان اعانة كل احد بالمحرم محرمة سواء كانت اعانة الظالمين ام غيرهم، بل فعل المحرم في نفسه حرام سواء كانت اعانة او غيرها.

قال شيخنا البهائي(ره): واما ماينقل عن بعض الأكابر من انّ خياطاً قال له: انّي اخيط للسلطان ثيابه فهل تراني داخلاً بهذا في أعوان الظلمة؟ فقال: الدّاخل في اعوان الظلمة من يبيعك الأبر والخيوط وأمّا أنت فمن الظلمة أنفسهم فالظّاهر انه محمول على نهاية المبالغة في الأحتراز عنهم والأجتناب عن تعاطي امورهم والاّ فالأمر مشكل جداً انتهى.

أقول وعلى ماذكرناه لايكون هذا من باب المبالغة ولامن نهايتها لأنّ بيّاع الأبر والخيوط اذا علم انّ الخيّاط يخيط ثياب الظالم لايجوز له ان يبيع منه، ولو أصرّ الناس كلهم على هذا لتعطلت أمور الخياط فترك الخياطة، واذا ترك الخياطة أقلعوا عن الظلم وعزلوا أنفسهم عمّا ليس لهم من المناصب الجليلة، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: اذا كان يوم القيامة ناد مناد أين الظلمة وأشباه الظلمة حتى من برى لهم قلما او لاق لهم دواة[١] قال فيجتمعون في تابوت من حديد ثم يرمى بهم في جهنم، اذا تحققت هذا كلّه فاعلم انّه قد بقي الكلام في مقامين:

الأول في تحقيق معنى الظالم الذي يحرم ماونته مطلقاً او على وجه، فنقول: المفهوم من الكتاب والسنة انّ للظالم اطلاقات، منها اطلاقة على الكفّار والمشركين قال: سبحانه{الا ان الكافرين هم الظالمون} ومنها اطلاقة على كل من خالف مذهب الأمامية حيث انهم ظلموا علياً عليه السلام حقّه بقولهم انّ غيره أفضل منه، وترتيبهم الخلفاء على ماذكروه، ومنها اطلاقة على حكامهم وسلاطينهم حيث ظلموا الأئمة عليهم السلام مناصبهم وظلموا الرعية وظلموا أنفسهم أيضاً، فأبوبكر وعمر وعثمان من الظالمين بالأمور المذكورة كلّها، ومنها اطلاقة على كل سلاطين الجور الذي لم يكن لهم اذن من الأمام عليه السلام لاعموماً ولاخصوصاً كالمجتهدين وان كان اولئك السلاطين من الشّيعة قد حكموا بالجور لابالعدل، ومنها اطلاقة على كل من يحكم بجور سواء كان في الأحكام الشرعية ام غيرها سواء كان منّا او منهم، فيدخل فيه القضاة وأهل الفتوى من الفريقين.

ومنها اطلاقة على البالغ في انتهاك الذنوب حيث انّه ظلم نفسه، وآيات القرآن متكثّرة بهذا الأطلاق كقوله{الا من ظلم نفسه} وقوله{الذين ظلموا انفسهم} الى غير ذلك، فيدخل فيه جميع أهل المعاصي من جميع فرق الأسلام وان كان من الشيعة، والشّائع في العرف اطلاقه على اهل الحكم الذين يحكمون بالجور سواء كانوا منّا او من غيرنا وسواء كان حكمهم في الأحكام

---

(١) لقت الدواة أصلحت مدادها.

الشرعية ام في الأحكام العرفية، فيكون مخصوصاً في الحكّام والقضاة، ولايبعد ارادة المعاني كلّها فإنّك قد عرفت ماورد من الأخبار الواردة في عقاب من أعان تارك الصلاة او سلّم عليهاو تبسّم في وجهه وكذا شارب الخمر وقاطع الرحم وغير ذلك من الذنوب المغلّظة، وحينئذ فيحرم اعانة كل هؤلاء بما يسمى اعانة عرفاً كما قاله بعض المحققين او بكل ما أطلق عليه الأعانة لغة كما هو الأولى، وفي هذا بلية عامّة لعموم البلوى به، وذلك ان قضاة الشيعة خصوصاً في هذه الأعصار الغالب عليهم الجهالة بالأحكام الشّرعية وأخذ الرشاوى والعمل بالأحكام موافقاً لمن كان لهم اليه ميل من الخصمين، فقد شاهدنا بعض القضاة اذا وردت عليه الدعوى يحكم بها بعد أخذ الرشوة، فقال رجل من الصلحاء: لو ان هذا الخصم الآخر أعطاك أكثر من ذلك الرجل كيف كنت توجه له الحكم، قال: لو أعطاني أكثر لكان قلت كذا وكذا ، فصوّر صورة لم تكن تخطر على خاطر الشّيطان، وقد يكون القاضي رجلاً يتجنب الرشاوي لكن ليس له أهليّة الفتاوى في الأحكام، فهذا ايضاً من قضاة الجور وان قضى بحق اتفاقاً، بل ولو قضى بحق من وجه الكتاب الفقهي لأنَ المشهور بين علمائنا رضوان الله عليهم انّه لايجوز تقليد الميت، فانّ الخلاف موجود في أكثر مسائل الفقه، ولو طالع كتاباً آخر كان قد رأى مذهباً آخر وهلّم جراً، بل ولو طالع كتاباً آخر لصاحب هذا الكتاب لوجه الأختلاف كما لايخفى على من تتبّع كتب العلامة قدّس الله روحه، فانّه قلّما ذهب في كتابين الى اجتهاد واحد بل له في كتاب واحد اجتهادات مختلفة.

وبالجملة فاعانة مثل هؤلاء القضاة معونة الظالمين أيضاً، ومن جملة اعانتهم الأختلاف الى مجالسهم الذي يحصل منه ترويج أقوالهم واقبال عوام الناس عليهم قائلين لو لم يكن هذا القاضي من أهل هذا المنصب لما قصده فلان وجلس معه ولم ينكر عليه، ومن الأعانة ايضاً السّعي له عند السلطان او من نصّبه لنصب القضاة وكذا قرضه الدّراهم ليستعين بها على اتمام اموره، ومن الأعانة المحرمة الأختلاف اليه في الدعاوى وأخذ الأموال بحكمه وان كان حقّاً، روى شيخنا الكليني عن عمر بن حنظلة قال: سألت اباعبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين او ميراث فتحاكما الى السلطان او الى القضاة أيحلّ ذلك؟ قال: من تحاكم اليهم في حق او باطل فانّما تحاكم الى الطّاغوت، وما يحكم له فانّما يأخذ سحتاوإن كان حقاً ثابتاً له، لأنّه أخذ بحبكم الطاغوت وقد أمر الله أن يكفر به، قال: الله عز وجل {يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به} قلت كيف يصنعان، قال: ينظران من كان منكم ممّن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فانّي قد جعلته عليكم حاكماً فاذا حكم بحكم فلم يقبل منه فانما استخف بحكم الله وعلينا ردّ، والراد علينا الرادّ على الله،

وهما على حد الشرك بالله، قلت فان كان كل واحد أختار رجلاً من أصحابنا فرضيا ان يكونا الناظرين في حقهما فاختلفا فيما حكما وكلاهما اختلف في حديثكم قال: الحكم ماحكم به أعدلهما وأوفقهما وأصدقهما في الحديث، وأورعهما ولايلتفت الى مايحكم به الآخر، قال: قلت فانّهما عدلان مرضيّان عند أصحابنا لايفضل واحد(لاتفضل واحداً) منهما على صاحبه، قال: فقال ينظر الى ماكان من روايتهم عنا في ذلك الذي حكمنا به المجمع عليه من أصحابك فيؤخذ به من حكمنا ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك، فانّ المجمع عليه لاريب فيه، وانّما الأمور ثلاثة أمر بين رشده فيتبع، وأمر بين غيه فيجتنب، وأمر مشكل يردّ علمه الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حلال بيّن وحرام بيّن، وشبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجى من المحرمات، ومن أخذ الشّبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لايعلم.

قلت فان الخبران عنكم مشهورين قد رواهما الثقاة عنكم، قال: ينظر فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامّة فيؤخذ به ويترك ماخالف حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة، قلت جعلت فداك أرأيت ان كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنّة ووجدنا الخبرين موافقاً للعامة ففيه الرشاد، قلت جعلت فداك فان وافقهما الخبران جميعاً قال: ينظر الى ماهم اليه أميل حكّامهم وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر، قلت فان وافق حكّامهم الخبرين جميعاً، قال: ان كان ذلك فارجه حتى تلقى امامك فانّ الوقوف عند الشبهات خير من الأقتحام في الهلكات.

وقوله عليه السلام قد روى حديثنا وقوله حلالنا وحرامنا وان كان مصدراً مضافاً فيفيد الموم الاّ ان القرينة دالّة على انّ المراد بعض الأحاديث لكن ليس المراد الأحاديث المتعلّقة بخصوص تلك الدعوى، بل المراد مايتعلق بالأحكام غيرها ايضاً، وذلك مثل رواة الحديث في الصدر السالف، وفائدة روايته للأحاديث العمل بها في تلك الدعوى الواردة عليه، فلو كان ممن روى الأحاديث لكن لم يعمل بها اعتباراً بالأغراض الدنيوية كان من قضاة الجور ايضاً، وقوله عليه السلام فانّي قد جعلته عليكم حاكماً ممّا استدل به الأصحاب على انّ المجتهدين منصوبون من قبله عليه السلام للقضاء فهم وكلاؤه والمعبّرون عنه في هذه الأعصار.

اقول بل فيه دلالة ايضاً على انّ من روى الأحاديث وعرف مواقعها كان له منصب القضاء وان لم يكن مجتهداً بالمعنى الجديد للمجتهد، فانّ المعنى المعروف منه في الصّدر السالف هو بذل جهده وطاقته في دراية الأحكام والأطلاع عليها حتّى ان قول الحلبييّن(ره) بوجوب الأجتهاد عيناً يرجع الى هذا لا الى الأجتهاد الأصطلاحي كما لايخفى وقوله عليه السلام المجمع عليه من أصحابك الظاهر انّ المراد بهذا الأجماع الأتفاق في نقل الرواية لا الأتفاق في الفتوى كما ذهب

اليه جماعة من الأصحاب بقرينة ماسيأتي، ولأنَ الكلام انّما هي في تعارض الروايات وترجيحها لافي تعارض الأقوال.

وقوله عليه السلام وشبهات بين ذلك الظّاهر ان المراد بالشبهات هنا ماتعارض فيه الدليلان من غير اهتداء الى التّرجيح بينهما كما يقع كثيراً في كتب الحديث، وقوله عليه السلام ماخالف العامة ففيه الرشاد ممّا لاريب فيه حتى انّه روي انَ رجلاً من أهل الأهواز كتب اليه عليه السلام وهو في المدينة انّه ربما أشكل علينا الحكم في المسئلة التي يحتاج اليها ولاتصل الأيدي اليك في كل وقت فماذا تصنع؟ فكتب اليه عليه السلام اذا كان الحال على ماذكرت فأت القاضي البلد وسله عن تلك المسئلة، فما قال: لك فخذ بخلافه فان الخير(الحقّ خ) في خلافهم.

وقوله عليه السلام ينظر الى ماهم عليه أميل(اه) مشكل بالنّظر الينا وذلك انّ اعصارهم عليهم السلام مختلفة فقد كان في عصر كل امام وزمان كل سلطان من سلاطين الجور من فتاوى الفقهاء الأربعة ومن يحذو حذوهم قول واحد وقد خفي علينا في هذه الأعصار المشهور من تلك الأقوال في أزمانهم، فانّ أقاويل ابي ابي حنيفة قد كانت مشهورة في اعصار بعض الخلفاء وأقوال مالك كانت مشهورة في بعض الأعصار ايضاً وكذا أقوال الشافعي والحنبلي ثم احتاج حمل الأخبار على التقية الى تفحّص تام عن أقوال الفقهاء الأربعة التي كانت مشهورة في أعصار ذلك الأمام عليه السلام الذي نقل الحديث عنه، فالمجتهد يحتاج الى الأطّلاع على هذا وان كان متعسراً، وقوله عليه السلام فارجه، الهاء ضمير المفعول أي أخّر ذلك الأمر حتى تلقى امامك، وفي حديث آخر قال: اذا كان ذلك فأيهما أخذت به من باب التّسليم وسعك، وجه الجمع بينهما اما ان يحمل هذا على ماذا كان الأمام عليه السلام ظاهراً يتمكن من الوصول اليه كما يدل عليه قرينه المقال وذاك(لك) على مثل هذه الأعصار، واما ان يحمل هذا التأخير على ما اذا كانت الأخبار الواردة في المعملات وحقوق النّاس، والأخذ بأيّهما شاء يكون محمولاً على احكام العبادات، وهذا هو الذي فهمه شيخ الطائفة(ره) وجعله وجهاً للجمع بين هذين الخبرين، وامّا ان يحمل الأرجاء على ما اذا أمكن الأحتياط فيه كأكثر مسائل العبادات، والأخذ بأيهما شاء على ما اذا لم يكن فيه ذلك، كما اذا ترددَ الحكم بين الوجوب والتّحريم، وبالجملة فالقاضي يحتاج الى اطّلاع على كل مافي هذا الحديث ومن لم يكن كذلك لم يكن أهلاً للقضاء، فلا يجوز ان يجعل قاضياً ولايجوز التّحاكم اليه، بل ولا الجلوس عنده، روى الشيخ قدّس الله روحه عن محمد بن مسلم قال: مرّ بي ابو جعفر عليه السلام وابو عبد الله عليه السلام وانا جالس عند قاض بالمدينة فدخلت عليه من الغد، فقال لي: مامجلس رأيتك فيه أمس، قال: قلت جعلت فداك انّ هذا القاضي لي مكرم فربما جلست اليه، فقال لي: ومايؤمنك ان تنزل اللّعنة فتعم من في المجلس.

واما السلاطين والأمراء الجائرون سواء كانوا من العامة او الخاصة فالتردّد اليهم والأختلاف الى مجالسهماذا لم يكن لضرورة شرعية فيه المعونة والوداد، والحضور أوقات حكم الظلم فقد اشتمل على ثلاث محرّمات مغلّظة.

الأمر الثاني في جواز أكل طعامهم وقبول عطاياهم اعلم ان المنقول من اطوار الأئمة عليهم السلام انهم كانوا يأكلون طعامهم ويقبلون اموالهم، وقد ذكر الفقهاء رضوان الله عليهم انّ عطايا الحكّام حلالة على الآخذ لها وان كان الأثم على الحكام، كما قال: عليه السلام لك المهنا وعليهم الوزر، نعم قيدوها بما اذا لم تعلم بعينها انها من مال فلان، أقول قد دلّت الأخبار الكثيرة على انّ ما يأخذ السلاطين الجور باسم الخراج والمقاسمة وان كان اقل او اكثر من القدر الواجبى الذي يأخذه الأمام يجوز شراؤه من العمّال وان كانت عند صاحبه وعلل في الرواية بأنك اذا لم تأخذه أنت لم يرجعوه الى صاحبه بلا بأس لشرائه منهم وقبول عطيته منهم وان علم صاحبه، نعم اذا أخذ الحاكم والسّلطان شيئاً زائداً على القدر المقرر كالجرائم ونحوها فاذا اعطاها احد لايجوز له أخذها، وحينئذ فقولهم جوائز الظالم حلال اذا لم تعلم بعينها ان ارادوا به الجوائز التي يعطونها الناس ويأخذونها من مال الخراج فالظاهر جواز أخذها وان علم صاحبها بعينه، ولافرق بين الجائر من الطرفين بل ذهب شيخنا الشهيد الثاني قدس الله روحه الى انّ مايأخذه السلطان الجائر منهم اقرب الى الحل والأباحة ممّا يأخذه الجائر منا، وذلك انّهم يزعمون انّ الأولى الأمر المأمور بإطاعتهم في الكتاب العزيز في قوله تعالى{اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم} هم السلاطين والحكّام فهم يجب اطاعتهم عندهم ويجب دفع مال الخراج اليهم فكلّما يأخذونه من الرعايا يزعمون انّه حلال عليهم والرّعية ايضاً تعتقد انّه يجب عليهم دفعه اليهم فالآخذ والمأخوذ منه يزعمون انّه حلال.

وقد قال عليه السلام: ديّنوهم بما دانوا به انفسهم أي الزموهم وعاملوهم بما أعتقدوا حقيّته في دينهم كأوانهم من اليهود والنصارى فانّ الجزية اذا أخذت منهم أجريت عليهم(عليها) أحكامهم بخلاف مايأخذه سلطان الشيعة من الرّعايا فانّه يعتقد انّه ظالم يأخذه، وكذلك اعتقاد المأخوذ منهم من رعايا الشّيعة، ولو أعتقد ذلك السلطان انّه حلال له لم يكن من الشيعة الأمامية لأن اولي الأمر المأمور باطاعتهم انما هم الأئمة المعصومين من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وامّا في هذه الأعصار فلمّا لم يكن الأمام عليه السلام ظاهراً كان نوابه وقوّامه هم من الفقهاء والمحدّثون بما عرفت في مقولة عمر بن حنظلة من قوله عليه السلام في شأن من روى احاديثهم وعرف حلالهم وحرامهم فاني قد جعلته عليكم حاكماً وحرم(تحريم) الردّ عليه وعدم قبول قوله فالآخذ هنا والمأخوذ منه يعتقد ان هذا المأخوذ باسم الخراج والمقاسمة حرام، لكن اكثر الأصحاب

رضوان الله عليهم نظروا الى اطلاق الأخبار او عمومها الواردة بإباحة مايعطيه الجائر من غير فرق بين ان يكون من الشيعة او من غيرهم فأطلقوا الحكم نعم يمكن ان يقال انّ عمّال السلطان اذا لم يأخذوا الا ماتعارف أخذ السلطان له من الخراج والمقاسمة كان بالنسبة اليهم اقرب الى الأباحة، وذلك لأنهم اذا لم يأخذوه من الرّعايا بعث السلطان لغيرهم لكن اين يوجد مثل هذا العامل قبّح الله الجميع، وذلك انّ اهل الجور من الحكّام والقضاة لو عزلوا انفسهم ورفعوا ايديهم عن هذه المناصب لوجب على الأمام عليه السلام ان يظهر حتى لاتعطّل امور المسلمين ولايختل نظام الكون، لكن لمّا جرى نظام الدنيا وتمشى على هذا الوجه وان كان اكثره على البطلان تأخّر أمره عليه السلام الى ان يأذن الله سبحانه به عجّل الله فرجه بحق محمّد وآله.

نور يكشف عن الكذب وعن عظم خطره وعن توابعه ولواحقه

اعلم وفقك الله تعالى ان الكذب من أعظم الذنوب حتّى انّه قد روي انّ المؤمن يزني ويلوط ويسرق، ويشرب الخمر لكنّه لايكذب، فيكون قبحه في الشرع أشدّ من قبح الزّنا وشرب الخمر، وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: المؤمن اذا كذب من غير عذر لعنه سبعون ألف ملك، وخرج من قلبه نتن حتّى يبلغ العرش فتلعنه حملة العرش وكتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زنية اهونها كمن يزني مع امه.

روى الكليني طاب ثراه في الصحيح عن ابي جعفر عليه السلام قال: ان الله تعالى جعل للشّر اقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشّراب، والكذب شرّ(أشرّخ) من الشّراب، وذلك لأنّ المفاسد المترتبة على الكذب أزيد من مفاسد الشّراب، لأنّ الكذبة الواحدة ينشأ منها أهراق الدماء بغير حق ونهب الأموال ولأنّ الغالب في الكذب وروده في حق النّاس والشراب حق الله سبحانه وهو بالعفو اولى وأحرى، ولأنّه يسلب الأيمان ويمنعه من الأستقرار في القلب والشّراب انما يمنع من قبول الصلاة اربعين يوماً لمكان بقاءه في الجوف هذه المدة، قال امير المؤمنين عليه السلام: لايجد عبد طعم الأيمان حتى يترك الكذب هزله وجدّه، ولأنّ الكاذب قد لايصدق في القول فتختل اموره بل أمور غيره لأنه يحتاج اليه في الشّهادات والأقرارات والوكالات والمعاملات، وقال عليه السلام: ينبغي للرجل المسلم ان يجتنب مؤاخاة الكذب، فانّه يكذب حتى يجيء بالصدق فلا يصدّق.

واما شارب الخمر فتوبته اذا احتيج اليه في هذه الأمور ان يقول استغفر الله ويظهر النّدامة، والكذّاب لو قال: هذا لم يصدّق، ويحصل الريب لحاكم الشرع عند اداء الشّهادة ونحوها، وشهادة المرتاب فيه لاتقبل شرعاً، لأنّ النتيجة الحاصلة من الكذب انما هالبخل لأنّ

أقوى دواعي الكذب وأسبابه انما هو دناءة الهمّة والحرص والخسّة، والنّتيجة الحاصلة من الشّراب انّما هو علوّ الهمّة وإعانة الناس بأنواع العطايا وان كان عطاء في غير محلّه لكنّه اولى من البخل، وقد يصل الى المستحق أحياناً، ولأنّ الغالب على أهل الشراب الخجالة والحياء من الناس لعلمهم بقبح ذنبهم، والكذّاب عند نفسه ليس خجلاً ولا له حياءٌ من الناس ولا ندامة، ولأنّ الشّراب ربّما يتداوى به عن بعض الأمراض كما أشير اليه في قوله سبحانه{ومنافع للناس} ومن ثمّ جوّز بعض فقهائنا التّداوي به عند الضّرورات، والذي يرجّح في النّظر هو عدم جواز التّداوي بالمحرمات لقوله عليه السلام ماجعل الله الشفاء في حرام قطّ وما في معناه، ومادلّ من الأخبار على جواز التّداوي به محمول على التقية، واما الكذب فليس فيه سوى محض الضرر مع ان شارب الخمر قرن بعابد الصّنم في قوله تعالى{إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشّيطان فاجتنبوه}، وقدّم فيه الخمر للإهتمام بتحريمه.

وقال عليه السلام: شارب الخمر كعابد الوثن، ومن بات سكراناً بات عروساً للشيطان، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: والذي بعثني بالحق نبيّاً ان شارب الخمر يموت عطشاناً، ويمكث في القبر عطشاناً، ويبعث يوم القيامة عطشاناً، وينادي واعطشاه ألف سنة، فيؤتى بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب، فينضح وجهه وتتناثر أسنانه وعيناه في ذلك الأناء فليس له بدّ من ان يشرب فيصهر مافي بطنه، ومن كان في قلبه آية من القرآن ثم صب عليه الخمر يأتي كل حرف يوم القيامة فيخاصمه بين يدي الله عز وجل، ومن كان له القرآن خصماً كان الله خصماً ومن كان الله له خصماً كان في النار.

وقال عليه السلام: من بات سكراناً عاين ملك الموت سكراناً، ودخل القبر سكراناً، فوقف بين يدي الله سكراناً، فيقول الله تعالى مالك؟ فيقول انا سكران فيقول الله تعالى ابهذا امرتك اذهبوا به الى السكران، فيذهب الى جبل وسط جهنّم في عين تجري مدّة[1] ودماً ولايكون طعامه وشرابه الاّ منه، وعنه عليه السلام من أطعم شارب الخمر لقمة من الطعام او شربة من الماء سلّط الله عليه في قبره حيات وعقارب طول اسنانها مائة ذراع وأطعمه من صديد جهنم يوم القيامة، ومن قضى حاجته فكأنما قتل ألف مؤمن، او هدم الكعبة ألف مرة، ومن سلّم عليه لعنه سبعون ألف ملك، وقال عليه السلام: لعن الله شارب الخمر، وعاصرها وساقيها وحاملها والمحمول عليها.

---

(١) بالكسر وتشديد المهملة مايجتمع في الجرح من القيح الغليظ منه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما من أحد يبيت سكراناً الا كان للشيطان عروساً الى الصباح فاذا أصبح وجب عليه ان يغتسل من الجنابة، فان لم يغتسل لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلاً، ولايمشي على وجه الأرض أبغض الى الله من شارب الخمر، وقال عليه السلام: من سلَم على شارب الخمر، او عانقه او صافحه أحبط الله عليه عمل اربعين سنة.

فان قلت اذا كان هذا حاله فكيف صار غيره أقبح منه في العرف العام، قلت الذنب اذا كان مأنوساً كثير الأستعمال ربَما ارتفع قبحه من الأنظار بخلاف غيره من المعاصي، ولذا ترى اللواط مع انه أفحش الذنوب غير قبيح في بعض البلاد أهل الخلاف لإطباق الأكثر على فعله مع انه حرام عندهم، ولهذا لم يجعل الشارع للكذب حداً شرعياً كالشَراب ونحوه اذ هو كثير في محاورات الناس، وايضاً فإثباته لايخلو من نوع اشكال، وذلك ان الكاذب يمكنه التَخلص من كذبه بوجوه كثيرة مع قوله عليه السلام ادرؤا الحدود بالشبهات.

واعلم ان الكذب على قسمين، جليّ وخفي، فاما الجلي فهو أقسام أولها الكذب على الله وعلى رسوله والأئمة عليهم السلام، وهذا يقع على وجوه الوجه الأول ان يقول قال: الله كذا، وقال: الرسول كذا، وقال: الأمام كذا، فيكذب عليهم في حكم شرعي او غيره، وهذا يقع من علماء السوء كثيراً، ولقد كذّب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبعد موته حتى وضعوا من الأكاذيب أدياناً مختلفة، وليت شعري ماكان دين النبي، أهو دين أبي حنيفة؟ ام الشافعيَ أم المالكي ام الحنبلي؟ ولايقدرون ان يقولوا ان دينه كان واحاً منها نعم يمكنهم ان يقولوا انَ دين ابي حنيفة كان نقيض دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنَه كان يجلس في مسجد الكوفة ويقول في فتواه قال: علي وأنا أقول، ودين علي هو دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلا ريب، وهذا الوجه من الكذب يقع من كلَ أحد حتَى من المؤمنين والشَيعة.

الوجه الثاني مأعتاده الناس في المحاورات من قولهم الله يعلم، والرسول او الأمام انّي مافعلت ذلك الشيء، او فعلته وهو كذب، ومن هذا روي انَ الرجل اذا قال: الله يعلم وهو كاذب يقول الله سبحانه للملائكة ياملائكتي انظروا الى عبدي لم يجد أحداً أعجز مني يحيل هذه الكذبة عليه حتى أحالها على علمي، فأنا أفعل به كذا وكذا من الهوان والعذاب.

الوجه الثالث ان يكذب ثم يروّج كذبه بالحلف بالله او النبي او الأمام عليه السلام وهذا يقال له الكذب بالله وهو الذي يذر الدّيار بلاقع من أهلها، وهو حالقة الدّين يعني انّه يحلق الدّين ويمحوه كما يمحو الموسى الشعر، وفي الرواية لاتحلف بالله لا صادقاً ولاكاذباً، نعم روي في حديث آخر انَ الدّعوى اذا كانت ثلاثين درهماً واحتاجت الى المين فله الخيار في الحلف وان كانت أقل فلا يحلف، والوجهان الأولان بل الثلاثة هي التّي تضر بالوضوء والصوم، روى الشيخ(ره) انَ

ابي بصير قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول الكذبة تنقض الوضوء وتفطر الصائم، قال: قلت هلكنا، قال: ليس حيث تذهب انما ذلك الكذب على الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الأئمة عليهم السلام، ومنه ذهب الشيخان والمرتضى الى انه مفسد للصوم ويجب به القضاء والكفارة، واما الوضوء فقال الشيخ قدس الله روحه: المراد انه ينقض كماله وثوابه، ووجهه الذييستحق به الثواب، وماصار اليه المرتضى(ره) لايخلو من وجه لما رواه الشيخ عن سماعه قال: سألته عن رجل كذب في شهر رمضان، فقال: قد أفطرواعليه قضاؤه وهو صائم يقضي صومه ووضوئه اذا تعمد، والحمل على الأستحباب غير محتاج اليه، لعدم وجود المعارض.

القسم الثاني الكذب على الناس لغرض من الأغرض الدنيوية، بل قد لايكون لغرض كمن اعتاده فكأنه طبع عليه وهذا هو الذي ورد فيه انه ينقض الدين والمروة ويذهب ماء الوجه ولعذاب الآخرة أشد نكالاً لو كانوا يعلمون.

القسم الثالث الجائز المشروع وهو كما سبق اذا ترتب عليه غرض أخروي كإصلاح ذات البين بل لايسمى كذباً، قال الصادق عليه السلام: الكلا ثلاثة:صدق، كذب وأصلاح بين الناس، قيل له جعلت فداك ماالأصلاح بين الناس؟ قال: تسمع من الرجل كلاماً يبلغه فتخبث نفسه فتلقاه فتقول سمعت من فلان قال: فيك من الخير كذا وكذا خلاف ماسمعت منه ويجوز الكذب في الحرب لمخادعة العدو وكان علي عليه السلام في حرب صفين ينادي بأعلى صوته والله لأقتلن معاوية، ثم يقول سراً ان شاء الله، فقال له رجل كان من خواصه: كيف هذا ياأمير المؤمنين؟ قال: الحرب خدعة، انَ عسكري اذا سمع هذا الكلام مني جدوا في الجهاد لعلمهم بأني لم أكذب، ثم أقول خفية ان شاء الله سبحانه، مع انَ قسمه عليه السلام على قتل معاوية سيكون في زمن ظهور المهدي عليه السلام، فانه يخرج معاوية ويقتله قتلات متعددة، وكذلك الكذب على الزوجة، فانه جائز ايضاً اذا واعدها بوعد ثم لم يف به، روى الكليني نور الله ضريحه عن عيسى بن حسان قال: سمعت اباعبد الله يقول كل كذب مسئول عنه صاحبه يوماً الا كذب في ثلاثة: رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه، او رجل اصلح بين أثنين يلقي هذا غير مايلقي هذا يريد بذلك أصلاح مابينهما، او رجل وعد أهله شيئاً وهو لايريد أن يتم لهم.

وقال: لي يوماً واحداً من مشايخي المجتهدين وكان كثير المطايبة والمزاح يابني ينبغي لصاحب الزوجة ان يكون فخذه وجفن عينيه منه في ألم شديد، وذلك أنه اذا أراد الخروج من المنزل قالت له إمرأته: هات لنا الشيء الفلاني، فيضع يده على عينه للوعدة لها، فاذا رجع الى المنزل ولم يأت بشيءٍ قالت له: اين الشيء الفلاني؟ فعند ذلك يضرب يده على فخذه ويقول اني نسيت ولم أذكر، فيكون هذان العضوان منه في الألم دائماً.

القسم الثاني هو الكذب الخفي وتحقيقه يتوقف على تمهيد المقدمة، وهي انّ الله عزّ شأنه قد كلّف العباد في عالم الأرواح وعالم الأشباح وقبلوا تكاليفه وسيّما هذا العالم فانّهم ذاكرون له ويدّعون في ذلك النسيان، كما قال ابن عباس: سميت إنساناً لأنّك ناسي، وهو نسيت لما جرى في عالم الأرواح، وجملة التكاليف هو التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأعظمها الأوامر والنواهي، ومن دخل تحت قلم التكليف فقد أقرّ ظاهراً وباطناً بإلتزام الشرائع ولوازمها من الأحكام، فالصادق في هذا الإقرار من بقي على حالة واحدة ولم يتلوث بمخالفة الأوامر والنواهي، ومن تلوّث فيها وارتكب مايخالف اعترافه الأوّل فقد كذّب نفسه في ذلك الأعتراف وفي قوله أتوب الى الله فإنّ أتوب معناه ارجع اليه عما فعلته، فمن قال: هذه الكلمة في هذا اليوم وارتكب شيئاً من النواهي في غد فقد كذب وهذا الكذب أقبح من غيره حيث انه كذب مع الله وملائكته الكاتبين وأنبيائه المقرّبين وعباده الصّالحين.

ومن هذا جاء الحديث ان رجلاً اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطلب منه ان يأمره بأنفع الأعمال فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اصدق ولاتكذب واعمل من المعاصي ماشئت، فاستعجب الرجل من هذا القول وقبله، فلما رجع قال: النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم ينه الا عن الكذب فانا آتي فلانة وكانت امرأة جميلة، فلما مضى الى بيتها ليزني بها تفكر في نفسه وقال: اذا خرجت من عندها ولقيني احد وسألني اين كنت وماكنت تعمل؟ فان صدقته في القول صار امري عظيماً وان كذبت فقد نهيت عنه، فرجع الى منزله ثم طلب ان يفعل ذنباً آخر وفكّر مثل هذا فأقلع عن جميع المعاصي، اذا عرفت هذا فأعلم ان من الكذب الخفي مانواجه ربنا والمطّلع على سرائرنا وضمائرنا كل يوم وأقله عشر مرات، وذلك انّا نقف بين يديه ونقول الحمد لك ايها المربي لنا الرحمن الرحيم بنا، المالك لأمورنا في يوم الوفود عليك فنحن نخصك بالعبادة ونخصك بالأستعانة بك فنحن لانعبد غيرك ولانستعين الا بك، والعبادة هي الا طاعة والأنقياد فانظر وتفكر وقل كيف أصدق في هذا المقال وانا أطيع غيره ممن نهاني عن اطاعته، والأنقياد لهم، ومن جملتهم عدوه وعدوك الشيطان فالمصر منا على اطاعته وهم الأكثرون خصوصاً حال الصلاة كيف يكون صادقاً في اياك نعبد ومن جملة معبوديك نفسك الأمارة بالقبائح التي لاتقصر عن الشيطان وهواك المردي لك، ومن الجملة ايضاً معبوديك من أهل الدنيا كالسلطان والحاكم وعمالهما وعبيدهما وعبيد عبيدهما وكلابهما ودوابهما وامائما ومن تتوهم انتسابه اليهما فما أكثر ماجعلت لربك من الشركاء والمعبودين ولقد أحسن ابن عباس حيث قال: في قوله تعالى ولاتتخذوا الهين اثنين انه تعالى نهاك عن الأثنين

وانت اتخذت الأثنين فما أقل حيائك ومن معبوديك ايضاً القصاص عليك كما قال عليه السلام: من استمع الى قائل فقد عبده فان كان يحدث عن الله فقد عبد الله وان كان يحدث عن الشيطان فقد عبد الشيطان ، والمراد بتحديثه عن الشيطان نقله الحكايات الكذب او هجاء المؤمنين او غيبتهم او نحو ذلك ، فما تعارف في هذه الاعصار من نقل حكايات اهل القصص التي وضعوها كقصة رستم وعنتر ، وحمزه واشباهها فالسامع لها عابد للشيطان ولعلك تظن ان العباده انما هي الصلاة واضربها وهذا ظن غلط فانك قد سمعت قوله تعالى في شأن اهل الكتابين إهل احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، قال عليه السلام: والله ما صلوا لهم وما صاموا لهم ولوا دعوهم اليهما ما قبلوا ولكن احلوا لهم حراما ، وحرموا عليهم حلالاً فقبلوا أقوالهم فمن قال: إنهم اربابهم وقال تعالى {أفمن اتخذ إلهه هواه }فقد جعل سبحانه إرادات النفس وأمنياتها الباطله إلها ، فأنت أيها المصلي اذا كان لك كل هؤلاء الالهه والمعبودين كيف لم تجر على مواجهة واحد منها بالكذب ، وما تجرئت الا على جنابه تعالى تقول لا أعبد إلا أنت ولا أطيع أحد سواك ، فكأنك ظننت ان هذا أعجز من جميع الهتك حتى خصصته بالكذب عليه دون باقي آلهتك ، ويجوز ان يكون الوجه فيه انك قصرت عبادتك الصادقه عليها، وذلك انها وان كان آلهه متعدده الا أنها ترجع الى أصل واحد حتى القصاص الذي يقص عليك الأباطيل فقد روى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أتى بالقران معجزة وفيه القصص الماضية والأخبارات قال: كفار قريش انا نقدر على مثل هذا وكان جماعة منهم يرجون في التجارات الى بلاد العجم فسمعوهم عن عنتر وامثاله، فكتبوا تلك القصص وعرّبوها وآتوا بها الى مكة ليعارضوا بها قصص القرآن فنزل قوله تعالى ذاماً لهم{ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل به عن سبيل الله} فقد كانوا يبذلون الأموال لمن ينقل اليهم قصة من تلك القصص الكاذبة ليفتنوا الناس عن متابعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن هذا القرآن ليس بإعجازه للقدرة على الأتيان بمثله، وأنى لهم ذلك واما قولك اياك نستعين على طريق الحصر فأنت أكذب فيه من الأول لأنك اذا رجعت الى وجدانك وحالاتك ترى انك تستعين غيره في كل امورك، وتجعله سبحانه آخر من تستعين به فإنك اذا جبهت من عند المخلوقين وأيست من الأستعانة بهم بعد ما ألتمستها رجعت وقلت الحكم لله نستعين بالله وهذا احد معاني قول مولانا زين العابدين عليه السلام في دعاء الصحيفة اللهم يامنتهى مطلب الحاجات ولو استعنت به اولاً كفاك مهماتك ولم يحوجك الى أمثالك ونقل الثقاة ان محمود بن عمر الخوارزمي لما صنّف تفسيره الكشّاف حمله وأتى به الى الغزالي ليمده بالألطاف والأنصاف فلما جلس عنده ونقل له سبب مجيئه اليه قال له الغزالي: كيف فسرت اياك نستعين فقال: قلت ان تقديم المفعول يفيد الأنحصار فقال: اذا انت من علماء القشر فرجع الخوارزمي نادما على ما فعل، ولو تأملت بهذا الكذب الخفي لوجدته أضرَ بأحوالك من ذلك الكذب الجلي

وذلك ان هذا يمنعك من قبول الطاعات ومن التأهل للقيام على بساط المناجاة ويورثك الحسرة والندامة ويوردك المهالك يوم القيامة ولو انصفت من نفسك لعلمت انك لو واجهت واحداً من الناس وقلت له انا لا أتردد الا الى بيتك ولا لي صديق سواك مع علمك بأنه يعلم انك تردد الى كل احد اكثر من ترددك الى بيته ولك اصدقاء كثيرون سواه لكنت عند نفسك جلاً من هذا الكذب الذي واجهت به صديقك تستحي ان تواجه به مرة اخرى بعد مضي زمان طويل، وانت هيهنا اذا كان اول النهار قلت اياك نستعين وما مضى من النهار الا اقله حتى جاء وقت الظهر فقمت بين يديه وقلت اياك نستعين وانت قبل ذلك القول وبين هذين القولين رجعت في مهماتك الى غيره واستعنت بعاجز مثلك على تمشيتها وما علمت ان امورك كلها بيده سبحانه يمضيها على حسب ارادته ومشيته ومن استعنت بهم فانّهم عباد مسخرون بتوفيقه تعالى لقضاء حوائجك ليس حالهم الاّ كحال قلم الكريم الذي كتب لك به النّوال والعطا، فشرعت تمدح القلم وتستعين به وتركت الإستعانة بذلك الرّجل الكريم، ماصدر هذا الاّ من جهل وقلّة تأمّل وقصر نظر في عميقات الأمور.

وفي الحديث القدسي انّ الرجل اذا أعجلته الحاجة فخفّف من صلاته لتداركها قال: الله سبحانه وتعالى انظروا ياملائكتي الى عبدي كيف خفّف صلاته ليتدلرك حوائجه أيظن انّ قضاء حوائجه اليَ، وقد أوحى الله يادنيا اخدمي من خدمني، وفي الحديث انّ السّارق كلّ السّارق من سرق من صلاته، وذلك بتخفيفها وحذف شيءٍ من واجباتها، وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد فرأى رجلاً يصلي ويستعجل في صلاته فقال: نقر كنقر الغراب، لئن مات هذا الرجل ليموت على غير سنّتي.

وتفكّر ايضاً بأنه اذا طلبك رجل من اخوانك لقضاء حاجة من الحاجات فقبلت التماسه، فأسرعت في الأتيان بها على الوجه الذي ارادها منك، ثمّ في أثناءها خطر على بالك انّ لي بعض الحوائج، فشرعت في تمام تلك الحاجة على غير الوجه الذي اراده منك وهو بمرئى منك ومسمع أما كان ذلك الصّديق يغضب منك ويعتب عليك، ويقول لك ياأخي هذه اللّحظة الواحدة ماكنّا نستحقها عندك ولو أرجعت الينا أغراضك وحوائجك لكنّا نقضيها لك أحسن من قضائك أنت لها، فقد فوّت حاجتك وحاجتنا، فأنت قد أغضبت صديقك وعطّلت حاجتك ما هذا الاّ سفه، وقلّة رشد.

(نور يكشف عن الربا واحكامه ولواحقه)

اعلم وفقك الله تعالى انّ الله سبحانه قد رغّب في القرض وجعل ثوابه أزيد من ثواب التَصدق، وذلك انّ الروايات جاءت انّ الصَدقة الدّرهم منها بعشر، ودرهم القرض ثمانية عشر، وذلك انّ درهم القرض يرجع الى صاحبه فيقرضه مرة اخرى ويوسّع به على مؤمن آخر، ومن هنا جاءت الآيات والأخبار مؤكدة بتحريم الرّبا فقال سبحانه في سورة البقرة{الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ} وقال{أحلّ الله البيع وحرّم الربا}.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الرّبا سبعون جزء أيسرها مثل ان ينكح الرجل أمّه في بيت الله الحرام، ياعلي درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنية كلّها بذات محرم في بيت الله الحرام، وقال بلفظ آخر: للربا سبعون باباً أهونها عند الله كالذي ينكح امه، وقال عليه السلام: كلّ رباء شرك، وقال عليه السلام: كلّ ربوا اعظم عند الله تعالى من سبعين زنية كلّها بذات محرم، وقال عليه السلام: لعن الله الربا وآكله ومؤكله وكاتبه وشاهديه، وقال امير المؤمنين عليه السلام: معاشر الناس الفقه ثم المتجر، والرّبا في هذه الدنيا أخفى من دبيب النّمل على الصفا وقال عليه السلام: لم يتفقّه في دينه ثمّ اتّجر ارتطم في الربا ثم ارتطم، وهذا كله انّما جا من قبل طلب الأحسان وهو القرض، فيكون تحريم الربا سوطا يسوق الناس الى القرض وتعاطيه.

وقال الصادق عليه السلام: الربا رباء ان رباء يؤكل، ورباء لايؤكل، فأمّا الرباء الذي يؤكل فهديتك الى الرجل تطلب منه الثواب، أي الجزاء افضل منها، فذلك الرباء الذي يؤكل، وهو قوله تعالى{وماأتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله} واما الذي لايؤكل فهو الذي نهى الله تعالى عنه، وأوعد عليه النار، وقد تعارف عند بعض الناس لدفع الربا بعض الحيل الشرعيّة ولابأس به لقوله عليه السلام في جواب من سأل عن مثل هذا نعم الشيء الفرار من الحرام الى الحلال، خصوصاً من مثل هذا الحرام الذي قال فيه عليه السلام: لعن الله الربا وآكله، ومؤكله وكاتبه وشاهديه فشرّك بينهم في الأثم حسماً لمادّة الفساد.

واعلم ان الربا يجري في اكثر مايحتاج اليه الأنسان من الغلاّت والدّراهم وما دخل تحت الكيل والوزن ويكون على طريق التفاضل، والزيادة الحكميّة عندهم كالزيادة العينيّة في التحريم، وقد استثنوا من هذا الحكم جواز ابتياع درهم بدرهم مع اشتراط صياغة خاتم استناداً الى مارواه الشيخ، عن ابي الصبّاح قال: سألت ابا عبد الله عليه السلام عن الرّجل يقول للصّائغ صغ لي هذا الخاتم، وأبدل لك درهماً طازجاً بدرهم غلة، قال: لابأس، وقد عمل بها الشيخ(ره) البيع المذكور وعدّاها الى اشتراط غير الخاتم، وكذلك ابن ادريس الاّ انّه نظر الى انّ الصياغة ليست زيادة عينيّة والممتنع في الرّبا هي خاصّة، قال: شيخنا الشهيد قدس الله روحه وأجود مانزلت عليه الرّواية انّها تضمنت ابدال درهم طازج بدرهم غلة مع شرط الصّياغة من جانب الغلّة، ومع ذلك

لايتحقق الزيادة لأنّ الطّازج على ماذكره بعض أهل اللّغة والفقهاء الدّرهم الخالص والغلّة غيره وهي المغشوش، وقد يطلق على المكسرة ولكن هنا يتم مع التفسير الأول لأنّ الزيادة الحكميّة مع المغشوش وهي تقابل بما زاد في المغشوش، هذا كلامه(ره) وقد تكلّمنا على ايضاح معنى هذا الحديث وعلى كلام اصحابناهذا في شرحنا على تهذيب الحديث بما لامزيد عليه، ولنقتصر هنا على بعضه فنقول.

انّ هذه الرّواية لاتصلح سنداً لما قالوه من الحكم الجزئي المخرج عن القاعدة الكليّة بل القاعدة على حالها من تحريم الزيادة الحكمية مطلقاً، وذلك لوجوه:الأول انّ ظاهر هذا الخبر كون مثل هذا قد وقع بلفظ التبديل وهو نوع مراضاة يتعاطاه الناس في معاملاتهم ومحاوراتهم فليس هو بيعاً حتى يجوز فيه مثل هذا.

الثاني ان قوله ابدل لك درهماً طازجاً بدرهم غلة ظاهر في انّ الدّرهم الطّازج انّما هو من مال الصّائغ والدّرهم الغلة من مال الرّجل الذي يقول، وهذا كما يقال في العرف اكتب لي هذا الكتاب وأبدل لك كتاب الشرائع بكتاب الأرشاد، فانّه صريح في انّ كتاب الشرائع انما هو من مال الكاتب لا من مال القائل، وكتاب الأرشاد من مال القائل، وحينئذ فدرهم الغلة انّما هو الدّرهم العتيق المكسر لكنّه بالوزن يزيد على الدّرهم الطازج الذي هو معرب تازة كما هو المتعارف في هذه الأعصار وغيرها على تجديد الدّراهم او تغييرها عن هيئتها الأولى، وحينئذ فتفاوت الدّراهم الطّازج وهو كونه جديد الضرب رائجاً في المعاملات مرغوباً اليه يقابل تلك الزيادة العينية التي في الدّرهم العتيق الذي هو درهم الغلة، فتكون الزيادة العينية بإزاء الزّيادة الحكميّة والدّرهم مقابل الدّرهم فلا تفال بينهما.

الثالث ان المعهود المتعارف هو انّ الدّرهم الجديد انّما هو عند الصائغ لاعند غيره فهو يريد ان يبدله بذلك الدّرهم الثقيل الوزن، ويوضح هذا المعنى ان الشيخ(ره) في التهذيب قد روى خبراً قبل هذا من الصّحيح، عن الحلبي قال: سألت ابا عبد الله عليهالسلام عن الرجل يستقرض الدّراهم البيض عدداً ثمّ سودا وزناً، وقد عرف انّها أثقل ممّا أخذ، وتطيب نفسه ان يجعل فضلها له، فقال: لابأس اذا لم يكن قد شرط له، لو وهب له كلّها صلح له، فانّ الظاهر انّ المراد بالدّراهم البيض هي الجديدة الطّازجية والسّود هي الغلّة المقابلة لها، وقد صرح بأن السود أثقل وزناً منها وانّها تعطى بدل القرض لأجل مقابلة الأحسان بالإحسان.

نور يكشف عن الكفر وعن حقيقة الشرك واقسامه وتوابعه المتعلقة به

اعلم ان الكفر في اللغة هو الستر ومنه قيل لليل كافر لأنَه يستر ماأظهره نور النهار، وقيل للكافر لأنه ستر ماأنعم الله تعالى عليه من المعارف الإلهيّه والأنوار الربانيّة والنعم الجليّة والخفيّة، واما في اصطلاح فقهائنا رضوان الله عليهم فالكافر من جحد ماعلم من دين الأسلام ضرورة، كمن انكر الصلاة او الصوم والحج ونحوها أمّا من انكر ما علم من دين الشيعة بالضرورة لامن دين الأسلام كتقديم امير المؤمنين عليه السلام بالخلافة والفضيلة وتكفير من تخلّف محلّه فهو ليس بمؤمن لكنّه لايخرج عندهم ن الأسلام الذي عليه المناكحات والطّهارات وإحقان الدماء والأموال، وأما في اصطلاح أهل البيت عليه السلام فالكفر يطلق على امور.

روى الكليني طاب ثراه عن الزّبري عن ابي عبد الله عليه السلام قال: قلت أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله عزّ وجلّ، قال: الكفر في كتاب الله عزّ وجلّ على مسة اوجه فمنها كفر الجحود، والجحود على وجهين، فالكفر بترك ماأمر الله تعالى، وكفر البراءة وكفر النعم، فامّا كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية، وهو قول من يقول لاربّ ولا جنّة ولانار، وهو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم الدّهرية، وهم الذين يقولون وما يهلكنا الا الدهر وهو دين وضعوه لأنفسهم بالأستحسان منهم على غير تثبت ولاتحقيق لشيءممّا يقولون، قال الله{ان هم الا يظنون} انّ ذلك كما يقولون، وقال{انّ الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون} يعني بتوحيد الله فهذا احد وجوه الكفر، واما الوجه الآخر من الجحود على معرفته فيه فهو ان يجحد الجاحد وهو يعلم انه حقّ قد استقرّ(استيقن)عنده وقد قال الله{وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا}وقال الله عز وجل وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جائهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين فهذا تفسير وجهي الجحود.

والوجه الثالث من الكفر كفر النعمة وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان{هذا من فضل ربي ليبلوني اشكر ام اكفر، ومن شكر فانّما يشكر لنفسه ومن كفر فانّ ربي غني كريم} وقال{لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم انّ عذابي لشديد} وقال{فاذكروني اذكركم واشكروا الي ولاتكفرون}.

الوجه الرابع من الكفر ترك ماأمر الله تعالى وهو قول الله تعالى{واذ اخذنا ميثاقكم لاتسفكون دمائكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم، ثم اقررتم وانتم تشهدون، ثم أنتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليه بالإثم والعدوان، وان يأتكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم}فكفرهم بترك ماأمر الله به ونسبهم الى الأيمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم

عنده، قال{فما جزاء من يفل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشدَ العذاب ومالله بغافل عمّا تعملون.

والوجه الخامس من الكفر كفر البراءة، وذلك قوله تعالى يحكي قول ابراهيم{كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتى يؤمنوا بالله وحده}يعني تبرأنا منكم، وقال يذكر ابليس وتبرئه من أوليائه الأنس يوم القيامة انّي كفرت بماأشركتموني من قبل، وقال انما اتخذتم من دون الله اوثاناً مودّة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً، يعني يتبرأ بعضكم من بعض، اذا عرفت هذا ظهر لك معنى الكفر الواقع في الأخبار على فعل بعض المحرمات وترك بعض الواجبات، مثل ماورد انَ تارك الحج كافر، وتارك الصلاة كافر، ومرتكب الغيبة كافر وتارك الزكاة كافر الى غير ذلك، وكلّها داخلة تحت هذه الأفراد المذكورة للكفر، فلا تظن انَ الكفر له معنى واحد حتى يشكل عليك الأمر بتلك الأطلاقات كما أشكل على بعض الأعلام، فتقصى بحمل الترك على الترك من وجه الأستحلال وظاهر كثير من الأخبار يأباه.

واما الشرك فهو على ثلاثة أقسام شرك جلي، وشرك خفي، وشرك أخفى، امّا الشّرك الجلي فهو ماذهب اليه أهل الأوثان وعبّاد الأصنام أو الشمس والقمر وشيء من المخلوقات حيث عبدوها وسمّوها آلهة، وقالوا في العلّة التي من أجلها ردّوا كلامه صلى الله عليه وآله وسلم في الأمر بالتوحيد أجعل الألهة الهاً واحداً انَ هذا لشيءٌ عجاب، ثمّ قالوا مانعبدهم الاّ ليقربونا الى الله زلفاً، فهم لم ينكروا الصّانع لكن لم يوحدوه، فهؤلاء ومايعبدون حصب جهنّم وحطبها، وقال تعالى{واتقوا نارا وقودها النّاس والحجارة} فقيل المراد بالحجارة الأصنام التي كانوا ينحتونها من الأحجار، كقوله عليه السلام المرء من أحبَ، ولو انَ أحداً أحب حجراً حشره الله معه، فهم محشرون مع تلك الأحجار كما جا في الرواية، وفي رواية أخرى انَ المراد بالحجارة هنا جبال من كبريت لاضوء لنارها، وانّما هو دخان اسود فيه رائحة الكبريت، وفي الحديث انّه يخرج كلَ واحد من زبانية جهنم وعلى عاتقه جبل من كبريت فيأتي المحشر ويسوق جماعة من العصاة امامه، فاذا قارب بهم شفير جهنّم وماهم فيها ورمى ذلك الجبل فوقهم حتّى تتوقد النار عليهم من فوقهم ومن تحت ارجلهم.

وامّا أوّل من وضع الأصنام وعبادتها فروي انَ اولاد أوصياء ادريس عليه السلام قد كان اهل زمانهم يحبّونهم حبّاً شديداً، فلمّا ماتواشق ذلك على قومهم فجاءهم ابليس لعنه الله تعالى فقال اتّخذ لكم اصناماً على صورهم فتنظرون اليهم وتأنسون بهم وتعبدون الله، فأعدَ لهم أصناماً على مثالهم، فكانوا يعبدون الله عز وجل وينظرون الى تلك الأصنام فلما جاء الشتاء والأمطار

ادخلوا الأصنام البيوت فلم يزالوا يعبدون الله عز وجل حتّى هلك القرن ونشأ أولادهم، فأتى الشيطان اليهم وقال لهم انّ آباءكم كانوا يعبدون هذه الأصنام، فعبدوها من دون الله عزّ وجلّ فذلك قول الله تبارك وتعالى{ولاتذرن ودا ولاسواعا} الآية.

وامّا عبادة النيران فقال الصادق عليه السلام: انّ قابيل لمّا رأى النّار قد قبلت قربان هابيل قال له ابليس: انّ هابيل كان يعبد النار، فقال قابيل: لاأعبد النّار التي عبدها هابيل ولكن اعبد ناراً أخرى وأقرّب قرباناً لها فتقبل قرباني، فبنى بيت النار فقرّب لها القربان ولم يكن له علم بربه عزّ وجلّ ولم يرث منه ولده الاّ عبادة النيران وامّا الشمس والقمر ففي الرّوايات انّه يؤتى بهما في عرصات القيامة كثورين عقورين فيأمر الله بهما حتّى يرميا في النّار لمكان عبادة النّاس لهما.

واما الشرك الخفي فقد تقدم في الريا تحقيقه وانّ من جملة افراده الريّا، وذلك انّك شرّكت غير الله معه في عبادتك فهذا هو معنى الشرك بعينه بل هو اخس منه، وذلك أنّ أهل عبادة الأصنام قد عبدوا أموراً موجودة وأعياناً حاضرة أمامهم، وامّا انت في حال الريا فقد عبدت اموراً موهومة تخيلتها في قوتك الوهمية، وهو انّي اذا أطلت الصلاة في حضور فلان فربّما اثنى عليّ وربّما اوصلني احسانه، وفي غالب الأوقات انّه لايحصل له ماتخيّله فلا يبقى له سوى تعب القوة المتخيّلة والقوة الوهمية فاذن اهل عبادة الأصنام أعلم منك وأفهم، وايضاً فأن أهل الأصنام قد أتوا الى ملّة ودين وجدوا عليها آباءهم قد استحسنوها وزيّن لهم الشيطان أعمالهم حتّى انهم كانوا يعجبون من خلاف الأشراك كما سمعت في قوله تعالى{أجعل الالهة الهاً واحد انّ هذا لشيء عجاب}فهم يتعجبون منّا كيف نعبد الهاً واحداً ونترك الألهة المتعددة.

وبالجملة فهم يعبدون ماثبت عندهم استحقاقه للعبادة أخذا من أسلافهم، واما أنت ايّها المرائي فقد نشوت على فطرة التوحيد وسمعت من آبائك انّه لايجوز ان يشرك مع الله غيره في العبادة وفهمت هذا المعنى واعتقدت حرمته ومع هذا أقبلت عليه بكلّك وصرفت اليه مجامع لبك، فأهل عبادة الأصنام جهّال وأنت أجهل منهم، حيث انهم عبدوا ما استحسنوا وانت عبدت ماأستقبحته وايضاً فإنّ أهل الأصنام انّما عبد كل جماعة منهم صنماً واحداً، كما روى انّه كان في أعصار الجاهلية لكل قبيلة صنم يعبدونه وقد كان معلّقة في الكعبة مثل ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فهم يحبون ذلك الصنم ويعظّمونه ولايعظمون صنماً غيره، حتى انه نقل من محبتهم لها الأعاجيب الغريبة والحكايات العجيبة، كما روي ان أهل الهند اتّخذوا بيت صنم ووضعوا في سقفه وفرشه وجدرانه الأربعة حجر المغناطيس، ووضعوا فيما بينهن صنماً من حديد، فبقي معلقاً بينهنّ لتجاذبهنّ له وكثر في أهل الهند محبّوه وعاشقوه، وكان يفتح لهم بابه في كل سنة مرة فيزدحمون اليه ويطلون أجسادهم بالشّمع من القرن الى القدم، فيجيء أحدهم ويجعل بين يديه

شمع موقد بالنار والناس في النّظارة فعند رؤية الصنم توقد النّار على رأسه فيحترق بالتدريج من قرنه الى قدمه وهو يصبر على عشق الصّنم فيقتسم الناس رماده صرّة للتبرك، لصدقه في دعوى محبّة الصنم، ويعلمون الكاذب بفراره وعدم صبره على النار في سبيله فيقتلونه.

وايضاً قد نقل لنا متواتراً في هذه الأعصار انّ جماعة من أهل الهند ممّن يعبد النار اذا مات الرجل منهم أحرقوه في النار، وعمدوا الى زوجته وزيّنوها وحلّوها بأنواع الحلي والحلل وأتى بها أهلها وقومها الى تلك النار فرمت بنفسها في تلك النار حتى لاتبقى بعد زوجها، وان خافت من تلك النار قال أهلها: انّها ارتدت عن الدين وخافت من المعبود الذي هو النار، فيحللونها على المسلمين وكل من حضر من المسلمين يأخذها منهم، فهم يحبون النار هكذا وامّا انت ايّها المرائي ففي يومك الواحد بل ساعتك الواحدة تعبد الجماعات المتكثرة، وذلك ان كل من توهمت في جانبه جلب نفع او دفع ضرر او ثناء او توقير عكفت على اشراكه مع الله تعالى في العبادة(وانت خ ل)ككثير غرّة يعشق كل جميلة يراها او يسمع بها حتى عاب الشعراء وأهل العشق عليه ذلك فقالوا كثير ماهذا التقلّب في الهوى.

وبالجملة فأهل الأصنام في عبادتها اوثق منك وأثبت قدماً فاعتبروا ياأولي الأبصار وايضاً فإن أهل الأصنام انّما عبدوا آلهة ولم يستحيوا من اظهار عبادتها بل يفرحون باظهارها واما انت فلو قيل لك أشركت في عبادة ربك زيداً او عمر واحلفت وأقسمت وبرأت نفسك ممّا نسب اليك، فأنت تعبد من لاتحب الأنتساب اليه وهم يعبدون من يمتدحون بالإنتساب اليه، فمعبودهم على هذا أحسن من معبودك، وايضاً انك قد عرفت انّ اهل الأصنام انّما يعبدونها لا لأنها النّافعة الضّارة بل لأنها تقرّبهم الى الله تعالى الذي هو النافع الحقيقي وانت ايّها المرائي قد عبدت غير الله سبحانه بزعمك انّه النافع والمعطي ولايخاطر ببالك حالة الريا الا قصر ماطلبته من الحالات عليه، فمن هذا ايضاً صار عبّاد الأصنام أفهم منك وأكثر شعوراً.

واما الشرك الأخفى فهو امور:منها ان تغيّر شيئاً بالإعتقاد عمّا هو عليه وذلك انّك قد عرفت انّ الله سبحانه قد وضع كلّ شيء في محله ومقرّه فمن أتى يغير شيئاً وان كان حقيراً كان مشركاً، وهذا معنى مارواه بريد العجلي عن ابي جعفر عليه السلام قال: سألته عن أدنى مايكون به العبد مشركاً، قال: فقال: من قال للنواة أنّها حصاة وللحصاة انّها نواة ثم دان به، قال شيخنا البهائي رحمه الله تعالى: لعل مراده عليه السلام من اعتقد شيئاً من الدين ولم يكن كذلك في الواقع فهو ادنى الشّرك ولو كان مثل اعتقاد انّ النّواة حصاة وانّ الحصاة نواة ثم دان به، وقد دخل ابو حنيفة واضرابه من فقائهم تحت هذا النّوع من شرك على ماعرفت من انه يقول علي(كذا) وأنا أقول(كذا) لكن هذا من أفراد الشرك الجلي الاّ انّه لمّا خفي حاله على اكثر النّاس

ادرجناه تحت الشرك الأخفى والخفي، ويدخل تحت هذا ايضاً من كذب متعمداً في الأحكام الشرعية مثل علماء السوء ومحدثيهم الذين أكثروا الكذب على الله ورسوله فهم مشركون ايضاً، وكذلك من كذب من علماء الشيعة في المسائل الشرعيّة وتكلم بلا وقوف ولا تثبت وانما توهمه او تعمده لئلا يقال انّه جاهل، وكذلك من أفتى الناس وليس هو بأهل الفتوى فانّه والحال هذا قد نهي عن الخوض في الفتاوي، فاذا أفتى فقد أشرك من حيث لايشعر، ومن هنا صار الشرك دقيقاً جداً.

ومنها الطّاعة فانّك قد علمت انّ الذي يجب طاعته هو الله سبحانه او من امر بطاعته مثل حججه عليهم السلام فمن أطاع غير من فرض الله طاعته فقد صار مشركاً لأنه بالله الا وهم مشركون﴾ قال: يطيع الشّيطان من حيث لايعلم فيشرك، وقد دخل تحت هذا الفرد من الأشراك سائر مخالفينا من العامّة وغيرهم، وذلك لأنهم ألزموا أنفسهم طاعة الطّواغيت والجوابيت ومن امر الله ان يكفروا به، فقد صاروا شركاء الله حيث اوجبوا مالم يوجب واشركوا فيه ايضاً من جهة انّ من أوجب طاعته لم يوجبوها هم، ومن هنا روى عميرة عن ابي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول أمر الناس بمعرفتنا والردّ الينا والتّسليم لنا، ثمّ قال: وان صاموا وصلّوا وشهدوا ان لااله الا الله وجعلوا في انفسهم ان لايردّوا الينا كانوا بذلك من المشركين.

ومنها المعارضة والأنكار على الحكم الألهيّة كما يصدر من عوام الناس كثيراً إمّا باللّسان أو بالقلب، واليه الأشارة بقوله عليه السلام لو انّ قوماً عبدوا الله وحده لاشريك له وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجوا البيت وصاموا شهر رمضان ثم قالوا لشيء صنعه الله او صنعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا صنع خلاف الذي صنع، أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين، ثم تلا هذه الآية﴿فلا وربك لا يؤمنون حتّى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في انفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليما﴾ وحينئذ فما يقول جهّال الناس وعوامهم لو انّ الله أغناني لكان هو الأحسن او لو انّ الله فعل بزيد كذا وكذا لكان هو الأصلح ونحو ذلك من العبارات المشتملة بظاهرها على الأعتراض من باب الشرك وأحد أنواعه:فان اسباب المحبة

ومنها الأشراك معه في المحبة كما سيأتي انشاء الله تعالى كلّها راجعة اليه فيجب ان يكون هو المحبوب لا غير ولايكون في القلب غيره وهو بيته ومنزله كما سمعت في الحديث القدسي.

من قوله لم تسعن ارضي ولا سمائي ولا كرسيي وانّما وسعني قلب عبدي المؤمن فلايكون في هذا البيت الاّ هو او من انتسب اليه وهو من أمر بودادهم مثل الأئمة الطاهرين والعلماء وأولاد الرجل وأقاربه ممّن أمر سبحانه بعطفهم والميل اليهم فمحبّة هؤلاء راجعة الى حبه سبحانه كما جاء في الحديث، امّا اذا تجاوز القدر المأمور به صار شركاً ومن هذا جاء في الكتب ان

الله سبحانه انما غيّب الصّديق عن ابيه يعقوب لمكان افراطه في حبّه حتى انّه اذا ادخل البيت غير صاحبه وقد سأل الصادق عليه السلام عن العشق فقال تلك قلوب خلت من محبّة الله فأذاقها الله حلاوة غيره.

وبالجملة فالإفراط في المحبّة على القدر المأمور به يكون شركاً لأنّه قد أشرك مع الله غيره في الحب والوداد من هنا جاء الأمر منه سبحانه بخلع حبّ الدنيا عن القلب وقد جاء في الرواية في قول ابراهيم عليه السلام ربّ أرني كيف تحيي الموتى الآية انّ الله عزّ وجلّ امر ابراهيم ان يزور عبداً من عباده الصالحين فزاره فلمّا كلّمه قال له: انّ لله تعالى في الدنيا عبداً يقال له ابراهيم اتّخذه خليلا فقال ابراهيم وما علامة ذلك العبد؟ قال: يحيي له الموتى، قال: اولم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي على الخلّة، ويقال انّه اراد ان يكون له في ذلك معجزة كما كانت للرّسل وانّ ابراهيم سأل ربه عزّ وجلّ ان يحيي له الميّت فأمره الله عزّ وجلّ ان يميت لأجله الحي سواء بسواء وهو انّه امره بذبح ابنه اسماعيل وانّ الله عزّ وجلّ امر ابراهيم بذبح أربعة من الطير:طاووساً ونسراً وديكاً وبطّاً، فالطّاووس يريد به زينة الدّنيا، والنّسر يريد به الأمل الطّويل، والبطّ يريد به الحرص، والدّيك يريد به الشهوة ويقول عزّ وجل ان اردت ان يحيي قلب وتطمئن معي فأخرج عن هذه الأشياء الأربعة فإذا كانت هذه الأشياء في قلب فإنّه لايطمئن معي، وروي عن العالم عليه السلام في تفسير قوله تعالى فاخلع نعليك انّك بالواد المقدّس انّ المراد انزع حبّ قلبك عن أهلك فإنّ الزوجة تشبه بالنّعل والنّعل الآخر هم الأولاد فقد أمر حالة اللّقاء (لقائه خ ل) مع المحبوب الحقيقي بخلع ماسواه من الأحباب، وأمّا ايضاح هذه الطّيور الأربعة.

فاعلم انّ الطّاووس طائر معروف وهو يحبّ الزهو بنفسه والخيلاء والإعجاب بريشه وعقدة لذنبه كالطّاق لاسيّما اذا كانت الأنثى ناظرة اليه وقيل أعجب الأمور انّه مع حسنه يتشأم به وقيل انّ السبب فيه انّه ادخل ابليس الى الجنّة فأخرج آدم منها فصار سبباً لخلو الدّار من أهلها فلذاكره النّاس اقامته في الدّور.

وروي ان آدم عليه السلام لمّا غرس الكرمة جاء ابليس فذبح عليها طاووساً فشربت دمه فلمّا طلعت اوراقها ذبح عليها قرداً فربت دمه، فلمّا طلعت ثمرتها ذبح عليها اسد فشربت دمه، فلمّا انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيراً فشربت دمه فلهذا شارب الخمر تعتريه هذه الأوصاف الأربعة، وذلك انّه اول مايشربها وتدب في أعضائه يزهو لونه ويحسن كما يحسن الطّاووس واذا جاء مبادىء السكر لعب وصفق ورقص كما يفعل القرد، واذا قوي سكره جاء بصفة الأسد فيعبث ويهتزي بما لافائدة فيه ثم ينقعص كما ينقعص الخنزير ويطلب النوم ويخل عزم قوته، وامّا النّسر فهو من أطول الطّير عمراً يقال انّه يعمر ألف سن. وسمّي نسراً لأنّه ينسر الشيء ويبتلعه.

وعن الحسن عليه السلام انّه يقول في صياحه عش ماشئت فإنّ الموت ملاقيك وزعم قوم انّ الأنثى من هذا الصّنف تبيض من نظر الذكر اليها وهي لاتحضن وانّما تبيض في الأماكن العالية الضاحية للشمس فيقوم حرّ الشّمس للبيض مقام الحضن وهو حاد البصر يرى الجيفة من أربعمائة فرسخ وكذلك حاسّة شمّه لكن قيل انّه اذا شمّ الطيب مات لوقته وليس في سباع الطّير اكبر جثة منه ومع هذا قالوا انّه اقواها جناحاً حتى انه يطير مابين المشرق والمغرب في يوم واحد اذا وقع على الجيفة وعليها عقبان تأخّرن عنه وكل الجوارحه تخافه، واذا وقع على الجيفة وأكل منها امتلأ ولم يستطع الطّيران حتّى يثب وثبات يرفع بها نفسه طبقة في الهوى حتى يدخل تحت الرّيح وربّما صاده الضعيف من الناس في هذه الحالة، وهو اشدّ الطّير حزناً على فراق الفه واذا فارق احدهما الآخر مات حزناً وكمداو في الروايات عنه صلى الله عليه وآله وسلم انّ النّسر سيّد الطيور، ومن هذا ذكروا في خواصه انّ من حمل معه قلب النّسر كان محبوباً ومهاباً مقضي الحاجة عند السّلطان وغيره ولايضره سبع ابداً.

وامّا البط وحرصه على الماء وعلى إلتقاط الحبّ اينما كان فهو ظاهر مشهور وامّا الدّيك وشهوته خصوصاً للجماع فظاهر وذلك انّه ربّما كان في المحلة الواسعة الثيرة الدّجاج ديك فيكفي لكل تلك الدجاج، ومن خصاله الحميدة انّه لايؤثر واحدة على واحدة وقد أمر صلى الله عليه وآله وسلم بأن يتعلم الناس من الدّيك خصالاً:الشجاعة والغيرة والكرم وكثرة الجماع ويعجبني نقل كلام ذكره شيخنا الشيخ بهاء الدين قدس الله روحه وهو انّ النفس الأنسانية واقعة بين القوة الشهوانية والقوة العاقلة فبالأولى تحرصعلى تناول اللّذات البدنيّة البهيميّة كالغذاء والسّفاد والغالب وسائر اللّذات العاجلة الفانية وبالأخرى تحرص على تناول العلوم الحقيقية والخصال الحميدة المؤديّة الى السعادات الباقية الأبدية والى هاتين القوتين اشار سبحانه بقوله وهديناه النّجدين، وبقوله تعالى{انا هديناه السبيل امّا شاكراً وامّا كفوراً} فان جعلت الشّهوة منقادة للعقل فقد فزت فوزاً عظيماً وأهتديت صراطاً مستقيماً وان سلّطت الشّهوة على العقل وجعلته منقاداً لها ساعياً في استنباط الحيل المؤديّة الى مراداتها هلكت يقيناً وخسرت خسراناً مبيناً، واعلم انّك نسخة مختصرة من العالم فيك بسائطه ومركباته ومادياته ومجرّداته بل انت العالم الكبير بل الأكبر كما قال أمير المؤمنين وسيّد الموحدين عليه الصلاة والسلام:

دوائك فيك وماتبصر ... ودائك منك وما تشعر

وتزعم انّك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

وانت الكتاب المبين الذي ... بأسطاره يظهر المضمر

وما من شيء الاّ وانت تشبهه من وجه لكنّ الغالب عليك اربعة اوصاف: الملكية والسبعية والبهيميّة والشّيطانية فمن حيث الملكي تتعاطى أفعال الملائكة من عبادة الله سبحانه وتعالى وطاعته والتّقرب اليه ومن حيث الغضب(السبعيّة خ) تتعاطى أفعال السبّاع من العداوة والبغضاء والهجوم على النّاس بالضّرب والشّتم، ومن حيث الشّهوة تتعاطى أفعال البهائم من الشّره والشبق والحرص ومن حيث الشّيطانية تتعاطى افعال الشّياطين فتستنبط وجوه الشّر وتتوصل الى الأغراض بالمكر والحيل فكان المجتمع في اهابك ايّها الأنسان ملك وكلب وخنزير وشيطان فالملك هو العبادة والكلب هو الغضب والخنزير هو الشهوة والشيطان هو المكر والحيل، فان اشتغلت بجهاد هذه الثلاثة بالبصيرة النّافذة وكسرت شرّه هذه الخنزير بتسلّط الكلب عليه اذ بالغضب تنكسر سورة الشهوة واذللت الكلب بتسليط الخنزير وجعلت الكل في مملكة العدل مقهورين تحت السياسة اعتدل الأمر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم، وان لم تجاهدهم قهورك واستخدموك فلا تزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر في تحصيل مطلوبات الخنزير ومرادات الكلب فتكون دائماً في عبادة كلب وخنزير.

وهذا حال أكثر النّاس الذين همّتهم مصروفة الى البطن والفرج ومناقشة الخلق ومعاداتهم والعجب منك انّك تنكر على عبّاد الأصنام عبادتهم لها ولو كشف الغطا عنك وكوشفت بحقيقة حالك ومثّل لك مايمثل للمكاشفين امّا في النوم او في اليقظة لرأيت نفسك قائماً بين يدي خنزير مشمراً ذيلك في خدمتك ساجداً له مرة وراكعاً له أخرى منتظراً لإشارته وأمره فمهما طلب الخنزير شيئاً من شهواته توجهت على الفور الى تحصيل مطلوبه واحضار مشتهياته ولأبصرت نفسك جاثياً بين يدي كلب عقور عابداً له مطيعاً لما يلتمسه مدققاً للفكر في الحيل الموصلة الى طاعته وانت بذلك ساع فيما يرضى الشيطان ويسره فانّه هو الذي يهيّج الكلب والخنزير ويبعثهما على استخدامك، فأنت من هذا الوجه عابد للّشيطان وجنوده ومندرج في المخاطبين المعاتبين يوم القيامة بقوله{ألم أعهد اليكم يابني آدم ان لاتعبدوا الشّيطان انّه لكم عدو مبين}.

فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده لئلا يكون ساعياً طول عمره في عبادة هؤلاء، فهذا غاية الظّلم حيث صيّر المالك مملوكاً والسيّد عبداً والرئيس مرؤساً، اذا العقل هو المستحق للسّيادة والرئاسة والأستيلاء وهو قد سخّره لخدمة هؤلاء وسلّطهم عليه وحكمهم فيه، قال بعض المفسرين عند قوله تعالى{وسخّر لكم مافي السموات وما في الأرض جميعاً انّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون}قد سخّر لك الكون ومافيه لئلا يسخر منك شيء وتكون مسخَراً لمن سخّر لك الكل فان جعلت نفسك مسخّرة لما في الكون في الكون اسيرة للذّات الفانية

فقد جهلت فضل الله لديك وكفرت نعمته عليك اذ خلقك عبداً لنفسه حراً من الكل فاستعبدك الكلّ ولم تشتغل بعبودية الحق بحال انتهى وماأحسن قول رابعة العدوية:

لك ألف معبود مطـاع أمــره   دون الأله وتدّعـى التوحـيدا

ومن افراد الشرك قول الناس فيما تعارف بينهم لولا فلان هذه السّنة او هذا الشّهر لمت انا وأولادي او لم أعش الى هذا الوقت ونحو ذلك ممّا يؤدي معناه، وذلك انّ هذا قول من غفل عن الله سبحانه وعن كونه هو الرّزاق وانّه هو الذي سخّر ذلك الرجل وهيأ له الأسباب التي يتوصل بها الى احسانك فهو ليس الا كالالة في ايصال ذلك النفع اليك، فان الله تعالى لو لم يعطه مالاً ولم يجعل في قلبه الشّفقة عليك ولم يأمره بصلة أمثالك لما رأيت منه شيئاً من الإحسان وكذلك اذا لم يتكلّم بهذا الكلام لكنّه كان من عقيدته وممّا ارتكز في خياله فانّه ايضاً من الشّرك الأخفى لأنّ هذا الأعتقاد الفاسد منه ليس الاّ كإعتقاد من عظم الأوثان وخضع لها لأنها التّي وصل النّفع اليه وتدفع الضرر عنه.

وبالجملة فأنواع الشرك وأفراده أكثر من ان تحصى وقوله سبحانه{ولاتشركوا به شيئاً} متناول لأنواع الشرك وافراده، فان قلت اذا كان كلّ ماذكرت من الشرك لمنهي عنه لاينفعك أحد منّا، ان التلبس بفرد من افراده اذا اعطيناه الأنصاف مع قوله تعالى{ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء} فكيف حالنا عند الورود على الله وكيف نرجوا منه المغفرة مع ما أسمعنا من هذا الكلام وقطع آمالنا منه.

قلت وان كان الحال على ماذكرت من عدم الخلوّ من أحد أفراده لكن الله سبحانه قد جرت عادته الرّبانية بتوفيق المؤمن للتوبة من ذلك الذنب والنّدامة عليه ومعرفته ولو بعد حين بأنّ المنعم الحقيقي ليس الا هو تعالى شأنه، ومن ألطافه به عدم توفيق الناس في غالب الأوقات لقضاءحوائجه حتى يرجع الى الله عند الأياس منهم ويلجأ اليه ويندم على ماأشرك به في جنب الله ويعرف انّه ليس الملجأ الاّ اليه كما قال مولانا الأمام زين العابدين عليه السلام ياكهفي حين تعييني المذاهب يعني به التّرددات الى الخلق والذّهاب اليهم فإذا أعيت عليه الحيل ولم ينتفع بتلك التّرددات إعترف بهذا المعنى.

وفي الحديث ان الله سبحانه يرمي عبده المؤمن بالنّعاس اذا أراد القيام للصلاة فيصبح وهو ماقت لنفسه زار عليها وهو من ألطاف الله سبحانه لئلا يعجب بعمله، وحينئذ فالنوم خير له من العبادة فهو سبحانه الذّي أنامه عن صلاة الليل لئلاّ يعجب بأعماله وهو الذي لم يوفّق الناس للإحسان اليه حتى يكون مأيوساً منهم فيرجع الى الله ويطلب ما طلب منه تعالى ويندم على الأقبال الذّي صدر منه على الناس فانظر هنا كيف صار منع الألطاف الطافاً.

نور يكشف عن عقوق الوالدين وعما توعد عليه من العذاب ومايتبعه من قطيعة الرحم

اعلم ان الله تعالى قد أكثر في كتابه من الوصية بالوالدين حتّى انّه ذكره في سبع آيات.

الأولى قوله تعالى في سورة البقرة{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً}.

الثانية قوله تعالى في سورة النساء{فاعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً}.

الثالثة قوله سبحانه في سورة الأنعام{قل تعالوا أتل ماحرّم ربّكم عليكم الاّ تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً}.

الرابعة قوله تعالى في سورة بني اسرائيل{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً{٢٣} وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً}.

الخامسة قوله تعالى في سورة العنكبوت{وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}.

السادسة قوله عز من قائل في سورة لقمان{وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}.

السابعة قوله تعالى في سورة الأحقاف{وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً} فانظر الى هذه الآيات كيف قرن فيها بين النهي عن الشّرك وبين النهي عن عقوق الوالدين اشارة الى انه في درجة الشرك في الخلود في العذاب، ومن هذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: يقال للبار بوالديه اعمل ما شئت سأغفر لك ويقال للعاقّ لوالديه أعمل ماشئت فإنّي لاأغفر لك، وفي هذا اشارة الى ان البرّ بالوالدين لايضر معه سيئة فكل ماعمل من السّيئات تكفره تلك الحسنة وكذا في جانب العقوق فأنّ العاق كل ماعمل من خير لاينفعه وهو متلبس بالعقوق لوالديه وذلك انّه تعالى قرن رضاه برضاهما وعقوقه بعقوقهما، وفي الحديث انّ ريح الجنة ليشم من مسيرة خمسمائة عام ولايشمّه عاق الوالدين، وفي وصاياه صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام ياعلي خلق الله عزّ وجلّ الجنّة من لبنتين لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل حيطانها الياقوت وسقفها الزبرجد وحصاها اللّؤلو وترابها الزعفران والمسك الأذفر ثمّ قال لها تكلّمي فقالت لااله الا الله الحيّ القيوم قد سعد من يدخلني قال الله جل جلاله وعزتي وجلالي لايدخلها مد من خمر ولانمّام ولاديّوث ولاشرطي ولامخنّث ولاعشّار ولاقاطع رحم ولاقدريّ، والشرطي

منسوب الى الشَرط كصرد طائفة من اعوان الظالمين سمّوا بذلك لأنّهم علموا بعلامات يعرفون بها.

وقوله ولاعشّار المراد به من يأخذ العشر او أقل او أكثر من غير حقّ سواء أخذه في البلد او الصحراء، وقوله ولاقاطع رحم سيأتي تحقيق الرحم ولكن من أقرب الأرحام الوالدين، وقوله ولاقدري المراد به الأشاعرة الذين ذهبوا الى انّ كل الأفعال مقدورة له سبحانه والعبد ليس له قدرة على شيء.

واعلم ان البر بالوالدين له فوائد في الدّنيا والآخرة والعقوق يبطلها امّا الدنيا فمن فوائده انّه يؤخّر الأجل ويزيد في العمر، والعقوق يقرب الأجل وفي الرواية انّه ربّما كان قد بقي من عمر الأنسان ثلاث سنين ثم انّه يحسن الى والديه ويصل ارحامه فيؤخره الله ثلاثين سنة وانّ منهم من يبقى من عمره ثلاثون سنة ثم انّه يقطع أرحامه او يعق والديه فيمحو الله سبحانه الثلاثين ويثبت مكانها ثلاث سنين وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأيت في المنام رجلاً قد أتاه ملك الموت لقبض روحه فجاء برّه بوالديه فمنعه منه.

وقال الصادق عليه السلام من احب ان يخفف الله عنه سكرات الموت فليكن بقرابته وصولاً وبوالديه باراً فاذا كان كذلك هوّن الله عليه سكرات الموت ولم يصبه في حياته فقر أبداً، وفي الرواية انّه دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على شاب وهو في سكرات الموت وقد تعسر عليه قبض الرّوح فقال صلى الله عليه وآله وسلم له يافلان فأجابه فقال ماترى قال أرى أسودين قد دخلا عليّ وهما واقفان امامي فأنا خائف منهما فقال صلى الله عليه وآله وسلم ألهذا الشاب ام؟ فقيل نعم فأتت أمه فقالت انا فقال لها أراضية أنت عن ابنك هذا ام ساخطة عليه؟ فقالت بل أنا ساخطة عليه والآن رضيت عنه لأجلك فغشي على الشاب فلمّا أفاق قال له مارأيت قال رأيت يارسول الله خرج الأسود ودخل عليّ ابيضان وانا فرحان برؤيتهما ثم انّه مات من ساعته.

وفي حديث آخر انّ رجلاً مات على عهده صلى الله عليه وآله وسلم ولّما دفنوه لفظته الأرض ولم تقبله فقال صلى الله عليه وآله وسلم انّ ام هذا الرجل ساخطة عليه فأمرها بالرضاء عنه حتى قبلته الأرض.

وروي عن العسكري عليه السلام قال عاش نوح عليه السلام ألفين وخمسمائة سنة وكان يوماً في السّفينة نائماً فهبّت ريح فكشفت عورته فضحك حام ويافث فزجرهما سام عليه السلام ونهاهما عن الضّحك وكان كلّما غطّى سام شيئاً تكفه الريح كشفه حام ويافث فانتبه نوح عليه السلام فرآهم(هماط) وهم يضحكون، فقال ماهذا؟ فأخبره سام بما كان فرفع نوح عليه السلام يده الى السماء يدعو ويقول اللهم غير ماء صلب حام حتّى لايولد له الا السّودان اللّهم غيّر ماء

صلب يافث فغيّر الله ماء صلبيهما فجميع السّودان حيث كانوا من حام وجميع التّرك والصّقالية ويأجوج ومأجوج والصّين من يافث حيث كانوا وجميع البيض سواهم من سام وقال نوح عليه السلام لحام ويافث جعل الله ذرّيتكما ملكاً لذرية سام الى يوم القيمة لأنّه برّني وعققتماني فلا زالت سمة عقوقكما في ذريتكما ظاهرة وسمة البرّ في ذرية سام ظاهرة ما بقيت الدنيا.

واما فوائده في الآخرة وهي السّعادة كل السّعادة قال الصادق عليه السلام بينا موسى بن عمران يناجي ربّه عزّ وجل اذ رأى رجلاً تحت ظلّ عرش الله فقال يارب من هذا الذي قد أظلّه عرشك؟ فقال هذا كان باراً بوالديه ولم يمش بالنّميمة.

وأما العقوق فقال الصادق عليه السلام ادنى العقوق اف ولو علم الله تعالى شيئاً أهون منه لنهى عنه وقال عليه السلام من نظر الى ابويه نظر ماقت وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلاة ومن العقوق ان ينظر الرجل الى والديه فيحدّ النّظر اليهما وقال عليه السلام انّ ابي عليه السلام نظر الى ابن يمشي متكأ على ذراع الأب قال فما كلّمه ابي عليه السلام مقتاً له حتى فارق الدنيا وروي عنه عليه السلام في قوله تعالى{ولاتقل لهما اف ولاتنهرهما} قال ان أضجراك فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما ان ضرباك قال وقل لهما قولاً كريماً قال ان ضرباك فقل لهما غفر الله لكما فذلك منك قول كريم ثم قال واخفض لهما جناح الذّل من الرّحمة قال لاتملأ عينيك من النّظر اليهما الاّ برحمة لهما ورأفة ولاترفع صوتك فوق أصواتهما ولايدك فوق ايديهما ولاتقدّم قدامها.

وروى محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام قال انّ العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهما ثم يموتان فلا يقضي عنهما دينهما ولايستغفر لهما فيكتبه الله عزّ وجلذ عاقاً وانّه ليكون عاقاً في حياتهما غير بار فاذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله عز وجل باراً وقال عليه السلام ثلاثة لم يجعل الله عز وجل للعبد فيهن رخصة اداء الأمانة الى البر والفاجر والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر وبر الوالدين برّين كانا او فاجرين، وعن الزهري قال كان علي بن الحسين عليه السلام لايأكل مع امه وكان ابرّ النّاس بامه فقيل له في ذلك؟ فقال اخاف ان آكل معها فتسبق عينها الى شيء من الطعام وانا لاأعلم فآكله فأكون قد عققتها.

وروى الشيخ عن محمد بن مسلم عن احدهما عليهما السلام قال لّما زوّج علي بن الحسين عليه السلام امّه مولاه وتزّوج هو مولاته كتب اليه عبد الملك بن مروان كتاباً يلومه فيه ويقول انك وضعت شرفك وحسبك، فكتب اليه علي بن الحسين عليه السلام انّ الله تعالى رفع بالإسلام كلّ خسيسة وأتم به الناقصة واذهب به اللّوم فلا لوم على مسلم وانّما اللّوم لوم الجاهليّة وامّا تزويج امّي فانّما أردت بذلك برها فلمّا انتهى الكتاب الى عبد الملك قال لقد صنع علي بن

الحسين أمرين ماكان يصنعهما احد الا اتّضع الاّ علي بن الحسين عليه السلام فانه بذلك ازداد شرفاً.

فان قلت كيف يوطن الشيعي نفسه على انّ امّ علي بن الحسين عليه السلام وهي شهربانو بنت يزدجرد ملك العجم بعد شهادة الحسين عليه السلام تزوّجت بمولى من الموالي اما معتق او غير معتق وهل النفس تقبل مثل هذا وان كان جائزاً في الشريعة، قلت قد روى الصدوق نور الله ضريحه عن الرضا عليه السلام انّ شهربانو امّ علي بن الحسين عليه السلام قد ماتتفي نفاسها به وكانت للحسين عليه السلام أمة مدخولة فسلّمه اليها وكانت هي التي تولّت تربيته وكان يقول لها امي ويحترمها ذاك الأحترام وهي التي زوجها مولاه والمراد به واحد من الشيعة وخواصّه لإطلاق المولى عليه ايضاً.

وقد روى التصريح به في حديث آخر وفي بعض الروايات انها ألقت نفسها في الفرات في وقت شهادة الحسين عليه السلام خوفاً من يزيد لأنّه كان يكره العجم، وقيل انّ علي بن الحسين عليه السلام اركبها جملاً في تلك الواقعة الهائلة وقال لها كوني على ظهره اين مضى فقيل انه مضى بها الى الري والآن فيه بقعة يزورها الناس ويقولون هذا قبر امّ علي بن الحسين عليهما السلام ولكن الأعتماد على ماروي عن الرضا عليه السلام اذا عرفت هذا.

فاعلم ان حقوق الأم اعظم من حقوق الأب ولهذا أفردها سبحانه في الآيتين الأخيرتين بما به تستحق توقير التعظيم بقوله{حملته امه وهنا على وهن} وبقوله{حملته امه كرهاً ووضعته كرهاً} ومن هذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال له رجل يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال امّك قال ثم من؟ قال امّك قال ثم من قال ابوك ذكر الأم مرتين وفي رواية اخرى ثلاثا قال بعض العلماء هذا يدل على انّ للأم ثلثي بر الابن على الرواية الأولى او ثلاثة ارباعه على الرواية الثانية وللأب امّا الثلث او الربع وينبغي ان يحقق الأنسان انه مهما بالغ في برّهما وخدمتهما فهو لايكون قد أتى بحقهما.

كما روي ان رجلاً أتى الى الصادق عليه السلام فقال له انّي خدمت ابوي حتى كبر سنّهما فصرت اخدمهما كما تخدم الأطفال فهل اتيت بحقهما؟ فقال عليه السلام لا وذلك انّهما خدماك وهما يحبّان بقاك وانت تخدمهما وتكره بقاءهما، ولكن روي عن سدير الصّيرفي قال قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام هل يجزي الولد والده؟ قال ليس له جزاء الا في خصلتين ان يكون الوالد مملوكاً فيشتريه فيعتقه او يكون عليه دين فيقضيه عنه.

بقي الكلام في تحقيق الوالدين الذين ورد في تلك الآيات الأمر ببرّهما وطاعتهما فنقول انّ الذي ورد في الأخبار عنهم عليهم السلام أطلاقهما على معان ثلاثة الأول ان المراد بالوالدين

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام قال صلى الله عليه وآله وسلم انا وعلي ابوا هذه الأمة ونحن الولدان المأمور ببرّنا في آيات الكتاب وذلك انّ الأبوين سببان في ايجاد الولد واما هما عليهما السلام فهما السببان الاعظمان كما قال تعالى في الحديث القدسي لولاك ما خلقت الافلاك فهما السببان في إيجاد العالمين فيكون مدخليتهما في وجود الابن أعظم من مدخلية الاب في وجود الابن ومن هذا كان صلى الله عليه واله هو اب المؤمنين وزوجاته امهاتهم

وفي الروايات الغريبه ان عليا عليه السلام صعد على منبر الكوفة فقال الفاظاً معناها ان المراد بالوالدين في قوله تعالى وبالوالدين احساناً انا ورسول الله، فقام رجل من أهل المسجد فقال له يابن ابي طالب سحرت اهل الحجاز وأتيت تسحر أهل العراق بتأويلك القرآن فرمقه عليه السلام بطرفه فاذا هو قد صار غراباً ابقع فطار من بين القوم ووقع على حائطالمسجد يزعق والناس ينظرون اليه فقال بعضهم لبعض قد بلغ من سحر ابن ابي طالب انّه يمسخ الرجال والله لئن لم تعاجلوه بالقتل لصنع بكم ماصنع بصاحبكم وكان عدة القوم ثلاثين ألفاً، فتعاقدوا على انّه اذا جاء الى صلاة الجمعة وفرغ من الخطبة ونزل وسجد نبادر اليه بسيوفنا كلّها فنضربه بها حتّى لايعرف له قاتل، فلمّا أتى يوم الجمعة تقلّدوا بسيوفهم وأتوا الى المسجد، فلمّا سجد في الركعة الأولى أقبض كلّ واحد منهم قائمة سيفه ليخرجهمن جفنه، فما أتى في ايديهم سوى قبضات السيوف، فلمّا فرغوا من الصلاة قام عليه السلام وتخطّى القوم وأتى الى منزله، فنظروا واذا سيوفهم ليس الاّ القبضة والجفن ولم يروا حديدة السيف فتعجبوا.

وكان بعض مواليه عليه السلام معهم، قال فأتيته عليه السلام في بيته وحكيت له كيد القوم وتسويلهم وماجرى عليهم من فقد سيوفهم، فقال لي عليه السلام اذا كان غداً فتعال الينا اول النهار فأتيته في الغد، فقال لي اخرج الى ظهر الكوفة حتى تبلغ الى موضع كذا وكذا فاذا وصلت اليه ترى قافلة مقبلة يقدمها رجل على بغلة، فتقدّم عليه وقل له انّ امير المؤمنين عليه السلام أرسلني اليك وهو يقول سلّم اليّ هذه القافلة وارجع سالماً، فلمّا بلغت الى ذلك الموضع رأيت ذلك الرجل يقدم القافلة فقلت له ماقال لي، فقال هذه القافلة خذها اليه وارجع فأتيت بالقافلة اليه عليه السلام فطرحت تلك الأحمال عنده ولم أدر مافيها.

فقال عليه السلام ادع فلاناً يعني جماعة من شيعته ومواليه فدعوتهم فلمّا أتوا اليه قال اخرج ما في هذه الحمول، فلما خليتها فاذا حدايد السيوف، فعددتها فاذا هي ثلاثون ألفا، فقسمها بين مواليه وشيعته وخرجوا لبيعها في الاسواق وباعوا على اولئك القوم فعرفوها وأشتروها بأغلى ثمن، فأتيت اليه وقلت له ياامير المؤمنين ما هذه السيوف فقال هي سيوفهم، وذلك انها لما

ارادوالمكر أرسل الله اليهم ألفا من الملئكه فأخذ كل ملك بسيف واحد من القوم وجمعوها وأتوا بها مع ذلك الرجل الذي رأيته

هذا المناقب لاقعبان من لبن ... شيبت بماء فصارت بعد أبوالا

فاين هذا من الرجل العالم الذي يقول كل الناس أفقه من عمر حتى المخدرات تحت الحجال وصاحبه الذي يقول ان لي شيطانا يعتريني اذا ملت فعدلوني، وبالجمله فالابوان عليهما السلام فمن برهما استحق ثواب الابرار، ومن عقهما كان من أهل العقوق.

الثاني ان المراد بالأب من علّم الأنسان العلوم الدينية فانّه قد هداه وأنقذه من النار، فهو قد أحيا قلبه ونوّره بأنوار المعارف الألهية وقد قال تعالى{ومن احيا نفساً فكانما أحيا الناس جميعاً}قال من أنقذها من ظلالة الى هدى، وهذا شأن المعلمفهو الأب الثاني لأنه كان سبباً في حياته الباقية والأب سبب في حياته الفانية، وحينئذ فيجب عليه ان يبره فان عقه بواحد من أنواع العقوق كان من أهل الذنوب والآثام.

وكان في أصفهان رجل عالم من مجتهدينا رأيناه وقرأنا عليه وقد كان في أول تحصيله يقرأ عند مجتهد آخر فلما نشأ ذلك التلميذ أنكر قراءته على ذلك الشيخ، ولم يقرّ له بالفضل، فبلغ الأستاذ قوله فدعا عليه وقال اللهم اسلبه كل ماقرأ عندي وأخذه مني، فسلبه الله الحافظة بعد ما كان مشهوراً بالحفظ فصار لايحفظ مسئلة على خاطره، بل لابدّ له في كل مسئلة من مراجعة كتبه ومؤلفاته وهو الآن موجود في اصفهان ونحن نحمد الله على توفيقه لنا لبرّ المشايخ والقيام بوظائف دمتهم والأستغفار لهم أحياءً وأمواتاً ورضاهم عنا.

واما تلاميذنا فمنهم من آذانا غاية الإيذاء، وعقنا نهاية العقوق، فنحن نقول اللهم قابل اسائته الينا بالإحسان، وقابل عقوقه لنا ببرك به، ووفقه لكل خير بحق محمد وآله الطّاهرين، ولاتستبعد ماجرى على ذلك الفاضل من سلب الله سبحانه ما منحه من المسائل فانه قد روي عنه عليه السلام انَ العلم يهتف بالعمل فان اجابه والا إرتحل عنه، ولاريب ان البر للمعلم من أعظم الأعمال وأقواها، فحيث لم يقم به ارتحل عنه العلم ارتحالاً بعيداً.

الثالث المراد بهما هذان الأبوان وان علوا، فالجدّاب وان علا وكذا الجَدة وكما يجب على الولد البر بوالديه فكذلك يجب على الوالدين البرّ بأولادهما، قال عليه السلام يلزم الأباء من العقوق لأولادهم مايلزم الأولاد من العقوق لأباءهم، وقال عليه السلام لعن الله والدين حملا ولدهما على عقوقهما، فينبغي للآباء أن يحسن الى الأولاد كما هو المشاهد في هذه الأعصار، ومما يتعلق بالأولاد من مسائل الفقه تأكيداً لحقوق الأبوين تحريم السفر المباح بغير إذنهما، وكذا السفر المندوب، واما لو كان واجباً كالسفر لطلب العلم فان أمكن تحصيله عندهم كتحصيله في السفر فلا

يجوز حينئذ الا بإذنهما، وان لم يكن مطلقاً، او أمكن على وجه ناقص جاز السفر مطلقاً والمراد بالعلم الذي يجب له السفر الواجب علم الكلام والفقه والحديث والتَفسير أمّا غيره كحكمة الأبدان وحكمة الفلاسفة والنّجوم ونحوها فلا يجوز له السَفر الا بإذنهما.

واما مقدمات العلوم الواجبة كعلم العربية ونحوه فالظّاهر جواز السَفر له ايضاً بغير اذنهما كالعلم الواجب، وذلك لأنّ علم النحو او نحوه قد صار جزء من العلم الواجب لشدّة توقّفه عليه، وانّ من كان لااطلاع له على علوم العربية لم يحصّل العلوم الواجبة على وجه يكمل الأنتفاع بتحصيله، ومنه ايضاً ماقاله بعض الأعلام من انّه يجب طاعتهما في كل فعل وان كان شبهة، فلو أمراه بالأكل معهما من مال يعتقده شبهة الأكل وجب له أكله فليؤخّر الصلاة وليطعهما لما قلناه، ويجوز لهما منعه عن صلاة الجماعة ولكن لامطلقاً بل اذا شقّ عليهما مخالفته كالسّعي في ظلمة الليل الى العشاء والصّبح، وكالسّعي في الأوقات الحارّة والباردة.

ومنه ايضاً ماقاله جماعة من الأصحاب وهو انّهما لو دعواه في الصّلاة النافلة قطعها، لما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انّ امرأة نادت ابنها وهو في صومعة، فقالت ياجريح فقال اللّهم امي وصلاتي، فقالت لاتموت حتى تنظر في وجوه المؤمنات، وفي بعض الروايات انّه صلى الله عليه وآله وسلم قال لو كان جريح فقيهاً لعلم انّ اجابة أمّه أفضل من صلاته، ومنه ايضاً ترك الصَوم ندباً الا بإذن الأب ولم أقف على نصّ في الأم.

ومنه ايضاً ترك اليمين والعهد الابإذنه ايضاً مالم يكن في فعل واجب او ترك محرم، ولم أقف في النّذر على نصّ خاص الا ان يقال هو يمين يدخل في النهي عن اليمين الا بإذنه.

بقي الكلام في تحقيق الرحم المأمور بصلته في الكتاب والسنة، والكلام هنا يقع في أمور:

الأول الرحم؟ قال اكثر علمائنا المراد به المعروف بنسبه وان بعد، وان كان بعضه آكد من بعض ذكراً او انثى، وقصر بعض العامة له على من يحرم نكاحهم لاوجه له مع ماورد في الروايات، وروي في تفسير قوله تعالى{فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، فعن علي عليه السلام انّها نزلت في بني اميّة، وهو يدل على تسمية القرابة المتباعدة رحماً، وقد روي في حديث انّه صلى الله عليه وآله وسلم لّما عرج الى السّماء رأى رحماً معلقة بالعرش تشكو من رحمها، فسألت كم بينها وبين القرابة؟ فقيل انّها تلتقي معها بعد سبعين أباً، والظاهر انّ مثل هذا من باب التأكيد ومن باب الأستحباب.

الثاني بمن الصلة؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم صلوا ارحامكم ولو بالسّلام، ففيه تنبيه على ان السلام صلة، ولاريب انه مع فقر بعض الأرحام وهم العمود ان يجب الصلة بالمال ويستحب لباقي الأقارب ويتأكد في الوارث وهو قدر النَفقة، ومع الغنى فبالهدية في بعض الأحيان

بنفسه او برسوله، واعظم الصلة ماكان بالنّفس، وفيه اخبار كثيرة، ثم بدفع الضّرر عنها، ثم يجلب النّفع اليها، ثم بصلة من يجب نفقته وان لم يكن رحماً للواصل كزوجة الأب والأخ ومولاه وأدناها السلام بنفسه، ثم برسوله، والدعاء بظهر الغيب والثّناء في المحضر.

الثالث ما الصّلة التي يخرج به عن القطيعة؟ والجواب المرجع في ذلك الى العرف لأنه ليس حقيقة شرعية ولالغوية، وهو يختلف بإختلاف العادات وبعد المنازل وقربها.

الرابع هل الصلة واجبة او مستحبة؟ قال شيخنا الشهيد قدس الله روحه أنها تنقسم الى الواجب وهو مايخرج به عن القطيعة، فان قطيعة الرحم معصية بل قيل هي من الكبائر والمستحب مازاد على ذلك.

(نور في حب الدنيا واسبابه وعلاماته)

اعلم وفقك الله اننا قد اسلفنا لك بيان الدنيا التي قال فيها الأنبياء عليهم السلام حبّها رأس كل خطيئة، وان المراد بها الحالة التي تبعدك عن جناب مولاك وان كانت الصلاة وسائر الطاعات، فانها اذا وقعت لابقصد الأخلاص كانت رياء يقصد بها التّقرب الى المخلوقين فيكون من أرفاد الدنيا، وان المال وان كثر اذا قصد به التّوسعة على الأخوان كان من أهم المطالب الأخروية، وكذلك الجاه والأعتبار فانّه قد يطلب لقضاء حوائج المؤمنين الذي عرفت ان قضاء الحاجة واحدة منها أفضل عند الله من عشر طوافات بالبيت مع انّ ثواب كل طواف يكتب له ستة الآف حسنة، ويمحي عنه ستة الآف سيئة، ويرفع له ستة الآف درجة، وليس من ذنب يصدر من ابن آدم الاّ كان منتهيا الى حب الدّنيا ومسبّباً عنه.

روى الكليني طاب ثراه عن محمد بن مسلم بن عبيد الله[1] قال سأل علي بن الحسين عليه السلام أي الأعمال أفضل عند الله تعالى؟ قال مامن عمل بعد معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من بغض الدّنيا، وانّ لذلك شعباً كثيرة وللمعاصي شعباً، فأول ما عصي الله تعالى به الكبر معصية ابليس حير ابى واستكبر وكان من الكافرين، ثم الحرص وهي معصية آدم وحواء حين قال الله تعالى لهما{فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين} فأخذا مالا حاجة له اليه، ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعّب من ذلك حب النساء، وحب الدنيا، وحب الرئاسة، وحب الراحة، وحب الكلام وحب

---

(١) هو الزهري المدني المعروف بابن شهاب واسم جده(عبيد الله).

العلو والثروة فصرن سبع خصال، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا، فقالت الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنياء ان دنيا بلاغ، ودنيا ملعونة.

وبالجملة فهي سبب لكل المعاصي، قال الصادق عليه السلام انّ الشيطان يدير ابن آدم في كل شيء فاذا أعياه جشم له[١] عند المال فاذا أخذ(فأخذ) برقبته، وامّا جمع المال بقصد التوسعة على العيال والأخوان وان كان هذا كما عرفت ليس من امور الدنيا الا انّ الأولى ان يقتصر على هذه النيّة، ففي الحديث انّ المؤمن اذا قال ان آتاني الله مالاً أفعل كذا وكذا من أمور الخير أعطاه الله ثواب مانواه وان لم يعطه المال ليفعله، امّا اذا وجد بالسّعي وحصل ذلك المال فهو فيه على أخطار.

منها انّ المال الكثير قلّما يجتمع من حلال كما قال الصادق عليه السلام ماأجتمعت عشرة الآف من حلال قط، ومنها انّه عند اجتماعها كثيراً مايعرض له اهمال الحقوق الواجبة كما قال عليه السلام لاتتعرّضوا لجمع الأموال فانّه كلّما كثرت الأموال كثرت الحقوق بها، وإخراج الحقوق عسر جداً لما روي عنه عليه السلام انّ درهم الصّدقة يفك بين لحيي سبعمائة شيطان كلّهم يعضون عليه بأضراسهم، ومن ذا الذي يكون له من قوة الأيمان مايقابلهم الاّ القليل.

وروي ان رجلاً عابداً كان جالساً مع العبّاد فقرأ احدهم هذا الحديث، فقال ذلك العابد أنا هذه السّاعة امضي الى منزلي وأتصدّق بصدقة وأرى كيف الشّياطين تمنعني، فخرج مبادراً الى المنزل فدخله وأتى الى الحنطة وبسط عباه فأخذ بها حنطة يتصدّق بها فرأته زوجته فقالت له اين تريد بهذه الحنطة ونحن في هذه السنة المجدبة، لعلّك تريد ان تهلك أولادك جوعاً، فسولّت له الأباطيل حتّى ندم ورمى بالحنطة، وأتى الى اصحابه فقالوا له لعلّك تصدّقت بشيء ولعل الشّياطين لم يحضروك، فقال انّ الشّياطين لم يحضروا ولكن كانت أمّهم حاضرة، فقامت مقامهم في المنع يعني به زوجته، ولاشك في انّ الواحدة منهنّ تعادل الآفاً من الشّياطين، ومن هنا قال صلى الله عليه وآله وسلم شاوروهن وخالفوهنّ، وكان هو صلى الله عليه وآله وسلم يفعل مثل ذلك، وفي الحديث انّه ماأيس الشّيطان من بني آدم الاّ أتاهم من قبل النّساء وهن من أعظم فخوخه ومصائده، وقد بيّنا سابقاً ان كل فتنة وقعت في العالم فانّما جاءت من قبلهنّ، وذلك ان الفتنة الأولى وهي أكل آدم من الشجرة وإخراجه الى الأرض انّما جاء من قبل حوّاء لأنّ آدم لما يقبل وساوس الشّيطان وسوس الى حواء فجاءت الى آدم فكلّمته في أمر الأكل من الشّجرة حتى حملته عليه، وامّا الفتنة الأخيرة التّي نشأ منها خراب العالم وهي غصب خلافة أمير المؤمنين عليه

---

(١) جشم الأمر تكلفه على مشقة وتجشم فلانا من بين القوم أي اختاره وقصد قصده.

السلام وإستظهارهم واتّفاقهم على عداوته فانّما جاء من قبل عائشة وعداوتها وحسدها لفاطمة عليها السلام بسبب انّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يظهر المحبّة لها ولولديها فغارت من هذا عائشة وأضمرت العداوة لها ثمّ أظهرتها، فتخطّت تلك العداوة من النّساء الى الرجال فبغض علياً عليه السلام ابوبكر وعمر ففعلا مافعلا وفعلت عائشة بعدها مافعلت.

ومنها انّه ربما تسبّب بجمع الأموال الى إهلاك نفسه ابتداءً قبل الظّفر بمطلوبه منه، كما روي انّ المسيح عليه السلام خرج يوماً الى البريّة ومعه ثلاثة من أصحابه، فلمّا توسّعوا في البرية رأوا لبنة ذهب مطروحة في الطريق، فقال عيسى عليه السلام هذا الذي أهلك من كان قبلكم اَياكم ومحبّة هذا، فمضوا عنها فما مضى ساعة حتى قال واحد منهم ياروح الله ائذن لي في الرجوع الى البلد فانّي أجد الألم، فاذن له فأتى الى تلك اللّبنة ليأخذها فجلس عندها.

فقال الثاني ياروح الله ائذن لي في الرجوع فأذن له وكذلك الثّالث، فاجتمعوا عند تلك اللبنة ليأخذوها فاتّفقوا على أخذها، فقالوا نحن جياع فليمض واحد منا الى البلد ليشتري لنا طعاماً حتى تدخل البلد، فمضى واحد فأتى الى السوق واشترى طعاماً فقال في نفسه انّي أجعل فوقه سمّاً فيأكلاه فيموتا فتبقى تلك اللّبنة الذهب لي وحدي فوضع في الطّعام سمّاً، واما الآخران فتعاقدا(هدا) على ان يقتلاه ويأخذا اللبنة، فلمّا جاء بالطّعام بادروا اليه وقتلاه وجلسا يأكلان الطعام فما أكلا الا قليلاً حتى ماتا فصاروا كلّهم اموانا عند تلك اللبنة، فلمّا رجع عيسى عليه السلام مرّ على تلك اللّبنة فرأى أصحابه أمواتاً، فعلم انّ تلك اللّبنة هي التي قتلتهم، فدعى الله سبحانه فأحياهم لأجله فقال لهم أما قلت لكم انّ هذا هو الذي أهلك من كان قبلكم فتركوا اللّبنة ومضوا.

وحكي ان رجلاً عارفاً سافر وحده ومعه كيس من الدراهم، فلمّا توسّع في البرية توهم من حمل تلك الدّراهم وخاف على نفسه القتل فأخذ بالكيس ورماه ومشى على فراغ بال واطمئنان خاطر، وقد كان رجل يمشي في ذلك الطّريق على أثره فوجد ذلك الكيس فرفعه وحمله معه فلحق بذلك العارف، فسأله وقال ياأخي أهذا الطّريق أمن أم لا؟ فقال له العارف ان كان الذي رميته انا رفعته انت فهو غير أمن وان كان تركته فالطّريق أمن، وكثيراً ما رأينا رجالاً ركبوا البحار وخاطروا بالأنفس وتحملوا مشاق السفر الطويل وصرفوا أكثر أعمارهم في تحصيل الأموال فلمّا حصّلوها ورجعوا الى بلادهم عجل عليهم الموت قبل الوصول اليها بيوم او يومين او أقل فأكلها بعده أعداؤه املا زوج امرأته او نحوه، وربّما حصل من تلك الأموال النّدامتان، امّا ندامة الدّنيا فبخروجه من تلك الأموال ومفارقته لها عند الموت وكذلك في حال الحياة ايضاً فان صاحب المال تعبان القلب من وجوه كثيرة.

وقد كان لنا أخ صالح فسافر الى بلاد الهند وأتى معه بما يقرب من ألفي درهم فأتى الينا ونحن في شيراز في المدرسة المنصوريّة في عشر السّتين بعد الألف فأخذنا له حجرة في المدرسة وبقي معنا ووضع تلك الدّراهم معه في الحجرة، وكان من خفيف نومهان كلّ من يمشي في صحن المدرسة هو يستيقظ من نومه خوفاً عليها، وكنّا نخرج معه من المدرسة الى البساتين او نحوها ونأتي اليه قبل الخروج حتّى يجعل القفل العظيم على الحجرة ونحن معه فاذا انتهينا الى البستان وجلسنا قام ذلك الشّيخ فنقول له اين؟ فيقول الى المدرسة أخاف ان اكون قد نسيت حجرتي من غير قفل.

فنقول له انّا قد رأيناك قفلتها فلم يقبل منّا، وهذا كان حاله مدّة من الزمان فلمّا أنفقها من يده صرنا نجيء اليه وهو نائم وندقّ الباب دقاً عنيفاً فما يستيقظ، وصار يترك الحجرة هكذا من غير قفل، فعلمنا انّ الدّراهم خرجت من يده وكان الحال على ماعلمناه.

واما الندامة الأخروية فقال عليه السلام ويل لمن رأى حسناته في ميزان غيره وذلك انه يتعب باله في جمع المال ولاينفعه في سبيل الله فيأتي بعده من يتصدّق به ويصل المؤمنين فيكون ثوابه يوم القيامة في ميزان غيره، فيالها حسرة عظمى وشقاوة كبرى، وان أنفقها الوارث في غير حقّها عوقب عليها وكان لذلك الرجل الذي جمعها ولم ينفقها فيما أمر به حظّ وافر من عذابها.

وقد كان في زماننا رجل صالح وكان في خدمة سلطان الهند خرم شاه، وكان مداخله من الأموال في كل سنة تقرب من أربعمائة ألف دينار وكان ينفقها في سبيل الله، فسمع السّلطان بذلك فطلبه يوماً وقال له يافلان ينبغي للإنسان ان يكون له حظّ من حب المال، وأنا سمعت بأنّك ماتحب المال، فقال ذلك الرجل ايّها السّلطان والله انّي لحريص على حب المال وماأحد من خواصّك أحرص مني.

وذلك اني اريد ان آخذ كلّ أموالي معي ولا أُبقي منها شيئاً، والنّاس يريدون يقونها بعدهم فأي حريص أحرص مني، فقال له صدقت، ومن هذا كلّه والخوف منه مال الأولياء الى ارادة الفقر، فقال عليه السلام اذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته، إنا لله وانا اليه راجعون.

وفي الروايات انّ عيسى عليه السلام لما رفعه الله الى السماء الرّابعة زارته الملائكة فوجدوا عليه قميصاً مرقّعاً برقع كثيرة فضجّوا وقالوا الهنا ليس يساوي عبدك عيسى عندك ثوباً صحيحاً؟ فنودوا ان فتّشوا عيسى، ففتشوه فوجدوا في قميصه أبرة يرقع بها ما يخترق منه، فقال تعالى فو عزتي وجلالي لولا ابرته لرفعته الى السّماء السّابعة، وفي الأنجيل انّ عيسى عليه السلام قال اللّهم ارزقني غدوة رغيفاً من شعير، وعشيّة رغيفاً من شعير، ولاترزقني فوق ذلك فاطغى.

وقال الصادق عليه السلام انَ الله عزَ وجلَ ليعتذر الى عبده المحوج كان في الدنيا كما يعتذر الأخ الى أخيه فيقول وعزتي وجلالي ماأفقرتك لهو ان كان بك عليَ فارفع هذا الغطاء فأنظر ماعوضتك عن الدنيا، فيكشف له عن بصره فينظر ماعوضه الله عزَ وجلَ عن الدنيا فيقول ماضربي يارب مازويت عنَي مع ماعوضتني، والى هذا الحديث وأمثاله نظر العقلاء فأختاروا بيع هذه الدنيا الدنيّة بما عند الله سبحانه.

روى هشام بن الحكم انَ رجلاً من اهل الجبل أتى ابا عبد الله عليه السلام ومعه عشرة آلاف درهم وقال له اشتر لي داراً انزلها اذا قدمت وعيالي ثم مضى الى مكَة، فلمَا حجَ وانصرف انزله الصادق عليه السلام غب داره، وقال اشتريت لك داراً بالفردوس الأعلى، حدَها الأول الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والثاني الى علي عليه السلام والثالث الى الحسن عليه السلام والرابع الى الحسين وكتبت الصَك به، فلمَا سمع الرَجل بذلك قالت رضيت، ففرق الصادق عليه السلام تلك الدَنانير على أولاد الحسن والحسين عليهما السلام وانصرف الرجل، فلمَا وصل الى منزله اعتلَ علَة الموت، فلمَا حضرته الوفاة جمع أهل بيته وحلفهم ان يجعلوا الصَك معه في قبره ففعلوا ذلك، فلمَا اصبحوا وغدوا الى قبره وجدوا الصَك على ظهر قبره وعلى ظهره وفي لي ولي الله جعفر بن محمد بما وعدني.

ورأيت في كتاب عوالي اللئالي حديثاً وهو انَ رجلاً غنياً أراد المسير الى مكة فهيأ لها مايحتاج اليه المسافر فركب يوماً في بعض حوائجه ، فمر بطريق ورأى امرأة علويَة قد أقبلت الى دجاجة ميتة منبوذة في الطريق لتأخذها.

فقال لها هذه ميتة فلم تأخذيها؟ قالت الحاجة تضطر الأنسان الى هذا، فأخذها معه الى المنزل ودفع اليها كلَ ماهيَأه للسفر وترك الحج في تلك السنة، فلما رجع الحاج مضى اليهم ليزورهم وكل من دخل عليه قال له أحدهم رأيناك يافلان بعرفات، ويقول الآخر رأيناك بالمشعر، وهكذا فتعجَب الرجل فأتى الى الأمام عليه السلام وحكى له فقال نعم انَ الله سبحانه أرسل ملكاً على صورتك ليحجَ عنك، وهو ذا يحجَ عنك في كلَ سنة، فانظر كيف فاز بثواب الصَدقة والحجَ.

وبينبغي للإنسان ان يقدم امور آخرته على امور دنياه فانَك قد تحققت انَ في جمع الأموال الأخطار الكثيرة، حكى عن بعض الصالحين انَه سأل عن توبته، فقال انَي كنت رجلاً دهقاناً فاجتمع عليَ اشغال ليلة من الليالي كنت احتاج الى ان اسقي زرعاً، وكنت حملت حنطة الى الطَاحون، فوثب حماري وضل فقلت ان اشتغلت بطلب الحمار فاتني سقي الزرع، وان اشتغلت بالسقي ضاع الطَحن والحمار، وكان ذلك ليلة الجمعة وبين قريتي والجامع مسافة بعيدة.

فقلت اترك هذه الأمور كلّها وامضي الى صلاة الجمعة، فمضيت وصليت فلمّا انصرفت ومررت بالزرع فاذا هو قد سقي، فقلت من سقاه؟ فقيل انّ جارك أراد ان يسقي زرعه فغلبته عيناه وانبثق السَكر فدخل الماء زرعك، فلمّا وافيت باب الدار اذا انا بالحمار على المعلف، فقلت من ردَ هذه الحمار؟ فقالوا صال عليه الذئب فالتجأ الى البيت، فلمّا دخلت الدّار اذا أنا بالدقيق موضوع هناك، فقلت كيف سبب هذا؟ فقالوا انّ الطحّان طحن هذا بالغلط فلمّا علم انّه لك ردّه الى منزلك، فقلت ماأصدق ما قيل من كان لله كان الله له، ومن أصلح لله أمراً أصلح الله أموره.

وينبغي للعاقل ان يتفكّر في الأمثال التي ضربها عليهم السلام للدّنيا، منها مارواه الصّدوق(ره) باسناده الى الحرث الأعور قال بينا أنا أسير مع أمير المؤمنين عليه السلام ياحارث الحيرة اذ نحن بدير انّي يضرب النّاقوس، قال فقال علي بن ابي طالب ياحارث أتدري مايقول هذا الناقوس؟ قلت الله ورسوله وابن عم رسوله أعلم، قال انّه يضرب مثل الدنيا وخرابها ويقول:لااله الا الله حقاً حقاً صدقاً صدقاً، انّ الدّنيا قد غرّتنا وشغلتنا واستهوتنا واستغوتنا، ياابن الدنيا مهلاً مهلاً، ياابن الدنيا دقاً دقاً، ياابن الدنيا جمعاً جمعاً تفنى الدنيا قرناً قرناً، ما من يوم يمضي عنّا الاّ أوهى منّا ركناً قد ضيّعنا داراً تبقى واستوطنا داراً تفنى لسنا ندري مافرّطنا الا لو قدمنا، قال الحرث ياأميرالمؤمنين النّصارى يعلمون ذلك؟ قال لو علموا ذلك لما اتّخذوا المسيح إلهاً من دون الله.

قال فذهبت الى الدّير فقلت له بحق المسيح لّما ضربت بالنّاقوس على الجهة التي تضربها، قال فأخذ يضرب وأنا أقول حرفاً حرفاً حتّى اذا بلغ الى موضع قوله الا لوقدمنا فقال بحق نبيكم من أخبركم بهذا؟ فقلت الرجل الذي كان معنا امس، قال وهل بينه وبين النبي من قرابة، قلت هو ابن عمه، قال بحق نبيكم اسمع هذا من نبيكم قال قلت نعم، فأسلم ثمّ قال لي والله انّي وجد في التوراة انّه يكون في آخر الأنبياء نبي وهو يفسر مايقول الناقوس.

ومنها قول الباقر عليه السلام مثل الحريص على الدّنيا كمثل دودة القزّ كلمّا ازدادت على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غماً، فانظر الى حسن هذا المثال بل حال الأنسان أسوء من حال دودة القز وذلك انّ دودة القز ان ماتت غماً في الذي نسجته على نفسها لكنها لاتموت بالكليّة ولهذا اذا بقيت في القزّ مدة مديدة تحرّكت في بطن القزة وقرضت وخرجت منها بصورة طائر حسن الصورة وماذلك الاّ لأنّها جهدت في خراب ما نسجت ولاتموت في بطن القزة الاّ اذا وضعت القزة في الشمس الحارة، واما الأنسان اذا نسج على نفسه بمتاع غرور الدّنيا تعذر عليه الخروج فيبقى في المجلس الضيّق الى ان تأتيه شمس القيامة فتحرقه.

ومنها قول الصادق عليه السلام انّ في كتاب علي عليه السلام انما مثل الدنيا كمثل الحيّة مالين مسّها وفي جوفها السّم الناقع، يحذرها العاقل ويهوى اليها الصبي الجاهل وهذا المثل كالأول وذلك انّ الصّبي انّما ينظر الى ظاهرها وفي ظاهرها من النقوش والخطوط فيهوى اليها الصبي بل الحيّة خير من الدنيا وذلك انّها وان كان في جوفها السم الناقع الضّار لكن يخرج منها خرزة سوداء مدورة تنفع للسع الحيّات، وذلك انّها توضع على موضع اللدغة فتجذب السم وتقلعه من البدن، فهي نافعة من هذه الجهة مع انّها انّما تضرّ من آذاها.

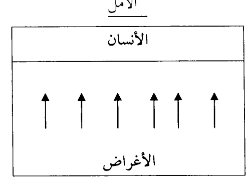
حكى لي ثقة من أصدقائي انّه كان عندهم حية في البيت فكان عندها فراخ، قال فأردنا أن ننظر اليها يوماً، فلمّا خرجت بادرنا الى فراخها فوضعناها تحت قدر وخرجنا من البيت، فلمّا أتت الى فراها فلم ترها عمدت الى البيت وجالته على الفراخ فلم تجدها، فلمّا أيست منها أتت الى لبن في البيت فدخلت فيه وشربت منه وقاءته حتى صار أصفر من السّم، وخرجت من البيت فعمدنا الى فراخها ووضعناها في موضعها فأتت مرة اخرى، فلمّا رأتها أتت الى ذلك اللبن ودخلت فيه وخرجت عنه فوضعت نفسها على التراب ودخلت على اللبن وهكذا حتى صار ذلك اللبن مثل لون التراب ومضت عنه حتى لانشربه، واما الدنيا فإنها تلسع كل احد ومنها قوله عليه السلام الدنيا كمثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله ومنها قوله عليه السلام الدنيا كمثل البيت قد انخفض سقفه فكل من دخل اليه لابد وان يطأطأ رأسه ومتى رفعه شجه السقف والداخل الى الدنيا حاله هكذا بل هو اسوأ حالاً.

ومنها مانقله الصدوق طاب ثراه عن بعض الحكماء في تشبيه اغترار الأنسان بالدنيا وغفلته عن الموت والأهوال وانهماكه في لذات الدنيا المزوجة بالكدورات بشخص مدل في بئر مشدود وسطه بحبل وفي اسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه اليه منتظر سقوطه فاتح فاه لألتقاطه، وفي أعلى ذلك البئر جرذان أبيض وأسود لايزالان يقرضان ذلك الحبل شيئاً فشيئا ولايفتران على قرضه انا من الأناة، وذلك الشخص مع انه يشاهد ذلك الثعبان ويرى انقراض الحبل انا فأنا قد أقبل على قليل عسى القد لطّخ به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمع عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه منهمك في ملتذ بما أصاب منه لتلك الزنابير عليه قد صرف باله غير ملتفت الى مافوقه وماتحته فالبئر هو الدنيا والحبل هو العمر والثعبان الفاتح فاه هو الموت والجرذان الليل والنهار القارضان للأعمار، والعسل المختلط بالتراب هو لذات الدنيا الممزوجة بالكدورات والآلام والزنابير هم ابناء الدنيا المتزاحمون عليها وهذا المثل كالأمثال السابقة في الأنطباق على الممثل له.

وبالجملة فالعاقل من تفكر في كلام امير المؤمنين عليه السلام فانه كان عارفاً بداء الدنيا ودواءها ومن ثم قال ابو جعفر عليه السلام كان امير المؤمنين عليه السلام بالكوفة اذا صلى العشاء الآخر ينادي ثلاث مرات حتى يسمع اهل المسجد ايها الناس تجهز وا رحكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل فما التعرج على الدنيا بعد النداء فيها بالرحيل تجهزوا وارحكم الله وانتقلوا بأفضل ما بحضرتكم من الزاد وهو التقوى، واعلموا ان طريقكم الى المعاد وممركم على الصراط، والهول الأعظم أمامكم وعلى طريقكم عقبة كئود ومنازل مهولة مخوفة لابد لكم من الممر عليها والوقوف بها فأما برحمة من الله فنجّاه من هولها وعظّم خطرها وفضاعت منظرها ومختبرها واما بهلكه ليس لها بعدها انجبار واي مثل للدنيا اعظم من أمثاله سبحانه وله الأمثال العليا قال في سورة الحديد{أنما الْحيَاة الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالي والدنيا انما مثلي والدنيا كمثل راكب قال(من القيلولة) في ظل شجرة في يوم صيف ثم راح وتركها.

وفي وصية لقمان لأبنه على ماقال الصادق عليه السلام ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الأيمان وشراعها التوكل وقيمها العقل ودليلها العلم وسكانها الصبر ومن أجل هذا ورد الحث على التفكر لأنه يؤدي الى مقت الدنيا والرغبة عنها، وروى الحسن الصيقل قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عما يروي الناس تفكر ساعة خير من قيام ليلة، قلت كيف يتفكّر قال يمر بالخربة او بالدار فيقول اين ساكنوه اين بانوه مالك لا تتكلمين، وقال الرضا عليه السلام ليس العبادة بكثرة الصلاة والصوم انما العبادة التّفكر في امر الله عز وجل وذلك ان بالتّفكر يقصر الأمل فاذا قصر الأمل كثر العمل واقوى اسباب حب الدنيا والميل اليها انما يجيء من جهة طول الأمل فان الأمل يزيد على العمر بكثير.

روي عن ابن مسعود قال خط النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربعاً وخط خطاً في الوسط خارجاً منه وخط خططاً صغاراً الى هذا الذي في الوسط، فقال هذا الأنسان وهذا أجله محيطاً به وهذا هو الخط الذي هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأغراض فانى أخطأه هذا نهشه هذا وهذه صورته:



واما من قصر امله في الدنيا فهي لاتغره، روي ان عيسى عليه السلام صعد جبلاً فرأى شخصاً يعبد الله تعالى في حر الشمس فقال له لم لاتستظل؟ فقال يانبي الله انّي سمعت من الأنبياء انّي لاأعيش أكثر من سبعمائة سنة فلم أجد من عقلي ان اشتغل بالبناء، فقال عليه السلام انّي لأخبرك بما يعجبك، قال فماذا؟ قال يكون في آخر الزمان قوم لاتنتهي عمر أحدهم الى أكثر من مائة سنة وهم يبنون الدور والقصور ويتّخذون الحدائق والبساتين ويأملون أمل عمر ألف سنة، قال الشيخ فوالله اني لو أدركت زمانهم لجعلت عمري في سجدة واحدة، ثمّ قال لعيسى عليه السلام ادخل هذا الكهف حتى ترى عجباً فدخل فرأى سريراً من حجر وعليه ميّت وعلى رأسه لوح من حجر مكتوب عليه أنا فلان الملك أنا الذي عمرت ألف سنة، وبنيت ألف مدينة، وتزوجت بألف بكر، وهزمت ألف عسكر ثم كان مصيري الى هذا فاعتبروا ياأولي الألباب.

وفي الحديث ان سليمان عليه السلام مرّ على رجل يعمل بمسحاته فوقف قربه فقال اللهم انزع من قلبه آمال الدنيا، فنزعها الله سبحانه فألقى الرجل مسحاته وجلس، ثمّ قال بعد ساعة اللهم الق في قلبه الأمل، فقام الى مسحاته وحرث، فتقدّم اليه سليمان عليه السلام وقال له ياعبد الله كيف جلست ثم قمت؟ قال قد فكرت انّ هذا الذي أحرثه لعلي لاأبقى الى أوانه فلم أزرعه فجلست، ثمّ فكرتبأن الأنسان لابد له من خير يعيش به في الدنيا ثم قمت الى مسحاتي.

ومن أعظم أسبابه أيضاً حب الأولاد قال الله تعالى{انما اموالكم وأولادكم فتنة} وقد كان رجل يقول عند أمير المؤمنين عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من الفتن، فقال عليه السلام لاتقل هذا فان أولادك من الفتن وتلا هذه الآية، ولكن قل اللهم اني أعوذ بك من مضلاّت الفتن، وفي الرواية ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يوماً يخطب على المنبر فجاء الحسنان عليهما السلام وعليهما ثياب جديدة، فعثر الحسين عليه السلام في ذيل ثوبه فلمّا رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قطع الخطبة وسقط عليهما وحملهما وأجلسهما معه فوق المنبر، وقال صدق الله حيث

قال{انما اموالكم واولادكم فتنة} والله لما رأيت الحسين عثر بطرف ثوبه لم أملك نفسي حتى وقعت عليه.

واسباب الميل الى الدنيا اكثر من ان تحصى ودواء الكل واحد وهو التفكر في فنائها وسرعة زوالها وتقلّب أحوالها، فمن عجائب تقلبها انّ رجلاً من الخلفاء العباسيّة جعلوه خليفة يوماً واحداً، وقد عزلوه في اليوم الآخر وأخذوا ماعنده فاحتاج ذلك اليوم الى ان يقف على باب المسجد ويتكفّف الناس، وكان يقول لهم ارحموا من كان بالأمس أميركم واليوم سائلكم، وكل مانال فيها المؤمن من المراتب فهي سجنه بالنّظر الى ما أعدّ له في الجنان، فالميل الى مثل هذا لايكون عن رأى سديد، روي انّه خرج الحسن عليه السلام من داره في حلّة فاخرة وبزّة طاهرة ثم ركب بغلة فارهة غير قطوف وصار مكتنفاً من حاشيته وحاشيه بصفوف، فعرض له في طريقه من محاويج اليهود رجل قد أنهكته العلة وارتكبته الذلة، فاستوقف الحسن عليه السلام وقال ياابن رسول الله أنصفني، فقال عليه السلام في أي شيء؟ فقال جدك يقول الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر وانا كافر فما ارى الدنيا الا جنّة تتنعم بها وتستلذ بها ومأاراها الاّ سجناً لي قد أهلكني ضرّها وأتلفني فقرها، فلمّا سمع الحسن عليه السلام كلامه أوضح لليهودي خطاء ظنه، وقال ياشيخ لونظرت الى ما أعدّ لي وللمؤمنين في الدّار الآخرة ممّا لاعين رأت ولاأذن سمعت لعلمت اني قبل انتقالي اليه هذه الدنيا في سجن ضيق مع مأأنا فيه، ولو نظرت الى ماأعد الله لك ولكل كافر في الدار الآخرة من سعير نار الجحيم ونكال العذاب المقيم لرأيت أنك قبل مصيرك اليه الآن في نعمة واسعة وجنّة جامعة، ومأحسن قول الشاعر:

ياخاطب الدنيا الدنيّة انّها ... شرك الرّدى وقرارة الأكدار
دنيا اذا ماأضحكت في يومها ... أبكت غداً تعساً لها من دار
غاراتها لاتنقضي وأسيرها ... لايفتدى بعظائم الأخطار

وقول الآخر:

هي الدنيا تقول بملأ فيها ... حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم حسن ابتسامي ... فقولي مضحك والفعل مبكي

والدنيا اما مأخوذة من الدناءة وهي الخسة او من الدنو وهو القرب لقربها بالنظر الى الآخرة، وهذا المعنى الثاني هو الذي حمل الناس على مساوىء الأعمال حيث زعموا انّها نقد والآخرة نسيئة وقدّموا النقد على النسيئة ولم ينظروا الى قول الخبير امير المؤمنين عليه السلام لو

كانت الدنيا ذهباً والآخرة خزفاً لأخترت خزف الآخرة على ذهب الدنيا لأنه خزف باق وذهب الدنيا فان، فكيف والآخرة ذهب والدنيا خزف فان.

ورأيت في كتاب تفسير انّ ملكاً من ملوك اليونان استعمل على ملبسه جارية أدبها بعض الحكماء فألبسته يوماً ثيابه وأرته المرآة فرآى في لحيته شعرة بيضاء، فاستدعى بالمقراض فقصها، فأخذتها الأمة فقبلتها ووضعتها عال(قال) واصغت اذنها اليها فقال الملك لأي شيء تصغين اليها؟ فقالت اني اسمع هذه المبتلاة تفقد كرامة قرب الملك تقول قولاً عجباً، قال وماهو؟ قالت مايجتري لساني على النطق به، قال قولي امنته مالزمت الحكمة، فقالت انها تقول ايها الملك المسلّط الى امد قريب انّي خفت بطشك بي فلم اظهر حتى عهدت الى بناتي ان يأخذن بثاري، وكأنّك بهن قد خرجن عليك فأما ان يعجلن الفتك بك وامّا ان ينقصن شهوتك وقوتك وصحتك، حتى تجد الموت، فقال اكتبي كلامك فكتبته فبقي يتدبر فنبذ ملكه وخرج سائحاً قال الشاعر:

يـاويح مـن فقـد الـشباب وغيّـرت ... منـه مفـارق رأسـه بخـضاب

يرجـو عمـارة وجهـه بخـضابه ... ومـصير كـل عمـارة لخـراب

انـي وجـدت أجـلَ كـلَ رزيـة ... فقـد الـشّباب وفرقـة الأحبـاب

ومن اسباب الدنيا والميل اليها النساء واطاعتهن، روي ان رجلاً من بني اسرائيل رأى في المنام انه خيَر ثلاث دعوات مستجابات بأن يصرفها حيث يشاء، فشاور امرأته في محلّ الصرف فرأت ان يصرف واحدة منها في حسنها وجمالها ليزيد حسن المعاشرة بينهما، فصرفها في ذلك فصارت جميلة فيما بين بني اسرائيل فاشتهر امرها الى ان غصبها ملك ظالم، فدعى الرجل غيرة بأن يصيّرها الله تعالى على صورة كلب فصارت كلباً أسود وجاءت الى زوجها وتضرعت اليه مدة حتى رق قلبه ودعى بأن يصيرها الله تعالى على صورتها الأولى، فصارت الدعوات الثلاث فيها، وهي كما كانت بشؤم المشاورة معها.

وحكي انَ خسروا الملك أتى اليه رجل بسمكة كبيرة فأمر له بأربعة الآف درهم، فقالت شيرين فكيف تصنع اذا احتقر من أعطيته شيئاً من حشمك وقال أعطاني ماأعطى الصّياد او اقل، فقال خسروالملك انّى الرجوع عن الهبة قبيح خصوصاً من الملوك، فقالت شيرين التدبير ان تدعوه، وتقول له هذه السّمكة ذكر ام انثى فان قال ذكر ام انثى فان قال ذكر فنقول انما أردت أنثى، وان قال أنثى فتقول له انما أردت ذكراً، فاستدعاه فسأله عن ذلك، فقال ايها الملك انّها خنثى لاذكر ولاانثى فاستحسن جوابه وأمر له بأربعة الآف درهم اخرى، فلمّا تسلم الصّياد ثمانية الآف درهم من الخزان ورجع سقط منها في الطريق درهم فاشتغل بأخذه، فقالت شيرين للملك

أنظر الى خسّته وغلبة حرصه فاستدعاه وسأله عن غرضه في اشتغاله بأخذ الدرهم الساقط فقال ايها الملك كان عليه اسمك وحكمك فخفت ان يطأه أحد برجله غافلاً عنه، فاستحسن ايضاً جوابه وأمر له بأربعة الآف درهم أخرى، وذهب الصياد باثني عشر ألف درهم، وأمر الملك منادياً ينادي الأمن دبّر أمره برأى النساء خسر درهماً او درهمين، والعجب انّ بعض المذنبين قد أيس من رحمة الله وباع حظّه الأوفر بهذه الدّنيا الدنية.

وروى الصدوق باسناده الى البزاز وقال كان بيني وبين حميد بن قحطبة الدوسي[١] معاملة فرحلت اليه في بعض الأيّام فبلغه خبر قدومي فاستحضرني للوقت وعلى ثياب السفر لم أغيرهما وذلك في شهر رمضان وقت صلاة الظهر، فلما دخلت عليه رأيته في بيت يجري فيه الماء، فسلمت عليه وجلست، فأتى بطشت وابريق فغسل يديه ثم أمرني فغسلت يدي، وأخضرت المائدة وذهب عنّي انّي صائم وانّي في شهر رمضان فأمسكت يدي، فقال حميد مالك لاتأكل؟ ثم ذكرت فقلت ايها الأمير هذا شهر رمضان ولست بمريض ولابي علة توجب الأفطار وانّي صحيح البدن، ثم دمعت عيناه وبكى، فقلت له بعد ما فرغ من طعامه مايبكيك ايها الأمير؟ قال أنفذ الى هارون الرشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل ان اجب، فلما دخلت عليه رأيت بين يديه شمعة تتّقد وسيفاً مسلولاً وبين يديه خادم واقف، فلمّا قمت بين يديه رفع رأسه اليّ فقال لي كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت بالنفس والمال، فأطرق ثم اذن لي بالإنصراف فلم ألبث في منزلي حتّى عاد الرسول اليّ وقال اجب امير المؤمنين، فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون أخاف ان يكون قد عزم على قتلي وانّه لّما رآني استحيا مني، فعدت الى بين يديه فرفع رأسه فقال كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت بالنّفس والمال والأهل والولد، فتبسم ضاحكاً ثم اذن لي بالإنصراف فلمّا دخلت منزلي لم ألبث ان عاد اليّ الرسول فقال اجب امير المؤمنين، فحضرت بين يديه وهو على حاله، فرفه رأسه اليّ فقال كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت بالنّفس والمال والأهل والولد والدين، فضحك ثم قال لي خذ هذا السّيف وامتثل مايأمرك به هذا الخادم، قال فتناول الخادم السيف وناولينه وجاء بي الى بيت بابه مغلق ففتحه فاذا فيه بئر في وسطه ثلاث بيوت ابوابها مغلقة ففتح باباً منها فاذا فيه عشرون نفساً عليهم الشعور والذّوائب، شيوخ وكهول وشبّان مقيدون.

فقال انّ امير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء وكانوا كلهم علوية من ولد علي وفاطمة عليهما السلام، فجعل يخرج الي واحداً بعد واحد فأضرب عنقه حتّى أتيت على آخرهم ثم رمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر، ثم فتح باب بيت آخر فاذا فيه ايضاً عشرون نفساً من العلويّة

---

(١) هو حميد بن قحطبة الطائي الطوسي، في بعض النسخ المطبوعة(الدوسي) وفي بعضها وكذا في المخطوطة(الطوسي) وفي عيون اخبار الرضا(ع) ايضاً(الطائي الطوسي) وفي بعض المواضع(حميد)بالتصغير.

من ولد علي وفاطمة عليهما السلام مقيّدون، فقال لي انّ امير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء ايضاً فجعل يخرج اليّ واحداً واحداً فأضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر حتى اتيت على آخرهم، ثم فتح باب بيت ثالث فاذا فيه مثلهم عشرون نفساً من ولد علي وفاطمة عليهما السلام مقيّدون عليهم الشّعور والذّوائب، فقال ان امير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء ايضاً فجعل يخرج اليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه فيرمى به في تلك البئر حتى اتيت على تعة عشر نفساً منهم وبقي شيخ منهم عليه شعر، فقال تبّاً لك يامشؤوم ايّ عذر لك يوم القيامة اذا قدمت على جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قتلت من اولاده ستين نفساً قد ولدهم علي وفاطمة عليهما السلام، فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي فنظر الى الخادم مغضباً وزبرني فأتيت على ذلك الشيخ ايضاً فقتله ورمى به في تلك البئر، فاذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستين نفساً من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما ينفعني صومي وصلاتي وانا لاشك اني مخلّد في النار، قال الصدوق طاب ثراه وللمنصور مثل هذه الفعلة في ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

اقول هذا الرجل وان افرط وتعدّى الحدّ في فعلته هذه من قتل هذه الذرية الطاهرة الاّ انه ماكان ينبغي له الأياس من رحمة الله بل كان يجب عليه الندامة ومداومة الأستغفار والذكر لعل الله يرضى عنه خصومه كما جاء في الرواية ان امرأة قتلت ولدها ثم ندمت فأتت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم نادمة على فعلها طالبة للتوبة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم لو قتلت في يومك سبعين نبياً ثم ندمت على مافعلت وعرف الله منك التوبة لتاب عليك ورحمك، نعم مثل هؤلاء الجماعة لايوفّق منهم للتوبة الاّ القليل، الا ترى الى الوحشي وهو قاتل الحمزة لّما ظهرت منه امارات التوبة والنّدامة قبل الله توبته، وقال صلى الله عليه وآله وسلم حمزة وقاتله في الجنة، والشيطان مع ماهو عليه من الضلال لم ييأس من الرحمة[1] كما جاء في الرواية عن الصادق عليه السلام قال ان امرأة من الجن يقال لها عفراء وكانت تنتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتسمع من كلامه فتأتي صالحي الجن فيسلمون على يديها وفقدها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسأل عنها جبرئيل عليه السلام فقال انّها زارت اختاً لها تحبّها في الله تعالى، فقال عليه السلام طوبى للمتحابين في الله ان الله تبارك وتعالى خلق في الجنة عموداً من ياقوتة حمراء عليها سبعون ألف

---

(١)روى الكليني ره في الكافي باسناده مضمراًكانه قال اعطى التائبين ثلاث خصال لو اعطي خصلة منها جميع اهل السماوات والأرض لنجوا بها وهو قوله عز وجل:ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فمن احبه الله لم يعذبه الحديث.

ولكن هذا الرجل كما ذكره الصنف(ره) لم يوفق للتوبة وطبع على قلبه وجائه اليأس من رحمة الله بسبب تلك الجناية التي اوردها على الذرية الطيبة واليأس من روح الله تعالى من الكبائر الموبقة.

قصر، في كل قصر سبعون ألف غرفة خلقها الله عز وجل للمتحابين في الله، وجاءت عفراء فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ياعفراء اين كنت؟ فقالت زرت اختاً لي، فقال طوبى للمتحابين في الله والمتزايرين ياعفراء أي شيءٍ رأيت؟ قالت رأيت عجائب كثيرة، قال فأعجب مارأيت؟ قالت رأيت ابليس في البحر الأخضر على صخرة بيضاء ماداً يديه الى السماء وهو يقول الهي اذا بروت قسمك وادخلتني نار جهنم فأسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الاّ خاصتني منها وحشرتني معهم، فقلت ياحارث ماهذه الأسماء التي تدعوه بها؟ فقال رأيتها على ساق العرش من قبل ان يخلق الله عز وجل آدم بسبعة آلاف سنة فعلمت انها اكرم الخلق على الله فأنا أسأله بحقهم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والله لو أقسم أهل الأرض بهذه الأسماء لأجابهم الله تعالى.

فان قلت مافائدة دعاء الشيطان هذا مع انه من الخالدين في النار والعذاب، قلت يجوز لأجل هذا الدعاء ان ينقله الله تعالى في طبقات النار من طبقة حارة الى ماهو أخفّ منها فيكون قد خلّصه من تلك النار التي كان فيها، فان للنار سبع طبقات ولكل طبقة انواع واهوال من العذاب، ويجوز ان يخلّصه الله سبحانه من النّار لحظة ثمّ يعود اليها مخلداً فيها، ويجوز ان يكون المراد من أهل الأرض من قوله صلى الله عليه وآله وسلم لو أقسم أهل الأرض من كان له قابلية استجابة الدعاء ممن أتصف بالأيمان والأسلام.

والأحسن هو ان يقال انّ الكلام على ظاهره من ان كل من دعى الله من أهل الأرض بهذه الأسماء اجابه الله تعالى سواء كان الداعي مؤمناً او كافراً او شيطاناً لكن اجابة الدعاء عبارة عن الجزاء الذي يكون بازائه سواء كان ذلك المدعو به او غيره، والشيطان وغيره اذا دعوا الله سبحانه بهذه الأسماء جاراهم الله سبحانه عليه امّا في الدنيا بتوسعتها ونحوه، واما في الآخرة بتخفيف عذاب ونحوه، فيصدق من هذا انّ الله تعالى أجابهم على الدّعاء.

وفي الأخبار المعتبرة انّ رجلاً عصى الله تعالى وقتل تسعة وتسعين رجلاً بغير حق فلمّا مضت عليه مدة ندم وقال أريد التوبة فأتى الى رجل عابد وحكى له ماصنع من القتل وقال اريد التوبة، فقال له ذلك العابد لاتوبة لك وحالك على هذا، فلما قال له هذا الكلام عمد الرجل الى ذلك العابد فقتله فبقي مدة، ثم أتى الى رجل عالم فقال له انّي قتلت مائة فهل لي من توبة؟ فقال نعم اقصد ارض كذا فانّ فيها نبياً او عالماً فامض اليه وتب على يديه، فمضى عليه فلما كان في عرض الطريق أتى أجله فأتته لقبض روحه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فتنازعتا في قبض روحه فقالت ملائكة الرحمة نحن نقبض روحه لأنه قصد ارض التوبة، وقالت ملائكة العذاب نحن نقبض روحه لأنه لم يتب بعد، فأوحى الله تعالى اليهم ام اذرعوا الأرض وانظروا الى أي

ارض هو اقرب، فلمّا مسحوا الأرض وجدوه الى ارض التوبة أقرب بذراع او بشبر فتبادرت اليه ملائكة الرحمة فقبضوا روحه في خبر آخر انّ الملائكة لّما قصدوا الى مساحة ارض التّوبة فطويت بعد ما كانت ابعد من تلك الأرض وهذا حاله مع المذنبين.

وبالجملة فكل بلاء الأنسان ومصائبه انّما هو من الدنيا والميل اليها حتى انه سأل بعض العارفين عن الطّريق الى الله تعالى فقال خطوتان وقد وصلت خطوة على النّفس وخطوة على الدنيا، فسمع بعض أهل العرفان هذا الكلام فقال طوّل ماقصر الله بل خطوة على النّفس وقد وصلت لأنّ الدنيا تصير حجاباً للعبد بواسطة النّفس وهو تعالى السّتّار على عبده.

روي انّ بعض الأنبياء سرق له حمار فقال الهي أنا نبيك سرق حماري فأطلعني عليه، فأوحى الله تعالى انّ الرجل الذي سرق حمارك سألني ان استره وأنا لاأردّه ولا أردّك فخذ منّي حماراً آخر حتى لايفتضح ذلك الرجل، وبالجملة فاستقصاء الكلام في الدنيا وتقلباتها وأحوالها يحتاج الى تأليف كتاب منفرد، نعم انّ من جملة الدّنيا اسباب الميل اليها لذاتها فلا بأس بذكرها في نور على حده.

(نور في لذات الدنيا بانواعها)

وبيان انّه لالذة في الدّنيا وانّ مافيها من اللّذات انّما هو دفع آفة بآفة اخرى

اعلم ان الدنيا كما عرفت بيت ضيق مظلم قد اجتمعت فيه انواع المخلوقات و اصنافها ففيه الحيات والعقارب والسباع والذئاب الضّواري وكلها قد قصدت ابن آدم وهو معها في ذلك البيت الضيق وهو يراها قاصدة اليه، وقد وقد وضع امامه شيء من الخبز ليأكله، فيأكل وينظر الى مامعه في ذلك المنزل الضّيق من الأفاعي والسّباع والعقارب وهي جوعانة وليس لها شيء تأكله سوى لحوم ابن آدم، فالأنسان من الجوع يأكل ما أمامه من الخبز لكنه ينظر الى مامعه من السّباع في حال أكله مترقّباً حين بعد حين لوصولها اليه، واهلاكها اياه، فمن كان هذا حاله كيف يلتذّ بأكل ام بشرب ام بنكاح ام بلباس، ولو فتحت عيني قلبك الذي تبصر به لوجدت حالك في الدنيا هو هذا بل انت اسوء حالاً ، اما العقارب فهم اقاربك الذين منهم من يتمنى موتك للميراث، ومنهم من يريده حسداً لك حيث فضّلت عليهم امّا بامور دنيوية او اخروية، ومنهم من يريد يتزوج بزوجتك بعدك الى غير ذلك من الأغراض، وياليتهم مثل العقارب فان الأغلب في العقرب واشباهه انّما يلدغ اذا اوذي وتعدى الأنسان عليه مع انّ لدغته تبرى في يوم واحد وامّا الأقارب ومايصل اليك في كل يوم من أنواع لسعهم وأذيّتهم فهو مما لاغاية له ولانهاية لأمده الى الموت.

واما الحيات فهم اخوانك الذي قال فيهم امير المؤمنين انّهم جواسيس العيوب ومن الحيّات ايضاً شياطين الجنّ والأنس الذين صرفوا لياليهم وأيّامهم في الفكر لإرادة مخادعك واضلالك والقائك الى حيات جهنم وأفاعيها التي ورد في الخبر لو انّ حيّة منها ظهرت الىالدنيا ونفخت فيها لما بقي فيها شجر ولامدر ولاجبل الاّ ذاب من سمّها.

وامّا السّباع فهي مصائب الدّنيا ودواهيها الحادثة يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة ونفساً بعد نفس كالهموم والأحزان والأمراض وفقد الأحبة الذي جعله امير المؤمنين عليه السلام عديلاً ليوم القيامة فقال لولا هول المطلع وفراق الأحبة لأردنا الموت، وأهول من هذا كلّه تذكرت الموت وسأبعده من الأهوال فانّي لأاظن احداً كان في لذة وذكر الموت ثم تمت له اللّذة.

حكى صاحب نزهة الأبرار انّ الرشيد زخرف مجلسه يوماً وبالغ فيه وصنع طعاماً كثيراً ثم وجّه الى ابي العتاهية فأتاه فقال له صف لنا مانحن فيه من نعيم هذه الدّنيا فأنشأ يقول:

عـش مابـــــدا لك سالمـــــا   في ظل شاهقة القصـــــور

فقال احسنت فقال:

فاذا النفـوس تقعقـــــعت[١]   في ضيق حـــشرجة الصّدور

فهـناك تعــــلم موقنــــــا   مــــــاكنــت الا في غرور

فبكى هارون الرشيد، فقال الفضل بن يحيى بعث اليك امير المؤمنين لتسرّه فأحزنته، فقال هارون الرشيد دعه فانّه رآنا في عمى فكره ان يزيدنا عمى، ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم اكثروا ذكر هادم اللّذات، وحكي ان الحجاج كان عنده جاريتان جميلتان وكان معجباً بهما مولعاً بعشقهما، فقال ان الناس يقولون ماتمّ فرح لأحد الى اللّيل وها أنا ذا أجلس بمجلس الطرب الى اللّيل، فلمّا كان الغد هيأ في مجلسه أحسن ما يكون وتخلّى عن الناس بخواصه وتلك الجواري، فلمّا مضى بعض النهار أمر بالشراب فشرب هو ومن كان في ذلك المجلس وشربت جارية من تلك الجواري فاختنقت بالشراب وماتت من ساعتها فبكى عليها بكاء كثيراً ومضى عامة ذلك اليوم بالحزن، فكان يوم سروره يوم عزاه ومصيبته، اذا عرفت هذا كله.

فاعلم انّ اللـذات الواقعـة في هـذه الـدنيا ثـلاث:الأولى اللّـذة الحسية وهـي قـضاء الشهوتين:البطن والفرج وتوابعهما، وهذه اللّذة أدون اللّذات الثلاث وأحقرها، الثانية اللّذة الخيالية وهي الحاصلة من الأستعلاء والرئاسة ونحوهما، الثالثة اللّذة العقلية وهي الحاصلة بسبب معرفة الأشياء والوقوف على حقائقها ووجه الحصر ان الأنسان أوّل مايحسن ويشعر باللّذة الأولى

---

(١) تقعقع اضطرب وتحرك.صوت عند التحرك.

لظهورها في بادي الرأي، ثم اذا توغل فيها وقضى وطره منها سمت نفسه الى المرتبة الثانية وهي حب الرئاسة ونفوذ الأمر والنهي، فاذا توغل فيها ورزق الوقوف على مافيها من الآفات والبليات ترقى منها الى الثالثة وهي العالية الحاصلة من ادراك حقائق الأشياء كما هي بقدر الطَاقة الشَبرية فلنتكلم في كل واحدة من هذه اللَذات وما تشتمل عليه ليظهر لك ماذكرناه في عنوان النور.

القسم الأول الكلام في اللَذة الحسيَة اعلم انَ مطالب الخلق من الأحوال المخصوصة (المحسوسة) محصورة في نوعين احدهما دفع الألم والثاني تحصيل اللَذة، اما دفع الألم الحسيَة فقد توصلوا اليه بطرق احدهما لبس الثَياب وذلك لأن جلد الأنسان لطيف يتأثر من الحر والبرد فاحتاج الى دفع هذا الألم الى لبس الثياب وبالحقيقة لبس الثوب ضرر لأنه اتعاب للبدن لكن لبس الثوب يدفع مضرة أعلى من هذه المضرة كما عرفت، فهو من باب دفع الضرر بالضَرر، ومثاله ماحكي انَ بعض الناس دخل على ابراهيم بن سيَار النَظام المتكلم فرأى في يده قدحاً من الدَواء المرَ فسأله عن حاله فانشد:

أصبـحت فـي دار بلـيَات ... أدفـــع آفات بآفـــات

وثانيها بناء الدَور والمساكن والمقصود منه انَ الأنسان خلق في مَمر الآفات، فاذا كان بغير بيت خاف على نفسه وماله وولده ومن يعنوه فاذا بنى البيت أمن من تلك الآفات، واما الذي يترتب على بناء البيت من التعب وبذل ماء الوجه ومعاداة الجيران والتَوصَل منه الى إعانة الظالمين فظاهر فهذا ايضاً من باب دفع آفة بآفة فلا لذَة فيه فان قلت قد يكون مع الأنسان من الثَياب مايدفع الحر والبرد فيتأنَق في لبس الثَياب الفاخرة تحصيلا للذَة لالدفع الألم، وكذا القول في البيوت وبنائها فلا يكون من باب دفع الألآم، قلت اذا تأملت حقَ التأمل ترى هذا ايضاً من ذاك وذلك لأنَ لبس الثوب الفاخر انَما يكون بعد منازعة النفس وطلبها إيَاه وتشوَقها عليه وتعبها في طلبه فيكون هذا ألماً نفسانياً يدفع بتلك الثَياب الفاخرة، ومن ثمَ لو لبس الأغنياء الثَوب الفاخر انما يكون بعد منازعة النفس وطلبها ايَاه وتشوقها عليه وتعبها في طلبه فيكون هذا ألماً نفسانياً يدفع بتلك الثياب الفاخرة، ومن ثم لو لبس الأغنياء الثوب الثَوب الفاخر لمن هو ادنى منهم لم يلتذَوا عند لبسه، وكذا في جانب المأكل والمسكن والمنكح وما ذاك الاَ لأنَ نفوسهم لم تطلبه منهم ولم تنازعهم على تحصيله، ومن ثمَ لَما كانت ملاذَ الجنة تحصل بمجرد الخطور في البال من غير مجاذبة مع النَفس فتكون لذة محضة لادفع ألم حسَي ونفسي.

واما الطرق الموصلة الى تحصيل اللَذات فهي قضاء شهوة البطن وقضاء شهوة الفرج، وقبل ان نبين مافيها من الدناءة والخسة والإهانة والتَشبه بالبهائم نذكر مقدَمة:وهي انَ البلغاء والأكابر اذا أراد الخوض في تحقير الدنيا يرجع حاصل كلامهم الى امور:

الأول انَها فانية فيجب على العاقل اجتنابها، فهو اشارة الى انَها في نفسها لذيذة وطيبة لكنها فانية.

الثاني قولهم انَ طيَباتها ممزوجة بالألآم وراحتها بالكدورات، وهذا ايضاً كالأول اشارة الى انَ فيها لذات طيبة لكن المانع للعاقل من ارتكابها ذلك المزج.

الثالث قولهم انَ الأراذل من الناس مشاركون الأفاضل في هذه اللّذات والراحات بل يزيدون عليهم فيها أضعافاً كثيرة حتى انَ العقلاء قد تحَيروا في هذا فقالوا:

كـــم عاقـــل أعيـــت مذاهبــــه وجاهـــل جاهـــل تلقـــاه مرزوقـــا
هـــذا الـــذي تـــرك الأوهـــام حـــائرة وصـــير العـــالم النَحريـــر زنـــديقاً

والأنصاف انَ صاحب هذا البيت وأمثاله لم يتفكروا في صنع الله تعالى ولم يدروا انَ الأرزاق على قسمين، قسم منها ماهو رزق للروح كالعلوم والمعارف، وقسم منها ما هو رزق للبدن كالمأكل والملابس والمناكح، فمن رزق من الأوَل حرم من الثاني وكذا العكس، فمن أرادهما معاً كان عديم الأنصاف، ولو نظرت الى جاهل جمع من الأموال مالا يحصى وأراد ان يبد لك ماله بعلمك حتى يكون لك جهله وحماقته لما رضيت ولما قبلت واذا كان الحال على هذا المنوال فلا ينبغي ان يصير العالم النَحرير زنديقاً.

وبالجملة فقول الأكابر ذلك يدل على انَ حالات الدنيا وان كانت لذَات لكن يجب تركه لرذالة الشركاء ودنائتهم، وأمَا الحكماء فإنهم قالوا ان هذه الأحوال ليست في أنفسها سعادات ولاخير بل هي أحوال خسيسة ومطالب دنيَة في ذواتها، واذا كان الأمر كذلك فيكون الكلام دائر على امرين، احدهما ان تلك الأحوال خسيسة في نفسها، وثانيها انَها وان كانت احوالاً شريفة الاَ انَه يلزمها لوازم مكروهة، امَا بيان الأمر الأول فيجيء على انواع.

النوع الأول أنَا رأينا الأنسان كلما كثر جوعه كان التذاذه بالأكل أتَم، وكلَما كان عهده بالوقاع أطول كان التذاذه ايضاً به أكمل، ولاشك انَ الجوع والأحتياج الى الوقاع ألمان شديدان فلمَا رأينا انه كلَما كانت هذه الألام أشدَ كان دفعها ألذَ وأطيب غلب على الظَن انه لامعنى لهذه اللذات والرَاحات الاَ مجرَد دفع تلك الألام السَابقة، الا ترى انَ من جلس في الحمام الحار وغلب استيلاء الحرارة عليه فاذا فتح الباب ودخل عليه نسيم بارد فانَ الأنسان يستلذَ ذلك الهواء البارد استلذاذاً في الغاية وما ذلك الاَ لأنَه عظم تألَمه بسبب الهواء الحارَ في الحمام، فلما وصل اليه النسيم البارد زال عنه تلك الحرارة المؤلمة فعلم منه انَه لاحاصل لتلك اللَذات الحسية الاَ دفع تلك

الألام، فيدلَ على انَ هذه الأحوال التي يتخيل انَها لذات في أنفسها ليست لذات بل لاحاصل لها سوى دفع تلك الألام.

الثاني انَ مع المعلوم بالبديهة انَه كلَما كان شهوة الفوز بالشيء أقوى وأكمل كانت اللَذة الحاصلة بسبب وجدانه أقوى وأكمل، فان لم تحصل تلك الشهوة لم تحصل اللذة بوجدانه، الا ترى انَ من رمى قلادة الدَر الى الكلب والعظم الى الأنسان فانَه لم تحصل اللَذة لواحد منهما، واذا عكس حصلت اللَذة فثبت انه كلما كانت الحاجة الى الشيء أشدَ كان الفوز به ألذَ، فثبت انَ مقدار اللَذة الحاصلة في الحال مساوية لمقدار المضرة الحاصلة بسبب الأحتياج اليه في الماضي، واذا كان الأمر كذلك فحينئذ تتقابل اللَذة الحاصلة في الحال بالألم الحاصل في الماضي واذا تقابلا تساقطا فصار كأنَه لم يوجد.

الثالث في بيان انَ هذه اللَذات الحسية خسيسة جداً وذلك انَها بأسرها لاتحصل الاَ بواسطة مخامرة رطوبات عفنة مستقذرة، امَا لذَة الأكل فالأمر فيها ظاهر لأنَ الأنسان لايلتذ بالطَعام الاَ اذا وضعه في فمه ولاشك انَ ذلك الطعام يمتزج بريق الفم ويختلط به وهو في نفسه شيء مستقذر، والدَليل عليه انَ تلك اللقمة الممضوغة لو سقطت من الفم فانَ الأنسان يستقذرها ولايمكنه ان يردَها الى فمه، وذلك يدل على انَ اللذة الحاصلة من الطعام لاتحصل الاَ عند انعجان ذلك الطَعام واختلاط اجزائه بتلك الرطوبات المستقذرة فهذا يدلَ على انَ العاقل انما يقدم على الأكل لا لأنه يعدَه سعادة وبهجة بل لأجل انَه خلق محتاجاً اليه ولولا احتاج اليه لما قدم عليه، وقد انشد عبد القاهر النَحوي هذا البيت:

لولا قضاء جرى نزَهت انملتي عن ان تلمَ بمأكول ومشروب

وامَا لذة الجماع فخاستها اظهر من ان تحتاج الى البيان، والدليل عليه انَ أخسَ أعضاء الإنسان هذه الأعضاء المخصوصة ولذلك سترها الله تحت الثياب وان أظهروا غيرها وهذه الأعضاء لاتفيد اللَذة الاَ عند المَاسة والتلطَخ بتلك الرَطوبات المتولَدة في داخل الأعضاء وتمام اللَذة انَما يحصل بانفصال النَطفة وهي ايضاً رطوبة عفنة فلا تكون من جنس الخيرات والسعادات بل يكون الأنسان كالمضطرَ اليها فاذا دفع تلك الآلام والأرجاع استراح فيظنَ انَها خيرات ولذَات وليس كذلك، ولذلك ترى الأنسان اذا فرغ من الجماع اخذه فتور البدن وضعف القوة وندم على مافعل، وكان رجل من الظَرفاء يقول لو حصل عندي الشاهدان العادلان عند فراغي من الجماع لطلَقت زوجتي للكراهة الحاصلة لي بعد قضاء الوطر منها.

الرابع في خساسة تلك الأحوال انَ العقلاء اذا رأوا رجلاً أكولاً ذمَوه ونسبوه الى طبيعة الحيوانات، اما اذا قلل الأكل والشَرب عظَموه ونسبوه الى طبيعة الملائكة.

الخامس انّ اللّذة الحاصلة عند الأكل لذّة ضعيفة جداً وكمالها انما يحصل في اللّقمة الأولى والثانية عند حصول الجوع الشّديد فاذا فتر الجوع فأتت الرّغبة فضعف الألتذاذ بالأكل، فثبت انّ زمان حصول هذه اللّذة زمان قليل، ولذا تقول الناس يقولون ان الله تعالى رفع اللّذة عن اطعمة الأغنياء وودّعها في اطعمة الفقراء وذلك ان الأغنياء لايشتد جوعهم فلايلتذّون بالطعام بخلاف الفقراء.

السادس انه هذه اللّذات حقيرة جداً وذلك لأنّ اللّذات الجسمانية المرغوب فيها كثيرة جدّاً والحاصل منها ليس الا القليل، وذلك يوجب التّعب الشّديد وذلك لأنّ الأنسان يبصر بعينه جميع مافي المبصرات واذا أبصر شيئاً فقد يميل طبعه اليه فيصير ذلك سبباً لإشتداد رغبته في تحصيله، وكذلك القول في القوة السّامعة فانّها تسمع اشياءً كثيرة تميل اليها وتتألم من سماع القبيح.

وبالجملة فالقلب بمنزلة المرآة المنصوبة على جدار وكان ذلك الجدار ممراً لأكثر موجودات هذا العالم وكلّما مرّ به شيء ظهر من ذلك الشيء فيه أثر، فان كان موافقاً مال طبعه اليه فان لم يقدر على تحصيله تألّم قلبه، فثبت بهذا الطريق انّ قلبه لابدّ وان يكون ابداً مستغرقاً في الهموم والآلام، واما الفرح فانّما يحصل اذا حصل المطلوب ودفع المكروه وذلك قليل في جنب كثير، فثبت انّ الغالب على هذا العالم هو الهموم والأحزان، وامّا اللّذة فقليلة جداً ومن المعلوم ان النادر في جنب الراجح كالمعدوم بالنسبة الى الموجود، والذي يؤيد هذا ويؤكده ماروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انّه رأى جابر بن عبد الله وقد تنفّس الصعداء فقال ياجابر علام تنفسك اعلى الدنيا؟ فقال جابر نعم، فقال ياجابر ملاذ الدّنيا سبعة:المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمركوب والمشموم والمسموع، فألذ المأكولات العسل وهو من فضل الذّباب، وأجل المشروب الماء وكفى بإباحته وسياحته على وجه الأرض، وأعلى الملبوسات الديباج وهو من لعاب دودة، وأعلى المنكوحات النساء وهو مبال في مبال، وانّما يراد أحسن مافي المرأة لأقبح مافيها وأعلى المركوبات الخيل وهن قواتل، وأجلّ المشمومات المسك وهو دم من سرّة دابّة وأجل المسموعات الغناء والترنم وهو اثم، فما هذه صفته كيف يتنافس عليه، قال جابر بن عبد الله فوالله ماخطرت الدنيا بعد على قلبي.

القسم الثاني الكلام في اللّذات الخياليّة وهي لذّة الرئاسة ونحوها ويدل خستّها أمور:

الأول كل احد يجب ان يكون هو الرئيس للغير وان يكون كل من سواه تحت قدرته وتحت تصرفه وحكمه، وذلك لأنّ كون الأنسان قادراً على الغير نافذ التصرف فيه صفة الكمال محبوبة لذواتها، وكونه مقدوراً للغير ومحلاً لتصرف الغير صفة النقص وصفة النقص مبغوضة

لذاتها، فثبت انَ طبع كل احد يحمله على ان يكون هو الرئيس لغيره وهو المتصرف في غيره، وان يمنع غيره من ان يكون رئيساً حاكماً عليه، واذا كان كذلك فالساعي في تحصيل الرئاسة لذلك الأنسان المعين ليس الاَ ذلك الأنسان، واما كل من سواه فانهم يسعون في إبطال تلك الرئاسة وفي اعدامها واذا كان كذلك فذلك الأنسان الواحد هو السَاعي في حصول تلك الرئاسة، واما جميع اهل المشرق والمغرب فكلهم يسعون في ابطالها ودفعها واعدامها، والمطلوب الذي يقل السَاعي في تحصيله ويكثر الساعي في ابطاله يكون صعب الحصول جداً، وكل ماكان كذلك كان السَعي في طلبه منشأ للهموم والأحزان وكان العقل مانعاً من طلبه وحاكماً بوجوب الأحتراز عنه.

واما اعوان السلاطين وأشباههم فهم انَما يحبون الرئاسة للسلطان اذا علموا تعذر الوصول اليها مع انَ سعيهم انَما هو في نفع انفسهم ولأجل طلب الرئاسة على غيره.

الثاني انَ الرئاسة لاتقف على حد فقبل الوصول اليها هو في ألم طلبها فاذا فاز بها يكون في ألم طلب الزيادة عليها حتى ينصرف(يصرف ظ) عمره في ألم الطَلب كما هو المشاهد من أحوال الحكَام والسلاطين.

الثالث انَ الشيء كلَما كان ألذَ كانت الرغبة في تحصيله أشد(اكثر ظ) وكانت الرغبة في ازالة العوائق عنها اشد وحصول الرئاسة للغير من اشد الأشياء عائقاً عن حصولها فكانت الرغبة في ابطال ذلك العائق اعظم الرغبات، فثبت ان كل من رغب في تحصيل الرئاسة فقد رغب الناس في قتله وقوى ميلهم الى افنائه وابطاله، ومن شاهد الأمراء والملوك عرف انَ الأمر هكذا، لكن من المعلوم انَ الحياة أصل لجميع النعم والرئاسة فضيلة زائدة، فكلما كان السعي في طلب هذه الفضيلة الزائدة يوجب السعي في ابطال الأصل كان باطلاً لأنَ كلَ فرع أفضى الى بطلان الأصل كان باطلاً.

الرابع انَ الأنسان اما يمون افضل من غيره او مساوياً له او اقل حالاً منه فان كان افضل من غيره فكونه أفضل حالة مكروهة لذلك الغير فذلك الغير يسعى بكل ما يقدر عليه في ابطال تلك الفضيلة عن الراجح، فان كان ذلك الرجحان بصفة قابلة للزوال مثل كونه ملكاً حاكماً فالأعداء يسعون في ابطالها وازالتها بأقصى مايقدرون عليه، وان كان ذلك الرجحان بصفة لايمكن ازالتها مثل العلم فهيهنا للأعداء طريقان:

احدهما انَهم ان امكنهم اخفاء تلك الفضيلة بطريق من الطرق فعلوه، وذلك بإلقاء الشَبهات في كلامه وتشويش دلائله.

والثاني انهم ان عجزوا عنه نسبوه الى انواع القبائح ليصير اتصافه بتلك القبائح والفضائح مانعاً من حصول صفة الكمال له والتجربة يدلّ على انّ الرجل الكامل لابدّ وان يكون مبتلى بهذه الأحوال.

واما ان كان مساوياً لغيره فالوحدانية صفة كمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والشركة صفة نقص والنقص مكروه لذاته، واذا ثبت هذا فالشركاء يسعون بأقصى الوجوه في ابطال الشركة واظهار انه افضل وأكمل من ذلك الشخص الذي يعتقد فيه كونه شريكاً له، وذلك السعي يكون تارة بالقاء الشبهات في كونه موصوفاً بتلك الفضيلة التي فيها وقعت الشركة، وتارة بادّعاء كونه موصوفاً بصفة من صفات القبح والنقصان ليصير ذلك مانعاً من كون ذلك الغير شريكاً له في الفضيلة، وامّا اذا كان أدون حالاً من غيره فهذا الشخص لايلتفت اليه بل الأطباء قالوا انه متى صار عضو من الأعضاء ضعيفاً فانّ الأعضاء القوية ترسل اليه جميع الفضلات.

الخامس ان الأنسان امّا ان يكون في الألم او في اللذة ويكون اليأ عنهما، فان كان في الألم والمضرة فلا شك انه حالة منفردة مكروهة، وان كان في الخيرة واللذة فلا شك انه عالم بأحوال هذه الدنيا غير باقية بل هي سريعة الزوال مشرفة على الأنقراض والأنقضاء فكلما كانت الحالة التي يكون الأنسان فيها ألذّ وأطيب كان خوف الزوال أشدّ ايلاماً للقلب واعظم تأثيراً في هذا المعنى، وامّا ان كان الأنسان خالياً عن الألم واللذة فانه يكون كالمعطل الباطل وهذه الحالة مكروهة، وهذا الوجه مجرب عند العقلاء وأشارت اليه الشعراء حتى ان بعضهم طلب ايام الفراق وكره ايّام الوصال لعدم دوام حالات الزمان واموره.

السادس انّ شعور الأنسان بالكيفيات المحسوسة انّما يكون حال حدوثها له امّا حال بقائها فلا شعور بها فاللذات الحاصلة من هذه المحسوسات لايحصل في حال الشعور بها وحال حصول الشعور بها ليس الا حال حدوثها ينتج ان الألتذاذ بهذه المحسوسات لايحصل الا حال حدوثها فاذا لم يحصل الألتذاذ في حال البقاء والطّبع طالب اللذة صار طالباً لشيء آخر فعلى هذا لو انّ الأنسان ملك خزائن الأرض كلها فإلتذاذه بها لايكون الا حال حدوثه ثم عند الفراغ يطلب شيئاً آخر ويحاول تحصيل الزيادة وبسبب ذلك الطلب والحرص يحصل في قلبه ألم الشوق ومضرة الطلب، فثبت انّ هذا البلاء ممّا لاسبيل الى دفعه.

السابع ان الأنسان اذا فتح باب الحرص على نفسه فقد ينتهي ذلك الى ان يصير طالباً للجمع بين الضدين ومثاله انّ القدرة صفة كمال وهي محبوبة بالذات والأستغناء عن الغير صفة كمال فتكون محبوبة بالذات، اذا عرفت هذا فنقول:انّ الرجل اذا مال الىطبعه الى السخاوة والجود فهذه السخاوة من حيث انها تدل على انّ قلبه غير ملتفت الى حب المال صارت كأنها

مطلوبة ومن حيث انها تقضي خروج المال من يده وخروج المال عن اليد يوجب نقصاناً في القدرة الحاصلة بسبب المال والنقصان في القدرة مكروه صارت السخاوة من هذه الجهة مكروهة منفردة وجميع الخلق موصوفون بهذه البليّة، ولأجل ميل الطبع الى حصول المدح والثناء والتعظيم يحبون الجود والسخاوة، ولأجل فوت القدرة الحاصلة بسبب ذلك المال يبغضونه، فلهذا السبب بقي كل الخلق في موقف المعارضة والترجيح، فمنهم من ترجّح عنده ذلك الجانب فيبذل المال، ومنهم من المعارضة والترجيح، فمنهم من ترجّح عنده ذلك الجانب فيبذل المال، ومنهم من ترجّح عنده الجانب الثاني فيمنع، ومنهم من بلغ في الجهالة الى حيث يريد الجمع بين الوجهين فيعد الناس بالجود والسخاوة والمروّة والكرم طمعاً منه في انّه ربّما فاز لهذا المعنى بالمدح والثناء ثم انّه عند حضور الوقت لايفي به فحينئذ يقع في الفضائح، واذا تأملت احوال أهل الدنيا علمت انّهم بأسرهم داخلون تحت البلاء المتولّد من هذه القضيّة، اما في الكثير منه او القليل.

الثامن انّ الأنسان امّا ان يسد باب الأنعام على الغير واما ان لايسده وفي كل واحد من هذين الطّرفين آفات كثيرة، امّا آفات القسم الأول فامور:

أولها انّ كل من اشتهر عند الناس بالبعد من الخير والنفع أبغضوه، وكل من صار بغيضاً عند الكلّ فوصول الآفة اليه أسرع من كل شيء.

وثانيها انّ الناس اذا عرفوا منه تلك الصفة بغضوه ولم يلتفتوا اليه، وكل من علم من الناس انّهم انّما ينظرون اليه بعين المقت والأزراء فانّه يضيق قلبه وتتألم روحه، وثالثها انّه اذا لم يظهر منه خير صار كالجماد وكالعدم وهذه حالة منفردة جداً.

وامّا القسم الثاني فآفاته كثيرة ايضاً منها انّ ايصال الخير الى الكل محال فلا بد من ايصاله الى البعض دون البعض وذلك يصيره سبباً للعداوة الشديدة فانّه يقول له لم منعتني خيرك وأوصلته الى غيري، ومنها انّ الذي وصل اليه الخير مرّة يلتذّ بذلك الخير والألتذاذ سبب للطلب فيبقى ابداً طامعاً في ذلك الرجل وايصال الخير اليه في كل حين وساعة متعذر فيصير ذلك سبباً للعداوة الشديدة، ولهذا قيل اتق شر من احسنت اليه، ومنها انّ المقدار الذي وصل اليه من الخير يصير معتاداً بالوفاء ويصير كالأمر المستحق فيقع في قلبه طلب الزيادة عليه فيصير ذلك سبباً قوياً في العداوة، فثبت ان على التقديرين أعني باب سدّ الخيرات وفتحها لايسلم الأنسان عن الضرر، وللإشارة الى هذه الأحوال قال صلى الله عليه وآله وسلم لقريش لاتسعوا الناس بأموالكم ولكن سعوهم بأخلاقكم.

التاسع انَ الأنسان امَا ان تفرغ جميع الخلق ويعتزل عنهم واما ان يخالطهم ويصاحبهم وعلى كلا التقديرين فالضرر لازم، اما الأول فلأن الأنسان مدني الطبع ومالم يجتمع مع الجمع العظيم فانَ مصالحه لاتنتظم.

وامَا الثاني ففي معاشرة النّاس ارتكاب الغيبة والنميمة والرياء وسائر اسباب مهالك الدارين.العاشر انَ الأنسان اما ان يعيش في الدنيا خالياً عن الزوجة والولد او معهما وكل واحد من القسمين سبب لحصول الآفات والبليّات، امَا مع الزوجة والولد فلا يحتاج الى البيان، امَا الزوجة وهي كما قال سبحانه لأبراهيم عليه السلام انَ مثلها كالضَلع الأعوج فدعه اعوجاجه واستمتع به مع انَ الأفعى التي تكون مغع الأنسان تلدغه ساعة بعد ساعة أسهل وأخف على الأنسان من امرءة السوء، وقال بعضهم انّه لاامرأة في الدنيا الا وهي امرأة سوء لكنهنَ يتفاوتن في مراتب السوء، ونقل اخلاقهنَ وذمائم أفعالهن يحوج الى تأليف عشرة آلاف كتاب بل أزيد.

وامَا الولد فان كان جيداً كان خوف موته ينغض(ينقص خ) جميع الطيّبات، وان كان رديئاً تألم القلب عند حياته تألماً يزيد على كل الآلام والآفات، ومن ذلك روى انَ علياً عليه السلام رأى رجلاً ومعه ولده لاتحبّه فانّه ان عاش كدّك وان مات هدك[١] وان كان خالياً عنهما فمشقّته ظاهرة ايضاً.

الحادي عشر انَ هذه الحياة هل هي طيبة لذيذة في نفسها او ليست كذلك، والقسم الأول باطل لأنَ الشيء الطيّب المستلذ كلّما كانت مشاهدته أكثر كان الألتذاذ به أقوى وأكمل فكان يجب ان يكون الأنسان الفارغ عن كل الأعمال والأقوال المراقب لمرور الساعات والأوقات عليه حال كونه حيّاً يعظم التذاذه لذلك لأنّه على هذا التقدير يشاهد اللّذيذ المشتهى وهذا باطل لأن المعطل عن كل الأعمال يضيق قلبه ولايمكنه تحمل ذلك، ولذلك صار الملوك يشغلون أنفسهم بالصيد واللّعب حذراً من التّعطيل وكذا غيرهم، وامّا ان لايكون الحياة لذيذة في نفسها فهذا ايضاً باطل وذلك لأنَ كلَ حيوان يكره الموت ويفرَ منه واذا تخيّل نزول الموت به دفعه على اقوى الوجوه.

الثاني عشر انَ الأنسان امَا ان يكون رئيساً على الغير او لايكون وفي كل واحد من القسمين انواع من الآفات، اما القسم الأول فنقول انَ الرئاسة انّما تكون لذيذة اذا كان احوال الخدم واقعة على وفق ارادة الرئيس وكلّما كان عدد الخدم اكثر كانت ارادات الرئيس اكثر، وكلما كانت الأرادات اكثر كانت الآلام الحاصلة بسبب فوت تلك المرادات اكثر لكن من المعلوم

---

(١)هدك هدكا البناء:هدمه.

انَ حصول المرادات الجسمانية ابداً كالممتنع لأنَ اجسام هذا العالم مبنيَة على التغيير والتبدل وسرعة الأنقضاء فانَها كالزيبق تتبدل من حال الى حال، فثبت انه كلَما كانت الرئاسة اكثر واعظم كانت الحسرات والزفرات والغموم والهموم أقوى وأكثر.

وامَا القسم الثاني وهو ان لايكون رئيساً فهو(اماظ) ان يكون معطلاً محروماً وامَا ان يكون خادماً ضعيفاً وكلاهما منفزان.

الثالث عشر انَ حصول الرئاسة اما ان يكون مع العدل او يكون مع الظَلم وكلاهما منفران، امَا مع العدل فهو متعذر لأنَه يقتضي تسليم الرئاسة الى من هو الأحقَ بها، واما مع الظلم فهو موجب لتحقير الدنيا وعذاب الآخرة.

الرابع عشر انَه لايمكن اجراء الرئاسة على الظَاهر الاَ مع الكذب والتزوير فان الرئيس الكامل لوشافه كل أحد بأنَك لاتستحق عندي الا القدر الفلاني من التعظيم وانَك دون فلان وفلان لتشوشت رئاسته واختَلت ولايته بل لابد وان يقول لأكثر اصحابه انَك أفضل الناس وأكمل اصحابي عليَ وعليك اعتمادي وهو يعلم انَ كل هذا القول زور وبهتان.

الخامس عشر انَ الرئاسة لاتحصل الاَ بالأتفاق الكثير وهو لايمكن الاَ بالمال الكثير ولاريب في انَ تحصيله شاقَ فلو لم يكن للرئيس من المشاق الاَ تعلق قلبه بتحصيل الأموال الكثيرة وصونها عن اللصوص والسرَاق لكفى ذلك تعباً ومشقة فكيف وانَه يحتاج الى تحصيل تلك الأموال من غير حلها فيستحق اللَعن، وكل من اعطاه منها شيئاً يستقلَه بالنظر الى مايتوقع منه، فيستحق منه الطعن فتكون حاله دائرة بين اللَعن والطَعن.

السادس عشر انَ هذا الرئيس امَا ان يكون حسن المعاشرة طيَب الخلق غير مهيب، او يكون هناك مهيباً معظماً، اما الأول فبأنه اختلط معهم لم يحتشموه ولم يبق له في قلوبهم وقع ولاينقادون له، وهذا من اسباب زوال الملك، وامَا الثاني فانَهم اذا خافوه ربَما قصدوا قتله فلا بدَ له حينئذ من التوسط بين الحالتين وهو غير معلوم ومقداره غير مضبوط، فربَما وقع الغلط من الرئيس في موارده فمن ثم يكون الرئيس دائماً في مقام الخوف.

السابع عشر انَ ذلك الرئيس امَا ان يساوي بين جميع اصحابه في العطيَة او يفضل بعضهم على بعض وفي كليهما زوال الرئاسة كما لايخفى.

الثامن عشر حقيقة الرئاسة انَ ذلك الرجل يلتزم باصلاح جميع مهمات الخلق وعقل الأنسان لايفي باصلاح مصالح نفسه فكيف يفي باصلاح مهمات الخلق العظيم.

القسم الثالث في اللَذات العقلية الحاصلة بسبب العلوم، اعلم انَ العلوم امَا عقلية وامَا وضعية، فأما العلوم الوضعية فلا ينتفع بها الاَ بسبب مصالح الحياة الجسمانية، والتبع لايكون

اكمل من الأصل لما قد سبق من خساسة الحياة الجسمانية ومن هنا ترى انَ اكثر العلوم التي ترى الخلق مقبلين عليها علوم خسيسة فانَه لافائدة فيها الاّ اعانة المصالح الدنيوية، واما العلوم العقلية وهي امّا ان تكون مطلوبة لذاتها او لغيرها.

الثاني كالمنطق وشرفه مرتب على شرف ذلك الغير، والأول هو معرفة الاله وهو أشرف العلوم ولكن من ذا الذي الى عتبة تلك الحضرة العلية ومن ذا الذي شمَ رائحة تلك الحديقة الزاهرة فحاصل العقول كلّها ظنون وخيالات ومنتهى الأمر أوهام وحسبانات.

قال الرازي هذه الأشياء المسمّاة بالبراهين لو كانت في أنفسها براهين لكان كل من سمعها ووقف عليها وجب ان يقبلها وان لاينكرها أصلاً، وحيث نرى انَ الذي يسميَه احد الخصمين برهاناً فانَ الخصم الثاني يسمعه ويعرفه ولايفيد له ظنّاً ضعيفاً علمنا انَ هذه الأشياء ليست في أنفسها براهين بل هي مقدمات ضعيفة انضافت العصبية والمحبّة يحتجّ فتخيل بعضهم كونه برهاناً مع انَ الأمر في نفسه ليس كذلك، وايضاً فالمشبّه يحتجّ على القول بالتشبيه بحجة ويزعم انَ تلك الحجة أفادته الجزم واليقين، فاما ان يقال انَ كل واحدة من هاتين الحجتين صحيحة فحينئذ يلزم صدق النّقيضين وهو باطل، وامّا ان يقال احديهما صحيحة والأخرى فاسدة الاّ انه متى كان الأمر كذلك كانت مقدمة واحدة من مقدمات تلك الحجة باطلة في نفسها مع انَ الذي تمسك بتلك الحجة جزم بصحة تلك المقدمة ابتداءً فهذا يدل على انَ العقل يجزم بصحة الفاسدة جزماً ابتداء فاذا كان الأمر كذلك كان العقل غير مقبول القول في البديهيات، واذا كان كذلك فحينئذ تنسدّ جميع الدلائل.

فان قالوا العقل انّما جزم بصحة ذلك الفاسد لشبهة متقدمة، فنقول قد حصل في تلك الشّبهة المتقدمة مقدّمة فاسدة، فان كان ذلك لشبهة اخرى لزم التسلسل، وان كان ابتداء فقد توجّه الطّعن، وايضاً فانّا نرى الدلائل القوية في بعض المسائل العقلية متعارضة مثل مسئلة الجوهر الفرد، فانا نقول كلَ متحيز فانَ يمينه غير يساره وكلما كان كذلك فهو منقسم، ينتج ان كل متحيز منقسم ثم نقول الآن الحاضر غير منقسم والا لم يكن كلّه حاضراً بل بعضه، واذا كان غير منقسم كان أول عدمه في آن آخر متصل بآن وجوده فلزم تتالي الأنات ويلزم منه كون الجسم مركباً من اجزاء لاتتجزى، فهذان الدّليلان متعارضان ولانجد جواباً شافياً عن احدهما، ونعلم ان احد الكلامين مشتمل على مقدمة باطلة وقد جزم العقل بصحتها ابداً فصار العقل مطعوناً فيه.

ثمَ أخذ في تفصيل هذه الوجوه بكلام طويل فظهر من هذا كلّه انَ اللّذات الحسيَة خسيسة واللّذات الخيالية مستحقرة، واما اللّذات العقلية فلا سبيل الى الوصول اليها والقرب منها والتّعلق بها على انّا نقول انَ المناقضة في الأستدلال وفي تعارض الدليلين العقليين يكون موجوداً بالنّسبته

الى الشخص الواحد، فانّا اذا نظرنا في تحصيل مجهول رتّبنا له مقدمات نزعم انّها بديهية، فلما نظرنا في تلك المقدمات وحصل عقيب ذلك النّظر اعتقاد سمينا ذلك الأعتقاد علماً، ثم ينكشف لنا بعده بطلان ذلك الأعتقاد وفساده مع ترتب ذلك الأعتقاد على المقدمات التي كانت بزعمنا بديهية، فعلم من هذا انّ حال غيرنا نافي الأستدلال مثل حالنا، والغلط الذي يعرض لغيرنا فكيف يحصل لنا الجزم من تلك الحجج والبراهين اذا عرفت هذا كله.

فاعلم ان هيهنا بحث شريف حققناه في شرحنا على تهذيب الحديث ولابأس بالإشارة هنا ايضاً الى مجمله وحاصله انّ اكثر الأصحاب قد تبعوا جماعة من مخالفينا من أهل الرأي والقياس ومن أهل علم الطّبيعة والفلاسفة وغيرهم من الذين اعتمدوا على العقول واستدلالاتها وطرحوا ماجاءت به الأنبياء عليهم السلام حيث لم يأت على وفق عقولهم، حتى انّه نقل ان عيسى عليه السلام لَمّا دعى افلاطون الى التصديق بما جاء به أجاب بأنّ عيسى رسول الى ضعفاء العقول وامّا انا وامثالي فلسنا نحتاج في المعرفة الى ارسال الأنبياء والحاصل انّهم مااعتمدوا في شيء من امورهم الا على العقل فتابعهم بعض اصحابنا وان لم يعترفوا بالمتابعة، فقالوا انّه اذا تعارض الدليل العقلي والنقلي طرحنا النقلي او تأولناه الى مايرجع الى العقل، ومن هنا تراهم في مسائل الأصول يذهبون الى اشياء كثيرة قد قامت الدّلائل النّقلية على خلافها لوجود ماتخيّلوا انّه دليل عقلي كقولهم بنفسي الإحباط في العمل تعويلاً على ماذكروه في محله من مقدمات لاتفيد ظنّاً فضلاً عن العلم، وسنذكرها ان شاء الله تعالى في انوار القيامة مع وجود الدلائل من الكتاب والسنّة على انّ الأحباط الذي هو الموازنة بين الأعمال واسقاط المتقابلين وابقاء الرجحان حق لاشك فيه ولاريب يعتريه، ومثل قولهم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يحصل له الأسهاء من الله تعالى في صلاة قط تعويلاً على ماقالوه من انّه لوجاز منه السهو في الصلاة لجاز عليه في الأحكام مع وجود الدلائل الكثيرة من الأحاديث الصحاح والحسان والموثقات والضعفاء والمجاهيل على حصول مثل هذا الأسهاء، وعلل في تلك الروايات بأنه رحمة للأمة لئلا يعبر الناس بعضهم بعضاً بالسَهو، وسنحقق هذه المسئلة في نور من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى الى غير ذلك من مسائل الأصول.

واما مسائل الفروع فمدارهم على طرح الدّلائل النقلية والقول بما أدّت اليه الأستحسانات العقلية، واذا علموا بالدلائل النّقلية يذكرون اولاً الدلائل العقلية ثم يجعلون دليل النّقل مؤيداً لها وعاضداً ايّاها، فيكون المدار والأصل انّما هو العقل وهذا منظور فيه لأنّا نسألهم عن معنى الدّليل الذي جعلوه أصلاً في الأصولين وفي الفروع فنقول ان اردتم به ماكان مقبولاً عند عامة العقول فلا يثبت ولايبقى لكم دليل عقلي، وذلك كما تحققت من ان العقول مختلفة في

مراتب الأدراك وليس لها حدّ تقف عنده، فمن ثم ترى كلاً من اللاحقين تتكلم على دلائل السابقين وينقصه ويأتي بدلائل اخرى على ماذهب اليه، ولذلك لاترى دليلاً واحداً مقبولاً عند عامة العقلاء والأفاضل وان كان المطلوب متحداً، فانّ جماعة من المحققين قد اعترفوا بأنه لم يتم دليل من الدلائل على اثبات الواجب، وذلك انّ الدلائل التي ذكروها مبنية على بطلان التسلسل ولم يتم برهان على بطلانه فاذا لم يتم دليل على هذا المطلب الجليل الذي توجهت الى الأستدلال عليه كافة الخلائق فكيف يتم على غيره ممّا توجهت اليه آحاد المحققين وان كان المراد به ماكان مقبولاً بزعم المستدل به واعتقاده فلا يجوز لنا تكفير الحكماء والزنادقة ولاتفسيق المعتزلة والأشاعرة ولا الطعن على من ذهب الى مذهب يخالف مانحن عليه، وذلك انّ اهل كل مذهب استندوا في تقوية ذلك المذهب الى دلائل كثيرة من العقل وكانت مقبولة في عقولهم معلومة لهم ولم يعارضها سوى دلائل العقل لأهل القول الآخر او دلائل النقل وكلاهما لايصلح للمعارضة على ماقلتم لأنّ الدليل النَقلي يجب امّا تأويله او طرحه ودليل العقل لهذا الشخص لايكون حجة على غيره لأن عنده مثله ويجب عليه العمل بذاك، مع انّ الأصحاب رضوان الله عليهم ذهبوا الى تكفير الفلاسفة ومن يحذوا حذوهم وتفسيق اكثر طوائف الأسلام، وماذاك الا لأنهم لم يقبلوا منهم تلك الدلائل ولم يعدوها من دلائل العقل.

فان قلت فعلى ماذكرت من عدم الأعتماد على الدليل العقلي فلا يكون معتبراً بوجه من الوجوه، قلت بل الدَليل العقلي ينبغي تقسيمه الى اقسام ثلاثة:

الأول كان بديهياً ظاهراً في البداهة ولايعارضه آخر مثل الواحد نصف الأثنين ومافي درجته من البديهيات.

الثاني ماكان دليلاً عقلياً نقلي الاّ انّ ذلك العقلي قد تعاضد مع نقلي آخر فهذا ايضاً يترجَح على الدَليل النَقلي عند التَعارض ولكنَ التعارض في الحقيقة انّما هو بين النقليات، وذلك كما دلّ الدليل العقلي على انّه تعالى ليس في مكان، ودل قوله تعالى الرحمن على العرش استوى، على المكان ظاهراً فيجب ترجيح ذلك العقلي لتأيّده بالنَقليات الدالة على انّه تعالى منزّه عن الكون والمكان.

الثالث ماتعارض فيه محض العقل والنقل من غير تأيّد بالنَقل فهذا لانرجّح فيه العقل بل نعمل بالنقل ولاتستغرب مثل هذا فانه مدلول الأخبار الصحيحة الصَريحة فيه، وذلك انّهم عليهم السلام قد نهوا عن الأعتماد على العقول لأنّها ضعيفة لاتدرك الأحكام ولاعللها وماحصل محققوا أصحابنا رضوان الله عليهم دلائلهم العقلية الاّ بسبب ورود النَقل بمضمونها فأيّدوا النقل بذلك

الدليل لكنهم في كثير من المواضع يهملون مثل هذا ويعولون على العقل ويطرحون النقل لأجله، والحاصل ان لذات الدنيا هذه كلها خيالات، ولذا قال الرازي:

نهاية أقدام العقول عقال ... واكثر سعي العالمين ضلال
وارواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى ان جمعنا فيه قيل وقال
وكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال فزالوا والجبال جبال

فهذه احوال الذات المحللة واما لذاتها المحرمة فعليها عقاب الدارين.

واما الزنا فقد تقدم بعض احواله، وروي عن الباقر عليه السلام انه قال لايزني الزاني وهو مؤمن ولايسرق السارق وهو مؤمن، ومعناه في حديث آخر ان روح الأيمان تفارقه مادام على بطن المرأة فاذا قام من بطنها رجعت اليه، واما وباله الراجع اليه فهو ان الزاني على ماروي انه لايزني الا وقد زنى به او يزنى به وان زنى بأولاد الناس او لاط بهم زني بأولاده وليط بهم، وان زنى بنساء الناس زنى بامرأته.

روي انه كان في زمن داود عليه السلام رجل فاسق، فأتى يوماً الى امرأة فجبرها على الزنا فلما قعد على بطنها ألهمت تلك المرأة ان قالت له أنت تزني بي وفي هذه الساعة رجل يزني بإمرأتك، فقام ومضى الى بيته فرأى رجلاً يزني بإمرأته فاخذه الى داود عليه السلام وحكى له انه كان يزني بامرأته فأوحى الله تعالى اليه ياداود قل له كما تدين تدان شعر:

كما يدين الفتى يوماً يدان به ... من يزرع الثوم لم يحصد ريحاناً

وذلك كله مع الندامة التي يلحقه بعد الفراغ من الزنا ان كان له شيء من الأيمان.

واما الخمر وماورد فيه من الوعيد في الكتاب والسنة فهو كثير حتى ان الله تعالى قرن الخمر بعبادة الصنم، فقال انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه، وفي الحديث ان شارب الخمر كعابد الوثن، وقال عليه السلام لعن الله الخمر وغارسها وساقيها والمحمولة اليه ومشتريها وبائعها وآكل ثمنها.

وعن امير المؤمنين عليه السلام لو ان قطرة من الخمر قطرت في بئر ونزح ماء من ذلك البئر وسقى به أرض فأنبتت حشيشاً ويبس ذلك الحشيش، ثم ان شاة رعت من ذلك الحشيش فاختلط فيه قطيع غنم واشتبهت ثم ذبحت تلك الشياه كلها لم آكل من لحومها شيئاً وقال عليه السلام لاتجالسوا شارب الخمر ولاتزوجوه ولاتزوجوا اليه، وان مرض فلا تعودوه وان مات فلا

تشيعوه، وان شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسوداً وجهه مزرقة عيناه، مائلا شدقه سائلاً لعابه، دالعاً لسانه من قفاه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر، وقد روي ايضاً تحريم النظر الى الخمر، ولكونه من الخبائث المحرمة ورد عنه عليه السلام انّ من ترك شرب الخمر لغير وجه الله تعالى بل حفظاً لبدنه او عرضه سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم، مع انّ الذنوب لايثاب عليها تاركها الاّ اذا كان الترك لوجه الله تعالى.

واعلم انّه على مايحكى عنه شاربوه من ان فيه النتن والعفونة، وانّ الجرعة عنه اذا وصلت الى الحلقوم وانتهت الى الجوف تكون كجرّة السكّين من الحلق الى الجوف لو كان حلالاً لما شربه أحد مع هذه الأوصاف التي عدوها فيه، لكن الشّيطان يقوي عزائم اوليائه، مع ماروي من قوله عليه السلام من بات سكراناً بات عروساً للشّيطان فمن كان الشّيطان يلوط به فيا سوء حاله ويا حزن باله.

وامّا السّرقة فالمهانة المرتبة عليها ظاهرة، حتى انّ اليد التي قيمتها خمسمأة دينار قد أذلها الله سبحانه في باب السرقة حتى انّه امر بقطعها بربع الدنيا، فقال المعري شعراً[١] معترضاً به على الحكمة الألهية وذلك انّه قيل فيه الزّندقة:

يد بخمس مئين عسجد فديت ... مابالها قطعت في ربع دينار

فأجابه المرتضى طيّب الله ثراه:

حراسة النفس(عز الأمانة خ) أغلاها وأرخصها ... خيانة المال(ذل الخيانةخ)فافهم حكمة الباري

وحكي ان رجلاً اخرج من السجن في رجله قيد وهو يسأل الناس، فقال الأنسان اعطني كسوة خبز، فقال لو قنعت بالكسرة لما وضع القيد في رجلك، وأمثال هذه المعاصي هي فخوخ[٢] الشيطان ومصائده.

---

(١) ابو العلا احمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان المعري ولد بمعرة النعمان في عام(٣٦٣) هـ وتوفي عام(٤٤٩) هـ والبيت الأول كما صرّح هو نفسه في كتابه(لزوم مالا يلزم) هو هذا البيت:

تناقض ما لنا الا السكوت به ... وان نعوذ بمولانا من النار

ثم يقول

يد بخمس مئين الخ فما في بعض الكتب ان البيت الأول

هو قوله:

يد بخمس الخ لاوجه له= انظر لزوم مالايلزم ج١ ص ٣٩١ ط٢ مصر سنة(١٣٤٨) هـ ق.

(٢) الفخ آلة يصاد بها جمع فخاخ وفخوخ ويقال:وثب فلان من فخ الشيطان أي تاب.

كما روي ان ابليس كان يأتي الأنبياء عليهم السلام من لدن آدم الى ان بعث الله المسيح عليه السلام يتحدث عندهم ويسائلهم ولم يكن بأحد منهم أشدَ أنساً منه بيحيى بن زكريا عليه السلام فقال له يحيى ياأبامرة أحب ان تعرض عليَ مصائدك وفخوخك التي تصايد(تصطاد خ) بها بني آدم، فقال لهابليس حبا وكرامة وواعده لغذ، فلمّا اصبح يحيى عليه السلام قعد في بيتهينتظر الموعد وأغلق عليه أغلاقاً فما شعر حتى اتى اليه من خوخة[١] كانت في بيته، فاذا وجهه صورة وجه القردة، وجسده على صورة الخنزير، واذا عيناه مشقوقتان طولاً وفمه مشقوق طولاً، واذا اسنانه عظم واحد بلا ذقن ولالحية، وله اربعة ايد:يدان في صدره، ويدان في منكبه واذا عراقيبه[٢] قوادمه واصابعه خلفه وعليه قباء وقد شد وسطه بمنطقة فيها خيوط معلقة بين احمر واصفر واخضر وجميع الألوان، اذا بيده جرس عظيم وعلى رأسه بيضة، واذا في البيضة حديدة معلقة شبيهة بالكلاب، فلما تأمله يحيى عليه السلام قال له ماهذه المنطقة التي في وسطك؟ فقال هذه المجوسيَة التي سننتها وزيَنتها لهم، فقال له ماهذه الخيوط الألوان؟ قال هذه اصباغ النساء لاتزال المرأة تصبغ الصبَغ حتى تقع مع لونها فيفتتن الناس بها، فقال له فما هذا الجرس الذي بيدك؟ قال مجمع كل لذة من طنبور وبربط ومغرفة وطبل وناي وصرناي، وانَ القوم ليجلسون على شرابهم فلا يستلذونه فأحرَك الجرس فيما بينهم فاذا سمعوه استخفهم الطرب، فمن بين من يرقص، ومن يفرقع اصابعه ومن بين من يشق ثيابه.

فقال واي الأشياء اقر لعينك؟ قال النساء هنَ فخوخي ومصائدي فانَي اذا اجتمعت على دعوات الصالحين ولعناتهم صرت الى النساء فطاب نفسي بهن فقال له يحيى عليه السلام فماهذه البيضة التي على رأسك؟ قال بها اتوقى دعوات المؤمنين، قال فما هذه الحديدة التي ارى فيها؟ قال بهذه أقلَب قلوب الصالحين، قال يحيى عليه السلام فهل ظفرت بي ساعة قطَ؟ قال لا ولكن فيك خصلة تعجبني، قال يحيى فما هي؟ قال انت رجل أكول فاذا أفطرت أكلت وشبعت فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل، قال يحيى عليه السلام فانَي أعطي الله عهداً اني لااشبع من الطَعام حتى القاه، قال له ابليس وانا أعطي الله عهداً انَي لاانصح مسلماً حتى ألقاه، ثم خرج فما عاد اليه بعد ذلك فهذه فخوخه.

واما دواء جراحاته فروى الفضل بن شاذان في تفسير مولانا الحسن العسكري عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آلافاً ذكروا امَة محمد محمد وآله عند نوائبكم وشدائدكم لينصر الله به ملائكتكم على الشَياطين الذين يقصدونكم، فانَ كل منكم معه ملك عن

---

(١)الخوخة كوة تؤدي الضوء الى البيت،الباب الصغير في الباب الكبير.

(٢) المرقوب عصب غليظ فوق العقب.ج عراقيب.

يمينه يكتب حسناته، وملك عن يساره يكتب سيئاته، ومعه شيطانان من عند ابليس يغويانه، فمن يجد منكم وسواساً في قلبه وذكر وقال لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله الطَيبين الطاهرين خنس[١] الشيطانان فأتيا الى ابليس فشكواه وقالا له قد أعيانا أمره فامددنا بالمردة، فلا يزال يمددها بألف مارد، فيأتونه فكلّما راموه وذكر الله وصلى على محمد وآله الطيبين لم يجدوا عليه طريقاً ولامنفذ قالوا لإبليس ليس له غير انّك تباشر بجنودك فتغلبه وتغويه، فيقصد ابليس بجنوده، فيقول الله تعالى للملائكة هذا ابليس قد قصد عبدي فلاناً او امتي فلانة بجنوده فقبلوه، فيقابلهم بازاء كل شيطان رجيم منهم مائة ألف ملك وهم على افراس من نار بأيديهم سيوف من نار ورماح من نار وقسي ونشاشيب وسكاكين واسلحتهم من نار، فلا يزالون يخرجونهم ويقتلونهم بها ويأسرون ابليس فيضعون عليه الأسلحة، فيقول يارب وعدك وعدك قد أجلتني الى يوم الوقت المعلوم، فيقول الله عز وجل للملائكة وعدته لأميته ولم اعده ان لاأسلط عليه السلاح والعذاب والآلام اشتفوا منه ضرباً بأسلحتكم فانّي لااميته، فيثخنونه بالجراحات ثم يدعون فلا يزال سخين العين على نفسه واولاده المقتلين(المتقدمين خ) ولايندمل شيء من جراحاته الا بسماع اصوات المشركين بكفرهم، وان بقي على طاعة الله وذكره والصلاة على محمد وآله بقي على ابليس تلك الجراحات، وان زال العبد عن ذلك وانهمك في مخالفة الله عز وجل ومعاصيه اندملت جراحات ابليس، ثم قوى ذلك العبد حتى يلجمه ويسرجه على ظهره ويركبه ثم ينزل عنه ويقول ظهره لنا الآن متى اردنا نركبه، وهذا الملعون قد تصدى لإضلال المؤمنين في بلدانهم قبل خلقهم.

روى الصدوق ره باسناده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اسرى بي الى السماء حملني جبرئيل عليه السلام على كتفه الأيمن فنظرت الى بقعة بأرض الجبل حمراء أحسن لوناً من الزعفران، أطيب ريحاً من المسك، فاذا فيها شيخ على رأسه برنس، فقلت لجبرئيل ماهذه البقعة الحمراء؟ قال بقعة شيعتك وشيعة وصيّك علي، فقلت من الشيخ صاحب البرنس؟ قال ابليس، قلت فما يريد منهم، قال يريد ان يصدهم عن ولاية امير المؤمنين عليه السلام ويدعوهم الى الفسق والفجور، فقلت ياجبرئيل أهو بنا اليهم، فاهوى بنا اليهم اسرع من البرق الخاطف، فقلت قم ياملعون فشارك اعدائهم في اموالهم واولادهم ونسائهم فانّ شيعتي وشيعة علي ليس لك عليهم سلطان فسميت تلك البلاد قم لذلك.

---

(١)خنس عنه تأخر وتنحى وانقبض.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ليس لك عليهم سلطان يعني به التَسلط الذي يخرجهم به من الأيمان الى الكفر كما هو حاله مع غيرهم، وامّا ايقاعهم في المعاصي فلا يقال له سلطان وذلك لأنهم يتداركونه بأمور كثيرة.

كما روي ان رجلاً اتى الصادق عليه السلام فقال له انّ جماعة من مواليك وشيعتك قد انهمكوا في المعاصي فما حالهم في القيامة، فقال عليه السلام يتوبون بعد المعصية فيغفر الله لهم، فقال ربَما لم يتوبوا، فقال انّ الله سبحانه يبتليهم بالأوجاع والأمراض ونقص من الأموال والأولاد ليكون كفَارة لذنوبهم، فقال الرجل ربَما لم يبتلوا بهذه، فقال لعلهم يبتلون بسلطان جائر يؤذيهم فيكون كفَارة لذنوبهم، فقال ربَما لم يكن ذلك قال عليه السلام فان لم يكن ذلك ابتلوا بجار يؤذيهم فيكون كفارة لذنوبهم، قال ربَما لم يكن ذلك، قال ان لم يكن ذلك فقد يبتلون بامرأة سوء تؤذيهم فيكون ايذاء تلك الزوجة كفارة لذنوبهم، فقال ربَما لم يكن ذلك فغضب عليه السلام فقال اذا لم يكن واحد من هذا كله ادركتهم شفاعتنا وينجيهم من أهوال القيامة رغما على انفك.

أقول ماأدري مايقول الناظر في هذه المكفرات للذنوب من انّ ايَها اعظم مصيبة على الأنسان، قال بعض المحققين أشد هؤلاء هو زوجة السَوء أخت الشَيطان وامَه، ولما أتى جبرئيل عليه السلام الى لوط لعذاب امته وصنعت امرأة لوط ماصنعت من اخبار فساق امته بأن عند لوط ضيفاناً، قال جبرئيل له يالوط انت نبي فكيف يكون هذه امرأتك؟ فقال له لوط عليه السلام ياجبرئيل انَ الله سبحانه أوحى اليَ ان يالوط لابدَ لكل واحد من اوليائي من شخص يؤذيه في الدنيا لرفع درجته في الجنَة فاختر من شئت، فاخترت ان يكون المؤذي لي زوجتي، واختياره عليه السلام لها اشارة الى ماقلناه من انها اعظم مصيبة من كل المصائب ولهذا اختارها لوط عليه السلام لأنَ الأنبياء لايختارون الاَ ماكان اكثر ثواباً وأشقَ وأشدَ من غيره فلو كان هناك مصيبة او هائلة تعادلها لطلبها لوط عليه السلام، وهكذا وقع مثل هذا لنوح عليه السلام حتى ضرب الله سبحانه مثل تلك المرأتين في القرآن اشارة الى هاتين المرأتين وهما زوجتا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فقد صنعتا صنعاً يزيد على صنع المرأتين الأوليين، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم يجري في هذه الأمة ماجرى في الأمم السابقة حذو النَعل بالنَعل والقذَة بالقذَة.

وفي الروايات عن علي عليه السلام قال كنت جالساً عند الكعبة فاذا شيخ محدودب، فقال يارسول الله ادع لي بالمغفرة، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاب سعيك ياشيخ وضلَ عملك قال علي عليه السلام فلمَا ولَى قلت يارسول الله من هذا؟ قال ابليس لعنه الله، فعدوت خلفه حتَى لحقته وصرعته الى الأرض وجلست على صدره، ووضعت يدي على حلقه

لأخنقه، فقال لي لاتفعل ياابا الحسن فانّي من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم، والله ياعلي لأحبك جداً وما أبغضك احد الا شرَكت اباه في امّه فصار ولد زنا، فضحكت وخلَيت سبيله، هذا كان دأب الشَيطان في التردد الى الأنبياء عليهم السلام وسؤالاتهم.

روى الصدوق قدس الله روحه باسناده الى الصادق عليه السلام قال انَ ابليس قال لعيسى بن مريم عليه السلام أيقدر ربك على ان يدخل الأرض بيضة لاتصغر الأرض ولاتكبر البيضة؟ فقال عيسى عليه السلام ويلك انَ الله لايوصف العجز ومن أقدر مَمن يلطف الأرض ويعظم البيضة، وهذا الحديث يبيّن معنى الحديث الذّي رواه الكليني ره عن محمد بن اسحق قال ان عبد الله الدَيصاني سأل هشام بن الحكم فقال له ألك رب؟ فقال بلى، قال أقادر هو؟ قال نعم قادر قاهر، قال يقدر ان يدخل الدنيا كلها في البيضة لاتكبر البيضة ولاتصغرالدّنيا؟ قال هشام النَظرة فقال له قد أنظرتك حولا، ثم خرج عنه فركب هشام الى ابي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له، فقال له يااين رسول الله أتاني عبد الله الدّيصاني بمسئلة ليس المعول فيها الاّ على الله وعليك، فقال له ابو عبد الله عليه السلام عمّا ذا سألك قال فقال لي كيت وكيت، فقال ابو عبد الله عليه السلام ياهشام كم حواسك؟ قال خمس قال قال ايَها أصغر قال الناظر، قال وكم قدر الناظر؟ قال مثل العدسة او اقل منها، فقال ياهشام فأنظر امامك وفوقك واخبرني بما ترى؟ فقال ارى سماءً وأرضاً ودوراً وقصوراً وبراري وجبالاً وانهاراً، فقال له ابو عبد الله عليه السلام انَ الذي قدر ان يدخل الذي تراه العدسة او اقل منها قادر ان يدخل الدنيا كلها البيضة لاتصغر الدنيا ولاتكبر البيضة، فأكبَ هشام عليه وقبّل رأسه ورجليه وقال حسبي ياابن رسول الله وانصرف الى منزله، وبمضمون الحديث الأول روي عن الصادق عليه السلام قال قيل لأمير المؤمنين عليه السلام هل يقدر ربّك ان يدخل الدنيا في بيضة من غير ان تصغر الدنيا او تكبر البيضة، قال انَ الله تبارك وتعالى لاينسب الى العجز والذي سألت لايكون.

وروى البزنطي عن الرضا عليه السلام قال سأله رجل هل يقدر ربك ان يجعل السماوات والأرض ومابينهما في بيضة؟ فقال نعم وفي اصغر من البيضة، وقد جعلها في عينك وهي أقل من البيضة لأنّك اذا فتحتها عاينت السماء والأرض ومابينهما ولو شاء لأعماك عنها.

أقول حديث عيسى وحديث امير المؤمنين عليه السلام يدلاّن على انَ مثل هذا لايكون وهذا لايقدح في القدرة الكاملة، وذلك انه محال في نفسه فلاحظ له من الشيئية التي اتصف سبحانه بانه على كل شيء قدير، وقد قرر المحققون ان شرط صدور الأثر قدرة الفاعل وقابلية الأثر للصدور والأمور المحالة لا قابلية لها فالنقص انما هو فيها لا في القدرة لأن الأثر مالم يكن ممكناً لم يدخل في حيز الوجود، الأ ترى انه تعالى لم يتصف بالقدرة على خلق الشريك لعدم قابلية

الشريك لأن يدخل في عالم الموجودات وكذلك انه تعالى لايكذب ولايظلم وليس هو لعدم القدرة بل لعدم قابليتها للصدور فهذا محال بالنظر الى الغير ومانحن فيه محال بالنظر الى نفسه والى هذا اشار عيسى بن مريم عليه السلام بقوله ومن اقدر ممن يلطف الأرض اه، يعني انه تلطيف الأرض وترقيقها حتى تدخل في البيضة وان كان امراً عظيماً لكنه لكنّه لما اتصف بالإمكان جرى تحت القدرة الكاملة واما حديث الصادق والرضا عليهما السلام فيمكن حملهما على وجوه:

الأول ان الأئمة عليهم السلام قد أوتوا جوامع الكلم وتكليم الناس على قدر عقولهم واجابة السائل بمايرضيه ومصلحة الأحوال، ولّما كان صلاح الحال والوقت اقتضى الجواب الأقناعي لأنه يرضي الخصم ويكسر شبهته أجاباً عليهما السلام به، ولو قالا لايكون ماسألت لبقي السائل على عناده كما هو المعتاد غي هذه الأعصار.

الثاني ان الدَ يصاني سأل الأدخال من غير التفات الى ادخال الكبير او صورته، فأجابه عليهما السلام بأنَ لهذا النحو من الأدخال مصداقاً وهو ادخال الصورة المحسوسة المقدّرة بالمقدار الكبير بنحو الوجود الظلّي في الحاسة، ولااستحالة فيه اذ كون الصورة الكبيرة فيه بالوجود الظلي لايوجب اتصافها بالمقدار الكبير، ولما كان منظور السائل مايشمل هذا النحو من الأدخال لم يقل بعد ما سمع الجواب مرادي الأدخال العيني.

الثالث ماقيل انَ المراد انَ من قدر على هذا الأدخال قدر على ذلك الأدخال لأنه من بابه فيكون حكاية العدسة من باب التنظير وهو بعيد لعدم موافقته لحديثي عيسى وامير المؤمنين عليه السلام الا بإرتكاب تكلّف في معنى قول امير المؤمنين عليه السلام والذي سألت لايكون بأنَ يكون بمعنى يوجد، يعني ان الذي سألت عنه وان كان ممكناً لكنّه لايوجد اذ ليس كل ممكن يدخل في حيز الوجود، لما عرفت وهذه المسئلة تسمى المسئلة الشّيطانيّة وذلك ان الشيطان اول من اخترعها لإمتحان الأنبياء عليهم السلام، وحاشا حجج الله سبحانه عن العجز والأفحام، مع انّه قد حصل له من هذا السؤال ما اعمى عينه وذلك انّه ورد في الرواية انَ الشّيطان اول ماسأل بها ادريس عليه السلام فأتى اليه وهو يخيط في مجسد الكوفة[١] وقال له ياادريس ايقدر ربك ان يدخل الدنيا في بيضة من غير ان تكبر البيضة وتصغر الدنيا؟ فقال له ادريس عليه السلام ادن مني حتى اجيبك، فلمّا دنى منه أهوى بالابرة التي يخيط بها الى عينه فعورها، قال ربي قادر على هذا فصار الشّيطان اعور من ذلك اليوم، عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين، ولعنة الله على كل عدو من الأعداء الى يوم الدين بحق محمد وآله الغر الميامين الطيبين الطاهرين هذا تمام الكلام في الجزء

---

(١) في النسخ المطبوعة(مجلس الكوفة)والصحيح: مسجد الكوفة)كما في النسخة المخطوطة.

الأول لنذكر المنجيات وتوابعها بأنوار اخرى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

هذا آخر المجلد الأول من الكتاب ويليه المجلد الثاني على حسب تجزأة السيد المصنف رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد المذنب الجاني نعمت الله الحسيني الجزائري هذا المجلد الثاني من كتابه الأنوار النعمانية شرعنا في تأليفه بعد الفراغ من المجلد الأول ونرجو من الله سبحانه ان يوفقنا لإتمامه وان يجعله ذخيرة لإكرامه بحق محمد وآله الطاهرين.

نور في التوبة ومايتعلق بها من الأحكام والمعارف

اعلم ان الله سبحانه قد مدح التّوابين في كتابه العزيز في آيات كثيرة وكفى بها قوله سبحانه انّ الله يحب التّوابين ويحب المتطهرين، فلا درجة اعظم من محبّة الله تعالى، وذلك انها اقصى الدرجات والأنبياء والأولياء انّما هي غاية سعيهم لاغيرها من الجنة ومراتبها، فانّ الجنة وماأعدّ فيها من النعيم انّما هي مقاصد التّجار وغاياتهم والاّ فأهل الهمم العالية والمطالب الغالية انّما يطلبون محبته ورضاه.

روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال بكى شعيب من حب الله عز وجل حتى عمى فرد الله عز وجل عليه بصره، ثم بكى حتى عمى فرد الله عزّ وجل عليه بصره، ثمّ بكى حتى عمى فرّد الله عزّ وجل عليه بصره، فلمّا كانت الرابعة أوحى الله اليه ياشعيب الى متى يكون هذا ابداً منك، ان يكن هذا خوفا من النّار فقد احررتك(اجرتك خ) وان يكون شوقاً الى الجنة فقد ابحتك، قال الهي وسيدي انت تعلم انّي مابكيت خوفاً من نارك ولاشوقاً الى جنّتك ولكن عقد حبك على قلبي فلست اصبر أو أراك، فأوحى الله جل جلاله اليه امّا اذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران.

قال الصدوق طاب ثراه يعني بذلك لاأزال أبكي اوأراك قد قبلتني حبيباً، ولايخفى انّ ماقاله ره ان كان قد وجده في حديث فلا لابأس به والا فلا يحتاج الى صرف الكلام عن ظاهره لأنّ معناه لاأقطع البكاء الى ان أراك بعد الموت، وحاصله الى ان اموت وذلك انّ لقاء الله سبحانه انّما يكون بعد الموت، والظّاهر انّ الذي حمله ره على هذا التأويل هو قول شعيب عليه السلام أو اراك فانّ الرؤية ممتنعة عليه سبحانه ولكن هذا المجاز مشهور وقد وقع في القرآن والسنة كثيراً قال الله تعالى{وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة} وقال امير المؤمنين عليه السلام كيف أعبد ربّاً لم أره.

وبالجملة فالمحبّة انّما هي نهاية الدرجات وقد منحه سبحانه للتّائبين، وقال الصادق عليه السلام لّما نزلت هذه الآية{والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله} ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون، صعد ابليس جبلاً

بمكة يقال له ثور فصرخ صرخة بأعلى صوته بعفاريته، فاجتمعوا اليه، فقالوا ياسيّدنا لم دعوتنا؟ قال نزلت هذه الآية فمن لها، قال عفريت من الشّيطان انا لها بكذا وكذا، قال لست لها، فقام آخر فقال مثل ذلك، قال لست لها، قال الوسواس الخنّاس انالها، قال بماذا؟ قال اعدهم وأمنيهم حتى يواقعوا الخطيئة فاذا واقعوا الخطيئة انسيتهم الأستغفار فقال انت لها فوكله بها الى يوم القيامة، وقد عرفت ان الله تعالى يحب المؤمن المفتن التواب، وقال عليه السلام ويل لمن غلبت آحاده عشراته وذلك انّ الواحد من الحسنات بعشر وواحدة السيئات بواحدة وقال عليه السلام لاتأتون يوم القيامة الا وتحت كل ذنب استغفار يكون مكتوباً في صحائف اعمالكم، وقال الأمام ابوعبد الله جعفر الصادق عليه السلام اذا تاب العبد توبة نصوحاً احبه الله فستر عليه في الدنيا وىلآخرة، فقلت وكيف يستر عليه؟ قال ينسى ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب، ويوحي الى جوارحه ان اكتمي عليه ذنوبه ويوحي الى بقاع الأرض ان اكتمي ماكان يعمل عليك من الذنوب فليق الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب وعنه عليه السلام مامن عبد مؤمن مذنب الا أجلّه الله عز وجل سبع ساعات من النها فان هو تاب لم يكتب عليه شيء وان هو لم يفعل كتب عليه سيئة فآتاه عباد البصري فقال له بلغنا انك قلت مامن عبد يذنب ذنباً الا اجله الله سبع ساعات من النهار فقال ليس هكذا قلت ولكن قلت مامن مؤمن وكذلك كان قولي وفي خبر آخر ان المؤمن يذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربه فيغفر له ولو لم يكن في التوبة الا سروره سبحانه تكفي بها فضلاً وشرفاً على سائر الأعمال روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال الله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية[1] مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهب راحلته، فطلبها حتى اذا اشتدّ عليه الحر والعطش وماشاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى اموت، فرجع ووضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه، فالله أشدّ فرحاً بتوبة العبد المؤمن هذا براحلته.

وتحقيق الكلام في التوبة يتم ببيان امور، الأول في وجوبها على العبد وفي وجوب قبولها عليه تعالى، اما الوجوب على العبد سمعاً فهو مجمع عليه، وانّما الخلاف في وجوبها عقلاً، فأثبتته المعتزلة وهو الحق لأنه دفع ضرر وهو واجب عقلاً، ولأنّ النّدم على القبيح من مقتضيات العقل الصحيح، وذهب جماعة الى وجوبها عن الصغائر سمعاً لاعقلاً، ولعلهم نظروا الى ظاهر قوله

(١) أي البرية.

تعالى{ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم}فاذا كانت السيئات مكفرة فلا يترتب عليها ضرر يجب دفعه ولكن حكاية الندم على القبيح تعم القسمين.

واما الوجوب الفوري فعليه المعتزلة واصحابنا الأمامية، وذلك لأنّ المعاصي للإيمان كالمأكولات المضرة للأبدان فان كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم ومايضره من المأكولات في كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الأبد اولى بأن يجب عليه ذلك، وان كان متناول السم اذا ندم يجب عليه ان يتقا على سبيل الفور تلافياً لبدن المشرف على هلاك لايفوت عليه الاّ هذه الدنيا الفانية فمتناول سموم الدين وهي الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها ليتدارك النَعيم المقيم والملك العظيم وفي فواته العذاب المقيم، فالبدار البدار الى التوبةقبل ان تعمل سموم الذنوب بروح الأيمان عملاً يجاوز الأمر اختبار الأطباء ولاينفع بعده الأحتماء فلا ينجح بعد ذلك وعظ الواعظين، ويدخل في قوله {وسواء عليهم ءأنذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون} ولايعزنّك اطلاق لفظ المؤمن على هذا فانّ نيران الذنوب اذا أكلت الفروع أكلت الأصل لأنّه لااستمرار لبقاء الأصل بدون الفرع ومن سوّف التوبة يكون على خطرين.

الأول ان يعاجله الأجل فلا يبقى له وقت تدارك التوبة، كما قال تعالى{من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب} قال بعض المفسرين ان المحتضر يقول عند كشف الغطايا ملك الموت أخّرني يوماً اعتذر فيه الى ربي واتوب اليه واتزود صالحاً، فيقول فنيت الأيام، فيقول اخرني ساعة، فيقول فنيت الساعات، فيغلق عنه باب التوبة ويغرغر بروحه الى النار ويتجرع غصة اليأس وحسرة الندامة، وربما عدل به شياطين العديلة ومن ثم استحب تلقين المحتضر كلمات الفرج لتطرد عنه شياطين العديلة التي تعدله عن الأيمان الى الكفر.

الثاني ان تتراكم الذنوب على قلبه الى ان تصير طبعاً فلايقبل المحو، فانّ كل معصية يفعلها الأنسان يحصل منها ظلمة في قلبه فاذا تراكمت اسود القلب، وعبّر عنه بالقلب المنكوس والقلب الأسود.

كما روي عن الأمام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال كان ابي يقول مامن شيء أفسد للقلب ليواقع الخطيئة فلا يزال به حتى يغلب عليه فيصير أعلاه أسفله، فاذا آل أمره الى هذا الحال صارت ذنوبه مزينة في نظره فلا يرغب في التوبة بل ربما زادت في تلك المعاصي، ومن هذا ذهب جماعة من المسلمين الى انّه لو أخّر التوبة ساعة واحدة حصل له اثم آخر يجب التوبة منه ايضاً، ففي ساعتين اربع ذنوب وهكذا فيكون عليه في اليوم الواحد آلاف من الذنوب.

واما وجوب قبول التوبة عليه سبحانه بحيث لو عاقب على الذنب بعد التوبة كان ظالماً، او هو تفضل يفعله سبحانه كرماً منه ورحمة بعباده فيه خلاف، فالمعتزلة على الأول، والأشاعرة على الثاني، واليه ذهب الطّوسي والعلاّمة وتوقف فيه صاحب التّجريد وظاهر الأخبار وكلام الأئمةالطاهرين عليهم السلام يدل على الثاني سيما كلام مولانا زين العابدين عليه السلام في السادس عشر من ادعية الصحيفة ياالهي لو بكيت اليك حتى تسقط اشفار عيني، وانتحبت حتى ينقطع صوتي، وقمت لك حتى تنتشر قدماي، وركعت لك حتى ينخلع صلبي، وسجدت لك حتى تتفقأ حدقتاي، وأكلت تراب الأرض طول عمري شربت ماء الرماد آخر دهري وذكرتك في خلال ذلكحتى يكل لساني ثم لم ارفع طرفي الى آفاق السماء استحياءً منك استوجب بذلك محو سيئة واحدة من سيئاتي وامثال هذا.

وقد استدلوا على وجوب القبول بأن السيد اذا ابق عبده شهراً مثلا ثم رجع نادماً كمال الندم متأسفاً على ماوقع منه عازماً ان لايعود ابداً ثم انَ المولى لم يقبل توبته بل كان مصراً على عقابه فانَ العقلاء يذمونه، واجيب عنه بأن السيد لو قرر معه انَه متى ابق مدّة كذا عاقبه العقاب الفلاني فانه اذا رجع وعاقبه السيد ذلك العقاب الذي قرره فانه لايستحق بذلك الذم من العقلاء، وما نحن فيه من هذا القبيل.

وفيه نظر وذلك انَ الذي نحن فيه هو ان السيد اذا قال عند الناس وكتب الى العبد الأبق بانك اذا رجعت عليك الأمان ولاعاقبك على هذا الأباق لأنَ اسباب الأباق ودواعيه كانت موجودة في الدار والبلاد، فاذا رجع ذلك العبد وبعد رجوعه عذبه المولى لعدّه العقلاء من المذمومين ومانحن فيه من هذا القبيل، فانه سبحانه قد اكثر من الكلام على قبول التوبةوعلى اسقاط الذنب عندها، والأولى في الأستدلال ان يقع على هذا النّمط وكأنَه مراد المستدل وان لم يصرح به.

الأمر الثاني في حقيقة التوبة، وقد اختلف فيها الأخبار والأقوال، اما الأخبار فمنها ماروي عن الأمام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته، ثم قال ان السنمة لكثير، من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته، ثم قال ان الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته، ثم قال الجمعة لكثير من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته، ثم قال ان يوماً لكثير من تاب قبل ان يعاين قبل الله توبته.

ومنها مارواه السيد رضى في نهج البلاغة من كلام امير المؤمنين عليه السلام انَ قائلاً قال بحضرته استغفر الله فقال له عليه السلام ثكلتك امّك اتدري ماالأستغفار؟ انَ الأستغفار درجة

العلّيين وهو اسم واقع على ست معان، اولها الندم على مامضى، الثاني العزم على ترك العود اليه ابداً، الثالث ان تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله املس ليس عليك تبعة، الرابع ان تعمد الى كل فريضة عليك ضيّعتها فتؤدي حقها، الخامس ان تعمد الى اللّحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد، السادس ان تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية.

ومنها مارواه الكليني طاب ثراه باسناده الى الصادق عليه السلام قال مامن مؤمن يقارف في يومه وليلته اربعين كبيرة فيقول وهو نادم استغفر الله الذي لااله الا هو الحي القيّوم بديع السماوات والأرض ذو الجلال والأكرام وأسأله ان يصلي على محمد وآل محمد وان يتوب علي الا غفر الله عز وجل له، ولاخير فيمن يقارف في يوم اكثر من اربعين كبيرة، ومنها ماروي في الأخبار انّ التوبة هي الندم على ماسلف والعزم على ان لايعود، الى غير ذلك من الأخبار.

واما الأقوال فمنها ماقيل ان التوبة ذوبان الحشا لما سبق من الفحشاء، ومنها انّها نار في القلب تلتهب وتصدع في الكبد لاينشعب، ومنها ماقيل انّها خلع لباس الجفا ونشر بساط الوفا، ومنها ماقيل انّها تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة، ومنها ماقيل انها رجوع الأبق عن الجرم السابق، والكلام الجامع في هذا الباب ما قاله صاحب الأحياء وهو ان التوبة لاتحصل الا بحصول امور ثلاثة: اولها معرفة ضرر الذنوب وكونها حجاباً بين العبد ومحبوبه وسموماً قاتلة لمن يباشرها فاذا عرف ذلك وتيقنه حصل له من ذلك حالة ثانية هي التألم لفوات المحبوب والتأسف من فعل الذنوب وهذا التألم والتأسف هو المعبر عنه بالندم واذا غلب هذا الألم حصل له حالة ثالثة هي القصد الى امور ثلاثة تعلق بالحال والأستقبال والمضي فالمتعلق بالحال هو ترك ماهو مقيم عليه من الذنوب والمتعلق بالأستقبال هو العزم على عدم العود اليها الى آخر العمر والمتعلق بالماضي تلافي مايمكن تلافيه من قضاء الفوائت والخروج من المظالم فهذه الثلاثة اعني المعرفة والندم والقصد الى المذكورات امور مترتبة في الحصول وقد يطلق على مجموعها اسم التوبة وكثيراً مايطلق على الثاني اعني الندم وحده ويجعل المعرفة مقدمة لها وذلك القصد ثمرة متأخرة عنها وقد يطلق على مجموع الندم والعزم انتهى.

اقول ومن هنا اختلفت الأخبار والأقوال وللإختلاف وجه ألطف وادق من هذا وهو ان للتوبة درجات ومراتب وفوائد مختلفة فاقل درجاتها احباط العذاب المترتب على ذلك الذنب وهذا هو المراد من التوبة قبل المعاينة الواقعة في الحديث الأول واعلى درجاتها وفوائدها اسقاط العقاب والفوز باعلى الكرامات مع الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين والعباد الصالحين وهذا لايكون بمجرد التوبة قبل المعاينة بل لابد فيه من اتعاب البدن واعمالها في الأعمال وهذا هو التوبة

في حديث نهج البلاغة وعليها يحمل ماورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال التائب اذا لم يستبن عليه اثر التوبة فليس بتائب يرضي الخصماء ويعيد الصلوات ويتواضع بين الخلائق ويقي نفسه عن الشهوات ويهزل رقبته بصيام النهار ويصفر لونه بقيام الليل ويخمص بطنه بقلة الأكل ويقوس ظهره من مخافة النار ويذيب عظامه شوقاً الى الجنة ويرق قلبه من هول ملك الموت ويجفف جلده على بدنه بتفكر الآخرة فهذا اثر التوبة فاذا رأيتم العبد على هذه الصفة فهو تائب ناصح لنفسه.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت يانبي الله امرأة قتلت ولدها هل لها من توبة؟ فقال لها والذي نفس محمد بيده لو انها قتلت سبعين نبياً ثم تابت وندمت ويعرف الله من قلبها انّها لاترجع الى المعصية ابداً لقبل الله توبتها وعفى عنها، فانّ باب التّوبة مفتوح مابين المشرق والمغرب وانّ التّائب كمن لاذنب له.

واما اوسط درجاتها وفوائدها فهي كثيره متفاوتة فمن تاب قبل موته بسنة وتلافى في تلك السنة مساوىء اعماله وأقبل على مايوجب تصحيح آماله كان له من الدرجة أعلى ممّن تاب قبل موته بشهر، وكذا من تاب قبل موته بشهر بالنّسبة الى من تاب قبل موته بجمعة، وهكذا ومقصودهم عليهم السلام ترغيب الخلائق في التّوبة وبيان انّ التوبة مقبولة في كل حين الا ان يغرغر بروحه وتعاين الموت واسبابه، فانّ الأمور تصير عندها ضرورية ويكون حينئذ ملجأة الى التوبة، فمن هذا أغلق عنه بابها.

قال بعض المفسرين ومن لطف الله بالعباد ان امر قابض الأرواح بالإبتداء في نزعها من اصابع الرجلين ثم يصعد شيئاً فشيئاً الى ان يصل الى الصّدر ثم ينتهي الى الحلق ليتمكن في هذه المهلة من الأقبال بالقلب على الله والوصية والتوبة مالم يعاين والأستحلال وذكر الله سبحانه فيخرج روحه وذكر الله على لسانه فيرجى بذلك حسن خاتمته وفّقنا الله وايّاكم للتوبة.

فان قلت ذكرت ان الندم وهو تألم القلب اما هو التّوبة او اعظم اجزائها، وهذا التألم لايكون بالأختيار فكيف يوصف بالوجوب، قلت ان سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب والتفكر فيما يترتب على ذلك الذّنب من العقاب، فكلما تفكر وحقّق العلم زادت نيران قلبه واشتعلت، وتحقيق هذا العلم وزيادة التفكر امر ان اختياران فمن هذا وصف التألم بالوجوب لمكان الأختيار في اسبابه، فصار الحاصل هو ان العاقل التائب ينبغي ان يكون توبته ممّا يوجب المقامات العالية، بل ذكر بعض المحققين انّ التوبة واجبة في الأوقات على جميع الأشخاص، وذلك انّ الأنسان لايخلو عن اتّباع الشهوات وكل شهوة فعلها يرتفع منها ظلمة الى القلب كما يرتفع من نفس

الأنسان ظلمة الى وجه المرآة الصقيلة، فان تراكمة ظلمة الشهوات، صارت رينا كما قال تعالى{كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون}.

واذا تراكم الرين صار طبعاً على القلب كالخبث على وجه المرأة، ولايكفي في ازالة اتباع، (اطباع خ) تلك الشهوات تركها في المستقبل، بل لابدَ من محو تلك الآثار التي انطبعت في القلب، كما لايكفي في ظهور الصورة في المرآة قطع الأنفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل مالم يشتغل بمحو ماانطبع فيها من الآثار، وكما يرتفع الى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور من الطاعات، فيمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة، واليه الأشارة بقوله عليه السلام اتبع السيّئة الحسنة تمحها، فاذن لايستغني العبد في حال من الأحوال عن محو آثار السيّئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضادها وهذا الواجب ليس من باب الواجب الشرعي الذي يلزم من وجوبه في كل الأوقات تعطيل المعائش والمكاسب وخراب الدنيا، بل هو الواجب المعنى الثاني وهو الوجوب الشرطي كما يقال الوضوء واجب لصلاة النافلة يعني لايمكن التوصل الى فعل النافلة الا به، فكذا مانحن فيه، وهو انّه لايمكن التوصل الى درجات المقرّبين الاّ به فمن ارادها توصّل الى تحصيلها به، ومن رضى لنفسه بالدرجات الناقصة كان كمن اقتصر على الصلاة الواجبة وترك النافلة، فليس عليه عذاب وانّما حرم من جزيل الثواب.

وللنظر الى هذا رفض الأولياء ملاذ الدنيا بالكلية، حتى انه روي ان عيسى عليه السلام توسّد في منامه حجراً فجاء اليه الشّيطان فقال له أما كنت تركت الدنيا للآخرة، فقال نعم وما الذي حدث؟ قال توسدك بهذا الحجر تنعم بالدنيا فلم لاتضع رأسك على الأرض، فرمى عيسى عليه السلام الحجر ووضع رأسه على الأرض، فكان رميه الحجر توبة عن ذلك التّنعم مع انّه ليس واجباً، وكذلك نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لّما ثّني له الكساء الذي ينام عليه فلمّا اصبح قال انّ هذا منعني عن المبادرة الى القيام للعبادة.

ولقد صدق ابو سليمان الداراني حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره الا على فوت مامضى منه في غير الطّاعة لكان خليقاً ان يجزيه ذلك الى الممات، فكيف من يشتغل فيما بقي من عمره بمثل مامضى من جهله، وذلك ان العاقل اذا ملك جوهرة نفيسة وضاعت منه بكى على ضياعها، فان صار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه اشد، وكل ساعة من العمر جوهرة نفيسة لاقيمة لها ولابدل عنها، فاذا ضيّعتها في الغفلة فقد خسرت خسراناً مبيناً، روي ان ملك الموت اذا ظهر للعبد اعلمه انّه قد بقي من عمره ساعة، وانّه لايستأخر عنها فيبدو للعبد من الأسف مالو كانت له الدنيا كلها لخرج منها على ان يضم الى الساعة ساعة اخرى يتدارك تفريطه فيها فلا يجد اليه سبيلا، وهو اول مايظهر من معاني قوله عز وجل وحيل بينهم وبين مايشتهون.

والى ماذكرنا من الدرجات اشار ذو النون المصري حيث قال ان الله عز وجل عباد نصبوا اشجار الخطايا نصب روامق القلوب، وسقوها بماء التوبة، فأثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبدلوا من غير عيٍ ولابكم، وانهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله عز وجل ورسوله، ثم شربوا بكأس الصفا فورثوا الصبر على طول البلاء تولّهت قلوبهم في الملكوت وجالت افكارهم في حجب الجبروت، واستظلوا تحت رواق الندم، وقرأوا صحيفة الخطايا فأورثوا انفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلّم الورع، فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة، وسرحت ارواحهم في العلى حتى اناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة، وردموا خنادق الجزع، وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم، واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة، وأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة، فانظر رحمك الله الى غاية التوبة وانَها أي غاية.

وفي كتاب الشيخ ورام انَ ذا النون المصري قال مررت ببعض الأطبّاء وحوله جماعة من النساء والرجال بأيديهم قوارير الماء وهو يصف لكل واحد منهم مايوافقه فدنوت منه فسلّمت عليه فردَ عليَ السلام، فقلت له صف لي دواء الذنوب يرحمك الله، فأطرق الى الأرض ساعة وكان الطّبيب عاقلاً ثم رفع رأسه، فقال يافتى ان أنا وصفت لك تفهم؟ فقلت نعم ان شاء الله تعالى، فقال لي خد عروق الفقر وورق الصّبر، واهليلج الخشوع وابليلج التواضع، ألق الجميع في هاون التّوبة ثم اسحقه بدستج التقوى، ثم ألقه في طبخير التوفيق وصب عليه من ماء الخوف، واوقد تحته نار المحبة وحركه بأصطام الحكمة حتى يرغى، ثم أفرغه في جام الرضا وروحه بمروحة الحمد حتى يبرد، ثم أفرغه في قدح المناجاة ثم أفرجه بماء التوكل وحركه بملعقة الأستغفار، ثم اشربه وتمضمض بعده بماء الورع، فاذا انت فعلت هذا فانّك لاتعود الى ذنب ابداً.

وهذه التوبة هي التي اشار اليها امير المؤمنين عليه السلام في ذلك الحديث فقال عليه السلام ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة، قيل كيف ذلك يارسول الله؟ قال يكون نصب عينيه تائباً فاراً منه حتى يدخل الجنة، وروي انه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فسائه ذلك، فقال الهي اطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة، فان رجعت اليك أتقبلني؟ فسمع قائلاً يقول أجبتنا فأجبناك، وتركتنا فتركنك، وعصيتنا فأمهلناك وان رجعت الينا قبلناك.

واعلم ان التائبين العالمين هم الفائزون، وذلك انَ الناس ينقسمون في الآخرة بالضرورة الى اربعة اقسام:الهاً لكون، والمعذبون، والناجون، والفائزون، ومثاله من الدنيا ان يستولي ملك

من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم فهم من الهالكين، ويعذّب بعضهم فلا يقتلهم فهم من المعذبين، ويخلي بعضهم فهم الناجون، ويخلّع على بعضهم فهم الفائزون فان فان كانت الملك عادلاً لم يقسمهم كذلك الا بالأستحقاق فلا يقتل الا معانداً له في الملك ولايعذّب الا من قصّر في خدمته مع الأعتراف بملكه، ولايخلّي الا معترفاً له بالدولة لكنّه لم يخدمه ليخلع عليه، ولايخلع الا على من خدمه، وكل واحدة من هذه الدرجات الأربع متفاوتة وذلك لتفاوت انواع العذاب والفوز:

الرتبة الأولى الهلاك:وهم الأيسون من الرحمة الصادرة منه سبحانه، وهم المعاندون المكذَبون.

الرتبة الثانية المعذبون:وهذه رتبة من تحلّى بأصل الأيمان ولكن قصر في الوفاء بمقتضاه وهو انّه قد تابع هواه وشهواته وارادته.

الرتبة الثالثة النااجون:وهي السلامة دون السعادة ولعل هذه الرتبة هي رتبة المجانين والبلهاء ونحوهم.

الرابعة الفائزون:وهم العارفون العاملون فهؤلاء هم السابقون وهم الذين كان قصدهم هو سبحانه لاجنَة ولاخلاصاً من نار، ولذلك قيل لرابعة العدوية كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار.

الأمر الثالث في قبول التوبة للتجزي كأن يتوب عن ذنب ولم يتب عن ذنب، فقال بعضهم انَ هذه التوبة غير مقبولة وذلك انَ التوبة عن الذنب انما تصح لقبح ذلك الذنب وقبح الذنوب كلها علّة مشتركة بينها، فمن تاب عن ذنب وهو مرتكب غيره يكون كالكاشف عن انَ التوبة عن ذلك الذنب لالقبحه بل لعلة اخرى، وايضاً فانّ الله سبحانه قد مدح التّوابين وقال انّه يحبهم ومن احبه الله سبحانه لم يعذّبه، ومن ارتكابه للذّنوب الآخر يستحق التّعذيب والعفو غير واجب.

وقال بعض الأعلام بقبول مثل هذه التوبة ولعله الظاهر من الآيات والأخبار وحسن الأعتبار، والتحقيق ان نقول قول من قال انَ التوبة لايصلح تجزّيها ان عني به انَ ترك بعض الذنوب لايفيد اصلاً بل وجوده كعدمه فهذا خطأ لأنَ كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب كما انَ قلتها سبب لقلته، ونقول لمن قال يصح ان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب يوجب قبولاً يوصل الى النجاة والفوز كان هذا ايضاً خطأ فان الفوز كما عرفت انّما يكون بترك الجميع، ويقال في دليل من قال لايصح وهو انَ التوبة عبارة عن الندم والمعاصي كلها اوجاع وآلام فلا معنى لتوجّعه من ألم دون ألم فان العلّة شاملة لهما، ولو جاز هذا لجاز ان يتوب من شرب الخمر من

احد الدّنين دون الآخر، فان استحال ذلك من حيث ان المعصية في الخمرين واحد وانما الدّنان ظروف فكذلك اعيان المعاصي آلات للمعصية والمصيبة من حيث هي مخالفة لأمر واحد، فيقال على هذا انَ التوبة عن بعض الذنوب اما ان يكون عن الكبائر دون الصغائر أوعن عن الصغائر دون الكبائر او عن كبيرة دون كبيرة.

امَا الأول فممكن من جهة علمه بأشدّية عذابها، كمن جنى على ابن السّلطان وعلى دابّته فانّه يعلم انَ الأول أشدَ جرماً فيخاف منه اكثر، وقد كثر التائبون في الأعصار وليس احد معصوماً من الذنوب سوى أهل العصمة عليهم السلام.

واما الثاني فهو ممكن ايضاً لأنَ لذّة نفسه في الكبيرة أشدَ من خوفه منها، واما الصغائر فليس له لذّة نفس فيها فيكون خوفه منها اكثر من لذّته بها.

واما الثالث فجائز ايضاً لإعتقاده انَ بعض الكبائر أشدَ وأغلظ عند الله تعالى.

الأمر الرابع في اسباب عظم الصغيرة وهي تكون بأمور:الأول الأصارا ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم لاصغيرة مع الأصرار ولاكبيرة مع الأستغفار، فكبيرة واحدة ارجى للعفو من صغيرة تداوم عليها، ومثال ذلك قطرات الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صبَ عليه دفعة واحدة لم يؤثّر لأن الصغيرة كلّما دامت عظمت في اظلام القلب، والكبيرة قلما يتصور الأتيان بها من دون صغائر تكتنفها فانَ الزاني قلّما يزني بغتة بل يحتاج الى المراودة وباقي المقدّمات.

الثاني استصغار الذنب فانّه اذا استعظمه صغر عند الله واذا استصغره عظم عند الله لأن استعظامه يدل على كراهية القلب فلا يتأثر منه، واستصغاره يدلّ على شدة الألفة به وهو يوجب تأثر القلب به، الثالث السّرور بالصغيرة فانّها تكبر عند ذلك كما يقول القائل رأيتني كيف خجلت فلاناً او كيف نفقت عليه الكاسد، لأنّه ينبغي ان يكون في حزن من غلبة الشّيطان عليه.

الرابع ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله له ولايدري انّه انّما امهل مقتاً له ليزداد دائماً، فيظن ان تمكينه من المعاصي عناية من الله عز وجل به، فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور، الخامس اظهار الذنب فانَ هذا منه خيانة(جناية خ) على ستر الله الذي اسد له عليه وتحريك لرغبة السامعين في ذلك الذنب، فهما جنايتان انضمتا الى جناية، فان اضيف اليه حمل الغير على ذلك الفعل كان له اربع جنايات، وفي الحديث كلَ الناس معاف الاّ المجاهرين يبيت احدهم على ذنب قد ستر الله عليه فيصبح ويكشف ستر الله ويتحدث به، وذلك لأنَ من صفاته ستر القبيح، السادس ان يكون المذنب عالماً مقتدى به فانّه قد يموت العالم ويبقى

شرّه، قال ابن عباس ويل للعالم من الأتباع يزل زلّة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق.

بقي الكلام في موجبات الأصرار على الذنوب وفي مزيلاته اعلم انّ موجباته اربعة، اولها انّ العقاب الموعود غائب ليس بحاضر والنّفس جبلت على عدم التأثر بالآجل وهذا لايكون الا من ضعف الأيمان، الثاني انّ اللذات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي آخذة بالمخنق وقد قوى واستولى بسبب الأعتياد، والعادة طبيعة خامسة، والتّروع عن العاجل الى الآجل شديد على النّفس كما قال سبحانه{كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة}.

وفي الرواية انه تعالى خلق النّار فقال لجبرئيل اذهب فانظر اليها، فذهب فنظر اليها فقال وعزّتك خشيت الا يبقى احد الا دخلها، وخلق الجنّة فقال لجبرئيل اذهب فانظر اليها، فذهب فنظر اليها فقال وعزتك لايسمع بها احد الاّ دخلها، فحفّها بالمكاره فقال لجبرئيل اذهب فانظر اليها، فذهب فنظر اليها فقال وعزّتك خشيت ان لايدخلها احد، فاذن كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متأخراً سببان في الأسترسال.

الثالث انّه ما من مؤمن مذنب الا والغالبعلى عزمه التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وطول الأمل غالب على الطّباع فلا يزال يسوّف التّوبة والتكفير فمن حيث رجائه توفيق التّوبة ربّما يقدم عليه مع الأيمان، الرابع انّ المؤمن يعتقد انّ عفو الله تعالى مباح للمذنبين فيذنب اعتماداً عليه.

واما علاج هذه الأمور الأربعة ومزيلها فهو الفكر في كل واحد منها، امّا الأول فبأن تتفكر وتقول انّ ماهو آت يأتي وماأقرب غداً للناظرين والموت اقرب منه، والمتأخر اذا وقع صار ناجزاً، ويفكر انّه في الدنيا يركب البحار ويقطع القفار لأجل الربح الذي يظن حصوله واحتياجه اليه، ولو اخبره طبيب نصراني بضرر الماء البارد لتركه خوفاً من الموت مع انّ ألمه لحظة واحدة فكيف لايقلع عن الذنب باخبار الأنبياء عليهم السلام انّ ألمه يبقى أبد الآباد، وكل يوم من الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من ايّام الدنيا وبهذا التّفكر يعالج اللّذة الغالبة عليه ويقول اذا لم أقدر على ترك هذه اللّذات الفانية في هذه الأيام القلائل فكيف اقدر على ذلك ابد الآباد، واذا كنت لااقدر على مفارقة زخارف الدنيا مع كدورتها فكيف اصبر على مفارقةالنّعيم.

واما تسويف التوبة فعلاجه بالفكر في انّ اكثر صياح اهل النار من التّسويف لأنّ المسوف يبني الأمر على ماليس اليه وهو البقاء فلعلّه لايبقى، وان بقي فلا يقدر عليه في هذا الحال، فليت شعري فهل عجز في الحال الا لغلبة الشهوة والشهوة لاتفارقه بل تقوى كل يوم وهو يضعف، فاذا كان وقت قوته وضعفها لايقدر عليها فكيف يقدر عليها اذا انعكس عليه الأمر فيكون مثاله مثل

من احتاج الى قلع شجرة صغيرة لاتنقلع الا بمشقة شديدة فقال اؤخرها ثمَ أعود اليها وهو يعلم انَها كلَما بقيت ازداد رسوخها وهو كلَما زاد عمره ضعفت قوَته فلا حماقة اعظم من حماقته.

واما انتظار عفو الله فعلاجه الفكر في انَ العفو ليس بواجب على الله فهو كمن أنفق جميع ماله وترك نفسه وعياله فقراء فينتظر انَ الله سيطلعه على كنز من الكنوز في أرض خربة وهذا ايضاً حماقة.

وما احسن كلاماً وقع الينا من سيدنا المرتضى نور الله ضريحه، وحاصله الأعتراض على الأنسان بأنَه اذا أذنب ذنباً يقول نرجو عفو الله فيعتمد على العفو مع انَه تعالى لم يوجبه على نفسه، والذي اوجبه على نفسه وهو ايصال الرزق لم يصدَق الله فيه ولم يعتمد عليه، فيطلبه في البراري والبحار وهو تعالى يقول{وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها} فهو سبحانه قد ضمن ايصال الرزق الى كل واحد فكيف لاتعتمد عليه فيما ضمنه لك واعتمدت عليه فيما لم يوجبه على نفسه، ولو ضمن لك ألف دينار رجل نصراني له بعض الأعتبار بين التجار كنت تصدَقه وتعتمد على ضمانه فكيف لاتعتمد على ضمان من له خزائن السماوات والأرض ماهذا الا سفه وجهل.

فان قيل هذا موقوف على الفكر فما بال القلوب هجرت الفاكر وماعلاج القلوب لردَها اليه، قلنا المانع لها منه امران احدهما انَ الفكر في مقدمات الآخرة لداع مؤلم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر في امور الدنيا على سبيل التَفرج والأستراحة، وثانيهما انَ الفكر مشغول بلذات الدنيا في كل حين فصار عقله مسخَراً لشهوة(لشهوته خ ل) فهو مشغول بتدبير حيلته، وامَا علاجهما فبأن يقول لقلبه اذا تألمت من الفكر في أمور الآخرة فكيف لاتخاف من الألم على ورودها عليك ومواقعتها لك ونظير هذه التَفكرات.

اذا عرفت هذا فاعلم انَ الإصرار امَا فعلي وهو المداومة على نوع واحد من الصغائر بلا توبة او الأكثار من جنس الصغائر بلا توبة، واما حكمي وهو العزم على فعل الصغيرة بعد الفراغ منها، امَا من فعل الصغيرة ولم يخطر بباله بعدها توبة ولاعزم على فعلها فالظَاهر انَه غير مصر، ولعلَه مَا تكفَره الأعمال الصالحة من الوضوء والصلاة والصيام كما ورد في الأخبار.

الأمر الخامس الذنب ان لم يستتبع امراً آخر يلزم الأتيان به كفى الندم والعزم على عدم العود اليه ابداً كلبس الحرير وان تبعه امر آخر من حقوق الله او الناس وجب ذلك الأمر ايضاً كالعتق في الكفارة وقضاء الفوائت، وان كان حداً فهو مخَير بين ان يتوب عنه بينه وبين ربه وهو الأولى وبين ان يقرَبه عند حاكم الشرع ليقيم عليه الحدَ.

وامّا حقوق الناس المالية فيجب تبرئة الذّمة منها بقدر الأمكان، فان مات صاحب الحق وجب الدفع الى ورثته في جميع الطبقات، وان بقي الى يوم القيامة ففيه أقوال ثلاثة:الأول انه لآخر وارث ولو بالعموم كالأمام، الثاني انّه ينتقل الى الله سبحانه الثالث انّه لصاحبه الأول وهذا هو الأصح، لما روي في الصحيح عن عمر بن يزيد عن الصادق عليه السلام قال اذا كان للرّجل دين فمطله حتى مات ثمّ صالح ورثته على شيء فالذي أخذ الورثة لهم ومابقي فهو للميت يستوفيه منه في الآخرة وان هم لم يصالحهم على شيء حتى مات ولم يقض عنه فهو للميت يأخذه منه.

وامّا حقوق النّاس الغير المالي فان كان اضلالاً وجب الأرشاد، وان كان قصاصاً وجب اعلام المستحق له وتمكينه من استيفائه فيقول انا الذي قتلت اباك مثلاً فان شئت فاعف عني، وان كان حداً كما في القذف فان كان المستحق له عالماً بصدور مايوجبه وجب التمكين ايضاً وان كان جاهلاً به ففي وجوب الأعلام خلاف ينشأ من انّه حق آدمي فلا يسقط الا باسقاطه، ومن كون الأعلام تجديداً للأذى وتنبيهاً على مايوجب البغضاء، وكلام المحقق الطوسي وتلميذه العلاّمة يعطي عدم وجود الأعلام في هذه الصورة وهذه المذكورات من قضاء الفوائت واداء الحقوق والتمكين من القصاص والحد لادخل لها في حقيقة التوبة وانّما هي واجبات برأسها والتوبة صحيحة بدونها لكنّها تصير بها أكمل وأتم.

خاتمة هذا البحث في التوبة المؤقتة والتوبة المجملة، واما الأولى فهو كأن يتوب عن الذنوب سنة، وفي صحتّها خلاف والأولى عدم الصّحة لأنّك قد تحقّقت انّ العزم على العود في المستقبل دائماً من اجزائها وهذا مناف له، وامّا الثانية فكأن يتوب عن الذنوب على الإجمال وهو ذاكر للتفصيل فقد توقف في صحتّها الواجا نصير الدين الطّوسي، والقول بالصّحة غير بعيد لعد قيام الدليل على وجوب التفصيل.

نور في الحب ودرجاته وعلاماته وتوابعه ومايتعلق بذلك

اعلم ايدك الله سبحانه ان لفظ الحب ممّا قد اشتهر في الكتاب والسنة وعلى ألسنة الناس، وقد وصف الله تعالى به نفسه فقال يحبّهم ويحبّونه، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحب لله من شرط الأيمان في أخبار كثيرة، قال ابو رزين العقيلي يارسول الله ماالأيمان؟ قال ان يكون الله ورسول الله احبّ اليك ممّا سواهما.

وفي حديث آخر لايؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه ممّا سواهما قال يارسول الله انّي احبك، فقال عليه السلام استعد للفقر، فقال اني احب الله، فقال استعدّ للبلاء،

والحب هو ميل الطَبع الى الشيء الملتذ فان تأكد ذلك الميل وقوى سمّي عشقاً، والبغض عبارة عن نفر الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوى سمّي مقتاً، وحيث انّ الحب مقول بالإشراك بين حب الله سبحانه وبين حب النّاس لمحبوبهم مع انّ محلّهما واحد وهو القلب فلا بأس بالإشارة الى بيان مراتبه وتطبيق كل مرتبة من مراتب حب الله تعالى، لما اشتهر من قولهم المجاز قنطرة الحقيقة، ولأن الألفة بهذه المراتب مألوفة لأكثر الناس بخلاف مراتب حبّه تعالى فانّها ليست مأنوسة الاّ لمن ارتضاه الله تعالى.

فاعلم اولاً ان الحب على ماعرّفه بعضهم هو ايثار المحبوب على سائر المصحوب وقيل هو ميلك اليه بكلّيتك وايثارك له على نفسك وموافقتك له سراً او جهراً، وقيل المحبة محو المحب بصفاته وايثار المحبوب بذاته، وقيل هي هتك الأستار وكشف الأسرار وقيل هو محو الأشباح وذوب الأرواح، وفي بعض الكتب القديمة الحب سرّ روحاني يهوي من عالم الغيب الى القلب، ولذلك سمّي هوى، من هوى يهوي اذا سقط، ويسمى بالحب لوصوله الى حبّة القلب التي هي منبع الحياة، واذا اتصل بها سرى مع الحياة في جميع اجزاء البدن واثبت في كل جزء صورة المحبوب.

كما حكي عن الحلاّج انّه لّما قطعت اطرافه كتب في مواقع الدم الله لله قال هو:

ماقدَ لي عضـــو ولامفـــصل   الا وفـــيه لـــتكم ذكـر

وهكذا حكي عن زليخا انّها افتصدت فارتسم من دمها على الأرض يوسف يوسف وامّا ما اشتهر من قولهم: مجاز قنطرة الحقيقة فقد اشار اليه الشّيخ كمال الدّين عبد الرزاق في شرح منازل السّائرين، حيث قال العشق النظيف أقوى في تلطيف السر، والأعداد للعشق الحقيقي فانّه يجعل الهموم همّاً واحداً ويقطع توزع الخاطر وتفرّقه، ويلذذ خدمة المحبوب ويسهل التّعب والمشقة في طاعته، بخلاف العشق المنبعث من غلبة سلطان الشهوة فانّه وسواس وسعى في تحصيل لذّات النّفس وعلى هذين النّوعين يبني مدح العشق الصوري وذمّه في كلام بعض العرفاء من الحكماء.

وهذه التعاريف كلها حق وتكثّرها انّما جاء من جهة تعدّد مراتبه ودرجاته، وهي على تكثرها قد حصرت في خمسة: أولها الأستحسان وهو يتولد من النّظر والسّماع ولايزال يقوى بطول التّفكر في محاسن المحبوب وصفاته الجميلة، وثانيها المودة وهي الميل اليه والألفة بشخصه والأئتلاف الروحاني معه، وثالثها الخلة وهي تمكن محبّة المحبوب من قلب المحب واستكشاف سرائره.

ورابعها العشق وهو الأفراط في المحبة حتى لايخلوا العاشق من تخّيل المعشوق وذكره لايغيب عن خاطره فعند ذلك تشتغل النّفس عن استخدام القوة الشهوانية والنفسانية فتمتنع عن

الطعام والشّراب لعدم الشهوة ومن النوم لإستضرار الدماغ، وخامسها الوله وهو ان لايوجد في قلب العاشق غير صورة المعشوق ولاترضى نفسه الا به.

امّا المرتبة الأولى فأهلها كثيرون وهي أكثر، وامّا الدرجة الثانية فهي مشتملة على الأئتلاف الروحاني، وقد تقدم في انوار الملكوت انّ الله سبحانه لّما خلق الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة أوقعت بينها الموافقة والمنافرة في عالم الأرواح، ولّما قدمت الى هذا العالم وحلت منازل الأبدان واشتغلت بتعمير هذا المنزل نسيت ماوقع منها في قديم الزمان وسوالف الأيام فلا تذكر محبوبها من غيره لكنها اذا رأته في هذا العالم انعكست اشعتها العلميّة وتحرّكت نحو تلك الألفة القديمة ومالت اليه، حتى ان الرائي اذا رأى رجلاً لم يره في هذا العالم أصلاً يميل اليه من ساعته ويظن انّه رآه ويقول اين رأيت هذا الرجل وهو لم يره الاّ في عالم الأرواح، وهذا هو الذي اراده صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف.

وهذه المرتبة ان وقعت في محبّات الناس، او محبات أهل الله يرى الأنسان نفسه غير مختار في تحصيلها وذلك انّها تحصّل نفسها قبل تحصيلك اياها، نعم زيادتها قوّة وضعفاً ربما كان للإنسان فيه اختيار بسبب طول المعاشرة والأطلاع على مايوجب مزيد الألفة والوداد.

ومن هذه محبّة الأمامية لأهل البيت عليهم السلام فانّ الأنسان اذا اعطى الأنصاف من نفسه وفكّر علم انّ حبهم ممّا تداخل القلوب والعروق، وامتزج باللحم حتّى لم يبق فيه اختيار لأحد منهم، فانّك ترى الطفل اذا نشأ وعرف نفسه ألهم من جانب الله سبحانه الميل الى اهل البيت وحبّهم ولعن مبغضيهم وان لم يذكر له ابوه وامه مثل هذا فان قلت لايثاب المرء الا على ماكان له فيه اختيار، وذلك انّ حبهم مأمور به في قوله تعالى{قل لااسئلكم عليه من اجر الا المودة في القربى} فيكون داخلاً في الأحكام، وقد تقرر انّ مالم يدخل تحت الأختيار من الأفعال الكسبية لايكون داخلاً في الأحكام الخمسة ولايثاب عليه فاعله، قلت الجواب عن هذه الشّبهة من وجوه:

الأول بناء على ماعرفت من قدم التخالف والتوالف وانّه كان في عالم الأرواح وكان هناك كمال الأختيار، وقد اشتمل ذلك العالم على انواع التكاليف من دخول نار اوقدها الله سبحانه، وامر الفريقين بدخولها فدخلها أهل اليمين وهم نحن، فصارت عليهم برداً وسلاماً، وأبى أهل الشمال وهم مخالفونا وقالوا لاطاقة لنا بدخولها فقال تعالى الى ناري ولاابالي، وحينئذ فحبّنا لهم عليهم السلام في هذا العالم تعارف وتجديد لما وقع في العالم الأول وهو عالم الأختيار فيرجع الى الأختيار.

الثاني انَ سببه اختياري وهو تحقيق أحوالهم والأطلاع على بعض محاسنهم وما آتاهم الله تعالى من درجات الكمال فيدخل تحت الأختيار لدخول سببه كما تقدم في ندم التوبة.

الثالث انَ الله سبحانه اذا فطر المؤمن على جبلة من الخير وانشأة عليها لعلمه بأنه أهل لها تفضَل عليه بالثواب، فيكون من باب الثواب التَفضلي لا الأستحقاقي، فانَ الأنسان اذا فكر في اكثر الصفات يرى ان الجبلة او الفطرة لها مدخل عظيم فيها، وانَه من نعمه سبحانه التي نشأ الخلق عليها، وامَا كمالها وفروعها فمن اختياره وسعيه وامَا محبة اهل الله من المؤمنين والصلحاء فهو وان لم يدخل تحت الأختيار ايضاً الا انَ اسبابه ودواعيه مَما حصلَها بسعيه وكذه بسبب الأيمان وارتكابه الأعمال، وانَه جعل نفسه من جنس الصالحين والجنس الى الجنس أميل.

ةامَا الدرجة الثالثة وهي الخلة فانَما يحصل التمكن الذي فيها من مصادفته الخالي وذلك انَ القلب حصن البدن فمن دخله ملك مالك البدن وجرت علي او امره ونواهيه جميع جنوده وعساكره وهي الأعضاء والدَواعي والأرادات، فاذا كان ذلك الحصن خالياً ودخله سلطان من غير احتياج الى معركة وحرب كان تمكَنه فيه اكثر، ومال الى احداث الآثار فيه لظنَه انَه بيته ومنزله، ولايدخل اليه مايعارضه وينازعه فيه، ومن ذلك ترى الحبَ اذا وقع وفي ايَام الشباب ووقت الطفولة يكون تمكنه في القلوب اشدَ واعظم مَما وقع في وقت آخر

أتاني هواها قبل ان اعرف الهـــتتوى وصــــادف قلباً خالياً فتمكنا

فيه المتعاندات

قد صـــيغ قلبي على مقدار حبـــكم فما لغير هـــواكم فيه متـسع

وهذه الدرجة في الحب الحقيقي هي درجة الخليل عليه السلام وبه سمَي الخليل مأخوذ من الخلال كأنَ المحبوب قد تداخل في خلال الحبيب واعماق بدنه، وذلك انَ الخليل عليه السلام لَما خيف عليه من النَمرود فمضت به امَه الى كهف جبل وألقته في مغارته، وصارت تختلف اليه في كل اربعين يوماً مرَة وربَما كا أزيد، وكان الله سبحانه هو الذي تولى تربيته، فلمَا نشأ رأى انه لأحد متكفل به سواه تعالى فلم يشغل قلبه بحب الآباء والأمهات لأجتنابهم له وبعدهم عنه فكان قلباً خالياً قد صادف ذلك الهوى فتمكن فيه، وكذا وقع مثل هذا لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم حيث انه تعالى اوقعه في اليتم ونأ ولم ير له مربياً سواه تعالى فصغر على الحب وكبر عليه ولم يجعل سبحانه لأحد من ابويه حقاً عليه، فمن هذا سلبه ابويه من صغره كما ورد في الروايات.

واما المرتبة الرابعة وهي العشق فاشتقاقه من العشقة وهو نبت يلتف على الشجرة من أصلها الى فرعها، فهو محيط بها كما انَ العشق محيط بمجامع القلب، واما اشتغال النفس بهذه

المرتبة عن قواها الشهوانية وعن النوم فانما جاء من فرط نار المحبة الكامنة في القلب الشاغلة له عمّا عداه، حتى انّه في هذه الحالة ربّما اشتغل قلبه وحسّه عن آلام البدن واوجاعها.

حكى شيخنا البهائي طاب ثراه في حاشية العالية على تفسير القاضي انّ رجلاً يهودياً كان عنده جارية وكان مفرطاً في حبها ومتعشقاً لها، فمرضت يوماً واحتاجت الى طبخ طعام لمكان المرض، فوضع القدر فلما قرب اشتواء الطعام احتاج الى سوطه، فأخذ المغرفة وشرع يسوطه فكان هو يسوط الطعام والجارية تأن، فلمّا سمع انينها اشتغل قلبه بها فوقعت المغرفة من يده وصار يسوط القدر بيده ولم يحسن به حتى تساقط لحم يده فلما سكنت من الأنين ورجع اليه عقله رأى انه كان يسوط القدر بيده، ومثل هذه الحالة قد كانت في الحب الحقيقي، وذلك ان امير المؤمنين عليه السلام لمّا كانت النصال تلج في بدنه من الحروب كان الجرّاح يخرجها منه اذا اشتغل بالصلاة لعدم احساسه بها ذلك الوقت لإشتغال قلبه بعالم القدس ومالك(ملك خ) الجبروت[١].

ورأيت في عشر السبعين بعد الألف لمّا كنت بشيراز رجلاً عرياناً والناس خلفه في حوش عمارة السيد احمد بن موسى الكاظم عليه السلام، فرأيته في كل واحدة من يديه سكيناً وهو يضرب بهما صدره ويقطع بهما لحم بدنه ودماؤه تجري، فسألت عن حاله فقالوا كان يهوى شخصاً وقد أشخصه اهله الى بعض البلدان فما يدري اين ذهب، وهكذا كانت عشّاق الله سبحانه، فقد ورد في الأخبار ان العباد من بني اسرائيل اذا بلغوا في العبادة عمد العابد منهم الى سلسلة من الحديد وأخرجها من ترقوته وشدّ بها الى احد اساطين المسجد لئلا يخرج من منزل حبيبه الى غيره، وفي هذه المرتبة ايضاً من جهة الف النفس بصورة المحبوب قد يرى غيره بصورته لأنه لاصورة في خياله غير صورة محبوبه.

حكى لي اوثق مشايخي باصفهان ليلة من الليالي انّه قد كان له صديق وقد كان يهوى صاحباً له، فاتفق انّ اهله ارسلوه ببضاعة الى بلدة ببهبهان، فلمّا زمضت له ايّام له لم يملك الصبر عنه فسافر الى تلك البلدة، فحكي انّه لما دخل بهبهان كانت ليلة الجمعة وكان الناس يخرجون الى قبور موتاهم لزيارتهم، قال فرأيت مجمعاً من الناس فجلست معهم حتىأسأل عن احوال ذلك الصاحب وأهتدي الى منزله، ثم أخذت في تخيّل صورته فنظرت الى يدي واذا هي بصورة يده، والى اعضائي كلها فما رأيت شيئاً من اعضائي وجوارحي الاّ وهي على صورة اعضائه فغرقت في بحر التعجب، فلما دخلت البلد وسألت عنه قيل لي في مجمع من الناس مجتمعين في بيت رجل للضيافة فدخلت عليهم ونظرت اليه فرأيته في تلك الصورة التي رأيت نفسي عليها، فلما شاهدت

---

(١) هذه القضية مشهورة بين الشيعة في حق امير المؤمنين عليه السلام سلام الله عليه كما صرح بشهرتها بينهم العلامة القاشاني(ره) في كتابه النفيس المحجة البيضاء في القسم المخطوط منه الموجود في مكتبتنا.

من نفسي هذا الحال رجعت الى اصفهان، وهذه الحكاية كان الشيخ ادام الله ايّام سلامته اذا تذاكرنا مذاهب الصوفية وقولهم بالحدود والأتحاد وهو ان الله يحل بكل المخلوقات يكذّبهم ويقول انّ مثل هذا الأتحاد الخيالي ممكن، ولبعض اصحابنا:

علمـــت لمـــذهب التوحيـــد حقـــاً وكنـــت ابطـــل رأى الأتحـــاد
الى ان بنـــت يـــاروحي بروحـــي وشخـــصك يـــافؤادي في فـــؤادي

وهذا ايضاً من الأتحادات الشَعرية الخيالية، واظن انَ الشعرين المشهورين بالأشكال من هذا الباب وهما هذان:

رأت قمـــر الـــسماء فـــذكرتني ليـــالي وصـــلنا بـــالرقمتين
كلانـــا نـــاظر قمـــر ولكـــن رأيـــت بعينهـــا ورأت بعـــيني

يعني اننا اتحدنا في ذلك الوقت فصارت عيني عينها وعينها عيني، وذلك من المبالغات الشَعرية او من التَصورات الخيالية، وقد ذكر له أهل تلك الصَناعة وجوها كثيرة حتى انّ بعضهم قد صنَف فيه مقدَمة وذكر له سبعين معنى تقريباً، ولنذكر بعض ماقالوه وهو معان:

اولها ان معناه انها أي المحبوبة كانت تنظر الى القمر الحقيقي في السماء وانا انظر الى القمر المجازي الذي هو وجهها بأنه قمر حقيقي لأن عينها تنظر الى القمر الحقيقي، ثم قال ورأت بعيني يعني انها رأت القمر الحقيقي بعيني أي نظرت اليه بانه قمر مجازاً وانه في الواقع الحقيقي لأنها نظرت بعيني وانا انظر اليه على انه مجاز بالنَسبة اليها ولا يخفى في هذا الوجه من التَكلف.

وثانيها ماقاله الوالي تغمده الله برحمته وكان عالماً شاعراً اديباً صالحاً عفيفاً عابداً وكان حاكماً على بلاد العرب كالحويزة وما والاها، وقد كنّا نحن بشوشتر فكان كل سنة يرسل الينا المكاتيب والرسائل ويرغبنا ويحثنا على الوصول الى حضرته وقد أبطأنا عليه بعض المرات، فكتب الينا مكتوباً وهذه الأبيات من جملته:

يأخـــا بـــشرنا تـــأخرت عنـــا قـــد أســـأنا ببعـــد عهـــدك ظنـــا
كـــم تمنيـــت لـــي صـــديقاً صـــدوقا فـــاذا انـــت ذلـــك المتمنـــى
فبغـــصن الـــصبا لمـــا تـــثني وبعـــد الـــصبا وان بـــان عنـــا
كـــن جـــوابي لكـــي تـــردّ شـــبابي لاتقـــل للرســـول كـــان وكنـــا

وقد كان اكثر المصنفات في فنون العلوم وكان يحفظ من القصائد مع كبر سنه مالايعد لأنه كان يحفظ اكثر الدَواوين على خاطره، وله ديوان نفيس وماكنـا نسمع في مجلسه شيئاً سوى روى جدنا عن جبرئيل عن الباري، وقد انتقل الى جوار ربه ورحمته سنة الثامنة[١] والخمسين بعد الألف، وجلس في الملك بعده ابنه الكبير وفقه الله تعالى والأسم الشريف لذلك المرحوم هو السيد علي خان بن السيد خلف بن السيد مطلب الذي اسلمت الكفار على ايديهم واستبصرت المخالفون في أعصار دولتهم:

نسب كان عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصَبــــاح عمـودا

وحاصل المعنى بتوقفه على البيتين وهو انَها رأت قمراً في السماء ببهجة واستحسان فأذكرتني ليالي كنت أو أصلها بالرقمتين لما كانت مساعدة بالوصل وتنظر الي بتوجه وتودد، ثم قال كلانا ناظر قمراً وهو القمر الحقيقي ولكن رأيت بعينها في هذه الحالة التي هي معرضة عنَا وصادَة فيه، ورأت بعيني في حال نظري اليها باستحسان وتوجَه فأنا انظر الى القمر الحقيقي معرضاً عنه اذا طلبتي غيره، وهي تنظر اليه بتوجَه منها اذ مطلبها النَظر اليه.

وثالثها كون معناه انَ الرجل اذا نظر الى الشيء ينظر اليه شزرا[٢] والمرأة اذا نظرت تنظر فتوراً لمكان الحياء والخجل، ولكن هنا لما نظرت الى القمر الحقيقي نظرت شزراً لعدم حيائها منه، وهو لما نظر الى القمر المجازي وهو وجهها نظر اليه بحياء وفتور، فقد صار وصف كل واحد منهما للآخر.

ورابعها انَها نظرت الى قمر السماء ونظرت انا الى قمر وجهها فأنا نظرت الى قمر كالقمر الذي رأته هي بعينها، يعني ان وجهها قد صار قمراً حقيقياً، فأنا أنظر بعينها يعني مثل الذي تنظره عينها وهو القمر الحقيقي، وهي تنظر الى قمر حقيقي بعيني، أي بالعين التي نظرت بها الى القمر الذي هو وجهها، وقيل فيه معان كثيرة.

ونظير هذا في مراتب الحقيقة ماروي عن الأمام ابي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال في حديث الأسراء انَ عبدي ليتقرب اليَ بالنوافل حتى احبه، فاذا احببته كنت سمعه الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، ان دعاني اجبته وان سألني أعطيته، ولقد هلك جماعة من الصوفية في هذا الحديث حيث حملوه على ظاهره، فذهبوا منه الى الأتحاد المعروف بينهم، وهذا كفر منهم والحاد في ذات الله، ومعناه الذي يمكن ايصاله الى الأفهام هو انَ العبد اذا تقرَب الى الله عز وجل تقرَب اليه ايضاً، كما قال من تقرب اليَ شبراً تقربت اليه ذراعاً،

---

(١) في النسخة المخطوطة:الثانية.

(٢) الشزر بالفتح فالسكون نظر الغضبان بمؤخر العينين يقال نظر اليه شزراً أي نظر غضب.

ومن تقرب اليَ ذراعاً تقربت اليه باعاً، فاذا وقعت المقاربة منحه الله الألطاف الألهية حتى لايكون عاملاً الا بما كان موافقاً لرضاه فهو سبحانه الذي يتصرف في اعضائه وجوارحه ويجريها في مجرى طاعته وارادته، فهو الذي يسمعه وهو الذي ينصب عينيه لمشاهدة آثاره وعالم ملكوته، وهو تعالى الذي ينطق لسانه بكلماته وعباداته الى غير ذلك.

وهذه المرتبة تسمى عند السالكين الفناء في الله وسيأتي تحقيقها ان شاء الله تعالى عند تحقيق مراتب السلوك، والى ماذكرنا يشير كلام سيد السالكين مولانا امير المؤمنين عليه السلام ماقلعت باب خيبر بقوة جسمانيَة بل قلعتها بقوة ربَنيَة، وذلك انه عليه السلام قد أفنى قوَته البشرية في الطاعات والعبادات فأعطاه تعالى قوة ربَانية بها قدر على مايعجز عنه قوة البشر، ومن هذا قال عليه السلام عرفت الله بفسخ العزائم، وقال ايضاً ان قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبهما كيف شاء، ومن نظائر ماسبق ماذكره ابن الجوزي في تاريخه.

قال لَما تزوجت ليلى جاء المجنون الى زوجها وهو يصطلي في يوم شاة فوقف وقال له:

بربك هل ضممت اليك ليلى ... قبيل الصبح او قبَلت فاها

وهل رفَست عليك قرون ليلى ... رفيف الأقحوانة في نداها

فقال اللهم اذ خلقتني فنعم، فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر فما فارقهما حتى سقط مغشياً عليه، فسقط الجمر مع لحم راحتيه وتوفي سنة سبعين من الهجرة.

وحكى بعض الثقاة قال اجتزت في بعض اسفاري بحي بني عذرة، فنزلت في بعض بيوته، فرأيت جارية قد ألبست من الجمال حلية الكمال فأعجبني حسنها وكلامها، فخرجت في بعض الأيام ادور في الحي واذا انا بشاب حسن الوجه وعليه أثر الوجد وأضعف من الهلال وانحف من الخلال، وهو يوقد ناراً تحت قدر ويردد ابياتاً ودموعه تجري على خدَيه، فمَما حفظت منه قوله:

فلا عنك لي صبر ولافيك حيلة ... ولا عنك لي بدَ ولاعنك مهرب

ولي ألف باب قد عرفت طريقها ... ولكن بلا قلب الى اين اذهب

فلو كان لي قلبان عشت بواحد ... وأفردت قلباً في هواك يعذب

فسألت عن الشاب وشأنه، فقيل يهوى الجارية التي انت نازل في بيتها وهي محتجبة عنه منذ اعوام، قال فرجعت الى البيت وذكرت لها مارأيت، فقالت ذاك ابن عمي، فقلت لها ياهذه للضَيف حرمة فنشدتك بالله الا مامتَعته بالنظر اليك في يومك هذه، فقالت صلاح حاله في ان لايراني، قال فحسبت ان امتناعها ظنَة منها، فما زلت اقسم عليها حتى أظهرت القبول وهي

متكرهة، فقلت لها انجزي وعدك الآن فداك ابي وامي، فقالت تقدمني فاني ناهضة اثرك، فاسرعت نحو الغلام فقلت له ابشر بحضور من تريد فانّها مقبلة نحوك الآن، فبينما انا اتكلم معه اذ خرجت من خبائها مقبلة تجرّ اذيالها وقد اثارت الريح غبار اقدامها حتى ستر الغبار شخصها، فقلت للشاب هاهي قد أقبلت، فلما نظر الغبار صعق وخر على النار لوجهه فما اقعدته حتى اخذت النار من صدره ووجهه، فرجعت الجارية وهي تقول من لايطيق مشاهدة غبار نعالنا كيف يطيق مشاهدة جمالنا.

ونظير هذه في عالم الحقيقة قوله تعالى{ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه}الآية، ونقل في كتاب مصارع العشّاق ان كثير عزة قال اعجب وألذ مامرّ عليّ في حب عزة انّه كان معه ركب يريدون الحج، وقد اتفق ان في ذلك الركب عزة مع زوجها وكان كثير لايعلم بهما، فبينما هو ذات يوم في الطريق قاعد يبري واذا عزة واقفة على رأسه فطار لبّه لما نظر اليها وصار يبري اصابعه بالشفرة والدم يسيل من يده وهو لايحس به، وكان زوجها باعثها تشتري سمناً فأظهرت غرة لكثير انها تريد سمناً وكان عنده ظرف، فقام وصب لها في الأناء فأمتلأ وفاض ووقع في الأرض، فلما نظرت غرة الى الدم يسيل من اصابعه قطعت قطعة من مقنعتها وعصبت بها يده ومضت الى زوجها فرآها على حالة منكرة، فسألها فأخفت عليه حالها حتى ألحَ عليها فأخبرته بما كان، فقبضها من يدها وأوجعها وأتى بها الى قدام كثير، وقال لها اشتميه وسبيه حتى اسمع فقابلت كثيرا وأخذت في شتمه وسبّه وزوجها يسمع فقال كثير:

يكلّفهـا الخنزيـر شـتمي ومابهـا   هـوآئي ولكـن الكميـل اسـتدلت
هنيئـاً مريئـاً غـير داء مخـامر   لغـرة مـن اعراضـنا مـا اسـتحلّت

ومن النظائر في عالم الحقيقة ان رجلاً كان ورده ياالله، فكان يقولها كل اوقاته فلمّا قتل جرى دمه على الأرض مكتوباً فيه ياالله ياالله اينما جرى، وما ذلك الا لإختلاط محبّته تعالى وممازجتها بلحمه ودمه، وفي عالم الشهود قد نقل ايضاً مثله وهي انّ زليخا قد احتجمت يوماً فلما وقع الدم على الأرض كان مكتوباً فيه يوسف يوسف اينما سال.

وحكي ايضاً في التفاسير انها غضبت على يوسف عليه السلام يوماً فأمرت خادمها بأن يضربه اسواطاً وهي تسمع صوت السوط، فكان الخادم يوقع الأسواط على الأرض ويضرب الأرض وهي تسمع فخطر بخاطر الخادم ان يضربه سوطاً واحداً حتى يرى الأثر على بدنهفلا تكذبه زليخا في ضرب الأسواط، فضربه سوطاً فخرجت زليخا من خدرها وصاحت به كفَ عن

الضرب فهذا السوط الذي ضربته الآن قد وقع ألمه في قلبي، وكأنك ضربتني أنا لايوسف، فأمنت على الخادم فحكى لها كيفية الضرب وانه كان على الأرض الاّ ذلك السوط.

وقد سبق ان زليخا قعدت يوماً على ممر يوسف فلما اخبرتها جاريتها بدنوه منها قالت يايوسف بحق الذي اعزك واذلني ان تقف ساعة ولاتغيب عني، فقال يازليخا اين مالك وجمالك؟ قالت ذهبا في سبيلك، فقال واين عيناك؟ فقالت ذهبتا بالبكاء على فراقك، فقال واين عشقك؟ قالت في صدري كما كان، قال فأين برهانك؟ قالت ناولني سوطك، فناولها اياه فتأوهت ونفخت فيه فأحترق السوط من نفسها، فألقاه يوسف من يده وصرف عنان الفرس فراراً، فقالت يايوسف انك بدعوى الرجولية لم تكن مثل هذه المرأة فاني حفظت تلك النار في صدري منذ اربعين سنة ولم انهزم كأنهزامك.

ومن احكام هذه المرتبةفي عالم الشهود ماذكره شرّاح كتاب المعنى عند ذكره في بحث لو الشرطية قول الهذلي:

ولو تلتقي اصداؤنا بعد موتنا ... ومن دون رمسينا من الأرض سبسب
لظل صدا صوتي وان كنت رمّة ... لصوت صدا ليلي يهش ويطرب

والأصداء جمع صدا وهو الذي يجيبك مثل صوتك في الجبال، والرّمس تراب القبر، والسبسب المفازة، والرمة العظام البالية، ثم نقل بعد هذا قول توبة:

ولو ان ليلى الأخيلية سلّمت ... عليّ ودوني جندل وصفائح
لسلّمت تسليم البشاشة اوزقى ... اليها صدى من جانب القبر صائح

والصفائح الحجار العراض تكون على القبر، وزقى أي صاح، قال الشرّاح ذكر صاحب كتابالجليس والأنيس قال مرّت ليلى الأخيلية ومعها زوجها قرب قبر توبة، فقال لها ياليلى هذا قبر توبة فسلمي عليه، قالت وماتريد منه قال اريد تكذيبه أليس هو الذي يقول ولو انّ ليلى الأخيلية الشعر، فلا والله مابرحت حتى تسلمي عليه فقالت السلام عليك ياتوبة ألست القائل ولو انّ ليلى الأخيلية سلّمت فأين ماقلت؟ فاذا طائر كان هناك فخرج من القبر حتى ضرب بصدرها فشهقت شهقة فماتت، فدفنت الى جانب قبره فنبتت على قبره شجرة، وعلى قبرها شجرة فطالتا فالتفتا فانظر الى فرط المحبة كيف اثّر فيهما وسرى منهما الى شجرتيهما حتى تلاقتا، والظاهر ان تلاقيهما عياناً يشعر بتلاقي روحي اهل الحب بياناً وماذلك الا لأن عشقهما كان عفيفاً، ومن هذا الباب قول المجنون:

ولو وقفت ليلى بقبري وقد عفت   معالمــه واســتفتحت بــسلام
لحنَــت اليهــا بالتحيــة رمّــتي   ورنَــت بترجيــع الــسلام عظــامي

ولذا نقل عنه صلى الله عليه وآله وسلم انّه من قال من عشق فعفَ فمات دخل الجنّة، وفي كتاب رياض النَعيم عن ابراهيم بن نفطويه النحوي قال دخلت على محمد بن داود الأصفهاني صاحب المذهب في مرضه الذي مات فيه، فقلت كيف تجدك؟ فقال حب من تعلم اورثني ماترى قلت مامنعك منه مع القدرة عليه، فقال الأستمتاع على وجهين النظر المباح واللّذة المحظورة، واما النظر المباح فقد منعني منها مابلغني عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من عشق وكتم وعفَ غفر الله له وأدخله الجنّة قال ثمّ انّه أنشدني أبياتاً لنفسه فلمّا انتهى الى قوله:

ان يكن عيب خده من عـذار له   فعيب العيون شعر الجتفون

فقلت له انت تنفي القياس في الفقه وتثبته في الشعر، فقال غلبة الهوى وملكة النفوس ودعوا اليه قال ومات في ليلته.

وحكى بعض الصلحاء قال رأيت الغزالي في البرية وعليه موقعة وبيده ركوة وعصا، فقلت ايها الأمام أليس تدريس العلم ببغداد خيراً من هذا؟ فنظر اليّ نظر الأزراء وقال لّما بزغ بدر السعادة من فلك الأرادة وجنحت شمس الأصول الى مغارب الوصول:

تركـت هـوى ليلـى وسـعدى بمنـزل   وعــدت الى مــصحوب اول منــزل
ونــادت بــي الأشـواق مهـلاً فهـذه   منــازل مــن تهــوى رويــدك فــانزل

ولذا نقل عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من عشق فعف فمات دخل الجنة، وحكي عن العشاق السبعة مثل ذلك، ذكر جامع ديوان المجنون انّه دخل يوماً على ليلى وكان يحاكيها فأتى زوجها فعمدت الى المجنون وادخلته تحت ثيابها وجلست، فلمّا خرج زوجها أخرجته من تحت الثياب فقالت له مارأيت تحت الثياب؟ قال وحقك دخلت أعمى وخرجت أعمى، وقد كان غمض عينيه حتى لاينظر الى بدنها، وهذا ايضاً علامة دوام الحب والا فالحب اذا نكح فسد.

وقد شاهدنا من ارتكب اعظم المشاق في باب العشق والمحبة ولكن ذكر حكاياتهم يفضي الى تطويل الكتاب، وقد ذكر بعض أهل التاريخ انّ كثير عزة كان رافضياً وكان خلفاء بني امية

يعرفون ذلك منه، دخل على عبد الملك بن مروان يوماً فقال نشدتك بحق علي بن ابي طالب عليه السلام هل رأيت أعسق منك؟

فقال نعم بينما اسير في الفلوات اذ انا برجل قد نصب حبائله، فقلت ماأجلسك هنا؟ قال أهلكني وأهلي الجوع فنصبت حبائلي لأصيب لهم ولنفسي مايكفينا يومنا هذا، فقلت أرأيت أن أقمت فأصبت صيداً تجعل لي جزء، قال نعم، فبينما نحن كذلك اذ وقعت عليه ظبية فخرجنا مبتدرين فأسرع اليها فحلّها وأطلقها، فقلت له ماحملك على هذا؟ قال دخلني عليها رقّة لشبهها بليلى وأنشأ يقول:

أيا شبه ليلى لاتراعي فانني ... لك اليوم من وحشية لصديق
أقول وقد أطلقتها من وثاقها ... لأنت لليلى لو عرفت عتيق
فعيناك عيناها وجيدك جيدها ... ولكن عظم الساق منك دقيق

ولما اسرعت في العدو جعل يقول:

اذهبي في كلاءة الرحمن ... انت مني في ذمة وامان
لاتخافي من ان تحاجي بسوء ... ماتغني الحمام في الأغصان

اقول ونظير هذا في عالم الحقيقة انّ الرجل الذي كان يضحك منه فرعون لما تشبه بموسى عليه السلام في الملبس ودخل على فرعون يقلّد على موسى في اقواله وافعاله وقد غضب منه موسى، ولّما اغرق الله فرعون وجنوده وكان فيهم ذلك الرجل فلم يغرقه الله سبحانه، فقال موسى يارب ان هذا الرجل أغاضني فلم لم تغرقه؟ فقال ياموسى انّه تشبّه بك في الثياب والكلام فأنجبته لما تشبّه بأحبابي.

وحكى بعض الثقاة انّه كان رجل يهودي ابن واحد من السلاطين قد سمّاه فأفرط في حبه ومنعه عن اشغاله، فترك معاشه وجعل نفسه سقّاء في باب بيت السلطان حتى يراه كلما خرج فبقي على هذا مدّة، ثم ان بعض خواص ذلك الولد اخبره عن حال ذلك الرجل وافراطه في عشقه، فقال ذلك الولد اظن ذلك الرجل كاذباً في دعواه، فقالوا اختبره ان اردت تصديق مقاله، ثم انّه ركب يوماً وخرج الى الصّيد وامر ذلك الرجل ان يجيء معه الى الصحراء فلما بلغ الى محل الصيد رمى سهماً وقال لذلك الرجل امض الى هذا السهم وانظر اين وقع فاجلس عنده، فمضى الرجل الى السهم واخذه وقبله وجلس نتظراً لولد السلطان، فرجع ومعه خواصه الى البلد ولم يخرج بعد الى تلك الصحراء حتى مضى اربعون سنة فاتفق انه خرج يوماً الى تلك الصحراء فرأى رجلاً قد

اخذه العمر وهو جالس وبيده سهم، فسأله عن حاله فقص قصّته فعرفه ابن السلطان فقال له تعرفني؟ فنظرالرجل اليه فقال اعرفك وانا مقيم على مأمرتني به ولاأحول عنه الى الموت قضاء لأمرك لما كنت حبيباً، فأراد منه المجيء الى البلد فلم يقبل فبقي وكان هناك قبره.

ونظيره في عالم الحقيقة ماروٰاه الصدوق باسناده الى الصادق عليه السلام قال انّ اسماعيل الذي قال الله عز وجل في كتابه {واذكر في المتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا} لم يكن اسماعيل بن ابراهيم، بل نبياً من الأنبياء بعثه الله عز وجل الى قومه، فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه فأتاه ملك الموت، فقال ان الله عز وجل بعثني اليك فمرني بماشئت، فقال لي اسوة بما يصنع بالحسين عليه السلام، وقد وعد رجلاً على ضحوة فاشتّدت الشمس عليه، فقال اصحابه يارسول الله لو انّك تحوّلت الى الظّل، قال قد وعدته الى هيهنا وان لم يجيء كان منه المحشر، وفي خبر آخر انّه وعد رجلاً فجلس له حولاً ينتظره فانّ انتظاره عليه السلام انّما جاء من قبل الأمر به من جهة ذلك المحبوب الحقيقي فهو تعظيم له في الحقيقة لالذلك الرجل.

فان قلت اذا آل الأمر الى مرتبة العشق والمحبة افيجوز ان يكون في ذلك الحصن أعني القلب غيره سبحانه؟ قلت نعم ولكن ذلك الغير يكون اعوانه واتباعه واحبابه فيصدق ان ليس في ذلك الحصن غيره كما يصدق ان ليس غير السلطان في الحصن الظّاهري، مع ان السلطان وحده لايجوز ان يكون فيه وحده بدون الأتباع والأعوان والجنود.نعم ليس فيه مايعارض ذلك السلطان ولايكون مناسباً له ويكون اجنبياً عنه وكذلك القلب فانّه اذا كان فيه حب الله وحب من احبّه الله صدق انه ليس في القلب حب غير الله لما عرفت، ومن هذا قال صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه اللّهم ارزقني حبّك وحب مايقربني الى حبك واجعلك أحب اليّ من الماء البارد.

وقد كان ذلكفي اكثر اهل العشق هذا العشق فانّهم كانوا يحنون الى من له أدنى نسبة الى محبوبهم كالدّيار والمنازل والأقارب والجيران حتى كلاب الحي:

رأى المجنـون في البيـداء كلبـاً ... فجـرّ لـه مـن الأحسان ذيـلاً
فلامـوه علـى مـا صـار منـه ... وقـالوا ألم أنلـت الكلـب نـيلاً
فقـال لهـم دعـوني انّ عـيني ... رأتـه مـرة في حـيّ ليلـى

وكذلك الديار فانّ ماقرب من دار الحبيب يمون عندهم كداره:

لاتقولوا دارها بشـرقي نجد ... كل نـجد للعـامريّة دار

وقوله الرّضي ره:

عارضاً بي ركب الحجاز أسايل(أسائله) ... متـى عهـدهم بأيّـام جمـع

واتمــلا حــديث مـــن ســكن الخيــف ولاتكتباهـــــا الا بـــدمعي
فــــاني ان ارى الـــدّيار بطــــرفي فلعلـــي ارى الـــديار بـــسمعي

وكما انّ السلطان المستقرّ في الحصن يحتاج في بقائه في ذلك الحصن الى الماء والزّاد واللّباس وسائر مايحتاج اليه في المعاش فكذلك القلب، فانّ ابن آدم قد خلقأجوف يحتاج الى المأكل والمشرب الى غير ذلك مما يحفظ البدن، ولايهتم الأنسان في تحصيل شيء الاّ اذا أحبّه وعلم انّ فيه مصلحة، فحينئذ فحب الزوجة والولد والمال والأقارب والأعوان اذا كان لغرض ديني لاينافي حبّ الله تعالى بل يؤكده ويقرّره، امّا المال ففيه معاونة المحاويج والفقراء من اهل الله، واما الزوجة فهي لباس الرجل السّاتر له وبها يحصل له التّعفف عن ارتكاب المحرمات.

واما الأولاد فالمصالح الأخروية المترتبة على وجودهم اكثر من ان تحصى، روي انّ نبياً من الأنبياء مرّ على قبر يعذّب صاحبه ثم مرّ عليه بعد مدّة فلم يكن يعذّب فسأله أصحابه عن رفع العذاب عنه، فقال انّه خلف ولداً فجاءت به امه الى المعلم، فلقّنه بسم الله الرحمن الرحيم فاستحى الله ان يعذب رجلاً وابنه يقول بسم الله الرحمن الرحيم.

واما الأقارب فهم من اعظم النّعم حتى لو كانوا اعداء، فان الصادق عليه السلام قال أفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشح أي المعادى، وبالجملة فحب هؤلاء وامثالهم لمثل هذه المصالح لاينافي حب الله تعالى بل يجتمع معه ويكون معاوناً على بقائه واستمراره، روي انّه عليه السلام سأل رجل من الشّيعة فقالوا له يارسول الله قد تخلّى عن الدنيا وأقبل على العبادة، قال فمن اين يأكل؟ قالوا له أخر يعطيه، فقال انّ ثواب ذلك الأخ اكثر من ثوابه مع عبادته، وهذا اشارة الى ماذكرناه، امّا اذا احبّ الولد لغرض دنيوي وكذا المال ليتوصل به الى الأغراض الفاسدة فهذا ممّا لايجتمع مع حب الله سبحانه.

فان قلت فاذا احب هذه المذكورات لالغرض الأول ولالالغرض الثاني بل لأن الطبيعة البشرية اقتضته فانّك ترى انّ الرجل يحب اطفاله واقاربه ولايخطر بخاطره شيء من الأغراض أفيكون مثل هذا مضاداً لحب الله سبحانه أم غير مضادّ له.

قلت الحق انّ مثل هذا لايضاده، وذلك انّ مثل هذه المحبّات يكون بها بقاء النّوع الأنساني، ولولاها لما عطفت الأمّ على الولد وآثرته على نفسها ووقته الحر والبرد وكذلك الرجل على ولده فتكون هذه المحبات منه تعالى لإنتظام النّوع وقد صرّحت بمثل هذه الأخبار، روي انّ الله تعالى خلق المحبّة على مائة جزء فقسم واحداً منها بين الخلق وبه يحبّ الرجل ولده والأمّ طفلها، وأبقى منها تسعة وتسعين جزء يرحم بها الخلائق يوم القيامة.

نعم الذي يجب هنا ان يجعل حب الله سبحانه سلطان ذلك الحصن، وهذه المحبّات من العساكر والأتباع لا ان يجعل واحدة منها هي الرئيس ويكون محبته تعالى من التوابع كما هو الموجود في اكثر الناس، والى هذا الأشارة بما روي من انّ الحسن عليه السلام قال يوماً لجده صلى الله عليه وآله وسلم أيجتمع محبتان في قلب واحد؟ فقال لإبني، فقال أتحب أبي؟ قال نعم، قال أفتحب امي؟ قال نعم، قال أفتحب أخي؟ قال نعم، قال أفتحبني انا؟ قال نعم، قال افتحب الله تعالى؟ قال نعم، قال الحسن عليه السلام فكيف اجتمعت هذه المحبّات كلها وأنت قلت لايجتمع محبتان في قلب واحد، فقال صلى الله عليه وآله وسلم يابني ان احبكم يرجع الى حب الله تعالى في قطب القلب وحبّكم كالخطوط التّي هي حوله، فهذا الحب كلّه واحد وتفصيله ماذكرنا، وعلى هذا ينحل الإعتراض الذي اورده بعض القاصرين على قول الشاعر:

محى حبها حب الأولى كن قبلها وحلّت محلاً لم يكن حل من قبل

ووجه الأعتراض بانه اذا كان حبها قد محى حب من تقدمها على انّ القلب كان محلاً لغيرها لكن حبها اخرج ذلك الغير، فما معنى قوله وحلت مكاناً لم يكن منزولاً قبلها، والجواب ان حب من كان قبلها كان محلّه اطراف القلب وجوانبه، ولّما أتى هذا الحب أخرج تلك المحبّات من كل الأطراف واستقر في وسط القلب الذي لم يكن محلاً لأحد قبله، وقد كانت الشعراء اذا أرادوا ان يدعوا على احد سواء ادعيتهم عليه ان يكون مشغولاً بحب محبوب يكون ذلك المحبوب مشغولاً بحب غيره كما قال بعض الشعراء:

من قصر الليل اذا زرتني أشكو وتشكين من الطَول
عدو عينيك وشأنيهما أصبح مشغولاً بمشغول

فقوله اذا زرتني ظرف متعلق بأشكو، ومعناه أنّك ايّتها المحبوبة اذا زرتني اشكو أنا من قصر الليل، وانت تشكين من طوله، ثمّ دعا علي بعض من يبغض عينيها ويشنأهما بأنّه يصبح مشغولاً بمحبوب يكون ذلك المحبوب مشغولاً بغيره وليس اضرّ على العاشق من هذا لأنه وان قربت داره لكنّه غير نافع بعد ان لايكون له وداد:

على ان قرب الدار ليس بنافع اذا كان من تهواه ليس بذي ودّ

وقد يمثلون مثل هذا الحبيب بما قال:

كالعيسن في البيداء يقتلها الظماء والماء فوق ظهورها محمول

وقال شيخنا الحويزي قدس الله روحه:

فلا تعجب لهجر من حبيب قريب الدار مرجو الوصال

فحكم الجملتين الفصل قطعاً وبينهما كمال الأتصال

ونظير هذا في عالم الحقيقة شيء عجيب وهو انه سبحانه وله المثل الأعلى قد تحبب الينا بأنواع المحبات ونحن مشغولون عنه في غيره من آلهتنا التي هي النفس والهوى والشهوات والأرادات حتى انه تأسف على أحوالنا فقال {ياحسرة على العباد مايأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤون} فهو قد تأسف علينا تأسف المحب على المحبوب كما يقول احدنا اذا تأسف على محبوب له قد أتى بما يحصل له من الضرر ياحسرتي على حبيبي فلان كيف أتى بهذا الفعل حتىحصل له منه ماحصل، وفي الحديث القدسي ياابن آدم أتحبب اليك بالإحسان وتتبغض الي بالمعاصي، خيري اليك نازل وشرك الي صاعد حتى كأن لك المنة علي وأنا المحتاج اليك.

فان قلت ذكرت ان صاحب هذه المرتبة يشتغل عن استعمال القوة الشهوانية والقوة النفسانية فما للأنبياء وأوصياءهم والأولياء ممن حصل هذه المنزلة لم يمنعوا أنفسهم عن القوتين بل كانت القوة الشهوانية فيهم اكثر منها في غيرهم، فقد نقل ان سليمان عليه السلام كان يصحب معه البساط ألف امرأة منكوحة منها سبعمأة من الأماء، وثلاثمائة من الحرائر، وقيل انه كان يطوف عليهن في ليلة، واما نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فقد مات عن تسع وقد اكثر من الزوجات، وكذلك الأئمة صلوات الله عليهم، واما القوة الأخرى فروي ان الحسن والصادق عليهما السلام وكذلك الرضا عليه السلام كانوا يتأنقون في المأكل والملبس والشرب مع ان تلك الدرجة لم يبلغ كمالها أحد سواهم، قلت هاتان اللذتان الواقعتان في هذا العالم على قسمين:

القسم الأول مانوقعه نحن منهما لداعي الشهوة المركبة في الأبدان ولأجل الألتذاذ وطلباً للأولاد والتكاثر، ومن هنا ترى الزاني لايزني الا ان يكون على لذة منه، بل قيل ان الزنا ألذ عند اهله من الحلال، وحكى صاحب الكشكول ان رجلاً كانت له امرأة وكان يتركها ويمضي الى الزنا فقالت له امرأته يوماً ايها الرجل عندك حلال طيب فتدعه وتمضي الى الزنا، فقال لها اما قولك حلال فنعم واما قولك طيب فلا، وفيه ايضاً ان رجلاً كان يلوط بالأولاد فعاتبته امرأته وقالت ان الذي تطلبه من الغلمان عندي انا الفرد الأحسن، فقال نعم عندك منه الأحسن لكن الذي عندك له جار مؤذ وهو غير حسن فنحن نترك ماعندك لكراهة جاره، فانظر الى هذا الرجل قبحه الله كيف اجابها، ولعله صادق باعتقاده، وذلك لأن النفس حريصة على مامنعت عنه مع معاونة الشيطاطين وتسويلاتهم واين هؤلاء من جميل العاشق.

كما روي انه بثينة دخلت يوماً على عبد الملك بن مروان فقال يابثينة ماأرى شيئاً مما كان يقول جميل، فقالت ياأمير المؤمنين انه كان يرنوا لي بعينين ليستا في رأسك، قال فكيف صادفته في عفته، قال كما وصف نفسه:

لا والذي تسجد الجباه له ... مالي بما دون ثوبها خبر
ولابفيها ولاهممت بها ... ماكان الاَ الحديث والنظر

وعن ابي سهل الساعدي قال دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت، فقال لي ابا سهل انَ رجلاً يلقى الله ولم يسفك دماً حراماً ولم يشرب خمراً ولم يأت بفاحشة أترجو له، قلت أي والله فمن هو؟ قال انَي لأرجو ان أكون ذلك، فذكرت بثينة فقال انَي لفي آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لانالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان كنت حدثت نفسي بريبة قطَ.

واما القليل منا فربما ضموا الى الدواعي المذكورة سابقاً الأستنان بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سمع فيه من مراتب المثوبات، روي ان سليمان عليه السلام مرَ يوماً بعصفور يقول لزوجته ادني مني حتى اجامعك لعل الله يرزقنا ولداً ذكراً يذكر الله تعالى فانَا كبرنا، فتعجب سليمان عليه السلام وقال هذه النيَة خير من مملكتي.

واما احباؤه عليه السلام فهم انَما يأتون هذه الشهوات والمستلذات لالدواعي التي فينا بل لأنه تعالى امرهم باستعمالها، فهي وان كانت لذيذة في الحس عندنا الا انَ اعظم لذتها في المعنى عندهم، لأنَهم لايستلذون الاَ بما فيه رضى محبوبهم، ومن ثم يستلذوا من المحرمات استلذاذ غيرهم منَا، ومن هذا قال امير المؤمنين عليه السلام لو ادخلتني نارك لم اقل انَها نار، وأقول انَها جنَتي لأنَ جنتي رضاك فاينما أنزلتني أعرف ان رضاك فيه:

وهجره اعظم من ناره ... ووصله أطيب من جنَته

وقال له سلمان الفارسي رضي الله عنه ياأمير المؤمنين أتحب الموت أم الحياة؟ فقال لأحبَ الا ماأحبه لي مولاي، وامَا طلب الجنان والخلاص من النيران فانَما هو مقصد التجار والعبيد كأمثالنا، وذلك لأنَ طلب النعمة واللَذة يكون على وجوه ثلاثة اعلاها ان يكون لذته بالمنعم لا بالنعمة ولابالأنعام، ومثاله من المشاهدات ان السلطان اذا اراد الخروج الى سفر فأنعم بفرس على انسان فيتصور ان لذَة المنعم عليه وفرحه بالفرس على وجوه ثلاثة:

الأول ان يفرح بالفرس من حيث انَها مال، ولو وجدها في الصحراء لكان يفرح بها ذلك الفرح فهذا فرح من لاحظَ له في السلطان.

الثاني ان يفرح به لامن حيث انّه فرس بل من حيث يستدلّ به على عناية الملك وشفقته حتى لو أعطاها غير الملك لم يفرح بها أصلاً لعدم احتياجه الى الفرس.

الثالث ان يفرح به ويستلذ به ليركب ويخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السَفر لينال بخدمته رتبة القرب منه فيرتقي الى درجة الوزراء، ثم انه ليس يريد من الوزارة نفس الوزارة بل مشاهدة الملك والقرب منه، حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لأختار القرب، فهذه ثلاث درجات، فالأولى درجة الجهّال واكثر الناس الذين يفرحون بالأموال والنَعم لكونها أموالاً، ولافرق عندهم في تحصيلها من يد نبي من الأنبياء او مجوسيَ من المجوس، وامّا الدرجة الثانية فهي درجة الأحباب والأخلاّء الذين يفرحون بنعم الله ولذات الدنيا من حيث انّه يقدر بها على التوصّل الى القرب منه والنزول في جواره.

وقد روي ان واحداً من الصّحابة دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاذا هو شاد حجراً على بطنه من الجوع، وهو مستلق على قفاه لايقدر على الجلوس وهو يقول:اللهم انّي اعوذ بك من نوم يضجع على الفراش ويشغلني عن طاعتك فهم عليهم السلام انّما يريدون الأكل ليقووا بها على الطاعة والخدمة لمحبوبهم.

واما المرتبة الخامسة وهي الوله والهيام وان لايكون في القلب والخيال سوى ذلك المشوق فهذه آخر المراتب، وهذه آخر مراتب الخليل عليه السلام كما قال عليه السلام انّما سمي ابراهيم لأنَه برَ فهام، يعني انّه هام في الحب حتى انّه لم يكن له شغل ولم يكن في قلبه احد سوى ذلك الحبيب، وهذه درجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وهي التي أشار علي بن الحسين عليهما السلام الى طلبها بقوله وفرّغ قلبي لمحبتك، يعني يكون فارغاً من محبة كل احد ويكون مقصوراً عليك وحدك، قال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت في غاية الضرَ والنحافة رافعة يديها تدعو، فقلت لها هل من حاجة؟ قالت حاجتي ان تنادي بالموقف بقولي:

تزود كل الناس زاداً يقيهم ومالتي زاد والسّلام على نفسي

ففعلت فاذا بفتى منهوك، فقال انا الزاد فمضيت معه اليها فما زادت على النظر والبكاء، ثم قالت له انصرف مصاحبا، فقلت ماعلمت ان لقائكما يقتصر على هذا، فقالت امسك اما علمت انَ ركوب العار ودخول النّار شديد.

قيل لإعرابي مابلغ من حبك لفلانة؟ قال اني لأذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها رائحة المسك، وسأل الرشيد رجلاً ماشد مايكون من العشق قال ان يكون ريح البصل منه احبَ من ريح المسك من غيره.

عبد الله بن عجلان الهذلي أحد العشاق المذكورين تزوّجت عشيقته فرأى أثر كفها على ثوب زوجها فمات كمداً، وزار على بن عبيدة الريحاني جارية كان يهواها وعنده اخوانه، فحان وقت الظهر فبادروا الى الصلاة وهما يتحدّثان، فأطالا حتى كادت الصلاة تفوت، فقيل ياابا الحسن الصلاة، فقال رويدك حتى تزول الشمس، يعني تذهب المرأة، ابو العينا اضحكني بائع رمان يقول وقعت من فوق جبل الهوى الى بحار الحب طرطب، عشق رجل امرأة فقيل له مابلغ من عشقك لها؟ قال كنت ارى القمر على سطحها أحسن منه على سطوح الناس، ليلى العامريّة مع قيس:

لم يكـــن المجنـــون في حالـــه	الاّ وقـــد كنـــت كمـــا كانـــا
لكنـــه بـــاح بـــسرّ الهـــوى	وانّـــني قـــد دنـــت كتمانـــا

وفي الرواية انّ سليمان عليه السلام رأى عصفوراً يقول لعصفورته لم تمنعيني نفسك ولو شئت أخذت قبة سليمان بمنقاري فألقيتها في البحر، فتبسم سليمان من كلامه، ثم دعى بهما فقال للعصفور أتطيق ان تفعل ذلك، فقال لايارسول الله ولكن المرء قد يزيّن نفسه ويعظّمها عند زوجته، والمحب لايلام على مايقول، فقال سليمان عليه السلام للعصفورة لم تمنعيه من نفسك وهو يحبك؟ فقالت يانبي الله انّه ليس محباً ولكنه محب مدع لأنه يحب معي غيري، فأثّر كلام العصفورة في قلب سليمان عليه السلام وبكى بكاءً شديداً واحتجب عن الناس اربعين يوماً يدعو الله ان يفرغ قلبه لمحبّته وان لايخالطها بمحبّة غيره، اذا تحقّقت هذا كله فاعلم ان أهل دعوى محبّة الله كثيرون والدعوى لاتصدق الا بالشاهد والشواهد هنا وان كان كثيرة الاّ انّ اظهرها وأقواها أمور ثلاثة:

الأول النّحول والسقم والذبول، لأنها صفات العاشق سيّما العاشق الذي يكون من الوصال في شكّ ومن الحبيب على حذر، فانّ نار الحب اذا اشتعلت بالقلب سرى تأثيرها الى باقي الأعضاء لأنّها جنوده وتوابعه، والنّقص الداخلي على السّلطان يدخل على الرّعية.

وروي انّه قال رجل لسيد العاشقين امير المؤمنين عليه السلام مابال وجهك تعلوه الأنوار وأنت على هذا الحسن والجمال، وغيرك من العبّاد وأهل الحب على حال عظيم من أصفرار الوجه ونحول البدن وضعف القوة، فقال عليه السلام أولئك العباد والأحباب أحبوا حبيباً وهم لايعرفون حالهم عنده أراض عنهم ام غير راض، ولايعلمون انّه قبل خدمتهم ام لا، واما انا فقد عرفت حالي عنده، وانّي راض عنه وهو راض عني، فصار خاطري مطمئناً فلا يصفر وجهي

ولاينحل بدني، وان اردت وصف حال المحبين فانظر في احوال يحيى بن زكريا عليهما السلام تجد حالاً غريباً وطرازاً عجيباً.

روينا بالأسانيد الكثيرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال كان من زهد يحيى بن زكريا عليهما السلام انّه أتى بيت المقدس فنظر الى المجتهدين من الأحبار والرهبان عليهم مدارع الشعر وبرانس الصوف، واذا هم قد خرقوا تراقيهم وتركوا فيها السلاسل وشدّوها الى سواري المسجد، فلمّا نظر الى ذلك أتى امه فقال ياأماه انسجي لي مدرعة من شعر، وبرنساً من صوف حتى آتي بيت المقدس فأعبد الله مع الأحبار والرهبان، فقالت له امّه حتى يأتي نبي الله فاوامره في ذلك، فلما دخل زكريا عليه السلام أخبرته بمقالة يحيى، فقال له زكريا يابني مايدعوك الى هذا وانّما أنت صبي صغير، فقال له ياابه اما رأيت من هو اصغر سناً من قد ذاق طعم الموت، قال بلى، ثم قال لأمه انسجي له مدرعة من شعر وبرنساً من صوف، ففعلت فتدرع بالمدرعة على بدنه ووضع البرنس على رأسه، فأقبل يعبد الله عز وجل مع الأحبار حتى اكلت مدرعة الشعر لحمه، فنظر يوماً الى ماقد نحل من جسمه، فأوحى الله عز وجل اليه أتبكي على ماقد نحل من جسمك؟ وعزتي وجلالي لو اطّلعت الى النار اطلاعة لتدرعت مدرعة الحديد فضلاً عن المنسوج، فبكى حتى أكلت الدموع لحم خدّيه، ثم بدا للناظرين اضراسه فبلغ ذلك امه، فدخلت عليه وأقبل زكريا واجتمع الأحبار والرهبان فأخبروه بذهاب لحم خدّيه، وقال ماشعرت بذلك.

فقال زكريامايدعوك الى هذا انّما سألت ربّي ان يهبك لي لتقرّ بك عيني، قال انت امرتني بذلك ياابه، قال ومتى ذلك يابني؟ قال ألست القائل ان بين الجنة والنار لعقبة لايجوزها الا البكاؤن من خشية الله تعالى، قال نعم فجد واجتهد فشأنك غير شأني، فقام يحيى فنفض مدرعته فأخذته امه فقالت أتأذن لي يابني ان اتّخذ لك قطعتي لبود تواريان اضراسك، وينشفان دموعه، حتى ابتلتا من دموع عينيه، فحسر عن ذراعيه ثمّ أخذهما فعصرهما فتحدّر الدموع من بين اصابعه، فنظر زكريا الى ابنه والى دموع عينيه فرفع رأسه الى السماء فقال اللهم هذا ابني وهذه دموع عينيه وأنت ارحم الراحمين.

وكان زكريا عليه السلام اذا أراد ان يعظ بني اسرائيل يلتفت يميناً وشمالاً فاذا رأى يحيى لايذكر جنة ولانارا، فجلس ذات يوم يعظ بني اسرائيل وأقبل يحيى فلف رأسه بعباه وجلس في غمار الناس والتفت زكريا يميناً وشمالاً فلم ير يحيى، فأنشأ يقول حدّثني حبيبي جبرئيل عليه السلام عن الله عز وجل انّ في جهنم جبلاً يقال له السكران في اصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان يغضب لغضب الرحمن تبارك وتعالى، في ذلك الوادي جبّ قامته مأة عام، في ذلك الجبّ توابيت من نار، في تلك التوابيت صناديق من نار وأغلال من نار، فرفع يحيى رأسه وقال

واغفلتاه من السَكران ثم أقبل هائماً على وجهه، فقام زكريا عليه السلام من مجلسه فدخل على ام يحيى فقال ياام يحيى فاطلبي يحيى فانّي اخاف ان لاتراه الا وقد ذاق الموت، فقامت وخرجت في طلبه حتى مرّت بفتيان من بني اسرائيل، فقالوا لها ياام يحيى اين تريدين؟ قالت اريد ان اطلب ولدي يحيى ذكرت النّار عنده فهام على وجهه، فمضت ام يحيى والفتية معها حتى مرت براعي غنم، فقالت له ياراعي هل رأيت شاباً من صفة كذا وكذا، فقال لها لعلك تطلبين يحيى بن زكريا، قالت نعم ولدي ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه، فقال اني تركته السّاعة على عقبة ثنية كذا وكذا ناقعاً قدميه في الماء رافعاً بصره الى السماء يقول وعزّتك يامولاي لاذقت بارد الشّراب حتى انظر الى منزلتي منك، فأقبلت امه فلمّا رأته أمه دنت منه فأخذت برأسه ووضعته بين ثدييها وهي تناشده بالله ان ينطلق معها الى المنزل، فانطلق معها حتى أتى المنزل.

فقالت له ام يحيى هل لك ان تخلع مدرعة الشَعر وتلبس مدرعة الصّوف فانّه ألين ففعل وطبخت له عدساً فأكل واستلقى فنام فذهب به النوم فلم يقم صلاته، فنودي في منامه يايحيى بن زكريا أردت داراً خيراً من داري وجواراً خيراً من جواري، فاستيقظ فقام، فقال يارب أقلني عثرتي، الهي فو عزّتك لاأستظل بظل سوى بيت المقدس، وقال لأمه ناوليني مدرعة الشّعر، فتقدمت امه فدفعت اليه المدرعة وتعلّقت به، فقال لها زكريا ياام يحيى دعيه فانّ ولدي قد كشف له عن قناع قلبه ولن ينتفع بالعيش، فقام يحيى فلبس مدرعته ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله عز وجل مع الأحبار حتى كان من امره ماكان.

اقول فهذا حال يحيى لأنه كان محباً، وفي الرواية ان عيس عليه السلام مرّ بثلاثة نفرات قد نحلت ابدانهم وتغيّرت ألوانهم فقال لهم مالذي بلغ بكم؟ قالوا الخوف من النار، فقال حقّ على الله ان يؤمن الخائف، ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا أشدّ نحولاً وتغيّرا كان على وجوههم المرآى من النور، فقال مالذي بلغ بكم؟ قالوا نحب الله عزّ وجل، فقال انتم المقرّبون انتم المقرّبون، كيف لا وهذا مشاهد في العالم المجازي، فلقد شاهدنا من خلّى قلبه عن حب الله فأذاقه حب غيره نحيلاً ضعيفاً عديم القوة.

وقد بالغ الشعراء كل مبالغة في وصف نحول العاشق، فقال بعضهم:

ولـو انّـني علّقـت في رجـل نملـة ... لسـارت ولم تعلـم بـأني علقـت
ولـو نمـت في عـين البعـوض معارضـا ... لمـا علمـت في أي زاويـة نمـت
ولـو وضـعوني وسـط حبـة خـردل ... لبانـت خوافيهـا الجميـع ولابنـت

وقال ابو الطيب:

كفى بجسـمي نحولاً انني رجل　　لولا مخاطـبتي اياك لم تـرني

وقال الخباز البلدي:

كمـل الهـوى صـعب ولكـنّني　　بليـت بالأصـعب مـن أصـعبه
أنحلـني الحـب فلـو زج بـي　　في مقلـة الوسـنان لم ينتبـه
وكـان لـي فيمـا مـضى خـاتم　　واليـوم لـو شـئت تمنطقـت بـه

وقد نسبوا هذه الأبيات للعلامة الحلي طاب ثراه:

لـي غـي محبتـه شـهود اربـع　　وشـهود كـل قـضية اثنـان
خفقـان قلـبي واضـطراب مفاصـلي　　وشحوب [1] لوني واعتقال لساني

وفي امالي الزجاج عن ابوبكر بن شقير النحوي قال اخبرنا احمد بن عبيد قال خبَرت عن هشام بن عروة عن ابيه عن النعمان بن بشير، قال بعثني عثمان او معاوية على صدقات بني عذرة فصدقتهم وارتحلت عنهم، فلمّا ظننت انّي قطعت بلادهم رفع لي بيت فقصدته، فاذا بفنائه شاب مستلق على قفاه لم يبق منه الا عظم على جلد، فلمّا أحس بي ترنَم بصوت ضعيف، وأنشأ يقول:

جعلـت لعـراف اليمامـة حكمـه　　وعـرّاف هجـران همـا شـفتاني
فقـالوا نعـم نـشفي مـن الـدّاء كلّـه　　وقامـا مـع العـوّاد يبتـدراني
فمـا تركـا مـن رقيـة يعلمانهـا　　ولاسـلوة الا وقـد سـقياني
فقـالا شـفاك الله والله مالنـا　　بماضـمنت منـك الـضلوع يـدان

ثم خفت فنظرت فاذا في صدر البيت عجوز، فقلت لها ياهذه اخرجي الى هذا الفتى فاني اظنه قد مات، فقالت وانا أظن ذاك ايضاً والله ماسمعت له انّه منذ سنة الاّ اليوم فانه قال في أولَه:

مـن كـان مـن امهـاتي باكيـاً شـجني　　فـانّني قـد أرانـي اليـوم مقبوضـاً
يـسمعينه(يـسمعنينه خ) فـاني غـير سـامعه　　اذا علـوت علـى الأعـواد معروضـا

---

[1] شحب شحوبا لونه:تغير من جوع او مرض او نحوهما.

ثم خرجت فاذا هو ميت فغسلته وكفنته وصليت عليه ودفنته، ثم قلت للعجوز من هذا؟ فقالت هذا قتيل الحب عروة بن خزام.

الثاني من العلامات السهر والقلق والأضطراب عند ذكره وان لايشتغل بغيره، اما السهر فلأنه طريق العاشق من جهة نار الهجران وانتظار لوقت الوصال سيما الليل الستّار، وفي الحديث القدسي ياموسى كذب من زعم انّه يحبني وهو نيام طول ليله، أليس كل حبيب يحب الخلوة مع حبيبه، ياابن عمران لو رأيت الذين يصلون لي في الدّجى وقد مثلت نفسي بين أعينهم يخاطبوني وقد جللت عن المشاهدة، ويكلموني وقد عززت عن الحضور، ياابن عمران هب لي من عينك الدموع ومن قلبك الخشوع ثم ادعني في ظلم الليالي تجدني قريباً مجيباً، وسأل عليه السلام مال بال المتهجدين في الأسحار من أحسن الناس وجوهاً؟ قال لأنهم خلوا بربهم فكساهم من حلل انواره، وذلك انك ترى القائمين في الأسحار على هيئة من الحسن المعنوي وان لم يكن فيهم هذا الحسن الظاهري وما ذلك الا لتلك الخلوة مع الحبيب.

وفي الحديث القدسي يااحمد ليس من قال اني احب الله تعالى احبني حتى يأخذ من ابليس قوتا ويلبس دوناً(درناً خ) وينام سجوداً ويطيل قعوداً، ويلزم صمتاً ويتوكَل عليَ ويبكي كثيراً، ويقل ضحكاً ويخالف هواه، ويتّخذ المسجد بيتاً والعلم صاحباً، والزهد جليساً، والعلماء احباباً والفقراء رفقاء، ويطلب رضائي ويفر من سخطي ويهرب من المخلوقين هرباً، ويفر من المعاصي فراراً ويشتغل بذكري اشتغالاً فيكثر التسبيح دائماً ويكون بالوعد صادقاً وبالعهد وافياً، ويكون طاهراً وفي الصلاة زاكياً، وفي الفرائض مجتهداً وفيما عندي من الثواب راغباً، ومن عذابي راهباً مشفقاً ولأحبابي قريناً وجليساً.

واما القلق والأضطراب فهي من لوازم العاشق اذا ذكر محبوبه كما قال عز من قائل في صفات اهل الأيمان {انّما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم} وذلك ان العاشق تتحرك نار وجده وتشب عند ذكر المعشوق وكذلك أكثر عروقه وأعضائه، ومن هذا استدل الطبيب الحاذق على معرفة المعشوق عند كتمان العاشق هواه، وقد وقع في قرب اعصارنا مثل هذا وهو انّ شاباً من أولاد الأكابر قد عشق امرأة في بعض بلاد الهند، واتّفق ان اباه اراد السفر الى منزله في اصفهان فأتى بذلك الولد معه وقد كان ذلك الولد يكتم ذلك الحب، فلمّا وصلا الى اصفهان زاد شوقه والتهبت نار فراقه وبقي يصفر وجهه وينحل بدنه يوماً فيوماً ولايدري ماعلته حتى ضعف عن حركة المشي فبقي نائماً على الفراش، وقد أعيت الأطباء عن علاجه ومعرفة علته فأتوا اليه بطبيب حاذق وتأمّله فقبض على نبضه وقال ياصبي مرضك من الشيء الفلاني ام من الشيء الفلاني، فجعل يعد عليه الأمراض حتى بلغ الى العشق، فلما عده تحرك النبض حركة شديدة

فعرف انَ علته العشق ثم شرع يعد له البلدان بأنَ معشوقك في البلد الفلاني ام في البلد الفلاني حتى ذكر تلك البلدة فتحرك النبض ايضاً مثل تلك الحركة ايضاً، فأمر الطبيب بإحضار من يعرف اهل تلك البلدة فلمّا حضرت عدّله نساء تلك البلدة وبناتها، فلما انتهى الى تلك المرأة تحرك النبض أشدَ من الحركتين الأولىين فعلم ان محبوبته تلك المرأة، فتوصّلوا الى تحصيلها.

واما في العالم الحقيقي فقد كان الخليل عليه السلام يسمع ازير صدره عند ذكر الله على ميل، وكان صدره يغلي كغليان القدر، واما عدم الأشتغال بغيره فهي عادة العاشقين واعمال الجوارح تظهر مايجن القلب وذلك انَ نار المحبة كامنة فيه، فان وقعت نار محبة القلب في عود او بخور فاحت رائحته على الأعضاء وعرف منها ورود تلك النار الكامنة على ذلك الجسم الطيَب، وان وقعت تلك النار في خرقة بالية ظهرت رائحتها المنتنة من الأعضاء والجوارح لأنّها كما عرفت من خدمه وتوابعه فهي التي تظهر ماأضمره القلب كدموع العاشق، فانَه اذا أراد كتمان الهوى نمّت عليه الدموع وأظهرت ماكتم:

كتمت الهوى في القلب حتى ختمته	فباحت بع العينان والدّمع مطرق
ومن كان ذا عشق وان كان جاحدا	فانَ الهوى في عينه حين ينطق

الا ترى انك لو جلست مع رجل لم تعرف حاله ولم تطلع على باطن امره وماأجنّه في قلبه فاذا اردت ان تعرف فحاوره في انواع المكالمات وانظر الى ميله الى أي نوعيتكلم به فاعلم انَ مافي قلبه هو حب ذلك الشيء، وذلك انك ترى أهل الدراهم والدّنانير لايحبون منك حديثاً الا اذا اشتمل على مقالتها وبين أحوالها ومايترتب عليها من النَفع الدنيوي فتعلم من هذا ان محبوبه هو هذا لاغير، وكذلك انواع العشق وهذه قاعدة يضطر على فعلها الأنسان حتى انّه لو تكلّف اظهار غير محبوبه سبقه اللسان اليه ومالت الجوارح الى خلاف ماتكلّفه، وهذا شأن حب العالمين، وماأحسن قول رابعة العدوية في العالم الحقيقي:

أحبك حبين حب الهوى	وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى	فشغلي بذكرك عمّن سواكا
واما الذي انت اهل له	فكشفك للحجب حتى اراكا
فلا الحمد في ذا ولافي ذاك لي	ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وينظر الى هذا قول بعض العارفين اني أقول يارب ياالله فأجد ذلك أثقل على قلبي من الجبال، لأنَ النّداء يكون من وراء حجاب، وهل رأيت جليساً ينادي جليسه، وقد أشار بعضهم الى مثل هذا حيث قال:

كانت لقلبي أهواء مفرّقة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
فصار يحصدني من كان أحسده ... وصرت مولى الورى اذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم ... شغلاً بذكرك يادِيني ودنيائي

وذلك ان لذة الذكر أعلى من كل لذة لأنّه من واردات القلوب، ولذات القلب أعظم من لذات الحواس في النّشأتين، لأن الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله فقط ومثاله في اطوار الخلق في لذاتهم ماذكرهم، وهو ان الصبي في اول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر الأشياء، ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ماقبلها في الوصول اليها، ثم يظهر له لذة الرئاسة والعلو والتكابر وهي آخر لذات الدنيا وأقواها كما قال تعالى{اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر} الآية ثم بعد هذا يظهر له غريزة اخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة افعاله فيستقر معها جميع ماقبلها وكل متأخَر فهو اقوى وهذا هو الأخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرئاسة بعد العشرين وحب العلوم بعد الأربعين وهي الغاية العليا وكما ان الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرئاسة، وكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرئاسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون، ولكن الأشغال بمعرفة الله تعالى يقتضي ان لايصدر منه شيء من المعاصي ولقد احسن ابن المبارك في قوله حتى ان الصادق عليه السلام تمثل به:

تعصي الأله وانت تذكر حبه ... هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

وروي عن ذي النون المصري انه قال خرجت يوماً من وادي كنعان، فلما علوت الوادي فاذا انا بسواد مقبل عليَ وهو يقول وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ويبكي، فلما قرب اليَ فاذا هي امرأة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت من انت غير فزعة مني، فقلت رجل غريب، فقالت ياهذا هل توجد مع الله غربة قال فبكيت من قولها فقالت ماالذي ابكاك قلت قد وقع

الدواء على داء قد قرح فاسرع في نجاحه، قالت فان كنت صادقاً فلم بكيت قلت يرحمك الله الصادق لايبكي، قالت لا ولم ذاك؟ قالت لأن البكاء راحة القلب، قال ذو النون فبقيت والله متحيراً من قولها، اقول ونظير هذا في عالم الشهود ان مجنون ليلى كان ربما اتاها وخلى بها، فاذا جاء زوجها ادخلته تحت ثيابها لئلا يراه احد فاذا اخرجه قالت له مارأيت تحت الثياب قال وحقك اني دخلت اعمى وخرجت اعمى، فكان يغمض عينيه خوفاً من ان يقع نظره على بدنها فتبرد نار العشق، وهكذا كان احوال العشاق السبعة، نعم روى الزجاج في اماليه عن ابي عبد الله بن الملك النحوي قال حدّثنا الزبير بن بكار قال روي ان عزة على ام البنين فقالت لها ان سألتك عن شيء تصدقيني؟ قالت نعم، قالت اقسمت عليك باي شيء وعدت كثيراً حين يقول:

قضى كل ذي دين فوفي في غريمه ... وعزة ممطول تعني غريمها

قالت وعدته قبله فمطلته سنة، فلما ألحَ بالتقاضي هجرته، فمضني واياه مضيق بعد حين فاستحيت منه فقلت حيّاك الله ياجمل(جميل خ) ولم احيّه، فتبسم وأنشأ يقول:

حيتك بعد الهجر وانصرفت ... فحيء ويحك من حياك ياجمل

ليت التحية كانت لي فأشكرها ... مكان ياجمل حييت يارجل

وهو على تقاضيه الى الآن قالت ام البنين بالله الا قضيتها وعلى اثمها، اقول ماكان من كثير رحمه الله يجوز مثل هذا بل كان الواجب عليه مافعل جميل من الصنع الجميل، فان قلت ذكرت ان من افرط في المحبة شغل قلبه المحبوب وصار وقت الذكر له لايخطر على خاطره الا ذلك الحبيب فكيف احس امير المؤمنين عليه السلام بسؤال السائل حتى تصدّق بالخاتم مع انه عليه السلام كان لم يحس بألم اخراج النصال من بدنه اذا كان في الصلاة، قلت الذي ينافي الأقبال القلبي عن جنابه تعالى هو التذكّر لأمور الدنيا والشّغل بها والتوجه الى سؤال ذلك السائل لم يكن من ذلك الباب وذلك ان السائل لما سأل ولم يجبه احد قال اللهم اشهدك اني سألت في مسجد نبيك فلم يجبني احد بشيء فانكسر خاطره فتدارك ذلك الأنكسار بالإشارة اليه بالخاتم الذي كان سبباً لوصوله الى اقتسام صفات الربوبية بقوله تعالى{انما وليكم الله ورسوله والمؤمنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة وهم راكعون} فهو انتقال من عالم صفات الربوبية اعني تولي الأمور العامة ورجوع اختيارها اليه، كما رجعت الى الله تعالى ورسوله ولارتبة اعلى منه سوى ما تفرد به سبحانه من لوازم الألهية.

بل روي في بعض الأخبار ان ذلك السائل كان ملكاً ارسله الله في صورة رجل سائل الى مسجد النبي صلى الله عليه وآله امتحاناً للصحابة بمثل هذا التكليف، بل روى ايضاً ان ذلك

السائل كان جبرئيل عليه السلام وروي ان ابابكر قال تصدّقت بخواتيم كثيرة وانا في الصلاة لينزل فيَ مانزل في علي بن ابي طالب فلم ينزل ولقد احسن ابن الجوزي في وصف هذا الحال منه عليه السلام:

يسقي ويشرب لاتلهيه سكرته عن النديم ولايلهو عن الكأس
اطاعه سكره حتى تمكن من فعل الصحاة فهذا اعظم الناس

وتقد م الأشارة الى هذه فان قلت اذا كان هذا الحبيب سبحانه احسن الأحبَاء وأبقاها أقبلها وأزينها وأملحها وأكثرها ميلاً الى العاشقين فلم هجرته العشاق؟ ولم اقبلوا على الفرار منه؟ وعلى ارتكاب خلاف اقواله[1] قلت سببه ان القلوب التي هي معدن هذا السر العظيم قد ابتليت بأعظم الأمراض، والمريض اذا استولى عليه الألم يجد في ذوقة الحلو مراً والطيب خبيثاً ولايجد الشيء على حاله الا اذا صحَ من ذلك الوجع.

ثم اعلم ان امراض القلب كثيرة وانواعها مختلفة كأمراض البدن بل ازيد وكل مرض يحتاج الى دواء وليس كل مريض الأحتماء من شيء ولاينفعه كل دواء، بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانة من الدين ان كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص او ذنوب مخصوصة وانما حاجته في الحال مرهقة الى العلم بانها ذنوب ثم الى العلم بآفاتها وقد ضررها في الدين ثم الى العلم بكيفية التوصل الى الصبر عنها ثم الى العلم بكيفية تكفير ماسبق منها فهذه علوم مخصوصة اختص بها اطباء الدين وهم العلماء ورثة الأنبياء فالعاصي ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم، وان كان لايدري ان مايرتكبه ذنب فعلى العالم ان يعرفه ذلك، ولذلك وجب ان يتكفَل كل عالم باقليم او بلدة او محلة او مشهد فيعلم اهلها دينهم ويميز مايضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولاينبغي ان يصبر الى ان يسأل منه بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فانهم ورثة الأنبياء، والأنبياء عليهم السلام ماتركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادون في مجامعهم ويدورون في ابوابهم بالأبتداء ويطلبون واحداً واحد للإرشاد فإن مرضى القلوب لايعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه برص ولامرآة معه لايعرف برصه مالم يعرفه غيره وهذا فرض على العلماء كافة وعلى السلاطين ان يرتبوا في كل قرية وكل محلة فقيهاً متبيناً يعلم الناس دينهم فانَ الخلق لايولدون الا جهَالاً فلابد من تبليغ الدعوة اليهم في الأصل والفرع.

---

(١)وفي الحديث ان الله تعالى اذا احب عبداً القى محبته الى الماء فلا يشربه احد الا احبه واذا ابغض عبداً القى بغضه في الماء فلا يشربه احد الا ابغضه منه عفى عنه.

روي عنه عليه السلام قال ان الله تعالى لم يأخذ على الجهّال ان يتعلموا حتى اخذ اولاً على العلماء ان يعلموهم، فالدنيا دار مرضى اذ ليس في بطن الأرض الا ميت ولا على ظهرها الا سقيم، ومرض القلوب اكثر من مرض الأبدان والعلماء اطباء والسلاطين قوام دار المرضى وكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم سلم الى السلطان ليكف شرّه[1] كما يسلم الطبيب المريض الذي لايحتمي او الذي غلب عليه الجنون الى القيم ليقيده في السلاسل والأغلال ويكف شرّه عن ساءر الناس وانما صار مرض القلوب اكثر من مرض الأبدان لوجوه ثلاثة:

احدها ان المريض لايدري انه مريض، وثانيها ان مرض الأبدان عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه، ومابعد الموت غير مشاهد فقلت النفر عن الذنوب وان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال والثالث وهو الداء العضال فقد الطبيب فان الأطباء هم العلماء وقد مرضوا مرضاً شديداً عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لايظهر نقصانه فاضطروا الى اغواء الخلق والأساة اليهم بما يزيدهم مرض لأن الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الأطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق فيه استنكافاً من ان يقال لهم فما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون انفسكم فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الأطباء بل اشتغل اكثر الأطباء بفنون الأغواء فليتهم اذ لم ينصحوا لم يغشوا واذ لم يصلحوا لم يفسدوا، وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم يهمهم في مواعضهم سوى مايستميل قلوب الأعوام الى الرجاء وذكر دلائل الرحمة لأن ذلك ألذ في الأسماع وأخف على الطباع، فينصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جرأة على المعاصي، ومزيد ثقة بفضل الله عز وجل ومهما كان الطبيب جاهلاً او خائناً اهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه.

فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين متضاديَ العلة، اما الذي غلب عليه لخوف حتى هجر الدنيا بالكلية فينكسر صورة اسرافه في الخوف بذكر اسباب الرجاء ليعود الى الأعتدال وكذا المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط واليأس استعظاماً لذنوبه التي سبقت يعالج ايضاً بأسباب الرجاء حتى يطمع التوبة فيتوب فاما معالجة المغرور المنهمك في المعاصي بذكر اسباب الرجاء فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلباً للشفاء، وذلك من دأب الجهّال والأغبياء، فاذن فساد الأطباء هي المعضلة التي لاتقبل الدواء اصلاً اعاذنا الله واياكم من الأمور المبعدة عن جناب الحق انه على مايشاء قدير.

---

(١)كيف يكون حال الناس ولاسيما الجهال اذا صار السلاطين والقوام من اهل البدع والأهواء وصاروا من اسباب العار والشنار على الأسلام واما الأطباء فصاروا مرضى ومن اهل لدنيا كما في زماننا هذا

نور في الصبر وأقسامه ومحاله وفوائده ومايتعلق به من المناسبات

اعلم وفقك الله تعالى ان القرآن والحديث قد اكثرا مدحه حتى انه سبحانه وصف الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً وأضاف اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز وجل{وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا} وقال{انما يوفي الصابرين اجرهم بغير حساب} الى غير ذلك من الآيات، وقال الصادق عليه السلام الصبر من الأيمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا ذهب الرأس ذهب الجسد كذلك اذا ذهب الصبر ذهب الأيمان وقال عليه السلام اذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكوة عن يساره، والبر مظل عليه ، ويتنحى الصبر ناحيه، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مسائلته قال الصبر للصلوة والزكوة والبر دونكم صاحبكم فإن عجزتم عنه فانا دونه وروى عنه صلى الله عليه واله انه قال الصبر ثلاثه :صبر عند المصيبه، وصبر على الطاعه، وصبر عن المعصيه فمن صبر عند المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلثمائة درجه ، ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء الى الارض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ، ومابين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى العرش ، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة وما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش ، وقال الصادق عليه السلام انا صبرنا وشيعتنا أصبر منا ، قيل له كيف صار شيعتكم أصبر منكم ؟ قال لأنا نصبرعلى مانعلم وشيعتنا يصبرون على مالا يعلمون ، وقال صلى الله عليه واله الصبر نصف الإيمان، فان قلت ما معنى كونه نصف الايمان ؟ قلت قد ذكر له الغزالي في إحيائه وجهين الاول ان الايمان يطلق على التصديقات والأعمال جميعاً فيكون للإيمان ركنان احدهما اليقين والآخر الصبر، والمراد باليقين المعرف القطعية، والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين، اذ اليقين يعرّفه انّ المعصية ضارة والطاعة نافعة ولايمكن ترك المعصية والمواظبة عهلى الطّاعة الاّ بالصبر فيكون الصبر نصف الأيمان بهذا الأعتبار، ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما فقال من اقلّ ماأوتيتم اليقين وعزيمة الصبر.

الوجه الثاني ان يراد من الأيمان ماينفع في الدنيا والآخرة او يضر فيهما وله بالإضافة الى مايضرّه حال الصبر وبالإضافة الى ماينفعه حال الشكر، فيكون الشكر احد شطري الأيمان بهذا الأعتبار كما كان اليقين أحد الشطرين بالإعتبار الأول، وبهذا النّظر قال بعض الصحابة الأيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر، ولّما كان الصبر صبرا عن بواعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من حيث الشهوة، وباعث من جهة الغضب، والشهوة لطلب

اللّذيذ والغضب للهرب من المؤلم، وكان الصوم صبراً من مقتضى الشهوة فقط وهو شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب، قال صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الأعتبار الصوم لأنّ كمال الصّبر بالصّبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعاً فيكون الصّوم بهذا الأعتبار ربع الأيمان.

واعلم ان محامد الأخلاق كلها ترجع الى الصبر لكن له اسم بكل واحد من موارده، فان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمّي عفة، وان كان على احتمال مكروه اختلف اساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي عليه الصبر، فان كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر ويضاد الجزع، وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس ويضادّه البطر، وان كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن، وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلماً ويضاده السفه، وان كان في نائبة من نوائب الزمان سمي سعة الصدر ويضاده الضّجر والتبرم وضيق الصدر، وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان السّر، وان كان عن فضول العيش سمي زهداً ويضاده الحرص، وان كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشّره، ومن جهة دخول هذه المحاسن في الصبر لما سأل صلى الله عليه وآله وسلم عن الأيمان قال هو الصبر لأنه اكثر اعماله واعزّها كما قال الحجَ عرفة، وقد جمع الله ذلك فسمي الكل صبرا فقال تعالى والصابرين في البأساء أي المصيبة والضراء أي الفقر، وحين البأس أي المحاربة، اولئك الذين صدقولا واولئك هم المتقون، وبعضهم ظن انّ هذه احوال مختلفة في ذواتها وحقائقها نظراً الى تعدد الأسامي والصواب ماعرفت.

واما الموارد المحتاجة الى الصبر فأنواع، اولها مايوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتّساع الأسباب وجميع ملاذّ الدنيا ومأحوج العبد الى الصبر عن هذه الأمور فانّه ان لم يضبط نفسه عن الركون اليها الإنهماك في الملاذ المباحة أخرجه ذلك الى البطر والطّغيان فانّ الأنسان ليطغى ان رآه استغنى والرجل كل الرجل من يصبر على العافية، وثانيها الطّاعة والصبر عليها شديد لأنّ النّفس بطبعها تنفر عن العبوديّة وتشتهي الربوبيّة، ولذلك قيل مامن نفس الاّ وهي مضمرة مااظهره فرعون من قوله انا ربكم الأعلى ولكن فرعون وجدله مجالاً فأظهر اذ استخفَ قومه فأطاعوه، وما من أحد الاّ وهو يدّعى ذلك مع عبده وخادمه ونحوهما وان كان ممتنعاً من اظهاره فانّ امتعاظه وغيضه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر الاّ من اظهار الكبر ومنازعة الربوبيّة في رداء الكبرياء، فان العبوديّة شاقّة على النفس مطلقاً.

ثم من العبادات مايكره بسبب الكسل كالصلاة، ومنها مايكره بسبب البخل كالزكاة، ومنها مايكره ذلك بسبب جميعها كالحج والجهاد وهذه الأمور تحتاج الصّبر قبل العمل وحاله وبعده، امّا قبله فبأن يصبّر نفسه على تصحيح النّية والأخلاص عن شوائب الرياء ودواعي الآفات، وهذا يحتاج الى صبر شديد على ماتقدم في تحقيق النّية وهو الذي قصر تعالى امره عليه في قوله{وماامروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين}وامّا حالة العمل فلئلا يغفل عن ذكر الله تعالى في اثناء عمله ويدوم على شروط العمل الى آخره، واما بعد الفراغ فيحتاج الى الصبر عن إفشائه والتّظاهر به للرياء والسمعة وعن كل مايحبط اجره.

وثالثها المعاصيوما أحوج العبد الى الصبر عنها، وذلك انّ المعاصي خصوصاً الكذب والغيبة مألوفة بالعادة فان العادة طبيعة خامسة(خاصة ج) واذا انضافت الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله عز وجل، وكلما كان الذنب ألذّ على النفس كان الصبر عنه أثقل كالصبر على الغيبة واستحقار النفس فان ظاهره غيبة وباطنه ثناء على النفس، فللنفس فيه شهوتان نفي الغير واثبات نفسه وبهما يتم له الربوبيّة التي في طبعه وهي ضدّما امر به من العبودية، ورابعها مالايرتبط هجومه بإختياره كما اوذي بفعل او قول او جنى عليه في نفسه او ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجباً، وتارة يكون فضيلة، خامسها مالايدخل تحت الأختيار أوله ولاآخره كالمصائب مثل موت الأعزّة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الأعضاء، والصبر على هذا لايخلو من اشكال، وحيث انتهى بنا الحال الى هذا فلابأس ببسط الكلام في هذا المقام.

فنقول ان شيخنا الشهيد الثاني نور الله ضريحه قد كتب رسالة وسمّاها مسكن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد، وقد نظمها على سلك غريب ونمط عجيب الا انها لاتخلو من بعض الزوائد[١] فأحببنا تحرير دلائلها وان تضيف اليها ماسنح بالبال ونضيف اليها بعض الأخبار، فنقول اعلم اولاً انّه قد ثبت انّ العقل هو الآلة التي بها عرف الله تعالى وصدق الرّسل والتزم أحكام الشّرائع، ومثله كالنور في الظلمة يزيد وينقص، فينبغي لمن رزقه الله العقل ان يعمل بمقتضاه ويجعله حاكماً له وعليه ويراجعه فيما يرشده اليه فيكشف له الرضا بالقضاء سيّما بفراق الأحباب من وجوه كثيرة.

---

(١)رسالة لطيفة شريفة ليس فيها بعض الزوائد وفرغ شيخنا الشهيد الثاني قس سره من تأليفها سنة(٩٥٤) هـ وسبب تصنيفه لها كثرة ماتوفى له من الأولاد بحيث لم يبق منهم احد الا الشيخ حسن صاحب المعالم العلامة المحقق الشهير وكان لايثق بحياته وقد استشهد وهو ابن اربع سنين او سبع سنين وهذه الرسالة مطبوعة سنة(١٣٤٢) هـ في النجف الأشرف.

منها انّه اذا نظر الى عدله وحكمته وشفقته بخلقه ان اخرجهم من العدم الى الوجود وفعل بهم ماهو الأصلح لهم في كل افعاله، ولاشك انّ الموت من جملة ذلك فيكون هو الأصلح بهم، فان حدثتك نفسك مثل رعاع النّاس اذا مات لهم ميّت قالوا انّ الصلاح في بقائه، فلو كان قد بقي لربّى أطفاله ولقام بأمور عياله، وربّما قالوا انّ موت هذا باعث الى موت ذلك الفقير لأنّه كان يصله ويعطيه، وهذه الكلمات الواهية هي الشّرك الخفي على ماتقدّم بيانه، وان تيقّن انّه الصلاح لكن لم تطمئن نفسه ولم تسكن روعته فهو الحمق الجلي النّاشيء عن الغفلة في شأن الحكمة القديمة، حتى روي انّ العبد ليدعوا الله ان يرحمه ويجيب دعاه في امثال ذلك، فيقول الله تعالى لملائكته كيف ارحمه من شيء به أرحمه.

ومنها انّه اذا تدبر في احوال الرسل وصدقهم فيما قالوا وسمع ماوعدوا به من الثّواب على كل فرد من انواع المصائب سهل عليه موقعه، وعلم ان في ذلك تمام السّعادة، وينبغي ان يمثل العاقل انّه لو دهمه أمر عظيم أو سبع او حية وكان عنده أعز أولاده وكان بحضرته نبي من الأنبياء وأخبره انّك ان افديت به سلمت انت وولدك، وان لم تفعل عطبت ولايعلم هل يعطب ولدك أم يسلم، أيشك عاقل انّ الأفتداء بالولد الذي يتحقق به سلامتهما هو عين المصلحة.

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال لعثمان بن مظعون وقد مات ولده واشتدّ حزنه عليه يابن مظعون انّ الجنة ثمانية ابواب، وللنار سبعة ابواب أفما يسرك ان ىتأتي باباً الا وجدت ابنك الى جنبه آخذ بحجرتك يستشفع لك الى ربك حتى يشفعه الله تعالى.

ومنها ان الأغلب انّ الولد انّما يراد امّا لنفع الدنيا او الآخرة، ومنفعته على تقدير موته معلومة وعلى تقدير بقائه موهومة، بل المظنون عدمها لأنّ الزمان قد هرم وشناكما قيل :

أتى الزمــتان بنوه في شبــيبته ... فسرّهم واتــــيناه على الهرم

وأجابه بعض مشايخنا:

هم على كل حــال أدركوا هرماً ... ونحن جئناه بـعد الشّيب والـعدم

وتأمل اكثر الخلق هل تجد احداً منهم نافعاً لأبويه الا القليل حتى اذا رأيت واحداً فعدّ ألوفاً بخلافه، فإلحاقك ولدك الواحد بالفرد النادر عين الغفلة، هذا اذا كنت تريد ان تجعله وليّاً صالحاً فكيف وانت لاتريده الا ليرث منك البيت والبستان والصخرة والميزان، فدعه من هذا الميراث الخسيس واجعله ممّن يرث الفردوس الأعلى في جوار اولاد الأنبياء عليهم السلام مربّاً ان كان صغيراً في حجرة سارة حتى لو كان مرادك ان تورثه علمك وكتبك فاذكر انّ ذلك لو تمّ لك فما وعدت من ثوابه أكثر من هذا.

قال الصادق عليه السلام ولد واحد يقدمه الرجل افضل من سبعين ولداً يقون بعده يدركون القائم عليه السلام، واعتبر المثل وهو انّه قيل انّ رجلاً فقيراً معه ولد عزيز عليه وعليه خلقان الثياب قد اسكنه في خرب مقفرة ذات سباع وحيّات، فاطلع عليه رجل حكيم ذو ثروة وقصور عالية، فأرسل اليه بعض غلمانه رحمة له، وقال له انّ سيدي يقول لك انّي رحمتك من هذه الخربة ورحمت ولدك وقد تلطّفت عليك بهذا القصر، ينزل به ولدك ويوكل عليه جارية كريمة تقوم بخدمته الى ان تقضي انت اغراضك وتجيء اليه وتسكن معه، فقال ذلك الرجل انا لاارضى بمفارقة ولدي لالعدم وثوقي بمولاك بل اعتقد انه صادق ولكن طبعي اقتضى ذلك، ومأأريد ان أخالفه فما كنت ايّها السامع تقول هذا الرجل تعدّه من الأغبياء فلا تقع في خلق لاترضاه لغيرك.

واعلم ان لسع الأفاعي واعظم آفات الدنيا لانسبه لها الى ادنى هول من اهوال الآخرة، فما ظنّك بتوبيخ يكون مقداره ألف سنة او أضعافه، ومنها انه ينبغي ان يفكر في انّ الجزع يشتمل على عدم الرضاء بالقضاء، وفي ذلك التعرض لذمّ الله تعالى حيث قال لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليعبد رباً سواي، وقال موسى عليه السلام دلّني على امر فيه رضاك، قال انّ رضائي في رضاءك بقضائي، وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ياداود تريد وأريد وانّما يكون مأأريد فان سلّمت لما أريد كفيتك ماتريد، وان لم تسلم لما اريد أتعبتك فيما تريد ثم لايكون الاّ مأأريد.

ومنها ان ينظر صاحب المصيبة الى انّه في دار قد طبعت على الكدر والعناء وجبلت على المصائب والبلاء فما يقع فيها من ذلك فهو بموجب طبيعتها، وان وقع خلاف ذلك فهو على خلاف العادة، وقد نزل على الأولياء من المحن والشدائد ماتعجز عن حمله الجبال وقال صلى الله عليه وآله وسلم اشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل، كيف لاوهي سجن المؤمن وجنّة الكافر، ومتى حصل فيهم محبوب كانت آلامه تزيد على لذاته بأضعاف مضاعفة، وأقل حسراته الفراق الذي يفتّ الأكباد، فكلما نظرت في الدنيا انّه شراب فهو سراب، وعماراتها وان علت الى خراب:

له ملك ينادي كلّ يوم ... لدوا للموت وابنوا للخراب

وفي الحديث انّ عبادي يطلبون مني مالاأخلقه وهو الرّاحة في الدنيا، ويدعون طلب ماخلقته وهو النّعيم المقيم ولقد احسن بعض الفضلاء حيث رثى ابنه:

طبعت على كدر وانت تريدها ... صفوا من الأقذار والأكدار
ومكلّف الأيّام ضد طباعها ... متطلب في الماء جذوة نار

واذا رجـــوت المـــستحيل فانّمـــا　　　تـبني البنـاء علـى شـفير هـار

روي عن علي عليه السلام ان صبرت جرى عليك القضاء وانت مأجور وان جزعت جرى عليك القضاء وانت مأزور، فاغتنم شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك، واجعل الموت نصب عينيك واستعدّ له بصالح العمل، ودع الأشتغال بغيرك فانّ الأمر يأتي اليك دونه وقال علي عليه السلام انّ اشدّ ماأخاف عليكم خصلتان اتّباع الهوى وطول الأمل، فامّا اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق، واما طول الأمل فانّه يورث الحب للدنيا.

وأوحى الله سبحانه الى بعض الصدّيقين ان لي عبادا من عبادي يحبّوني واحبهم ويشتاقون اليّ واشتاق اليهم، ويذكروني واذكرهم، فان اخذت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك، قال يارب وماعلاماتهم؟ قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الشفيق غنمه، ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا جنّهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الأسرة وخلا كلّ بحبيبه، نصبوا لي اقدامهم، وفرشوا لي وجوههم وناجوني بكلامي، وتملقوني بانعامي، فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد، وبين راكع وساجد بعيني مايتحمّلون من أجلي، وبسمعي مايشكون من حبي، اول ماأعطيهم ثلاثا:اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عنّي كما أخبر عنهم، والثاني لو كانت السماوات والأرض ومافيهما من موازينهم لأستقللتها لهم، والثالث أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت عليه بوجهي يعلم أحد ماأريد ان أعطيه اذا عرفت هذا فلنتكلم الآن في امور:

الأول في بيان الأعواض الحاصلة من موت الأولاد ومايقرب من هذا المراد، اعلم انّ الله سبحانه عدل حكيم لايليق بكمال ذاته ان ينزل بعبده المؤمن في دار الدنيا شيئاً من البلاء وان قل ثم لايعوّضه عنه مايزيد عليه اذ لو لم يعطه شيئاً كان ظالماً، ولو عوضه بقدره كان عابثاً، وقد تظافرت بذلك الأخبار النّبوية ومنها(فيها خ) انّ المؤمن لو يعلم ماأعد الله تعالى له على البلاء لتمنى انّه في دار الدنيا قرض بالمقاريض، وروي هذا الحديث عن السّلمي ازيد من ثلاثين صحابياً، روى الصدوق رع باسناده الى السّلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوا ايّما رجل قدّم ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث او امرأة قدّمت ثلاثة اولاد فهم حجاب يسترونه من النّار، والحنث بكسر الحاء الذّنب والمراد لم يبلغوا السنّ الذي يكتب عليهم فيه الذنب.

وقال الصادق عليه السلام ولد واحد يقدّمه الرجل افضل من سبعين يخلفونه من بعده كلّهم قد ركب الخيل وقاتل في سبيل الله تعالى، وقال عليه السلام ثواب المؤمن من ولده الجنّة صبر او لم يصبر، وقال عليه السلام ولد يقدّمه الرجل افضل من سبعين ولداً يبقون بعده يدركون

القائم عليه السلام، وقال صلى الله عليه وآله وسلم انَ العبد اذا سبقت له من الله تعالى منزلة فلم يبلغها بعمل ابتلاه الله تعالى في جسده او في ماله او في ولده ثم صبّره على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل، وقال ايضاً خمس ماأثقلهن في الميزان:لااله الا الله والله اكبر والحمد لله، والولد الصالح بتوفى للمرء المسلم فيحتسبه، أي يعدّه حسبة وكفاية عند الله عز وجل، وقال عليه السلام تزوجوا فاني مكاثر بكم الأمم حتى انَ السقط ليظل محبنطئا على باب الجنة، فيقال له ادخل فيقولو لاادخل حتى يدخل ابواي والسّقط مثلّث السّين والكسر أكثر هو الذي يسقط من بطن امه قبل اتمامه، ومحبنطئا بالهمز وتركه وهو المتغضّب المستبطي للشيء.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم سوداء ولود خير من حسناء لم تلد انّي مكاثر بكم الأمم حتى انَ السَقط ليظل محبنطئا على باب الجنة فيقال له أدخل الجنّة يقول أنا وأبواي، فيقول له وانت وأبواك، وقال صلى الله عليه وآله وسلم النفساء يجرها ولدها يوم القيامة بسررها الى الجنة، النَفساء بضم النون وفتح الفاء[1] المرأة اذا ولدت، والسّرر بفتح السين ماتقطعه القابلة من من سرّة المولود التي هي موضع القطع، وكأنّه يريد الولد الذي لم تقطع سرته، وقال صلى الله عليه وآله وسلم من قدّم من صلبه ذكراً لم يبلغ الحنث كان أفضل من ان يخلف من بعده مائة كلّهم يجاهدون في سبيل الله تعالى لاتسكن روعتهم الى يوم القيامة، وقال ايضاً لئن أقدم سقطاً أحبَ اليَ من ان اخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله تعالى، وقال اذا كان يوم القيامة خرج ولدان المسلمين من الجنَة بأيديهم الشّراب، قال فيقول النّاس لهم اسقونا اسقورنا فيقولون ابوينا ابوينا.

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم اذا كام يوم القيامة نودي في اطفال المسلمين ان اخرجوا من قبوركم فيخرجون من قبورهم، ثم ينادى فيهم ان امضوا الى الجنة زمراً فيقلون ربنا ووالدينا معنا، ثم ينادى فيهم الثانية ان امضوا الى الجنة زمراً فيقولون ربنا ووالدينا معنا فيقال في الثالثة ان امضوا الى الجنة زمراً فيقولون ربنا ووالدينا معنا، فيقول في الرابعة ووالديكم معكم فيثوب(فيسرع خ) كلَ طفل الى ابويه فيأخذون بأيديهم فيدخلون الجنة، فهم اعرف بآبائهم وأمّهاتهم يومئذ من أولادكم الذين في بيوتكم، وعن انس انَ رجلاً كان يجيء بصبي له معه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانه مات والده فقوموا الى اخينا نعزيه، فلما دخل عليه اذا الرجل حزين وبه كآبة، فقال يارسول الله كنت ارجوه لكبر سني وضعفي، فقال يارسول الله

---

[1] وبفتح النون وسكون الفاء وبفتحها ايضاً.

صلى الله عليه وآله وسلم امَا يسرك ان يكون يوم القيامة بازائك يقال له ادخل الجنة فيقول رب وأبواي ولايزال يشفع حتى يشفع الله تعالى فيكم ويدخلكم جميعاً الجنة.

وعن انس ايضاً قال توفي ابن لعثمان بن مظعون ره فاشتدَ حزنه عليه حتى اتَخذ في داره مسجداً يتعبد فيه، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ياعثمان انَ الله عزَ وجلَ لم يكتب علينا الرهبانيَة، انما رهبانيَة امتي الجهاد في سبيل الله تعالى ياعثمان بن مظعون انَ للجنة ثمانية ابواب وللنار سبعة ابواب أفما يسرك ان لاتأتي بابا منها الا وجدت ابنك الى جنبه آخذاً بحجرتك يستشفع لك الى ربك عز وجل، قال فقيل يارسول الله ولنا في افراطنا مالعثمان؟ قال نعم لمن صبر منكم واحتسب، الحجزة بضم الحاء المهملة والزاء موضع شدَ الأزار، ثم قيل للأزار حجزة، وعن قرة بن اياس انَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يختلف اليه رجل من الأنصار مع ابن له فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم يافلان تحبه؟ قال نعم يارسول الله احبك كما أحبه، ففقده النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا رسول الله مات ابنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اما يرضى اولاترضى ان لاتأتي يوم القيامة بابا من ابواب الجنةالا جاء يسعى حتَى يفتحه لك، فقال رجل يارسول الله له وحده ام لكلَنا؟ فقال بل لكلَكم.

وروى البيهقي انَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا جلس تحلق اليه نفر من اصحابه وفيهم رجل له بنيَ صغير يأتيه من خلف ظهره فيقعده بين يديه الى ان هلك ذلك الصبي فامتنع الرجل من الحلقة ان يحضرها تذكراً له وحزناً عليه، قال ففقده النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال مالي لاأرى فلاناً؟ قالوا يارسول الله بنيَه الذي رأيته هلك فمنعه الحزن عليه والذَكر له ان يحضر الحلقة فلقيه نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن بنيَه فأخبره انَه هلك، فعزاه وقال يافلان ايَما كان احب اليك ان تمتَع عمرك اولاً تأتي غداً باباً من ابواب الجنة الا وجدته قد سبقك اليه ففتحه لك، قال يانبي الله لابل يسبقني الى باب الجنة احب اليَ قال فذاك لك، فقام رجل من الأنصار فقال يارسول الله أهذا لهذا خاصة ام من هلك له طفل من المسلمين كان ذلك له؟ قال بل من هلك له طفل من المسلمين كان له ذلك.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون نعم، فيقول قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون نعم، فيقول ماذا قال عبدي؟ فيقلون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى أبنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمَوه بيت الحمد، وعن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دفن ثلاثة فصبر عليهم واحتسب وجبت له الجنة، فقالت امَ ايمن واثنين، فقال من دفن اثنين فصبر عليهما واحتسبهما وجبت له الجنة،

فقالت ام ايمن وواحد فسكت وامسك، ثم قال ياام ايمن من دفن واحد فصبر عليه واحتسب وجبت له الجنة.

وعن ابن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعزيها بإبنها قال بلغني انّك جزعت جزعا شديداً، قالت ومايمنعني يارسول الله وقد تركني عجوزاً رقوباً، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لست بالرقوب انما الرقوب التي تتوفى وليس لها فرط ولايستطيع الناس ان يعودون عليهامن إفراطهم فتلك الرقوب، والرقوب بفتح الراء التي لايولد لها ولد ولايعيش لها هذا بحسب اللغة وقد خصّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بماذكر، وعن زيد بن اسلم قال مات ولد لداود عليه السلام فحزن عليه حزناً كثيراً فأوحى الله تعالى الى داود ماكان يعدل هذا الولد عندك؟ قال يارب كان يعدله هذا الولد عندي ملأ الأرض ذهباً، قال فلك عندي يوم القيامة ملأ الأرض ثواباً.

وعن داود بن ابي هند قال رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأن الناس يدعون الى الحساب، قال فقرب الى الميزان فوضعت حسناتي في كفة وسيئاتي في كفه فرجَحت السيئات على الحسنات، فبينا انا مغموم اذ اتيت بمنديل او كالخرقة البيضاء فوضعت مع حسناتي فرجَحت فقيل لي تدري ماهذا؟ قلت لا، قال هذا سقط كان لك قلت فانّه كان لي ابنة، فقيل لي ابنتك ليست لك لأنك كنت تتمنى موتها، وعن ابي شوذب ان رجلاً كان له ابن صغير لم يبلغ الحلم فأرسل الى قومه فقال انّ لي اليكم حاجة قالوا ماهي؟ قال انّي اريد ان ادعوا على ابني هذا ان يقبضه الله وتؤمنون على دعائي، فسألوه عن ذلك فأخبرهم انّه رأى في نومه كأن الناس قد حمعوا ليوم القيامة وأصابهم عطش شديد.فاذا الولدان قد خرجوا من الجنة معهم الأباريق وفيهم ابن اخ له، فالتمس منه انه يسقني فأبى وقال ياعم لانسقي الا الآباء فأحببت انّ الله يجعل ولدي هذا فرطاً لي، فدعا وأمّنوا فلم يلبث الصبي حتى مات.

وعن محمد بن خلف قال كان لإبراهيم الحربي ابن له أحد عشر سنة قد حفظ القرآن ولقنه أبوه العلم فمات، فأتيته لأعزيه فقال لي كنت اشتهي موته، فقلت ياباب اسحق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبي قد انحب وحفظ القرآن ولقنته الحديث والفقه، قال نعم ثم قال رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وكأن صبياناً بأيديهم قلال فيها ماء يستقبلون الناس يسقونهم وكان اليوم حار شديد، فقلت لأحدهم اسقني من هذا الماء، قال فنظر اليّ وقال لي لست انت ابي، قلت فأنى شيء انتم؟ قال ونحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا وخلّفنا آباءنا، فنستقبلهم فنسقيهم الماء، فلهذا تمنيت موته.

وروى الغزالي في الأحتيء انّ بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج برهة من دهره فيأبى، قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوّجوني فزوّجوه، فسأل عن ذلك فقال لعل الله تعالى يرزقني ولداً يقبضه فيكون لي مقدّمة في الآخرة، ثم قال رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأني في جملة الخلائق في الموقف وبي من العطش ماكاد أن يقطع عنقي وكذا الخلائق من شدّة العطش والكرب، فنحن كذلك واذا ولدان يتخللون الجمع، عليهم قناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد، ويتخللون الجمع ويحاوزون اكثر الناس، فمددت يدي الى أحدهم فقلت اسقني فقد اجهدني العطش، فقال ليس لك فينا ولد انّما نسقي آبائنا فقلت ومن انتم؟ قالوا نحن من مات من اطفال المسلمين.

وحكى الشيخ ابوعبد الله في كتاب مصباح الظلام عن بعض الثّقاة انّ رجلاً أوصى بعض أصحابه ممن حج يقرأ سلامه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويدفن رقعة مختومة له عند رأسه الشّريف، ففعل ذلك فلمّا رجع من حجه أكرمه الرجل وقال له من اين علمت بتبليغها قبل ان أحدّثك فأنشأ يحدثه، قال لي اخ مات وترك ابناً صغيراً فربيته واحسنت تربيته ثم مات قبل ان يبلغ الحلم، فلمّا كان ذات ليلة رأيت في المنام كأنّ القيامة قد قامت والحشر قد وقع والناس قد اشتد بهم العطش من شدّة الجهد وبيد ابن اخي ماء، فالتمست ان يسقيني فأبى وقال ابي احق به منك، فعظم عليّ ذلك وانتبهت فزعاً، فلمّا اصبحت تصدقت بجملة دنانير وسألت الله تعالى ان يرزقني ولداً ذكراً فرزقته، واتفق سفرك فكتبت لك تلك الرقعة ومضمونها التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم الى الله عز وجل في قبوله مني رجاء ان اجده يوم الفزع الأكبر، فلم يلبث ان حمّ ومات وكان ذلك يوم وصولك فعلمت انك بلّغت الرسالة.

ومن كتاب النوم والرؤيا لأبي صقر الموصلي حدّثني عن علي بن الحسين بن جعفر حدّثني ابي حدثني بعض اصحابنا ممّن اثق به قال أتيت المدينة ليلاً فنمت في البقيع بين اربعة قبور عند قبر محفور، فرأيت في منامي اربعة اطفال قد خرجوا من تلك القبور وهم يقولون:

أنعــــم الله بالحبيبـــــة عينــــــا ... وبمـــــسراك يــــأميم الينــــا
عجبــاً ماعجبــت مــن ضـغطة القـبر ... ومفـــــداك يــــااميم الينــــا

فقلت انّ لهذه الأبيات لساناً واقمت حتى طلعت الشّمس، فاذا جنازة قد اقبلت فقلت من هذه؟ قالوا امرأة من أهل المدينة، فقلت اسمها اميمة؟ قالوا نعم، قلت قدمت فرطا؟ قالوا نعم اربعة اولاد فأخبرتهم الخبر، وأنشد بعض الأفاضل:

عطيّتـــــه اذا أعطـــى ســــرورا ... فــان سـلب الــذي اعطــى اثابــا

فـأي النعمـتين أعـد فـضلاً | وأحمـد عنـد عقباهـا أيابـا
أنعمتـه الـتي كانـت سـرورا | ام الأخـرى الـتي جلبـت ثوابـا

الأمر الثاني في الصبر وقد عرفت معناه، واما اقسامه فهي ثلاثة:أحدها صبر العوام وهو حبس النَفس على وجه التَجلد واظهار الثبات في النَائبات ليكون حاله عند الناس مرضيَة:يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، وثانيها صبر الزهَاد والعبَاد وأهل التقوى لتوقَع ثواب الآخرة، انَما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وثالثها صبر العارفين فانَ لبعضهم التذاذاً بالمكروه لتصورهم انَ معبودهم خصَهم به من دون النَاس وصاروا ملحوظين بشريف نظره، {وبشَر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم واولئك هم المهتدون}، وهذا النوع يخص باسم الرضا، والأول لاثواب عليه بل هو رياء محض، والصبَر عند الأطلاق يحمل على القسم الثاني.

وعن الحسن عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال انَ في الجنَة شجرة يقال لها شجرة البلوى، يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا يرفع لهم ديوان ولاينصب لهم ميزان يصب عليهم الأجر صباً وقرأ{انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب} وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزاناً او انشر له ديوانا، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر والصبر عند الصَدمة الأولى أعظم وعظم الأجر على قدر المصيبة، ومن استرجع بعد المصيبة جدَد الله له أجرها كيوم أصيب بها، وسأل رجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال مايحبط الأجر في المصيبة؟ فقال تصفيق الرجل بيمينه عن شماله، والصبر عند الصدمة الأولى فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فعليه السَخط.

وعن ام سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت أتاني ابو سلمة يوماً من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قولاً سررت به، قال لايصيب احد من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا فعل ذلك به، قالت ام سلمة فحفظت ذلك منه فلمَا توفى ابو سلمة استرجعت وقلت اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منه، ثم رجعت الى نفسي فقلت من اين يحصل خير من ابي سلمة فلما انقضت عدتي استأذن عليَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانا ادبغ اهابا، فغسلت يدي من القرظ واذنت له فوضعت له وسادة أدم

وحشوها ليف، فقعد عليها فخطبني الى نفسي، فلما فرغ من مقالته قلت مابي ان لايكون بك الرَغبة ولكنّي امرأة في غير شديدة فأخاف ترى مني شيئاً يعذبني الله عليه، وانا امرأة قد دخلت في السن وانا ذات عيال، فقال أمّا ذكرت من السن فقد اصابني مثل الذي اصابك، واما ماذكرت من العيال فانّما عيالك عيالي قالت فقد سلمت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزوجها، فقالت ام سلمة[١] فقد ابدلني الله بأبي سلمة خيراً منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام انَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من اصابته مصيبة فقال اذا ذكرها انّا لله وانّا اليه راجعون جدّد الله له أجرها مثل ماكان له يوم اصابته، وعن جابر عن الباقر عليه السلام قال اشد الجزع الصّراخ بالويل والعويل ولطم الوجه وجزَ الشعر، ومن اقام النواحة فقد ترك الصَبر ومن صبر واسترجع وحمد الله جلَ ذكره فقد رضى بما صنع الله ووقع اجره على الله جل وعز ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم وأحبط الله عز وجل اجره، وعن موسى الكاظم عليه السلام قال ضرب الرجل على فخذه عند المصيبة احباط اجره، وعن اسحق بن عمار عن الصادق عليه السلام قال يااسحق لاتعدَنَ مصيبة أعطيت عليها الصبر واستوجبت عليها من الله عز وجل الثواب، انما المصيبة التي يحرم صاحبها أجرها وثوابها اذا لم يصبر عند نزولها.

الأمر الثالث في نبذ من أحوال السلف عند موت ابنائهم وأحبائهم قال ابو الأحوص دخلنا على ابن مسعود رضي الله عنه وعنده ثلاثة بنين له وهم غلمان كأنهم الدّنانير حسناً فجعلنا نتعجب من حسنهم، فقال كأنكم تغبطوني بهم، قلنا أي والله، بمثل هؤلاء يغبط المرء المسلم، فرفع رأسه الى سقف بيت قصير قد عشعش فيه الخطّاف وباض، فقال والذي نفسي بيده لئن أكون نفضت يدي من تراب قبورهم أحبَ اليّ من ان اسقط عشّ هذا الخطّاف وينكسر بيضه، يعني حرصاً على الثواب.

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقري الناس في المسجد جاثياً على ركبتيه اذ جاءت امَ ولده بابن له يقال له محمد، فقامت على باب المسجد ثم اشارت له الى ابيه، فأقبل فأفرج له القوم حتى جلس في حجره، ثم جعل يقول مرحباً بسمي من هو خير منه ويقبله حتى يكاد يزدرديقه، ثم قال والله لموتك وموت اخوتك أهون عليَ من عدتكم من هذا الذبان، فقيل له لم تتمنى هذا؟ فقال اللهم غفرا انّكم تسألوني ولا أستطيع الا ان اخبركم كم اريد بهذا الخير، اما انا فأحرز أجورهم وأتخوف عليهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يأتي عليكم

---

(١) ام سلمة ام المؤمنين اسمها هند بنت ابي امية هي افضل ازواج رسول الله(ص) بعد خديجة ام المؤمنين سلام الله عليها.

زمان يغبط الرجل بخفة الحال مايغبط اليوم بكثرة المال والولد، وكان ابو ذر رضي الله عنه لايعيش له ولد، فقيل له انك امرء لايبقى لك ولد، فقال الحمد لله الذي يأخذهم من دار الدنيا ويذخرهم في دار البقاء.

ومات لعبد الله بن عامرالمازني رضي الله عنه في الطاعون الحارف سبع بنين في يوم واحد فقال اني مسلم مسلم، وعن عبد الرحمن بن غنمة قال دخلنا على معاذ وهو قاعد عند رأس ابن له وهو يجود بنفسه، فما ملكنا انفسنا ان ذرفت اعيننا وانتحب بعضنا، فزجره معاذ وقال مه فوالله لعلم الله برضاي لهذا احب اليَ من كلَ غزوة غزوتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاني سمعته يقول من كان له ابن عليه عزيز وبه ضنيناً ومات فصبر على مصيبته واحتسبه أبدل الله الميت داراً خيراً من داره وقراراً خيراً من قراره، وأبدل المصاب الصلاة والرحمة والمغفرة والرَضوان، فما برحنا حتى قضى الغلام حين اخذ المنادي لصلاة الظهر فرحنا نريد الصلاة فما جئنا الاَ وقد غسله وكفنه، وجاء رجل بسريره غير منتظر لشهود الأخوان والجمع الجيران، فلمَا بلغنا ذلك تلاحقنا وقلنا يغفر الله لك ياابا عبد الرحمن هلاً انتظرتنا حتى نفرغ من صلواتنا ونشهد ابن اخينا، فقال امرنا ان لاننتظر موتانا ساعة ماتوا من ليل او نهار، قال فنزل في القبر وانزل معه آخر فلمَا اراد الخروج ناولته بيدي لأنتشطه من القبر، فأبى وقال ماأدع ذلك لفضل قوتي ولكن اكره ان يرى الجاهل انَ ذلك منَي جزع واسترخاء عند المصيبة، ثمَ أتى مجلسه ودعى بدهن فادهن وبكحل فاكتحل وببردة فلبسها واكثر في يومه ذلك من التبسَم ينوي به مانوي، ثمَ قال انا لله وانا اليه راجعون، في الله خلف عن كل هالك وعزاء من كل مصيبة، ودرك لكل مافات.

وروي ان قوماً كانوا عند علي بن الحسين عليهما السلام فاستعجل خادم بشوي يشوي(خ) في التنور، فأقبل مسرعاً فسقط من يده لعلي بن الحسين عليه السلام، فأصاب رأسه فقتله فوثب علي بن الحسين عليه السلام فلمَا رأى ابنه ميَتاً قال للغلام انت حرَ اما انك لم تتعمده وأخذ في جهاز ابنه.

وعن الأحنف بن قيس قال تعلَموا الحلم والصبر فانَي تعلمته، فقيل ممن؟ قال من قيس بن عاصم، قيل ومابلغ من حلمه؟ قال كنَا قعوداً عنده اذ أتى بأبنه مقتولاً وبقاتله مكبولاً فما حلَ حبوته ولاقطع حديثه حتى فرغ، ثم التفت الى قاتل ابنه فقال ياابن أخي ماحملك على مافعلت؟ قال غضبت، قال اوكلما غضبت قتلت أهنت نفسك وعصيت ربك وأقللت عددك، اذهب فقد اعتقتك، ثم التفت اليه بنيه فقال يابنيَ اعمدوا الى اخيكم غسلوه وكفنوه فاذا فرغتم منه فأتوني به

حتى اصلّي عليه، فلمّا دفنوه قال ان امه ليست منكم وهي من قوم آخرين فلا أرآها ترضى بما صنعتم فاعطوها ديته من مالي.

وقدم الى بعض الخلفاء قوم من بني عبس فيهم رجل ضرير، فسأله عن عينيه، فقال بتّ ليلة في بطن واد ولم اعلم عبسياً يزيد ماله على مالي، فطرقنا سيل فذهب ماكان لي من أهل ومال وولد غير بعير وصبي مولود وكان البعير صعباً فشرد فوضعت الصبي واتّبعت البعير فلم أجاوز الاّ قليلاً حتى سمعت صيحة ابني، فرجعت ورأس الذئب في بطنه وهو يأكله ولحقت البعير لأحبسه فبعجني رجلاً وذهب بعيني، فأصبحت لامال لي ولاأهل ولاولد ولابصر، وقال ابو علي الرازي صحبت الفضل بن عباس ثلاثين سنة مارأيته ضاحكاً ولامبتسماًالا يوم مات ابنه علي، فقلت له في ذلك فقال ان الله سبحانه أحب أمراً فأحببت ماأحب الله عز وجل.

واصيب عمر بن كعب الهندي بتستر فكتموا أباه الخبر، ثم بلغه فلم يجزع، وقال الحمد لله الذي جعل من صلبي من أصيب شهيدا، ثم استشهد له ابن بجرجان، فلمّا بلغه الخبر قال الحمد لله الذي توفّى مني شهيدا.

وروى البيهقي انّ عبد الله بن مطرف مات فخرج ابوه مطرف على قومه في ثياب حسنة وقد أدهن، فغضبوا وقال يموت عبد الله وتخرج في ثياب حسنة مدهنا، قال أفأستكين لها لها وقد وعدني ربّي تبارك وتعالى عليها ثلاث خصال هي أحب اليّ من الدنيا كلها قال الله تعالى{الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون}، ودعا رجل من قريش اخواناً فجمعهم على طعام وضربت ابناً له دابّة بعضهم فمات، فأخفى ذلك عن القوم وقال لأهله لا أعلمن صاحت منكم صائحة وبكت باكية، وأقبل على اخوانه حتى فرغوا من طعامه، ثمّ أخذ في جهاز الصبي فلم يفجأهم الا بسريره، فأرتاعوا وسألوه عن أمره فأخبرهم فعجبوا من صبره وكرمه.

وذكر ان رجلاً من اليمامة دفن ثلاثة رجال من ولده ثمّ اجتبى فنادى قومه يتحدّث كأن لم يفقد احدا، فقيل له في ذلك؟ فقال ليسوا في الموت ببديع ولا انا في المصيبة بأوحد، ولاجدوى للجزع فعلام تلوموني؟ وأسند ابو العباس مسروق عن الأوزاعي قال حدّثني بعض الحكماء قال خرجت وانا اريد الرّباط حتى اذا كنت بعريش مصر اذ انا بمظلّة وفيها رجل قد ذهبت عيناه واسترسلت يداه ورجلاه، وهو يقول لك الحمد سيّدي ومولاي اللّهم انّي احمدك احمدا يوافى محامد خلقك كفضلك على سائر خلقك اذ فضّلتني على كثير ممّن خلقت تفضيلا، فقلت والله لأسألنه، فدنوت وسلمت عليه، فرد عليّ السلام فقلت له رحمك الله اني أسألك عن شيء اتخبرني به ام لا؟ فقال ان كان عندي منه علم اخبرتك به، فقلت رحمك الله على أي فضيلة من

فضائل تشكره؟ فقال او ليس ترى ماقد صنع بي، قلت بلى، فقال والله لو ان الله تبارك وتعالى اصب على نار تحرقنا، وامر الجبال فدمرتنا، وامر البحار فغرقتنا، وأمر الأرض فخسفت بي ماازددت فيه سبحانه الا حبا، ولاازددت له الا شكراً، وان لي اليك حاجة افتقضيها لي؟ فقلت نعم قل ماتشاء فقال بني لي كان يتعاهدنا اوقات صلواتي ويطعمني عند افطاري، وقد فقدته منذ امس فانظر هل تجده لي؟ قال فقلت في نفسي ان في قضاء حاجته لقربة الى الله عز وجل، وقمت وخرجت في طلبه حتى اذا صرت بين كثبان الرمال اذا انا بسبع قد افترس الغلام يأكله، فقلت انا لله وانا اليه راجعون كيف اتى هذا العبد الصالح بخبر ابنه؟ قال فأتيته فسلمت عليه فقلت رحمك الله ان سألتك عن شيء اتخبرني به؟ فقال ان كان عندي منه علم اخبرتك؟ قال قلت انت اكرم على الله تعالى واقرب منزلة او نبي الله ايوب عليه السلام، فقال بل ايوب اكرم على الله تعالى مني واعظم عند الله تعالى منزلة مني، فقلت انه ابتلاه الله فصبر حتى استوحش منه من كان يأنس به، وكان غرضا لمرار الطريق، اعلم ان ابنك الذي اخبرتنا به وسألتي اطلبه لك افترسه السبع، فأعظم الله اجرك، فقال الحمد لله الذ لم يجعل في قلبي حسرة من الدنيا، ثم شهق شهقة وسقط على وجهه فسجلت ساعة ثم حركته فاذا هو ميت، فقلت انا لله وانا اليه راجعون كيف اعمل في امره، ومن يعينني على غسله وكفنه وحفر قبره ودفنه؟ فبينا انا كذلك اذ انا بركب يريدون الرباط، فأشرت عليهم فأقبلوا نحوي حتى وقفوا علي، فقالوا من انت وماهذا؟ فأخبرتهم بقصتي، فعقلوا رواحلهم حتى غسلناه بماء البحر وكفناه بأثواب كانت معهم، وتقدمت وصليت عليه مع الجماعة ودفناه في مظلته وجلست عند قبره انسابه وأقرأ القرآن الى ان مضى من الليل ساعات؟ فغفوت غفوة فرأيت صاحبي في أحسن صورة واجمل زي في روضة خضراء عليه ثياب خضر قائما يتلو القرآن، فقلت له الست صاحبي، قلت فما الذي صيرك الى ما أرى؟ فقال اعلم انني وردت مع الصابرين لله عز وجل لم ينالوها الا بالصبر والشكر عند الرخاء وانتبهت.

وروي بينما عمر بن عبد العزيز ذات يوم جالس اذا تاه ابنه٩ عبد الملك، فقال الله الله في مظالم بني ابيك فلان وفلان وفلان فوالله لوددت ان القدور قد غلت بي وبك فيما يرضى الله وانطلق فاتبعه ابوه بصره وقال اني لأعرف خير احواله، قالوا وما خير أحواله؟ ان يموت فأحتسبه، ولما دخل عليه ابوه في مرضه فقال كيف تجدك قال اجدني في الموت فاحتسبني ياابه فان ثواب الله عز وجل خير لك من مني، فقال والله يابني لئن تكون في ميزاني احب اليَ من ان اكون في ميزانك؟ فقال ابنه لئن يكون ما تحب أحب اليَ من ان يكون ماأحب، فلما مات وقف على قبره وقال رحمك الله يابني لقد كنت ساراً مولداً وباراً ناشياً وماأحب اني دعوتك فأجبتني، ومات ابن له آخر قبل عبد الملك فجاء فقعد عند رأسه وكشف الثوب عن وجهه وجعل ينظر اليه

ويستدمع، فجاء ابنه عبد الملك فقال ليشغلك ماأقل من الموت عمن هو في شغل حلاً لديك، فكأن قد لحقت ابنك وساويته تحت التراب بوجهك فبكى عمر.

الأمر الرابع في صبر بعض النساء روي عن معاوية بن قرة قال كان ابو طلحة يحب ابنه حباً شديداً فمرض فخافت ام سليم على ابي طلحة الجزع حين قرب موت الأبن، فبعثه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما خرج ابو طلحة من داره توفي الولد فسجته(فسبجته خ) (ففطته خ) ام سليم بثوب وعزلته في ناحية من البيت، ثم تقدمت الى اهل بيتها وقالت لهم لاتخبروا ابا طلحة بشيء ثم انها صنعت طعاماً ثم مست شيئاً من الطيب فجاء ابو طلحة من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال مافعل ابني؟ فقالت له هدأت نفسه، ثم قال هل لنا ما نأكل فقامت فقربت اليه الطعام ثم تعرضت فوقع عليها فلما أطمأن قالت له ياابا طلحة اتغضب من وديعة كانت عندنا فرددناها الى اهلها؟ فقال سبحان الله لا؟ فقالت ابنك كان عندنا وديعة فقبضه الله تعالى، فقال ابو طلحة فانا أحق بالبصر منك، ثم قام من مكانه فاغتسل وصلى ركعتين ثم انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره بصنيعتها فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بارك الله لكما في وقعتكما، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحمد لله الذي جعل في امتي مثل صابرة بني اسرائيل، فقيل يارسول الله ماكان من صبرها؟ فقال كان في بني اسرائيل امرأة وكان لها زوج ولها منه غلامان، فأمرها بطعام ليدعو عليه الناس، ففعلت واجتمع الناس في داره فانطلق الغلامان يلعبان فوقعا في بئر كان في الدار فكرهت ان تنقص على زوجها الضيافةظ فادخلتهما البيت وسجتهما (سبجتهما خ) بثوب فلما فرغوا دخل زوجها فقال اين ابناي؟ قالت هما في البيت وانها كانت مسحت بشيء من الطين وتعرضت للرجل حتى وقع عليها ثم قال اين ابناي؟ قالت هما في البيت فناداهما ابوهما فخرجا يسعيان فقالت المرأة سبحان الله والله لقد كانا ميتين ولكن الله تعالى احياهما بالصبر.

وروي في مناجاة برخ الأسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام يسأله يستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين، وخرج موسى عليه السلام ليستسقي لهم في سبعين ألفاً فأوحى الله تعالى اليه كيف استجيب لهم وقد اظلّت عليهم ذنوبهم وسرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويؤمنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ يخرج حتى استجيب له، فسأل عنه موسى عليه السلام فلما يعرف فينا موسى عليه السلام ذات يوم يمشي في طريق فاذا هم بعبد الأسود بين عينه تراب من اثر السجود، في شملة قد عقدها على عنقه، فعرفه موسى عليه السلام بنور الله تعالى فسلّم عليه فقال مااسمك؟ قال اسمي برخ، فقال ان انت طلبتنا منذ حين، اخرج استسق لنا فخرج فقال في كلامه ماهذا من فعالك وماهذا من حلمك

ومالذي بدا لك انقضت عليه غيومك ام عاندت الرياح عن طاعتك؟ ام نفد ماعندك ام اشتد غضبك على المذنبين؟ الست غفاراً قبل خلق الخطائين، خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ان نخشى الفوت فتعجل بالعقوبة؟ فما برح برخ حتى اخضلّت بنو اسرائيل بالقطر، فلما رجع برخ استقبله موسى عليه السلام فقال كيف رأيتني حين خاصمت ربي؟ كيف ان انصفنا؟

وعن ابي قدامة الشامي قال كنت اميراً على الجيش في بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان فدعوت الناس ورغبتهم في الجهاد وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها، ثم تفرق الناس وركبت فرسي الى منزلي واذا انا بامرأة من احسن الناس، ينادي ياابا قدامة فمضيت ولم اجب، فقالت ماهكذا كان الصالحون، فوقفت فجاءت فدفعت الى رقعة مشدودة وانصرفت باكية، فنظرت في الرقعة فاذا فيها مكتوب انت دعوتنا الى الجهاد ورغبتنا في الثواب ولاقدرة لي على ذلك فقطعت احسن مافي، وهما ظفيزتاي وانفذتهما اليك لتجعلهما قيد فرسك لعل الله تعالى يرى شعري قيد فرسك في سبيله فيغفر لي، فلمّا كان صبيحة القتال فاذا بغلام بين يدي الصفوف يقاتل خاسراً، فتقدمت اليه فقلت يافتى غلام عزَ راجل ولاآمن ان تجول الخيل فتطأك بأرجلها فارجع عن موضعك هذا.

{ياايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار} وقرأ الآية الى آخرها فحملته على هجين[١] كان معي فقال ياابا قدامة أقرضني ثلاثة اسهم، فقلت هذا وقت قرض؟ فما زال يلح عليَ حتى قلت بشرط ان منَ الله عليك بالشهادة أكون في شفاعتك، قال نعم، فأعطيته ثلاثة اسهم، فوضع سهماً في قوسه ورمى به فقتل روميا، ثم رمى بالآخر فقتل روميا، وقال السلام عليك ياابا قدامة سلام مودع، فجاءه سهم فوقع بين عينيه فوضع رأسه على قربوس سرجه، فتقدمت اليه فقلت لاتنسها، فقال نعم ولكن لي اليك حاجة اذا دخلت المدينة فأت والدتي وسلّم خرجي اليها وأخبرها، فهي التي اعطتك شعرها لتقيد به فرسك، وسلّم عليها فهي العام الأول أصيبت بوالدي وفي هذا العام بي، ثم مات فحفرت له ودفنته فلمّا هممت بالإنصراف عن قبره قذفته الأرض فألقته على ظهرها، فقال أصحابه، غلام عزَ ولعله خرج بغير اذن امه فقلت انَ الأرض لتقبل من هو شر من هذا، فقمت وصلّيت ركعتين ودعوت الله تعالى فسمعت صوتاً يقول ياابا قدامة أترك وليّ الله تعالى، فما برحت حتة نزلت عليه الطيور فأكلته، فلما أتيت المدينة ذهبت الى دار والدته، فلما قرعت الباب خرجت اخته اليَ، فلما رأتني عادت الى امها وقالت ياماه هذا ابو قدامة وليس معه اخي وقد اصبنا في العام الأول بابي وفي هذا العام بأخي،

---

(١)فرس وبرذونة هجين أي غير عتيق او الهجين من الخيل الذي ولدته برذونة من حصاني عربي جمع هجن وهواجن ايضا.

فخرجت أمه فقالت أمعزياً ام مهنيا؟ فقلت مامعنى هذا؟ قالت ان كان مات فعزني، وان كان قتل فهنّني، وان كان قتل فهنّني، فقلت لابل مات شهيداً، فقالت له علامة فهل رأيتها، قلت نعم لم تقبله الأرض ونزلت الطيور فأكلت لحمه وتركت عظامه فدفنتها فقالت الحمد لله، فسلّمت اليها الخرج ففتحته وأخرجت منه مسحاً وغلاً من حديد، وقالت انه كان اذا جنّه الليل لبس هذا المسح وغلَّ نفسه بهذا الغل وناجى مولاه، ونادى في مناجاته الهي احشرني من حواصل الطيور، فاستجاب الله سبحانه دعاه رحمه الله.

وقال ابان بن تغلب(ره) دخلت على امرأة وقد نزل بابنها الموت، فقامت اليه وغمضته(قمصته وسبجّته خ) وسجته، ثم قالت يابني ماالجزع فيما لايزول ومااالبكاء فيما ينزل غداً يابني تذوق وما ذاق ابوك وستذوقه من بعد امك، وان اعظم الرّاحة لهذا الجسد النوم والنوم أخو الموت فما عليك ان كنت نائماً على فراشك او على غيره وانّ غداً السؤال والجنة والنار، فان كنت من اهل الجنة فما ضرّك الموت، وان كنت من اهل النار فما تنفعك الحياة ولو كنت اطول الناس عمرا، والله يابني لولا انّ الموت أشرف الأشياء لإبن آدم لما أمات الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وأبقى عدوه ابليس.

وعن المبرّد انه خرج الى اليمن فنزل على امرأة لها مال كثير ورقيق وولد وحال حسنة فأقام عندها، فلمّا اراد الرحيل قال ألك حاجة؟ قالت نعم كلّما نزلت هذه البلاد فانزل عليَّ، ثم انه غاب اعواماً ثم نزل عليها فوجدها قد ذهب مالها ورقيقها ومات ولدها وباعت منزلها وهي مسرورة ضاحكة، فقال لها أتضحكين مع ما قد نزلت بك؟ فقالت ياعبد الله كنت في حال النّعمة في احزان كثيرة فعلمت انّها من قلّة الشكر فأنا اليوم في هذه الحالة أضحك شكر الله تعالى على ماأعطاني من الصّبر.

وعن مسلم بن يسار قال قدمت البحرين فأضافتني امرأة لها بنون ورقيق ومال ويسار وكنت اراها محزونة فغبت عنها مدّة طويلة ثم اتيت فلم أرى ببابها انساناً، فأستأذنت عليها فاذا هي ضاحكة مسرورة، فقلت لها ما شأنك؟ قالت انّك لّما غبت عنّا لم نرسل شيئاً في البحر الا غرق، ولافي البرّ شيئاً الا عطب، وذهب الرقيق ومات البنون، فقلت لها يرحمك الله رأيتك محزونة في ذلك اليوم، فقالت نعم انّي لما كنت فيما كنت فيه من سعة الدنيا خشيت ان يكون الله تعالى قد عجّل لي حسناتي في الدنيا فلما ذهب مالي وولدي ورقيقي رجوت ان يكون الله تعالى قد ذخر لي عنده شيئاً.

وروى البيهقي عن ذى النون المصري قال كنت في الطّواف فاذا انا بجاريتين قد اقبلتا وأنشأت احديهما تقول:

صبرت وكان الصبر خير مغبة | وهل جزع منّي يجدي فأجزع
صبرت على مالو تحمل بعضه | جبال برضوي أصبحت تتصدع
ملكت دموع العين ثمّ رددتها | الى ناضري والعين في القلب تدمع

فقلت مّمن ذا ياجارية؟ فقالت من مصيبة نالتني لم تصب احداً قط، قلت وماهي؟ قالت كان لي شبلان يلعبان امامي وكان ابوهما ضحّى بكبشين، فقال احدهما لأخيه يأخي أريك كيف ضحّى ابوك بكبشه؟ فقام وأخذ شفرة فنحره وهرب القاتل، فدخل ابوهما فقلت انّ ابنك قتل اخاه وهرب، فخرج في طلبه فوجده قد افترسه السبع، فرجع الأب فمات في الطريق عطشاً وجوعا.

الأمر الخامس في الرضا قد عرفت انه ثمرة المحبّة بل كلّ كمال فهو ثمرتها فانّها لّما كانت فرع المعرفة استلزم تصوّر رحمته رجاه وتصوّر هيبته الخشية، ومع عدم الوصول الى المطلوب الشوق، ومع الوصول الأنس، ومع افراط الأنس الأنبساط ومع مطالعة عنايته التّوكل، ومع استحسان مايصدر عنه الرضا، ومع تصور قصور نفسه في جنب كماله وكمال احاطة محبوبه وقدرته عليه التّسليم اليه، والرضى أعظم كلّ المراتب.

قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان يوم القيامة انبت الله لطائفة من امتي اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف يشاؤون، فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب؟ فيقولون ما رأينا حساباً، فتقول هل جزتم الصراط؟ فيقولون ما رأينا صراطا، فتقول هل رأيتم جهنم؟ فيقولون ما رأينا شيئاً، فتقول الملائكة من امّة من انتم؟ فيقولون من امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فيقولون ناشدناكم الله تعالى حدثونا ماكانت اعمالكم في الدنيا؟ فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلّغنا الله تعالى هذه المنزلة بفضل رحمته، فيقولون كنا اذا خلونا نستحي ان نعصيه، ونرضى باليسر مّما قسم لنا، فتقول الملائكة حقّ لكم هذا.

وفي بعض الأخبار ان نبياً قال له امّته سل لنا ربك أمرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا، فأوحى الله تعالى اليه قل لهم يرضون عنّي حتى ارض عنهم، ونظيره ماروي عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال من احب ان يعلم ماله عند الله عزّ وجل فلينظر مالله عز وجل عنده، فانّ الله تعالى ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه، وفي اخبار داود عليه السلام مالأوليائي ومن اوليائي ان يكونوا روحانيّين لايغتمّون.

وروي انّ موسى عليه السلام قال يارب دلّني على امر فيه رضاك حتى اعمله، فأوحى الله تعالى اليه انّ رضائي في كرهك وانت لاتصبر على ماتكره، قال يارب دلني عليه قال فانّ

رضائي في رضاك بقضائي، وفي مناجاة من نبي أي رب ايَ خلقك احب اليك؟ قال من اذا اخذت حبيبه سالمني، قال فأيَ خلق انت عليه ساخط؟ قال من يستخيرني في الأمر فاذا قضيت له سخط قضائي.

وروي ان جابر بن عند الله الأنصاري رضي الله عنه أبتلي في آخر عمره بضعف الهرم والعجز فرآه محمد الباقر عليهما السلام فسأله عن حاله، فقال انا في حالة أحبَ فيها الشّيخوخة على الشباب والمرض على الصحة والموت على الحياة، فقال البافقر عليه السلام اما انا فان جعلني الله شيخاً أحب الشيخوخة، وان أماتني أحب الموت، وان ابقاني أحب البقاء، فلمَا سمع جابر هذا الكلام قبَل وجهه وقال صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فانه قال ستدرك لي ولداً اسمه اسمي يبقر العلم بقرا كما يبقر الثّور الأرض، ولذلك سمَى باقر علم الأولين والآخرين أي شاقه.

وروى(ووردخ) في الأسرائيليات انَ عابدا عبد الله تعالى دهراً طويلاً فراى في المنام فلانة رفيقتك في الجنة، فسأل عنها واستضافها ثلاثاً لينظر الى عملها فكان يبيت قائماً وتبيت نائمة ويظل ائماً وتظل مفطرة، فقال لها أما لك عمل غير ما رأيت؟ فقالت ماهو غير ما رأيت ولاأعرف غيره، فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصيلة واحدة هي ان كنت في شدَة لم أتمن ان اكون في رخاء، وان كنت في مرض لم اتمن ان اكون في صحة وان كنت في الشمس لم اتمنَ ان اكون في الظَل، فوضع العابد يديه على رأسه وقال أهذه خصيلة، هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد.

واما درجات الرضا فثلاثة:الأولى ان ينظر الى موقع البلاء والفعل الذي يقتضي الرضا ويدرك موقعه ويحسَ بألمه، ولكن يكون راضياً به بل راغباً فيه مريداً له بعقله وان كان كارهاً له بطبعه طلباً لثواب الله تعالى والفوز بالجنة التي عرضها السماوات والأرض وقد أعدَت للمتقين، وهذا القسم من الرضا هو رضاء المتقين، ومثاله مثال من يلتمس الفصد والحجامة من الطَبيب العالم بتفاصيل امراضه وما فيه صلاحه فانَه يدرك ألم ذلك الفعل الا انَه راض به وراغب فيه ومتقلَد من الفصاد منَة عظيمة، ومثله من يسافر في طلب الربح فانَه يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيَب عنده مشقة السفر وجعله راضياً به، ومهما اصابه بليَة من الله تعالى وكان له يقين بأنَ ثوابه الذي ادخر له فوق مافاته رضي به ورغب فيه وأحبَه وشكر الله عليه.

الثانية ان يدرك الألم كذلك ولكنه احب لكونه مراد محبوبه ورضاه، فان غلب عليه الحب كان جميع مراده وهواه مافيه رضاء محبوبه، الثالثة ان يبطل احساسه بالألم حتى يجري عليه المؤلم ولايحس ويصيبه جراحة ولايدرك ألمه، مثاله الرَجل المحارب فانَه في حال غضبه او حال

خوفه قد يصيبه جراحة وهو لايحس بها حتى اذا رأى الدَم استدلَ به على الجراحة، وذلك لأنَ القلب اذا صار مستغرقاً بأمر من الأمور لم يدرك ماعداه، والعشق من أعظم المشاغل، وكما يقوي حب الصور الجميلة الظاهرة المدركة بحاسة البصر كذلك يقوي حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة الربوبيّة وجلالها لايقاس بها جلال، فمن انكشف له شيء منه فقد بهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحسَ بما يجري عليه.

كما روي انَ امرأة عثرت فانقطع ظفرها فضحكت، فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت انَ لذَة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه، وكان بعضهم يعالج غيره من علَة فنزلت به فلم يعالج نفسه، فقيل له في ذلك فقال ضرب الحبيب لايوجع.

ولَما اشتدَ البلاء على ايوب عليه السلام، قالت امرأته الا تدعو ربَك فيكشف مابك؟ فقال لها ياامرأة انَي عشت في الملك والرَخاء سبعين سنة وانا اريد ان اعيش مثلها في البلاء لعلي كنت اديت شكرها ماأنعم الله عليَ، واولى بالصبر على ماأبلى، وروي انَ يونس عليه السلام قال لجبرئيل دلَني على أعبد أهل الأرض، فدلَه على رجل قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وهو يقول الهي متَعتني بها ماشئت وسلبتني ماشئت، وأبقنت لي فيك الأمل يابرَ ياوصول.

وروي انَ موسى عليه السلام مرَ برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنبين بالفالج قد تناثر لحمه من الجذام، وهو يقول الحمد لله الذي عافاني ممَا ابتلى به كثيراً من خلقه، فقال له عيسى عليه السلام ياهذا واي شيء من البلاء أراه مصروفاً عنك، فقال ياروح الله انا خير ممَن لم يجعل الله في قلبه من معرفته، فقال له صدقت هات يدك فناوله يده، فاذا هو احسن الناس وجهاً وأفضلهم هيئة قد أذهب الله عنه ماكان، به فصحب عيسى عليه السلام وتعبَد معه.

قال بعضهم قصدت عبادان في بدايتي فاذا انا برجل اعمى مجذوم قد صرع، والنمل تأكل لحمه ووضعته في حجري، وأنا أردَد الكلام، فلمَا أفاق قال من هذا الفضولي الذي يدخا بيني وبين ربي، فو حقَه لو قطعني ارباً ارباً ماأزددت له الا حباً.

وروي عن بعضهم وكان قاسى المرض ستين سنة، فلمَا اشتَد حاله دخل عليه بنوه، فقالوا له اتريد ان تموت حتى تستريح مما انت فيه، قال لا، قالوا فماتريد؟ قال مالي ارادة انَما أنا عبد وللسيد الأرادة في عبده والحكم في أمره، وقيل اشتدَ المرض بفتح الموصلي وأصابه مع مرضه الفقر والجهد، فقال الهي وسيدي ابتليتني بالمرض والفقر فهذه فعالكم بالأنبياء والرسل فكيف لي ان اؤديَ شكر ماأنعمت بع عليَ، وقيل لرابعة العدوية متى يكون العبد راضياً عن الله تعالى؟ فقالت

اذا كان سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة، وقيل لها يوماً كيف شوقك الى الجنة؟ فقالت الجار ثم الدار.

الأمر السادس في البكاءكاعلم ان البكاء بمجرّده غير مناف للصبر ولاللرضا بالقضاء وانّما هو طبيعة بشرية وجبلة انسانية، فلاحرج في ابرازها مالم تشتمل على احوال تؤذن بالسخط وتذهب بالأجر:من شق الثوب ولطم الوجه وضرب الفخذ وغيرها واوّل من بكى آدم عليه السلام على ولده هابيل ورثاه بأبيات مشهورة قد تقدّمت وان خفي شيء فلا يخفى حال يعقوب عليه السلام فانّه بكى حتّى ابيضّت عيناه.

وعن مولانا الصادق عليه السلام قال انّ زين العابدين عليه السلام بكى على ابيه اربعين سنة صائماً نهاره وقائماً ليله، فاذا حضر الأفطار جاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه، فيقول كل يامولاي، فيقول قتل ابن رسول الله جائعاً، قتل ابن رسول الله عطشاناً، فلايزال يكرر ذلك حتى يبل طعامه من دموعه، فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عزّ وجلّ.

وروي عن بعض مواليه انّه قال برز يوماً الى الصحراء فتبعته، فوجدته قد سجد على احجار خشنة، فوقفت وانا اسمع شهيقه وبكاه وأحصيت عليه ألف مرة وهو يقولكلااله الا الله حقّاً حقا، لااله الا الله تعبّداً ورقا، لااله الا الله ايماناً وصدقا، ثم رفع رأسه من سجوده وانّ(فاذا خ) لحيته ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينيه، فقلت ياسيدي أما آن لحزنك ان ينقضي، لبكائك ان يقل؟ فقال لي ويحك انّ يعقوب بن اسحق بن ابراهيم كان نبيّاً ابن نبي وله اثنى عشر ولداً فغيّب الله واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن واحدودب ظهره من الغم وذهب بصره من البكاء وابنه حي في دار الدنيا وأنا رأيت ابي واخي وسبعة عشر من اهل بيتي صرعى مقتولين فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي.

وعن جابر بن عند الله رضي الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف فأتى ابراهيم وهو يجود بنفسه، فوضعه في حجره فقال له يابني انّي لاأملك لك من الله شيئا، وذرفت عيناه، فقال له عبد الرحمن يارسول الله تبكي أما أنت نهيتنا عن البكاء؟ فقال انّما نهيت عن النوح وعن صوتين أحمقين فاجرين:صوت عند نغمة لعب ولهو ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة خمش وجوه، وشق جيوب ورنه شيطان انّما هذه رحمة، ومن لايرحم لايرحم، لولا انّه أمر حق ووعد صدق وسبيل نائبة(ثابتة خ) وانّ آخرنا سيلحق أوّلنا لحزنّا حزناً أشدّ من هذا، وانّا بك لمحزونون تبكي العين وتدمع القلب ولانقول مايسخط الرب عز وجل.

وعن ابي امامة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين توفى ابنه وعيناه تدمعان فقال يانبي الله على هذا السخل، والذي بعثك بالحق نبياً لقد دفنت اثنى عشر ولداً في الجاهلية كلَهم أشبَ منه أدسَه في التراب[١] فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فماذا ان كانت الرحمة ذهبت منك، يحزن القلب وتدمع العين ولانقول مايسخط الرب، وأنا على ابراهيم لمحزون، وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوم مات ابراهيم ماكان من حزن في القلب او في العين فانها هو رحمة، وماكان من حزن باللسان واليد فهو من الشيطان.

وروي انه صلى الله عليه وآله وسلم لما مات عثمان بن مظعون كشف الثوب عن وجهه، ثم قبَله بين عينيه ثو بكى طويلاً، فلمـا رفع السَرير قال طوباك ياعثمان لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها؟ ولما أصيب جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسماء رضى الله عنها، فقال لها اخرجي لي ولد جعفر فخرجوا اليه فضمهم اليه وشمَهم ودمعت عيناه فقالت يارسول الله اصيب جعفر؟ قال نعم أصيب الندم.

قال عبد الله بن جعفر أحفظ حين دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على امي فنعى لها ابي ونظرت اليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تهرقان الدموع حتى تقطر على لحيته، ثم قال اللهم ان جعفر قد قدم الى احسن الثواب فاخلفه في ذريته بأحسن ماخلفت احداً من عبادك في ذريته، ثم قال ياأسما الا أبشرك قالت بلى بأبي وامي، فقال انَ الله عز وجل جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة .

وعن ابي عبد الله عليه السلام عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما جائته وفات جعفر بن ابي طالب وزيد بن حارثة كان اذا دخل بيته بكى عليهما جدا وقال كان يحدثاني ويؤنساني فجاء الموت فذهب بهما، وعن خالد بن سلمة قال لما جاء نعي زيد بن حارثة أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم منزل زيد فخرجت اليه بنية زيد، فلمـا رأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمشت في وجهه، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال هاه هاه، فقيل يارسول الله ماهذا؟ فقال شوق الحبيب الى حبيبه.

ولما انصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أحد راجعاً الى المدينة لقيته حمنة بنت حجش، فنعى لها الناس اخاها فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعى لها خالها حمزة فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان زوج المرأة منها لبمكان لما رأى صبرها على (عن) اخيها وخالها وصياحها

---

(١) دس الشيء وفيه ادخله فيه واخفاه.

على زوجها ثم مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على دور من دور الأنصار من بني عبد الأشهل فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فذرفت عيناه وبكى، ثم قال لكن حمزة لابواكي له، فلمّا رجع سعد بن معاذ واسيد بن خضير الى دار بني عبد الأشهل أمر نساءهم ان يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكاءهن على حمزة خرج اليهن وهنّ على باب مسجده يبكين، فقال لهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن.

وروى الشيخ باسناده الى الصادق عليه السلام انّ ابراهيم خليل الرحمن سأل ربه ان يرزقه الله ابنة تبكيه بعد موته، وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب، وعن ابي امامة انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن الخامشة وجهها والشاقة جيبها والدّاعية بالويل والثّبور، وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كبر مقتا عند الله الأكل من غير جوع، والنوم من غير سهر، والضحك من غير عجب، والرّنة عند المصيبة، والمزمار عند النغمة، وعن الباقر عليه السلام أشدّ الجزع الصّراخ بالويل والعويل ولطم الوجه والصدرور وجز الشعر، ومن اقام النوائح فقد ترك الصبر ومن صبر واسترجع وحمد الله جل ذكره فقد رضي بما صنع الله تعالى ووقع أجره على الله عز وجل ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم واحبط الله عزّ وجلّ اجره.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اربع من كن فيه كان في نور الله الأعظم:من كان عصمة أمره شهادة ان لااله الا الله وانّي رسول الله، ومن اذا اصابته مصيبة قال انا لله وانا اليه راجعون، ومن اذا اصاب خيراً قال الحمد لله، ومن اذا اصاب خطيئة قال استغفر الله واتوب اليه.

وقال الباقر عليه السلام مامن مؤمن يصاب بمصيبة في الدنيا فيسترجع عند المصيبة ويصبر حين تفجأه المصيبة الا غفر الله له مامضى من ذنوبه الا الكبائر التي اوجب الله تعالى عليها النار، وكلما ذكر مصيبة فيما يستقبل من عمره فاسترجع عندها وحمد الله عز وجل الا غفر الله له كل ذنب اكتسبه فيما فيما بين الأسترجاعين الا الكبائر من الذنوب رواهما الصدوق، واسند الكليني الثاني الى معروف بن خرّبوذ عن الصادق عليه السلام ولم يستثن من الكبائر.

وروى الترمذي باسناده الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون نعم، فيقول قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي؟ فيقولون حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد ونحوه رواه الكليني عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ويجوز النوح بالكلام الحسن وتعداد الفضائل مع اعتماد الصدق، لأنَ فاطمة عليهما السلام فعلته في قولها ياأبتاه من ربّه ماأدناه، ياأبتاه الى جبرئيل انعاه، ياابتاه أجاب ربه لما دعاه.

وروي انها قبضت قبضة من تراب قبره صلى الله عليه وآله وسلم فوضعتها على عينيها وأنشدت:

ماذا علي من شم تربة احمد ... الاَ يشم مدى الزمان غواليا
صبّت عليَ مصائب لو انها ... صبّت على الأيام صرن لياليا

وروى ابن بابويه انَ الباقر عليه السلام أوصى ان يندب في المواسم عشر سنين، وروى يونس بن يعقوب عن الصادق عليه السلام قال قال لي ابي ياجعفر فرق من مالي كذا وكذا على نوادب يندبني عشر سنين بمنى ايّام مني، قال الأصحاب والمراد بذلك تنبيه الناس على فضائله واظهارها ليقتدى بها وتعلم ماكان عليه اهل هذا البيت عليهم السلام لتبقى آثارهم لزوال التقية بعد الموت، وعن ابي سعيد الخدري قال لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النائحة والمستمعة.

الأمر السابع في التعزية وماشابهها:روي ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من عزّى مصاباً فله مثل اجره من غير ان ينقص من اجره شيئا، ومن كفّن مسلماً كساه الله من سندس واستبرق وحرير، ومن حفر قبراً لمسلم بنى الله عز وجل له بيتاً في الجنة ومن أنظر معسراً أظله الله في ظله يوم لاظل الا ظله، وسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن التّصافح في التعزية، فقال هو سكن للمؤمن ومن عزّى مصاباً فله مثل اجره، وعن ابي برزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عزى ثكلى كسي برداً في الجنة.

وروي ان داود عليه السلام قال الهي ماجزاء من يعزي الحزين والمصاب ابتغاء مرضاتك؟ قال جزاؤه ان اكسوه رداء من ارديه الأيمان أستره به من النار وأدخله به الجنة، قال ياالهي فما جزاء من شيّع الجنائو ابتغاء مرضاتك؟ قال جزاؤه ان يشيّعه الملائكة يوم يموت الى قبره، وان أصلّي على روحه في الأرواح، وقال موسى عليه السلام الهي ما لمعزّي الثكلى من الأجر قال اظلّه تحت ظلي يوم لاظل الا ظلي.

واما كيفيتها فقد تقدم خبر المصافحة فيها، واما مايقال فيها فما يتفق من بعض الكلمات، ويروى من الأخبار المؤدية الى السلوة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا عزّى قال آجركم ورحمكم، واذا هنّا قال بارك الله لكم وبارك عليكم، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال في مرض موته ايها الناس ايما عبد من امتي اصيب بمصيبة من بعدي فليتعزَ بمصيبة بي عن

المصيبة التي تصيبه بغيري، فانَ احداً من امتي لن يصاب بمصيبة بعدي اشدَ عليه من مصيبتي، وروى انّه كان في بني اسرائيل رجل فقيه عالم مجتهد وكانت له امرأة وكان بها معجباً، فماتت فوجد عليها وجداً شديداً حتى خلى في بيت وأغلق على نفسه واحتجب عن الناس، فلم يكن يدخل عليه احد، ثمَ انَ امرأة من بني اسرائيل سمعت به فجائته، فقالت لي اليه حاجة استفتيه فيها ليس يجزيني الاّ ان أشافهه بها، فذهب الناس ولزمت الباب فأخبر، فاذن لها فقالت استفتيك في أمر فيه أفأردّه اليهم؟ قال نعم والله قالت انه قد مكث عندي زماناً طويلاً قال ذلك احق لردك اياه، قالت رحمك الله افتأسف على ما أعارك الله عز وجل ثم أخذه منك وهو احق به منك فأبصر ماكان فيه ونفعه الله بقولها.

وعن ابي الدرداء قال كان لسليمان بن داود عليه السلام ابن يحبه حباً شديدا، فمات فحزن عليه حزناً شديداً، فبعث الله اليه ملكين في هيئة البشر، فقال ما انتما قالا خصمان، قال اجلسا بمنزلة الخصوم فقال احدهما اني زرعت زرعاً فأتى هذا فأفسده فقال سليمان ما تقول ياهذا؟ قال اصلحك الله انه زرع في الطريق واني مررت به فنظرت يميناً وشمالا فاذا الزرع، فركبت قارعة الطريق فكان في ذلك فساد زرعه، فقال سليمان عليه السلام ماحملك على ان تزرع في الطريق اما علمت ان الطريق سبيل الناس؟ ولابد للناس ان يسلكوا سبيلهم، فقال له احد الملكين او ماعلمت ياسليمان ان الموت سبيل الناس ولابد للناس ان يسلكوا سبيلهم، قال فكأنما كشف عن سليمان عليه السلام الغطاء ولم يجزع على ولد بعد ذلك، ورواه ابن ابي الدنيا.

وروى ايضاً ان قاضياً كان في بني اسرائيل مات له ابن فجزع عليه وصاح، فلقيه رجلان، فقالا له اقض بيننا، فقال من هذا فررت، فقال احدهما ان هذا مر بغنمه على زرعي فأفسده فقال الآخر ان هذا زرع بين الجبل والنهر ولم يكن لي طريق غيرهفقال له القاضي انت حين زرعت بين الجبل والنهر الم تعلم أنه طريق الناس؟ فقال له الرجل فانت حين ولد لك الم تعلم انه يموت فارجع الى قضائك؟ ثم عرجا وكانا ملكين.

وروي انه كان بمكة مقعدان لهما ابن شاب فكان اذا نفلهما فاتى بهما المسجد فكان يكتسب عليهما يوماً، فاذا كان المساء احتملهما فأقبل بهما، فأفتقدهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأل عنهما، فقيل مات ابنهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو ترك احد ترك ابن المقعدين رواه الطبراني، وروي عن بعض العابدات انها قالت ماأصابني من مصيبة فاذكر معها النار الا صارت في عيني اصغر من التراب.

وروى عبد الرحمن بن الحجاج قال ذكر عند ابي عبد الله عليه السلام البلاء وما يختص الله عز وجل به المؤمن، فقال سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اشد الناس بلاء في

الدنيا؟ فقال النبيون، ثم الأمثل فالأمثل ويبتلى المؤمن بعد على قدر ايمانه وحسن اعماله فمن صح ايمانه وحسن عمله اشتد بلاؤه، ومن سخف ايمانه وضعف عمله قل بلاؤه، وعن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان لله عز وجل عباداً في الأرض من خالص عباده ماينزل من السماء تحف الى الأرض الا صرفها عنهم الى غيرهم، ولابلية الا صرفها اليهم وعن ابي جعفر الباقر عليه السلام قال ان الله تبارك وتعالى اذا احب عبداً غته بالبلاء غتاً وثجه(بجه) بالبلاء ثجاً(بجا) فاذا دعاه قال لبيك عبدي لئن عجلت لك ماسألت اني على ذلك لقادر ولكن ادخرت لك فما ادخرت لك خير لك.

وعن حمران عن ابي جعفر عليه السلام قال ان الله عز وجل ليتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل اهله بالهدية من الغيبة، ويحميه من الدنيا كما يحمي الطبيب المريض، وعن ابي عبد الله عليه السلام قال دعي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى طعام فلما دخل منزل الرجل نظر الى دجاجة فوق حائط قد باضت فوقعت البيضة على وتد في الحائط فثبتت عليه ولم تسقط ولم تنكسر فتعجب النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها فقال له الرجل اعجبت من هذه البيضة فو الذي بعثك بالحق ما رزيت قط، فنهض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يأكل من طعامه شيئاً، وقال من لم يرز فما لله فيه من حاجة.

وروينا بالأسناد الى اسحق بن عمار قال ان اباعبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كتب الى عبد الله بن الحسن[1] حين حمل هو واهل بيته يعزيه على ماصار بسم الله الرحمن الرحيم الى الخلف الصالح والذرية الطيبة من ولد اخيه وابن عمه، اما بعد فلأن كنت قد تفرت انت واهل بيتك ممن حمل معك بما اصابكم ماانفردت بالحزن والغيظ والكآبة واليم وجع القلب دوني، وقد نالني من ذلك من الجزع والقلق ومن المصيبة مثل مانالك، ولأن رجعت الى الله عز وجل به للمتقين من الصبر وحسن العزاء حين يقول لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم {فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا} وحين يقول {فاصبر ولاتكن كصاحب الحوت} وحين يقول لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم حين مثل بحمزة {وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين} فصبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يعاقب وحين يقول {وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى، وحين يقول {الذين اذا

(١)هو عبد الله الملقب بالمض ابن الحسن المثنى بن الأمام الحسن المجتبى (ع) وانما سمي المحض لأن اباه الحسن بن الأمام الحسن(ع) وامه فاطمة بنت الحسين وكان شيخ بني هاشم في زمانه ذكره الشيخ (ره) في رجاله من اصحاب الصادق(ع) وقال هاشمي مدني تابعي(اهـ) قتل رضوان الله عليه في مجلس المنصور الدوانيقي بالهاشمية سنة(١٤٥)هـ وهو ابن(٧٥) انظر مقاتل الطالبيين لأبي الفرج ص ١٨٤ ط مصر.

اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون} وحين يقول{ انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب} وحين يقول لقمان لأبنه{وأصبر على ماأصابك ان ذلك لمن عزم الأمور} وحين يقول عن موسى{قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين} وحين يقول{الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}وحين يقول{ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين}وحين يقول{والصابرين والصابرات} وحين يقول{واصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين} وأمثال ذلك من القرآن كثير.

واعلم أي عم ان الله جل وعز لم يبال بضر الدنيا لوليه ساعة قط ولاشيء أحب اليه من الضرروالجهد واللأواء[1] مع الصبر وانه تبارك وتعالى لم يبال بنعيم الدنيا لعدوه ساعة قط، ولولا ذلك ماكان اعداؤه يقتلون اولياء الله ويخيفونهم(يخيفوخ) ويمنعونهم واعدؤه آمنون مطمئنون عالون ظاهرون ولولا ذلك ماقتل زكريا ويحيى بن زكريا ظلماً وعدواناً في بغي من البغايا، ولولا ذلك ماقتل جدك علي بن ابي طالب عليع السلام لما قام بأمر الله جل وعز ظلما وعمك الحسين بن فاطمة صلى الله عليهما ظلماً واضطهاداً وعدواناً، ولولا ذلك ماقال الله عز وجل في كتابه{ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون}ولولا ذلك لما قال في كتابه{ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون}.

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: لولا ان يحزن المؤمن لجعلت للكافر عصابة من حديد فلا يصدع رأسه ابداً ولولا ذلك لما جاء في الحديث:ان الدنيا لاتساوي عند الله عز وجل جناح بعوضة ولولا ذلك ماسقي كافر منها شربة ماء ولولا ذلك لما جاء في الحديث:لو ان مؤمناً على قلة جبل لبعث الله له كافراً او منافقاً يؤذيه ولولا ذلك لما جاء في الحديث:انه اذا احب الله قوماً او احب عبداً صب عليه البلاء صباً فلا يخرج من غم الا وقع في غم ولولا ذلك لما جاء في الحديث:مامن جرعتين احب الى الله عز وجل ان يجرعها عبده المؤمن في الدنيا من جرعة غيظ كظم عليها وجرعة حزن عند مصيبة صبر عليها بحسن عزاء واحتساب، ولولا ذلك لما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعون على من ظلمهم بطول العمر وصحة البدن وكثرة المال والولد، ولولا ذلك مابلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا خص رجلاً بالترحم

---

(١)للأواء الشدة والمحنة.

والأستغفار استشهد فعليكم ياعم وابن عم وبني عمومتي واخوتي بالصبر والرضا والتسليم والتفويض الى الله عز وجل والرضا والصبر على قضائه، والتمسك بطاعته والنزول عند امره افرغ الله علينا وعليكم الصبر وختم لنا ولكم بالسعادة وابعدكم وايانا من كل هلكة بحوله وقوته انه سميع قريب وصلى الله على صفوته من خلقه محمد النبي واهل بيته، هذا آخر التعزية بلفظها كما في كتاب التتمات والمهمات، وحيث انتهى بنا الحال الى هنا فلا بأس بالإشارة الى الداهية العظمى والمصيبة الكبرى وهي واقعة الطفوف فان المصائب وان جلّت فهي بالنسبة اليها حقيرة.

نور في بعض احوال واقعة الطفوف وشهادة مولانا ابي عبد الله الحسين(ع)

اعلم ايدك الله ان البلاء انما كتب على المؤمن وان الدنيا ليست بدار ثواب ولابدار عقاب لم يرض سبحانه بأن يجعل ثواب المؤمن فيها ولاعقاب الكافر فيها وذلك لقلة ايامها ونقصان الأعمار فيها ومن ثم بعث الدواهي والمصائب فيها الى احبابه واقاربه ولامصيبة مثل مصيبة مولانا الحسين عليه السلام فانها هدت اركان الدين وصدعت قواعد الشرع المبين وابكت الأجفان واقرحت القلوب ولعمري انها المصيبة التي يتسلّى بها المؤمن عن كل مصاب والداهية المنسية له مفارقة الخلان والأحباب، واعلم اولاً ان جماعة من مخالفينا(اورد واهنا شبهه ظ) بل وربما قاله بعض الجهّال منا وهو ان الحسين عليه السلام كان عالماً بأن يجري عليه ماجرى قبل مسيره الى العراق فلم سار اليها حتى صار كالمعين على نفسه؟ وهذه شبهة ركيكة والجواب عنها من وجوه:

الأول ان الأمام اذا وجد الأعوان وجب عليه القيام بأمر الجهاد ولايجوز له التقاعد عنه لظنه بهم الخذلان له كما لم يجز للأنبياء عليهم السلام ترك الجهاد لهذه المظنة بل قاموا بالدعوة حتى اصيبوا من الأمة بالمصائب العظام، كما وقع لأولي العزم وغيرهم استتماماً لحجة الله تعالى على الخلائق، ومن ثم اسدى اليهم مولانا الحسين عليه السلام كمال الحجة في اثناء المحاربة والعلم الواقعي الذي ظهر لهم وخفي على غيرهم مما لايجوز العمل عليه في الأحكام الظاهرة، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحكم بين المتداعين بظاهر الشريعة ويجعل الحق لمن توجه له الحكم في الظاهر وان كان يعلم ان الحق للخصم الآخر في الواقع ونفس الأمر، وكان يقول انكم تأتوني وأحدكم يعرب حجته ويفصح عنها فأخذ له الحق نظرا الى ظاهر الشريعة ولكنّي انما اقطع له جذوة من نار جهنم.

الوجه الثاني انه عليه السلام لو لم يسر الى العراق لما تركوه ولو ذهب الى المكان البعيد، كما روي ان اخاه محمد بن الحنفية لحقه الى عرفات واشار عليه بان يلحق الرمال من اليمين حتى ينظر بواطن اهل العراق، فقال له ياأخي نعم مارأيت من الصلاح ولكن هؤلاء القوم مايسكتون

عن طلبي اينما ذهبت حتى يسفكوا دمي، فعند ذلك يلبسهم الله ذل الدنيا والآخرة وما خرج من مكة الا خائفاً من القتل[١] .

الثالث ان الأنبياء والأئمة عليهم السلام قد خصهم الله تعالى بانواع من التكاليف فلعل هذا وهو الا لقاء الى التهلكة منها نظراً الى الحكم المصالح الألهية، ومن ثم روي انه لو لم يقم عليه السلام بالجهاد الذي قام به لما استتم حجة الشيعة وذلك ان المخالفين لنا يقولون ان سكون علي عليه السلام عن المتخلفين دليل على رضاه عنهم والا فما يمنعه عن الجهاد وهو اشجع الشجعان؟ فنقول لهم ان الذي منعه هو الخوف على نفسه الا تروا الى مولانا الحسين عليه السلام لما قام يطلب حقه كيف جرى عليه من المصائب والبلوى فان قلت كيف لم يبايع عليه السلام ليزيد حتى لايصل اليه ذلك الضرر، قلت هذا مجرد كلام والمؤمن لايلدغ من جحر مرتين وذلك انه عليه السلام رأى اخاه الحسن عليه السلام لما سالم معاوية كيف فعل به اولاً وكيف غدر به آخراً حتى قتله مسموماً فما كان يصنع ابنه يزيد مع الحسين عليه السلام الا اسوأ من هذا، لأن معاوية كان فيه الدهاء وماكان يتجرأ على قتل الحسين عليه السلام ظاهراً ولهذا اوصى عند موته ليزيد انك تظفر بالحسين فلا تقتله واذكر فيه القرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واما السير والتواريخ الواردة بكيفية شهادته عليه السلام فهي على تكثرها لم تستوف المصائب التي جرت عليه وعلى اهل بيته من بعده واصحابه الذين قتلوا معه ولنشر الى طرف منها فانا قد استوفيناها في المجلد الثاني من كتابنا الموسوم بنوادر الأخبار روى الصدوق طاب ثراه مسنداً الى الرضا عليه السلام قال كان ابي صلوات الله عليه وآله اذا دخل شهر المحرم لايرى ضاحكاً وكانت الكآبة تغلبه حتى تمضي منه عشرة ايام فاذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، وكان يقول هذا اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام.

اقول يظهر من هذا الخبر ومما روي بمعناه ان مايفعله عوامنا في عشرة ايام المحرم من اجتناب اكثر الملاذ والتشبه بأهل المصيبة في المأكل والملبس ودخول الحمام وترك حلق الرأس وغير ذلك ليس هو بدعة بل هو ثواب جزيل واشتراك لأهل البيت عليهم السلام في مصابهم وروينا بالأسناد الى ابن محمود قال الرضا عليه السلام ان المحرم شهر كان اهل الجاهلية يحرمون فيه القتال

---

(١) وقد امر يزيد لعنه الله بقبضه (ع) او قتله فانه انفذ عمر بن سعيد بن العاص من المدينة الى مكة في عسكر عظيم وولاة امر الموسم وامره على الحاج كلهم فحج بالناس واوصاه بقبض الحسين (ع) سراً وان لم يتمكن منه يقتله وامره ان يناجز الحسين(ع) القتال ان هو ناجزه فلما كان يوم التروية قدم عمر بن سعيد الى مكة في جند كثيف ثم ان يزيد دس مع الحاج في تلك السنة ثلاثين رجلاً من شياطين بني امية وامرهم بقبض الحسين(ع) على أي حال اتفق فلما علم الحسين(ع) عزم على التوجه الى العراق .

فاستحلت فيه دماؤنا وهتكت فيه حرمتنا وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا واضرمت النيران في مضاربنا وانتهب مافيه من ثقلنا ولم يرعوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرمة في امرنا ان امر الحسين عليه السلام اسهر جفوننا واسبل دموعنا واذل عزيزنا ياأرض كرب وبلاء اورثتنا الكرب والبلاء الى يوم الأنقضاء فعلى مثل الحسين فليبك الباكون فان البكاء عليه يحط الذنوب العظام وروينا ان الريان بن شبيب قال دخلت على الرضا عليه السلام في اول يوم من المحرم فقال لي ياابن شبيب أصائم انت فقلت لا فقال هذا هو اليوم الذي دعا فيه زكريا عليه السلام ربه عز وجل فقال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء، فاستجاب الله له وامر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى فمن صام هذا اليوم ثم دعى الله عز وجل استجاب له كما استجاب لزكريا عليه السلام ثم قال ياابن شبيب ان المحرم هو الشهر الذي كان اهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولاحرمة نبيها لقد قتلوا في هذا الشهر ذريّته وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله فلا غفر الله ذلك لهم ابداً ياابن شبيب ان كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام فانه ذبح كما يذبح الكبش وقتل معه من اهل بيته ثمانية عشر رجلاً مالهم في الأرض شبيه ولقد بكت الماوات السبع والأرضون لقتله لقد نزل الى الأرض من الملائكة اربع الآف لنصره فوجدوه قد قتل فهم عند قبره شعث غبر الى ان يقوم القائم فيكونون(فهم يكونون خ) من انصاره وشيعته وشعارهم يالثارات الحسين عليه السلام.

ياابن شبيب لقد حدثني ابي عن ابيه عن جده انه لما قتل جدي الحسين عليه السلام امطرت السماوات دماً وتراباً احمر ياابن شبيب ان بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب اذنبته صغيراً كان او كبيرا قليلاً كان او كثيرا ياابن شبيب ان سرك ان تلقى الله عز وجل ولاذنب عليك فزر الحسين عليه السلام، ياابن شبيب ان سرك ان يكون لك من الثواب مالمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ذكرته ياليتني كنت معهم فافوز فوزاً عظيماً ياابن شبيب ان سرك ان تكون معنا في الدرجات العلى في الجنات فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا وعليك بولايتنا فلو ان رجلاً تولى حجراً لحشره الله يوم القيامة معه وروينا مسنداً عن اشياخ لبني سليم قالوا غزونا بلاد الروم فدخلنا كنيسة من كنائسهم فوجدنا فيها مكتوبا:

ايرجوا معشراً قتلوا حسينا ... شفاعة جده يوم الحساب

فقال فسألنا كم هذا في كنيستكم؟ فقالوا قيل ان يبعث نبيكم بثلاثمائة عام وروينا مسنداً الى هرثمة بن ابي مسلم قال غزونا مع علي بن ابي طالب عليه السلام صفين فلما انصرفنا نزل بكربلاء فصلى بها الغداة ثم رفع اليه من تربتها فشمها ثم قال واهاً لك ايتها التربة ليحشرن منك

قوم يدخلون الجنة بغير حساب فرجع هرثمة الى زوجته وكانت شيعية لعلي عليه السلام فقال الا احدثك عن وليك ابا الحسن نزل بكربلاء فصلى ثم رفع اليه من تربتها فشمها، ثم قال واها لك ايتها التربة ليحشرن منك اقوام يدخلون الجنة بغير حساب، قالت المرأة ايّها الرجل فان امير المؤمنين عليه السلام لم يقل الا حقاً، فلما قدم الحسين عليه السلام قال هرثمة كنت في البعث الذي بعثهم عبيد الله بن زياد، فلما رأيت المنزل والشجر ذكرت الحديث فجلست على بعيري ثم صرت الى الحسين عليه السلام فسلمت عليه فأخبرته بما سمعت من ابيه في ذلك المنزل الذي نزل به الحسين عليه السلام، فقال امعنا انت ام علينا؟ فقلت لامعك ولاعليك خلّفت صبية اخاف عليهم من عبيد الله بن زياد، قال فامض حيث لاترى لنا مقتلاً ولاتسمع لنا صوتاً فو الذي نفس الحسين بيده لايسمع اليوم واعيتنا احد فلا يعيننا الا اكبه الله على وجهه في جهنم، وقال عليه السلام انا قتيل العبرة ولايذكرني مؤمن الا استعبر.

وروينا مسنداً الى مولانا الصادق عليه السلام قال انّ ام سلمة أصبحت يوماً تبكي، فقيل لها مالك؟ فقالت لقد قتلت ابني الحسين وما رأيت رسول الله عليه السلام منذ مات الا الليلة، ولاأراني الا وقد اصبت بابني، قال وجاءت الجنيّة منهم تقول:

الا يـــا عين فــانهملي بجهـــد	فمـن يبكـي علـى الـشهداء بعـدي
علـى رهــط تقــودهم المنايــا	الى متحيـــر في ملـــك عبـــدي

وروينا مسنداً الى مولانا الباقر عليه السلام قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيت ام سلمة رضي الله عنها فقال لها لايدخل على احد، فجاء الحسين عليه السلام وهو طفل فما ملكت معه شيئاً حتى دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فدخلت ام سلمة على اثره، فاذا الحسين على صدره واذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم تبكي، واذا في يده شيء يقلبه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ياام سلمة ان هذا جبرئيل يخبرني ان هذا مقتول وهذه التربة التي يقتل عليها فضعيه عندك فاذا صارت دماً فقد قتل حبيبي، فقالت ام سلمة يارسول الله سل الله ان يدفع ذلك عنه، قال قد فعلت فأوحى الله عز وجل اليّ ان له درجة لاينالها احد من المخلوقين وان له شيعة يشفعون فيشفعون وان المهدي من ولده، فطوبى لمن كان من اولياء الحسين عليه السلام وشيعتهم والله فائزون.

وعن كعب الأحبار قال ان في كتابنا ان رجلاً من ولد محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقتل ولايجف عرق دواب اصحابه حتى يدخلوا الجنة فيعانقوا الحور العين فمر بنا الحسن عليه السلام فقلنا هو هذا قال لا فمر بنا الحسين عليه السلام فقلنا هو هذا قال نعم.

وروينا مسنداً الى الصادق عليه السلام قال البكاؤن خمسة:آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن الحسين فاما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية واما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره واما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به اهل السجن فقالوا اما تبكي بالنهار وتسكت بالليل واما تبكي بالليل وتسكت بالنهار فصالحهم على واحد منها واما فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعليها السلام فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تأذى بها اهل المدينة وقالوا لها قد آذيتنا بكثرة بكاك فكانت تخرج الى مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف واما علي بن الحسين عليه السلام فبكى على مصائب ابيه الحسين عليه السلام عشرين سنة او اربعين سنة وما وضع بين يديه طعام الا بكى حتى قال له مولى له جعلت فداك ياابن رسول الله اني اخاف عليك ان تكون من الهالكين، قال انما اشكوا بثي وحزني الى الله واعلم من الله مالاتعلمون اني لم اذكر مصرع بني فاطمة الا خنقتني لذلك العبرة.

وروينا مسنداً الى ابي عمار-المنشد عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال لي ياابا عمار انشدني في الحسين بن علي عليه السلام قال فانشدته فبكى ثم انشدته فبكى قال فما زلت انشده وهو يبكي حتى سمعت البكاء من الدار، قال فقال لي ياابا عمار من انشد في الحسين بن علي شعراً فابكى خمسين فله الجنة، ومن انشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة ومن انشد في الحسين فابكى عشرين فله الجنة ومن انشد في الحسين فابكى عشرة فله الجنة ومن انشد في الحسين فابكى واحداً فله الجنة ومن انشد في الحسين فتباكى فله الجنة.

وروينا مسندا الى داود الرقي قال كنت عند ابا عبد الله عليه السلام اذا استسقى الماء فلما شربه رأيته قد استعبر واغر ورقت عيناه بدموعه، ثم قال ياداود لعن الله قاتل الحسين فما انقص ذكر الحسين للعيش، اني ماشربت ماء بارداً الا وذكرت الحسين وما من احد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله الا كتب الله له مائة ألف حسنة ومحى عنه مائة ألف سيئة ورفع له مائة ألف درجة، وكأنما اعتق ألف نسمة وحشره الله تعالى يوم القيامة بلج الوجه.

وروينا مسنداً الى ابن ابي نعيم قال شهدت ابن عمر فأتاه رجلاً فسأله عن دم البعوضة قال من انت؟ قال من اهل العراق، قال فانظر الى هذا يسألني عن دم البعوضة وقد قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول للحسن والحسين انتما ريحانتاي من الدنيا.

وروينا مسنداً الى الصادق عليه السلام في حديث طويل وصف فيه مقتل الحسين عليه السلام قال ثم وثب الحسين عليه السلام بعد مقتل اكثر اصحابه متوكياً على سيفه فنادى بأعلى

صوته قال انشدكم الله هل تعرفوني قالوا نعم انت ابن رسول الله وسبطه قال انشدكم الله هل تعرفون(تعلمون خ) ان علي بن ابي طالب ابي؟ قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله هل تعلمون ان فاطمة امي بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله هل تعلمون ان جدتي خديجة بنت خويلد اول نساء هذه الأمة اسلاماً؟ قالوا اللهم نعم قال انشدكم ان سيد الشهداء حمزة عمي وعم ابي؟ قالوا نعم اللهم قال انشدكم الله هل تعلمون ان الطيار في الجنة عمي؟ قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله ان هذا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانا متقلده؟ قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله هل تعلمون ان هذه عمامة رسول الله وانا متعمم بها؟ قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله تعلمون ان علياً كان اولهم اسلاماً واعلمهم علماً واعظمهم حلماً وانه ولي كل مؤمن ومؤمنة؟ قالوا اللهم نعم قال فبم تستحلون دمي وابى الذائد عن الحوض غدا يذودعنه كما يذاد البعير الصار على الماء، ولواء الحمد في يد جدي يوم القيامة قالوا لقد علمنا ذلك كله ونحن غير تاركين حتى تذوق الموت عطشاً فأخذ الحسين عليه السلام بطرف لحيته وهو يومئذ ابن سبعة وخمسين سنة ثم قال اشتد غضب الله على المجوس حين عبدوا النار دون الله، واشتد غضب الله على اليهود حين قالوا عزير ابن الله واشتد غضب الله على النصارى حين قالوا المسيح ابن الله واشتد غضب الله على قوم قتلوا نبيهم واشتد غضب الله على هذه العصابة الذين يريدون قتل ابن نبيهم.

ثم قال ونظر الحسين عليه السلام يميناً وشمالاً فلم ير احدا، فرفع رأسه الى السماء فقال اللهم انك ترى ماصنع بولد نبيك، وحال بنو كلاب بينه وبين الماء ورمى بسهم فوقع في نحره وخرَ على فرسه، فأخذ السهم ورمى به، وجعل يتلقى الدم بكفه فلمّا امتلأت لطخ بها رأسه ولحيته وهو يقول ألقى الله عز وجل وأنا مظلوم متلطخ بدمي ثم خر على خدّه الأيسر صريعاً فأقبل عدو الله سنان بن انس وشمر بن ذي الجوشن العامري في رجال من اهل الشام حتى وقفوا على رأس الحسين عليه السلام، فقال بعضهم لبعض اريحوا الرجل فنزل سنان بن انس لعنه الله وأخذ بلحية الحسين عليه السلام وجعل يضرب السيف في حلقه وهو يقول انّي لأجتزَ رأسك وانا اعلم انّك ابن رسول الله خير الناس اماً وابا.

واقبل فرس الحسين عليه السلام حتى لطخ عرفه(غرّته خ) وناصيته بدم الحسين عليه السلام وجعل يركض ويصهل، فسمع بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم صهيله، فخرجن فاذا الفرس بلا راكب فعرفن انَ حسيناً قد قتل، وخرجت امّ كلثوم بنت الحسين عليه السلام واضعة يدها على رأسها تندب وتقول:وامحمداه هذا الحسين بالعراء قد سلب العمامة والرداء، وأقبل ابن

سنان لعنه الله حتى ادخل رأس الحسين عليه السلام على عبيد الله بن زياد لعنه الله، وهو يترنّم ويقول:

امـــلأ ركـــابي فـــضة وذهبـــا انـــي قتلـــت الملـــك المحجبـــا
قتلـــت خـــير النـــاس امّـــاً وابـــا وخيرهـــم اذ ينـــسبون نـــسبا

فقال له عبيد الله بن زياد ويحك فاذا علمت انّه خير الناس اماً واباً لم قتلته اذا فأمر به فضرب عنقه وعجّل الله بروحه الى النار، وارسل ابن زياد لعنه الله الى ام كلثوم بنت الحسين عليه السلام فقال الحمد لله الذي قتل رجالكم فكيف ترون مايفعل بكم؟ فقالت ياابن زياد لئن قرت عينك بقتل الحسين عليه السلام فطال ماقرّت عين جده صلى الله عليه وآله وسلم به وكان يقبله ويلثم شفتيه ويضعه على عاتقه، ياابن زياد أعدّ لجده جوابا فانّه خصمك.

وروينا مسندا الى الباقر عليه السلام أصيب الحسين بن علي عليهما السلام ووجد فيه ثلاثمائة وبضع وعشرون طعنة:برمح او ضربة بسيف او رمية بسهم، وروي انها كانت في مقدمه لأنه عليه السلام لايولي.

وروينا عن فاطمة بنت الحسين عليه السلام قالت دخلت الغارة علينا الفسطاط وانا جارية صغيرة وفي رجلي خلخالان من ذهب، فجعل رجل يفض الخلخالين من رجلي وهو يبكي، فقلنا مايبكيك ياعدو الله؟ فقال كيف لاابكي وانا اسلب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت لاتسلبني، قال اخاف ان يجيء غيري فيأخذه، قالت هي وانتبهوا مافي الأفنية حتى كانوا ينزعون الملاحف عن ظهورنا، وعن فاطمة بنت علي عليها السلام ان يزيد لعنه الله امر بنساء الحسين عليه السلام فحبس مع علي بن الحسين عليهما السلام في محبس لايكنهم من حرّ ولابرد حتى تقشرت وجوههم، ولم يرفع في بيت المقدس حجر على وجه الأرض الا وقد وجد في تحته دم عبيط، ونظر الناس الى الشمس على الحيطان حمراء كانّها الملاحف المصفرة الى ان خرج علي بن الحسين عليه السلام بالنسوة وردّ[1] رأس الحسين عليه السلام الى كربلا

وروينا مسنداً الى الصادق عليه السلام قال لّما ضرب الحسين عليه السلام بالسيف ثم ابتدر ليقطع رأسه نادى مناد من قبل رب العزة تبارك وتعالى من بطنان العرش، فقال ايتها الأمة المتحيرة الظالمة بعد نبيها لاوفقكم الله لاضحى ولافطر، ثم قال ابو عبد الله عليه السلام لاجرم والله ماوفقوا ولايوفقون ابداً حتى يقوم ثائر الحسين عليه السلام، أقول لعل المراد انهم لايوفقون

---

(١)ان كان لفظ: (رد) بصيغة الماضي كما هو الظاهر يدل الخبر على مجيء اهل البيت (ع) الى كربلاء.

لمثوبات هذين اليومين ومأعد الله فيها من الووبة للعاصين والتجاوز عن جرم المجرمين وان حملته على اشتباه الأهلة في زمن دولة بني امية فلا بعد فيه.

وروينا مسنداً الى الرضا عليه السلام قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدماء، تتعلق بقائمة من قوائم العرش تقول ياأحكم الحاكمين احكم بيني وبين قاتل ولدي، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحكم لأبنتي ورب الكعبة.

وبالإسناد الى ابن عباس قال كنت مع امير المؤمنين عليه السلام في خروجه الى صفين فلما نزل نينوى وهو شط الفرات قال بأعلى صوته ياابن عباس اتعرف هذا الموضع؟ قلت له ماأعرفه ياأمير المؤمنين فقال علي عليه السلام لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي قال فبكى طويلاً حتى اخضلت لحيته وسالت الدموع على صدره وبكينا معه وهو يقول اوه اوه ولآل ابي سفيان مالي ولال حرب حزب الشيطان وأولياء الكفر؟ صبراً ابا عبد الله فقد لقي ابوك مثل الذي تلقى(تلقاه خ) ثم دعى بماء فتوضأ وضوء الصلاة فصلى ماشاء الله ان يصلي ثم ذكر نحو كلامه الأول الا انه نعس عند انقضاء صلاته وكلامه بساعة ثم انتبه فقال ياابن عباس فقلت هاانا ذا فقال الا احدثك بما رأيت في منامي آنفاً عند رقدتي فقلت نامت عيناك ورأيت خيراً ياامير المؤمنين قال رأيت كأني برجال قد نزلوا معهم اعلام بيض قد تقلدوا بسيوفهم وهي بيض تلمع وقد خطوا حول هذه الأرض خطة ثم رأيت كأن هذه النخيل قد ضربت بأغصانها والأرض تضطرب بدم عبيط، وكأنني بالحسين عليه السلام سخلي وفرخي ومضغتي ومخي قد غرق فيه فيستغيث فلا يغاث وكأن الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون صبراً آل الرسول فانكم تقتلون على يدي شرار الناس، وهذه الجنة ياأباعبد الله اليك مشتاقة ثم يعزونني ويقولون له ياابا الحسن ابشر فقد اقر الله به عينك يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم انتبهت هكذا.

وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ذات يوم جالساً وحوله علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال لهم كيف بكم اذا كنتم صرعى وقبوركم شتى؟ فقال له الحسين عليه السلام انموت موتا او نقتل قتلاً فقال بل تقتل يابني ظلما ويقتل اخوك ظلماً وتشرد ذراريكم في الأرض، فقال الحسين عليه السلام ومن يقتلنا يارسول الله قال شرار الناس قال فهل يزورنا بعد قتلنا احد قال نعم يابني طائفة من امتي يريدون بزيارتكم بري ووصلتي فاذا كان يوم القيامة جئتها الى المواقف حتى آخذ بأعضادها فأخلصها من أهواله وشدائده.

وروى سالم بن ابي حفصة قال قال عمر بن سعد للحسين عليه السلام ياابا عبد الله ان قبلنا ناس سفهاء يزعمون اني اقتلك اني اقتلك فقال له الحسين عليه السلام انهم ليسوا بسفهاء

ولكنهم حلماء اما انه يقر عيني انك لاتأكل بري العراق بعدي الا قليلا وروينا عن سعد الأسكاف قال قال ابو جعفر عليه السلام كان قاتل يحيى بن زكريا ولد زنا وكان قاتل الحسين بن علي عليه السلام ولد زنا ولم تحمر السماء الا لهما قال وخرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزل لنا(نزل خ) منزلاً وارتحل عنه الا ذكر يحيى بن زكريا وقال يوماً من الأيام ان من هوان الدنيا على الله عز وجل ان رأس يحيى بن زكريا أهدى الى بغي من بغايا بني اسرائيل، وعن عاصم عن ذر قال اول رأس حمل في الأسلام على رمح هو رأس الحسين بن علي عليه السلام فلم أر باكياً وباكية اكثر من ذلك اليوم.

وعن ابن عباس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النوم اشعث أغبر معه قارورتان فيهما دم عبيط، فقلت يارسول الله ماهذا؟ فقال دم الحسين وأصحابه ولم أزل ألتقطه منذ اليوم، قال فحسب ذلك اليوم واذا هو يوم قتل الحسين عليه السلام، وعن الكندي قال لمّا قتل الحسين عليه السلام مكثنا سبعة يام اذا صلينا العصر نظرنا الى الشمس على الحيطان كأنها ملاحف مصفرة من شدّة حمرتها، وضربت الكواكب بعضها بعضاً.

وروي انه لما اصبح ابن زياد لعنه الله بعث برأس الحسين عليه السلام فدير به في سكك الكوفة كلها وقبائلها.

فروي عن زيد بن ارقم انّه قال مر به وهو على رمح وانا في غرفة فيها فلما حاذاني سمعته يقرأ{أم حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا} فوقف والله شعري وناديت رأسك والله ياابن رسول الله وأمرك أعجب وأعجب، وعن ابي حباب قال لقيت رجلاً من طي فقلت له بلغني انكم تسمعون نوح الجن على الحسين، قال نعم قلت ماالذي سمعت؟ قال سمعتهم يقولون:

مسح الرسول جبينه فله بريق في الخدود   أبواه من عليا قريش جده خير الجدود

وقال ديك الجن يرثي الحسين عليه السلام:

ويكبرون بأن قتلت وانما   قتلوا بك التكبير والتهليلا

وروي عن رجل اسدي قال كنت زارعاً على نهر العلقمي بعد ارتحال عسكر بني امية فرأيت عجائب لاأقدر احكي الا بعضها، وهو اذا هبّت الأرياح تمر عليَ نفخات كنفخات المسك والعنبر واذا سكنت ارى نجوما تنزل من السماء الى الأرض وترقى من الأرض الى السماء وانا منفرد مع عيالي ولا أرى أحداً أسأله عن ذلك، وقبل غروب الشمس يقبل اسد من القبلة فأوليَ عنه الى منزلي، فاذا اصبح الصّباح أراه مستقبل القبلة ذاهبا، فقلت في نفسي حكت عساكر بن زياد هؤلاء خوارج قد خرجوا على عبيد الله بن زياد فأمر بقتلهم وأرى منهم مالم أر من سائر

القتلى، فو الله هذه الليلة لابدّ من المساهرة في هذه الأرض لأبصر هذا الأسد يأكل من هذه الجثث ام لا، فلما صار غروب الشمس واذا به اقبل فخفته فاذا هو هائل المنظر، فارتعبت منه وهممت ان انهزم عنه فثبطت نفسي وراجعتها وهو يتخطى القتلى حتى وقف على جسد كأنّه الشمس اذا طلعت تحت الغمام، فبرك عليه، فقلت يأكل منه واذا به يمرغ وجهه على ذلك الجسد وهو يهمهمويدمدم ودموعه تجري على خديه، فقلت الله اكبر ماهذه الأعجوبة فجعلت احرسه حتى اعترك الظلام واذا الشموع معلقة فملأت الأرض فزادني عجبا، اذا أنا اسمع بكاء ونحيبا ساعة، واذا بلطم مفجع لكن لم أر أشخاصاً فقصدت تلك الأصوات فخيل لي انّي وقعت عليها فأصغيت سمعي زمانا، فاذا هو تحت الأرض وفهمت من ناع فيهم يقول واحسيناه واماماه فاقشعر جلدي وطار لبي، فقربت من الباكي واقسمت عليه بالله وبرسوله من تكون؟ فقال انا نساء من الجن، فقلت وماشأنكن؟ فقالت في كل يوم وليلة هذا عزاؤنا على الحسين العطشان المجدل على الزملاء، فقلت هذا الحسين الذي عنده الأسد، فقالت نعم، قالت انت تعرف هذا الأسد؟ قلت لا، قالت هذا ابوه علي بن ابي طالب فهممت ان ارجع ودموعي تجري على خديَ حزنا عليه، واذا برجال لم أر أطول منهم ذو اسلحة كثيرة، فكاد فؤادي ان يطير، واذا بهم قائل يقول فارجع فرجعت خائفا، وقيل هذا الرجل هو الذي دفن الحسين عليه السلام.

وروينا عن علي بن الحسين عليهما السلام قال لما وفدناعلى يزيد بن معاوية لعنهما الله تعالى أتوا بحبال وربطونا مثل الأغنام ؛وكان الحبل بعنقي وعنق أم كلثوم وبكتف زينب وسكينة والبنات تساق كلما قصرن عن المشي ضربنا(بن) حتى أوقفونا بين يدي يزيد، فتقدمت إليه وهو على سرير مملكته ، وقلت له ماظنك برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو يرانا على هذه الصفة؟ فبكى وبكى كل من كان حاضرا في مجلسه فأمر بالحبال فقطعت من أعناقنا وأكتافنا وروي عن المنهال بن عمر قال بينما أتمشى في السوق من دمشق وإذا أنا بعلي بن الحسين عليه السلام يتوكأ على عصا ورجلاه كأنهما قصبتان والدم يسيل من ساقيه ، والصفرة قد أزدادت من عليه فخنقتني العبرة فأعترضته وقلت كيف أصبحت ياابن رسول الله ؟ قال فبكى وقال كيف حال من أصبح أسيرا ليزيد بن معاوية ، ونسائي الى الآن ماشبعن بطهورلهن ولاكسين رؤسهن نائحات الليل والنهار و ونحن يامنهال كمثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبنائهم ويستحيون نسائهم ؛ أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمدا عربيَ ؛وأمست قريش تفتخر على العرب بأن محمدا منهم ، وأمسينا معشر أهل البيت مغصوبين مقتلين مشردين ؛ مايدعونا إليه مرة إلا نظن القتل إنَا لله وإنَا إليه راجعون ، قلت سيدي وإلى أين تريد ؟ قال المحبس الذي نحن فيه ليس له سقف والشمس تصهرنا به ولانرى الهوى فأفر منه لضعف بدني سويعة ، وأرجع خشية على النساء

فبينما هو يخاطبني وأخاطبه وإذا بإمرأة تناديه، فتركني ورجع اليها فحققت النظر إليها وإذا بها زينب بنت علي عليه السلام تدعوه إلى أين تمضي ياقرة عيني؟ فرجع وانحرفت عنه ؛ ولم أزل أذكره وأبكي .

وروي عن الطرماح بن عدي رضب الله عنه قال كنت من قتلاء كربلاء وقد بقي في رمق من الحياة؛ ولو حلفت لكنت صادقا إذ رأيت بعد عشرات متتابعات عشرين فارسا لهم نور شعشعاني وكلهم ذو ثياب بيض يفوح منها رائحة المسك والعنبر ، فقلت في نفسي هذا ابن زياد وقد أقبل بطلب جسد الحسين عليه السلام ليمثل به ، فجاؤا حتى نزلوا بين القتلى ثم أن المتقدم أتى إلى الحسين وجلس عنده وأجلسه وسنده إلى صدره وأومى إلى نحو الكوفة بيده فما ردها إلا وبها رأس الحسين عليه السلام ، فركبه على الجسد كما كان أولا فطار عقلي وقلت ليس ابن زياد قادرا على هذا فتأملته فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فقال السلام عليك ياولدي فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ياجداه ، قال كيف ولدي قتلوك ؟أتراهم ماعرفوك ومن الماء منعوك وعن حرم جدكَ أحرجوك ويلهم ألا أخبرتهم بحسبك عسى يرقوا بحالك ، فبكى وقال ياجداه أخبرتكم فقالوا نعرفك حق المعرفة ولكن نقتلك ظلما وعدوانا فقال عليه السلام ياأبي آدم ويأبي نوح، ويأبي إبراهيم؛ وياأخي إسماعيل، وياأخي موسى، وياأخي عيسى ، فأجابوه بالتلبية : أنظروا إلى مافعلت أشقى أمتي من بعدي بعترتي ، ولاأنالهم الله شفاعتي يوم القيامة فقالوا آمين اللهم آمين ، فجعلوا يبكون ويعزون النبي صلى الله عليه وآله وسلم زمانا طويلا ، وهو يحث التراب على رأسه وشيبته الطاهرة والحسين يقص عليه ماصدر وماعملوه فيه حتى غشي عليه من البكاء وأنا أسمعهم وأشاهدهم ، ففارقوه وانطرح كما كان ميتا اولا .وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ذات يوم جالسا وغدا بالحسين عليه السلام مقبلا طفلا ، فأخذه على فخذه الأيمن ، وأتى بولده إبراهيم فوضعه على فخذه الأيسر وجعل يقبل هذا على فمه وهذا بحلقه وشفتيه وهو مشغوف بهما ، فإذا جبرئيل قد انحدر عليه وقال يامحمد إنّ الله تعالى لم يكن ليجمع لك بينهما ولكنه عز وجل يريد يأخذ روح أحدهما فأختر أيهما شئت ، فقال في نفسه إذا مات إبراهيم بكيت أنا وحدي وإذا مات الحسين بكيت عليه انا وعلي وفاطمة ، ياأخي جبرئيل موت إبراهيم خير لي فمات بعد ثلاثة ايام ، فكان بعد ذلك كلما جاء الحسين عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهلا وسهلا ومرحبا بمن فديته بولدي إبراهيم .

وروي أن الحريم لَمّا أدخلن في السبي إلى يزيد بن ماوية لعنه الله كان يطاع فيهن ويسأل عن كل واحدة بعينها وهن مربقات بحبل طويل وزجر بن قيس لعنه الله يجرهن حتى اقبلت امرأة كانت تستر وجهها بزندها لأنها لم يكن لها خرقة تستر بها وجهها ، فقال من هذه التي ليس لها

ستر ؟ قالوا سكينة بنت الحسين ؛ قال انت سكينة؟ فسالت دموعها على خدها وأختنقت بعبرتها فسكت عنها حتى كادت تطلع روحها من البكاء ، فقال لها ومايبكيك؟ قالت كيف لاتبكي من ليس لها ستر تستر وجهها ورأسها عنك وعن جلسائك ، فبكى يزيد وأهل مجلسه ؛ ثم قال لعن الله عبيد الله بن زياد ماقسى قلبه على آل الرسول ، ثم أقبل إليها و قال إرجعي مع النسوة حتى آمر بكن بأمري فقالت يايزيد إنَ بكائي أكثره من طيف رأيته الليلة ، قال قصيه علي فأمر السائق في الوقوف ، فقالت إني لم أنم منذ قتل ابي الحسين لأني لم أتمكن من الركوب على ظهر أدبر أعجف هذا ، وكلما عثربي يقهرني هذا زجربن قيس بالسوط ، فلم أر من يخلصني منه فلعنه يزيد وجلسائه ؛ ثم قالت رقدت الليلة وإذا أرى قصرا من نور شرايفه الياقوت واركانه من الزبرجد وأبوابه من العود القماري ، فبينا انا أنظر إليه وإذا ببابه قد فتحت فخرج منها خمس مشايخ يقدمهم وصيف [١] فتقدمت إليه فقلت له لمن هذا القصر؟ فقال لأبيك الحسين ؛ فقلت ومن هؤلاء المشايخ ؟ فقال هذا آدم ، وذاك نوح ؛ وهذا إبراهيم ، و(هذا) موسى و(هذا) عيسى فبينما اناأنظر إلى كلامه وإلى القصر إذ أقبل رجل قمري الوجه قابضا على لحيته هما وأسفا حزينا كئيبا فقلت ومن هذا؟ قال أما تعرفيه؟ فقلت لا قال هذا جدك المصطفى ، فدنوت منه وقلت ياجداه قتلت والله رجالنا ؛وذبحت أطفالنا وهتكت حريمنا ؛ ياجدنا لو رأيتنا على الأقتاب بغير وطاء ولاغطاء ولاحجاب ينظر إلينا البر والفاجر لرأيت أمرا عظيما وخطبا جسيما ، فأحنى علي وضمني إلى صدره وبكى بكاءا شديدا ، وأنا احكيه (حاكيه خ) بهذا وأمثاله ، فقالت لي تلك الأنبياء غضي من صوتك يابنت الصفوة فقد اوجعت قلوبنا وقلب سيدنا وابكيته وابكيتنا.

فأخذ الوصيف بيدي وأدخلني إلى القصر وإذا بخمس نسوة وبينهن امرأة ناشرة شعرها على كتفيها وعليها ثياب سود ، وبيدها ثوب مضمخ بالدَم، إذا قامت قمن لقيامها ، وإذا جلست جلسن معها لجلوسها ، لاطمة خديها جارية دمعتها وهي تنوح والنساء تجيبها بذلك فقلت للوصيف ومن هؤلاء النسوة ؟ فقالت ياسكينة هذه حوى ، وهذه مريم و التي عندها آسيا بنت مزاحم ، وهذه أم موسى ؛ وخديجة الكبرى ، فقلت وصاحبة القميص المضرج بالدماء ، قال جدتك فاطمة الزهراء ؛ فدنوت منها فقلت السلام عليك ياجدتاه ، ورفعت رأسها وقالت سكينة ؟ قلت نعم ، فقامت لاطمة معولة فقالت أدن مني فضمتني إلى صدرها ، فقلت ياجدتي على صغر سني أيتمت ، فقالت واويلتا وامهجة قلباه من أحنا عليكن من بعد القتل ، من جمعكن عن الشتات آن الرحيل أخبريني ياسكينة عن حال العليل ، فقلت ياجدتاه مرارا كثيرة أرادوا قتله

(١) قد يطلق الوصيف على الخادم غلاما كان أو جارية.

فدفعهم منه علته لأنه مكبوب على وجهه ، سلبوه ثيابه لايطيق النهوض ولوتراه عينك حين اركبوه على ظهر اعجل ادبر وقيدوا عنقه بقيد ثقيل ؛فبكى فقلنا له ما يبكيك؟ قال إذا رأيت قيدي هذا ذكرت أغلال أهل النار، فسألناهم بفكه فقيدوا رجله من تحت بطن الناقة وإذا بفخذه يسيل دما وقيحا ، باكيا نهاره وليله إن نظر إلى رأس أبيه ورأس الأنصار مشهرين ، وإن نظر إلينا عاريات مكشفات ، فكلما رأى ذلك إزداد البكاء ، فلطمت على وجهها ونادت واولداه واضيعتاه هكذا صدر عليكم من بعدنا ، ثمّ إنها قالت وبجسد القتيل من غسله من كفنَه من صلى عليه من دفنه من زاره ؟ فقلت لم يكن له غسل غير دموعنا ، وكفنته السَوافي من رمالها ؛ ورحلنا عنه وزوارها الطير والوحش ؛فنادت واحسناه واولداه واقلة ناصراه هذا والنساء باكيات معولات لإعوالها ، ثم نظرن إليَ وقلن له مهلا يابنت الصفوة لقد أهلكت سيدتنا وأهلكتنا ، فانتبهت من رقدتي هذه ويزيد وجلستؤه وأمراء بني أمية يبكون ، فأمرهن بالأنصراف فانصرفن .

روينا في تفسير قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه أنه رأى ساق العرش والأسماء عليه ، فلقنه جبرئيل ، فقال قل:ياحميد بحق محمد ياعلي بحق علي يافاطر بحق فاطمة يامحسن بحق الحسن ، ياصاحب (قديم خ) الإحسان بحق الحسين ؛فسالت دموعه وانخشع قلبه ، وقال يأخي جبرئيل في ذكرى الخامس ينخشع قلبي وتسيل عبرتي ، قال جبرئيل ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب ، فقال يأخي وماهي؟ قال يقتل عطشانا غريبا وحيدا فريدا ؛ ليس له ناصر ولا معين ولو تراه يآدم ينادي واعطشاه واقلة ناصراه حتى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان فلم يجبه أحد إلا بالسيوف وشرب الحتوف فيذبح ذبح (كما يذبح خ) الشاة من قفاه ويشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان ومعهم تؤخذ النسوان ، سبق يأخي في علم الواحد المنان ، فبكى مع جبرئيل بكاء المثكولة والثكيل .

وروينا حديث الجمال لعنه الله بإسناده (نا) إلى سعيد بن المسيَب قال لما استشهد مولانا أبو عبد الله الحسين عليه السلام وحج الناس من قابل دخلت على مولاي علي بن الحسين عليه السلام فقلت له يامولاي قد قرب الحج فماتأمرني؟ فقال إمض عاى نيتك فحج فحججت فبينما أنا أطوف في الكعبة وإذا برجل مقطوع اليدين ووجهه كقطع الليل المظلم وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول اللهم رب هذا البيت الحرام إغفر لي وماأحسبك تفعل في سكان سماواتك وأرضك وجميع ماخلقت لعظم جرمي ، وقال سعيد بن المسيَب فشغلت وشغل الناس عن الطواف حتى حف به الناس واجتمعنا عليه؛ فقلت أيا ويلك لو كنت إبليس لما كان ينبغي لك أن تيأس من رحمة الله فما أنت وماذنبك؟ فبكى وقال ياقوم أنا أعرف بنفسي وذنبي وماجنيت فقالوا له تذكره لنا فقال أنا كنت جمالا لأبي عبد الله عليه السلام لما خرج من المدينة إلى العراق وكنت

اراه إذا أراد الوضوء للصلاة يضع سراويله عندي ، فأرى تكة تغشي الابصار بحسن إشراقها وألوانها ، وكنت أتمناها أن تكون لي ؛ إلى أن صرنا بكربلاء فقتل الحسين عليه السلام وهي معه؛ فدفنت نفسي في مكان من الأرض فلم أطلب أنا وأمثالي ، فلما جن الليل خرجت من مكاني فرأيت في تلك المعركة نورا لاظلمة ، ونهارا لاليلا ، والقتلى مطروحون (حين) على وجه الأرض ، فذكرت لحيتي وشقائي التَكَة فقلت والله لأطلبن الحسين عليه السلام وأرجو أن تكون التَكَة في سراويله فآخذها ، ولم أزل أنظر في وجوه القتلى حتى أتيت إلى الحسين عليه السلام ، فوجدته مكبوبا على وجهه وهو جثة بلا رأس ونوره مشرق مرمل بدمائه والرياح سافية عليه ، هذا والله الحسين عليه السلام ، فنظرت إلى سراويله كما كنت أراها ، فدنوت منه فضربت يدي إلى التَكَة لآخذها ، فإذا هو قد عقدها عقدا كثيرة فلم أزل أحلها حتى حللت عقدة منها فمد يده اليمنى وقبض على التَكَة فلم أقدر على أخذ يده عنها ولاأصل إليها ، فدعتني النفس الملعونة إلى أن أطلب شيئاأقطع به يده فوجدت قطعة سيف مطروح فاخذتها ، فلم أزل أجزَ يده حتى فصلتها عن زنده ، ثم نَحيتها عن التَكَة ، فمددت يدي إلى التَكَة لأحلها فمد يده اليسرى فقبض عليها فلم أقدر على أخذها ، فأخذت قطعة السيف وقطعتها بها ، فمددت يدي إلى التَكَة لآخذها وإذا بالأرض ترجف والسماء تهتزَ وإذا بغلبة(بغلغلة) عظيمة وبكاء ونداء ، يقول ياابناه يامقتولاه واذبيحاه، واحسيناه واغريباه ، يابني قتلوك وماعرفوك ومن شرب الماء منعوك ؛وما عرفوا جدك وأباك، فلما رأيت ذلك صعقت ورميت نفسي بين القتلى وإذا بثلاث نفر وامراة تقول:

ألا يـــــانور عـــــيني ياحــــسينا ... فمـــن قطـــع اليـــسار مـــع اليمينـــا
ومــــن أرادك في البيــــداءطريحا ... ومــــن أيــــتم بناتــــك والبنينـــا
ومــن ســلب الثيــاب أيــاحبيبي ... ويــــاذخري ويــــاعيني اليمينـــا
عفــيرا بـــالتراب بغـــير رأس ... خـــضيب النَحـــر متلـــول الجبينـــا
فمـــن أوصـــيت بعـــدك باليتـــامى ... ومـــن لـــسكينة حـــصنا حـــصينا
ومـن للشاكلات وللـضَياعا(للـصبايا) ... لقـــد أضـــحوا بأيـــدي الكافرينـــا
يعـــز علـــي ان ألقـــاك ملقـــى ... بـــلا غـــسل ولاكفـــن رهينـــا
أيـــاروحي لقـــد طولَـــت حزنـــي ... لقتلـــك يـــابن خـــير العالمينـــا
لمقتلـــه بكـــت امـــلاك ربـــي ... وحـــور العـــين يبكـــي والأمينـــا
لقـــد أورثـــتني حزنـــا طـــويلا ... علـــى طـــول الليـــالي والـــسَنينا
فـــآه لمـــا جـــرى لـــك يـــاحبيبي ... نـــساؤك حاســـرات مجررينـــا

وقد امتلأت الأرض وحولها خلايق وقوفا؛ وقد امتلأت الأرض بصور الناس وأجنحة الملائكة، وإذا بواحد منهم يقول ياإبناه ياحسين فدائك جدك وأبوك وامك واخوك ، وإذا بالحسين عليه السلام ورأسه على بدنه ، وهو يقول ياجداه يارسول الله ، وياأبتاه ياامير المؤمنين ، وياأماه يافاطمة الزهراء ، ويأخاه المقتول بالسم قبلي ، عليكم مني السلام ، ثم إنه بكى وقال ياجداه قتلوا والله رجالنا ياجداه سلبوا والله نسائنا ياجداه ؛نهبوا والله رحالنا ياجداه ذبحوا والله أطفالنا ياجداه ، يعز والله عليك أن ترى رحالنا ومافعل الكفار بنا وإذابهم قد جلسوا حوله يبكون على ماأصابهم من الكفاروفاطمة تقول ياباه يارسول الله أماترى مافعل أمتك بولدي ، أتأذن لي أن آخذ من دم شيبه واخضب به ناصيتي والقى الله عزّوجلّ وأنا متخضبة (مختضبة) بدم ولدي الحسين ؟ فقال لها خذي ونأخذ يافاطمة ، فرأيتهم يأخذون من دم شيبه وتمسح به فاطمة ناصيتها والنبي وعلي والحسن يمسحون به نحورهم وصدورهم وأيديهم إلى المرافق، وسمعت فاطمة الزهراء تقول وهي مقروحة الفؤاد يابني من الذي قطع رأسك الشريف؛يابنيّ من ذا الذي رضّ لصدرك العفيف ، يابني من ذا الذي أيتم أطفالك ، يابني من ذا الذي قتل رجالك ، قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول له فديتك ياحسين يعز عليّ والله ان أراك مقطوع الرأس، مرمل الجبين؛ دامي النحر مكبوبا على قفاك قد كستك الذواري من الرمل (مول) وأنت طريح مقتول مقطوع الكفين ، يابني من قطع يدك اليمنى وثنى باليسرى؟ فقال ياجداه كان معي جمّال من المدينة وكان يراني إذا وضعت سراويلي للوضوء فيتمنّى أن يكون له؛ فمامنعني أن أدفعها إليه إلاّ لعلمي أنّه صاحب هذا الفعل فلما قتلت خرج يطلبني من بين القتلى ، فوجدني جثة بلا رأس فتفقد سراويلي فوجد فأى التّكة وقد كنت عقدتها عقدا كثيرة ، فضرب يده ألى التّكة فحلّ عقدة منها فمددت يدي اليمنى فقبضت على التّكة ، فطلب المعركة فوجد قطعة سيف فقطع به يميني ثمّ حلّ عقدة أخرى فقبضت على التّكة بيدي اليسرى لئلا يحلها فتنكشف عورتي ، فجزّ يدي اليسرى؛ فلما أراد حلّ التّكة حسّ بك فرمى نفسه بين القتلى ، فلما سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلّم كلام الحسين عليه السلام بكى بكاءا شديدا وأتى بين القتلى إلى أن وقف نحوي وقال: مالي ومالك ياجمّال ، تقطع أيدا طالما قبّلها جبرئيل عليه السلام وملائكة الله أجمعين وتبرّكت بها أهل السماوات والأرض ، أماكفاك ماصنع به الملاعين من الذلّ والهوان ، هتكوا نساءه بعد الخدر وانسباك الستّور وقد سلبهن الأعداء و سود الله وجهك ياجمّال في الدنيا والآخرة ، وقطع الله يديك ورجليك وجعلك في حزب من سفك دماءنا

وجزاؤك على الله ، فماأستتم دعاؤه حتى شلت يداي وحسبت بوجهي كأنه ألبس قطعا من الليل مظلما ، وبقيت على هذه الحالة ، فجئت إلى هذا البيت أستشفع وأنا أعلم أنه لايغفر لي أبدا فلم يبق في مكة أحد إلا وسمع حديثه وتقرب إلى الله بلعنه ، وكل يقول حسبك ماجنيت بالعين .

وروينا أنَ آدم عليه السلام لمّا نزل إلى الأرض فلم يرحوَى فصار يطوف الأرض في طلبها ؛ فمرَ بكربلاء فأعتلَ وضاق صدره من غير سبب ، وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام حتى سال الدم من رجله ؛ فرفع رأسه إلى السماء وقال إلهى هل حدث مني ذنب آخر فعاقبتني به ؟ فإني طفت جميع الأرض فماأصابني ماأصابني في هذه الأرض ، فأوحى الله إليه ياآدم ماحدث منك ذنب ولكن يقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلما فسال دمك موافقة لدم الحسين ، فقال آدم يارب أيكون الحسين نبيا ؟ قال لا ولكنه سبط النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال من القاتل له ؟ قال قاتله يزيد لعين أهل السماوات واهل الأرض ، قال آدم فأي شيء أصنع ياجبرئيل ؟ فقال إلعنه ، فلعنه آدم أربع مرات ومشى أربع خطوات إلى جبل عرفات بقدرة رافع السماوات فوجد حوَى هناك .

وإنَ نوحا عليه السلام ركب في السفينة وطافت به جميع الدنيا ، فلما مرت السفينة بكربلاء أخذته إلى الأرض وخاف نوح من الغرق ؛ فدعى ربَه وقال إلهي هل حدث مني ذنب؟فإني طفت جميع الدنيا فماأصابني فزع مثل ماأصابني في هذه الأرض ، فنزل إليه جبرئيل وقال له يانوح في هذا الموضع يقتل الحسين سبط محمد خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء ، قال ومن القاتل له ياجبرئيل ؟ قال قاتله لعين أهل السماوات السبع والأرضين السبع ، فلعنه نوح عليه السلام ، أربع مرات فسارت السفينة حتى بلغت الجودى واستقرَت عليه.

وإنَ إبراهيم عليه السلام مرَ في أرض كربلاء وهو راكب فرسا فعثر الفرس وسقط إبراهيم وشج رأسه وسال دمه ، فأخذ في الإستغفاروقال إلهي أي شيء حدث منَي؟ فنزل جبرئيل وقال ياإبراهيم ماحدث منك ذنب ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء فسال دمك موافقة لدمه . قال ياجبرئيل ومن يكون قاتله ؟قال قاتله لعين أهل السماوات والأرضين ، والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربَه، فأوحى الله تعالى إلى القلم أنك استحققت الثناء بهذا العن، فرفع إبراهيم عليه السلام يده ولعن يزيد لعنا كثيرا وأمَن فرسه بلسان فصيح ، فقال إبراهيم عليه السلام لفرسه أي شيء عرفت حتى تؤمَن على إبراهيم؟ فقال ياإبراهيم ؟ فقال ياإبراهيم أنا أفتخر بركوبك عليَ ؛ فلما عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي وكان سبب ذلك من يزيد لعنه الله تعالى .

وإنَ إسماعيل عليه السلام كانت أغنامه ترعى بشط الفرات فأخبره الراعي أنَها لاتشرب من هذه المشرعة منذ كذا يوما ، فسأل ربه عن سبب ذلك ، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال ياإسماعيل إسأل غنمك فإنَها تجيبك عن سبب امتناعها من شرب الماء ، فقال لها لمَ لاتشربين من هذا الماء ؟ فقالت بلسان فصيح قد بلغنا أنَ ولدك الحسين يقتل هنا عطشانا فنحن لانشرب من هذه المشرعة حزنا عليه ، فسأل عن قاتله ؛ فقالت يقتله ، لعين أهل السماوات والأرضين والخلائق أجمعين ، فقال إسماعيل عليه السلام اللهم إلعن قاتل الحسين عليه السلام وإنَ موسى عليه السلام كان ذات يوم سائرا ومعه يوشع بن نون ، فلما جاء إلى أرض كربلاء إنخرق نعله وانقطع شراكه دخل الخسك في رجليه وسال دمه ، فقال إلهي أيَ حدث مني ؟ فأوحى الله إليه أنَ هنا يقتل الحسين عليه السلام وهنا يسفك دمه فسال دمك موافقة لدمه، فقال ربَ ومن يكون الحسين ؟ فقيل هو سبط محمد المصطفى وابن علي المرتضى فقال ومن يكون قاتله ؟ فقال هو لعين السمك في البحار والوحوش في القفار والطيور في الهوى ، فرفع موسى يده ولعن (قال إلهي إلعن) يزيد ودعا عليه وأمَن يوشع بن نون على دعاءه ومضى لشأنه؛

وإنَ سليمان عليه السلام كان يجلس على بساطه ويسير بالهواء ؛ فمر ذات يوم وهو سائر في أرض كربلاء فدارت الريح بساطه ثلاث دورات حتى خافوا السقوط ، فسكنت الريح ونزل البساط في ألاض كربلاء ؛فقال سليمان لللائح لمَ سكنت ؟ فقالت إنَ هنا يقتل الحسين عليه السلام ؛ فقال ومن يكون الحسين ؟ قالت هو سبط محمد المختار وابن علي الكرار قال ومن قاتله ؟ قالت يقتله لعين أهل السماوات والأرض ، فرفع يده سليمان ولعن يزيد وأمَن دعاءه الإنس والجنَ فهبت الريح وسار البساط

وإنَ عيسى عليه السلام كان سايحا في البراري ومعه الحواريون فمرَبأرض كربلاء فرأى أسدا كاشرا قد أخذ الطريق ، فتقدم عيسى عليه السلام إلى الأسد وقال له لم جلست في هذا الطريق ولاتدعنا نمر ؟ فقال الأسد بلسان فصيح إنَي لم أدع بكم الطريق حتى تلعنوا يزيد قاتل الحسين عليه السلام ، فقال عيسى عليه السلام ومن يكون الحسين ؟ قال هو سبط محمد النبي الأمَي وابن علي الولي ، قال ومن القاتل له ؟ قال قاتله لعين الوحوش والذئاب والسباع أجمع خصوصا في أيام عاشوراء ؛ فرفع عيسى عليه السلام يده ولعن يزيد ودعا عليه وأمَن الحواريين على دعاءه فتنحى الأسد عن طريقهم ومضوا لشأنهم .

وروى الكليني طاب ثراه بإسناده إلى إدريسبن عبد الله الأودي قال لَما قتل الحسين عليه السلام أراد القوم أن يوطئوه الخيل ، فقالت فضة لزينب ياسيدتي إنَ سفينة وهو مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنكسرت به سفينة في البحر فطاف على خشبة من الماء فخرج إلى

جزيرة ، فرأى أسدا مقبلا فأتى الأسد وقال ياأبا الحرث أنا مولى رسول الله ؛فهمهم بين يديه حتى أوقفه على الطريق ، والأسد رابض في ناحية فدعني أمضي إليه وأعلمه ماهم صانعون غدا ، قال فمضيت إليه ، فقالت ياأباالحرث ؛فرفع رأسه ثمّ قالت أتدري مايريدون يعملوا (يفعلوا) غدا بأبي عبد الله عليه السلام ؟ يريدون أن يوطئوا الخيل ظهره ، قال فمشى حتى وضع يديه على جسد الحسين عليه السلام ، فأقبلت الخيل فلما نظروا إليه قال لهم عمر بن سعد لعنه الله هذه فتنة لاتثيروها إنصرفوا فانصرفوا .

قال مؤلف هذا الكتاب عفى الله عنه قد تقدّم أنّهم أوطأوه الخيل ، ولامنافاة بينهما لجواز أن يكون في يوم مجيء الأسد لم يوطأوه الخيل وأوطأوه بعد ذلك ، وفي إرشاد المفيد ره، أنّه لما ام يبق احد مع الحسين عليه السلام دعا بسراويل يمان يلمع فيه البصر ففرزه (ففرزه) لكيلا يسلب من بعد قتله ، فلمّا قتل عمد بحر بن كلب فسلبه السراويل وتركه مجردا ، وكانت يدا بحر بن كعب ييبسان في الصيف كأنهما عودان :ويرطبان في الشتاء فينضحان دما وقيحا ألى أن أهلكه الله تعالى ؛والأخبار الواردة بهذا المضمون كثيرة جدا.

وامّا من قتل مع الحسين عليه السلام من أهل بيته فقال شيخنا المفيد نوّر الله ضريحه هم ثمانية عشر:وهم العبّاس وعبد الله وجعفر وعثمان بنو أمير المؤمنين عليه السلام؛ أمّهم أم البنين بنت حزام الكلابية ؛وعبيد اله وأبوبكر ابنا أمير المؤمنين عليه السلام ؛ أمّهما ليلى الثقفية ، وعلي وعبد الله إبنا الحسين بن علي عليه السلام ؛ والقاسم وأبوبكر وعبد الله بنو الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام؛ وعبد الله وجعفر وعبد الرحمن بنو عقيل بن أبي طالب وعبد الله بن مسلم بن عقيل ومحمد بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام ومحمد وعون ابنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فهؤلاء ثمانية عشر نفسا من بني هاشم وهم كلهم مدفونون مما يلي رجلي الحسين عليه السلام إلأ العبّاس فإنّه دفن موضع قتله .

وأما أصحاب الحسين عليه السلام الذين قتلوا معه فإنّهم دفنوا حوله ؛ولسنا نحصل لهم أجداثا على التحقيق والتفصيل غير أنّا لانشك في أنّ الحائر محيط بهم ، هذا كلامه ره، اقول قد ترك ره ذكر الحر فإنه من الشهداء وليس هو ممّا يحيط به الحايرالشريف بل هوبعيد عن قبر مولانا الحسين عليه السلام بفرسخ وأزيد وقبره الآن معروف يزوره بعض النّاس ، وبعض الخواص من الشيعة والعلماء يترك زيارته ، بل ربما سمعت بعض محدثي الشيعة لعنه والطعن عليه تعويلا على أنّه قطع عليه بالأرتداد الفطريّ ، ومثل هذا المرتد عند الأكثر لاتقبل توبته، ومانقل من قبور الحسين عليه السلام لها منقول بأخبار الآحاد وهو لايعارض الإجماع ، وأمّا أنا فقد أوردت

بعض الكلمات المناسبة لهذا المقام في شرح تهذيب الحديث ولابأس هنا بالإشارة إلى نبذة منه وهو يتم ببيان أمور :

الأول في تحقيق معنى المرتد؛ فنقول الذي قاله اصحابنا رضوان الله عليهم أنَ المرتد هو ماأنكر ماعلم ثبوته من الدين ضرورة أو إثبات ماعلم نفيه كذلك ، أو يفعل ذلك صريحا كالسجود للصنم ونحوه ، وإلقاء المصحف في القاذورات ، وعلى هذا فالمرتد أكثر من غيره ، وذلك إنَه ما من يوم إلاوأكثر الناس يتهم الله قضاءه وعدله ؛ وغير ذلك مما يوجب الإرتداد ، نعم ربَما ظهر من بعض الأخبار أنَه يشترط في مثله العلم بكونه من ضروريات الدين ، وعلى هذا فلعل الجاهل معذور حتى يعرف ويلقي العالم إليه الحكم الشرعي لإمكان الجهل بالضروريات لكثير من النَاس؛ خصوصا أهل القرى والصحارى ، ويؤيده قوله صلى الله عليه وآله وسلَم النَاس في سعة مما لم يعلموافإذا عرفت هذا فنقول :

أنَ الحر لَما خرج من الكوفة ماكان قصده القتال مع الحسين عليه السلام وإنَما أمره عبيد الله بن زياد لعنه الله بأن يأتي به إلى الكوفة ؛وإمَا منعه له عن الرجوع إلى المدينة بعد أن طلب الحسين عليه السلام أن يأذن له فيه فقد كان جاهلا بأنَ مثل هذا يخرج من الدين ويكون الرجل مرتدا به ، ومن ثَم لما رجع إلى الحسين عليه السلام وتاب حلف بأنَي ماكنت أعلم أنَ القوم يفعلون بك هذا ، وقد كان صادقا في يمينه ، وحينئذ فالذي صدر منه نوع من أنواع الكبائرفلما تاب منها قبل الحسين عليه السلام توبته منها ، ويؤيده أنَ كثيرا من الشيعة ومن أقارب الأئمة عليهم السلام كانوا يؤذون أئمتهم عليهم السلام بأنواع الأذى مثل العبَاس أخو الرضا عليه السلام ومثل اقارب مولانا الصادق عليه السلام ؛ وقد كان جماعة منهم يسعون بقتلهم وإهانتهم عند خلفاء الجور ومع هذا كله إذا أراد أحد من الشيعة أن يذكرهم بسوء في مجالس الأئمة عليهم السلام يغضبون عليهم السلام ، ويبالغون في نفيه ؛ ويقولون إنَ هؤلاء أقاربنا دعونا معهم لاتتعرضوا لهم بسوء من كلام خبيث وغيره ؛ فالذي صدر من الحر على تقدير العلم منه مثل الذي صدرمن هؤلاء مع أنَ الأئمة عليهم السلام قبلوا حالهم قبل التوبة فكيف لو تابوا .

الثاني أنَ المراد من الدين المأخوذ في التعريف إنَما هو دين الإسلام على ماصرَحوا به لادين الشيعة فقط ؛ وذلك أنَه لوكان المراد بالمرتد من أنكر ماعلم ثبوته من دين الشيعة ضرورة لكان مخالفونا كلهم مرتدين في هذه الدنيا ، لأنَ كون علي بن أبي طالب عليه السلام هو الخليفة الأول بالنَص والأستحقاق مَما ثبت من دين الشيعة ضرورة ، فكان يجب أن يحكم على كافة أهل الخلاف بالأرتداد والمصرح به من علمائنا بخلافه في هذه الدنيا ، أمَا في الآخرة فعذابهم أشد من المرتد وغيره ، وحينئذ منع الحسين عليه السلام عن الرجوع إلى المدينة وإن كان حراما إلا أنَه ليس

ضروريا من دين الإسلام ولايقول مخالفونا بكفر مثل هذا ، نعم قالوا بكفر كل من خرج على إمام عادل وحاربه والحرّ في وقت الحرب كان لإمام عليه السلام لا عليه ، فلم يصدق عليه من هذه الجهة أيضا إسم الإرتداد .

الثالث أنَ قولهم أنَ المرتد الفطري غير مقبول التوبة لانقبله على إطلاقه ، بل نقول أنَ توبته مقبولة فيما بينه وبين الله تعالى كما صارإليه شيخنا الشهيد الثاني طاب ثراه ، وحينئذ فلو لم يقدر على قتله أو تأخر قتله فتاب صحت توبته وقبلت عباداته ومعملاته ؛ لكن لاتعود إليه زوجته ولاماله على مالايخفى ، وأمّا فيما بينه وبين الناس فبأن يقول أنَ ذلك النّاس الذي ثبت عندهم إرتداده إن كان غير الإمام لم يجز له العفو عنه ؛ كما عفا أمير المؤمنين عليه السلام عن اهل البصرة وقبل توبة من تاب منهم ، ومع أنَهم كانو مرتدّين عن الفطرة ، وكذلك قبل توبة من تاب من أهل النهروان وصفين وسائر حروبه وموارده مع صدق تعريف الإرتداد عليهم بكل الوجوه؛ ومن هذا أجاب مخالفونا بزعمهم عن كل ماأوردناه عليهم إلا عن محاربة الصحابة لأمير المؤمنين عليه السلام فإنَهم لم يقدروا عليه ، بل قالوا وإمّا عن حرب الصحابة فنسكت، وبعضهم أحاله على علم الله تعالى القديم وإنّه كان مقدرا وعلم الله بزعمهم هو علة للمعلول ووقوعه، وآخرون قالوا إنّهم تابوا بعد المحاربةإلى غير ذلك من الخرافات البردة والتمويهات الفاسدة .

الرابع قولهم أنَ ارتداده قطعي وتوبته ظنّي(ظنية) لايخفى مافيه ، وذلك أنَ كل خبر وأثر تضمّن خروجه على الحسين عليه السلام ومنعه له عن الرجوع تضمّن توبته وقبول الحسين عليه السلام لها وإنّه عليه السلام رثاه بأبيات من الشعر وهي مشهورة ، وفي كتب الأحاديث والسير والتواريخ مسطورة ، وقد ترحّم عليه بعد قتله ، وهذا متواتر نقله الخلف عن السلف في كل عصر وأوان بحيث لا يمكن إنكاره ، ولعمرك إنَ الطعن على الحر يؤول إلى الطعن على من قبل توبته وهو مولانا الحسين عليه السلام ؛ وهذا هو الإرتداد الظاهرالذي لايقبل التوبة وأعاذنا الله وإيّاكم من الغقدام على مثله والجرأة عليه .

ولقد حدّثني جماعة من الثقاة أنَ الشاه إسماعيل لَما ملك بغداد واتى إلى مشهد الحسين عليه السلام وسمع من بعض النّاس الطعن على الحر أتى إلى قبره وأمر بنبشه ، فنبشوه فرأوه نائما كهيئته لَما قتل ؛ورأوا على رأسه عصابة مشدودا بها رأسه ؛ فاراد الشاه نوّر الله ضريحه أخذ تلك العصابة لما نقل في كتب السير والتأريخ أنَ تلك العصابة هي دسمال الحسين عليه السلام شدّ به رأس الحر لَما لَما أصيب في تلك الواقعة ؛ ودفن على تلك الهيئة ، فلمّا حلوا تلك العصابة جرى الدم (دمه) من رأسه حتى امتلأ منه القبر فلمّا شدوا عليه تلك العصابة إنقطع الدم فلمّا حلوها جرى الدم ، وكلما أرادوا أن يعالجوا قطع الدم بغير تلك العصابة لم يمكنهم، فتبين لهم حسن

حاله ، فأمر فبني على قبره بناء وعين له خادما يخدم قبره؛ والذي يجود بنفسه في ذلك الوقت الضيق ويقدم على القتل وعلى أن يفدي الحسين عليه السلام بنفسه لاشكَ في أنَ حاله من أحسن الأحوال .

الخامس إنَ الذي يظهر من هذه الأخبار المعتبرة الصحيحة كما قاله الشهيد الثاني عطر الله مرقده هو أنَ الإرتداد كله قسم واحد وإنّه يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل ، وهذا مذهب ابن جنيد طاب ثراه والاخبار بإطلاقها أو عمومها دالة عليه ولم يدل على المشهور من التفصيل سوى رواية عمّار الساباطي وهي على ضعفها لاتقوم بتقليد الأخبار الصحيحة المتكثرة ، فيكون وقت منع الحر للحسين عليه السلام إلى وقت رجوعه إليه هو زمن الإستتابة فتاب وقبلت توبته ، وبالجملة فالقول بأنَ توبة المرتد الفطري غير مقبولة حتى بينه وبين الله تعالى مشكل جدا ، والله الهادي إلى سواء السبيل.

(نور في الفقر والزهد والتوكل)

الحمد لله الذي تسبح له الرمال ويسجد له الظلال ؛ويتدكدك من هيبته الجبال خلق الإنسان من الطين اللازب والصلصال، وزيّن صورته بأحسن تقويم وأتمَ إعتداله ؛وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال ، وأذن له في قرع باب الخدمة بالغدوَ والآصال، ثمَ كحَل بصيرة المخلص في خدمته بنور العبرة حتى لاحظ بضياءه حضرة الجلالة فلاح له من البهجة والفلاح والبهاء والكمال ماأستقبح دون مبادىء إشراقه كل حسن وجمال ، واستثقل ماصرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الإستثقال وتمثل له طاهر الدنيا في صورة امرأة جميلة تميس وتختار ، وانكشف له باطنها عن عجوز شوهاء عجنت من طينة الخزي وضربت في قالب النكال ، وهي متلفقة بجلبابها لتخفي قبائح أسرارها بلطائف السحر والإحتيال؛وقد بصبت حبائلها في مدارج الرجال فهي تقتنصهم بضروب المكر والإغتيال ، ثمَ لاتجتري معهم بالخلف في مواعيد الوصال بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والأغلال ، وتبديهم بأنواع البلايا والانكال ، فلمذا إنكشف للعارفين منها قبائح الأسرار والأفعال زهدوا فيما زهد المبغض لها ؛ فتركوا التفاخر والتكاثر بالأموال ، وأقبلوابكنه هممهم على حضرة الجلالة منها بوصال ليس له انفصال؛ومشاهدة أبدية لايتريها فناء ولازوال ، والصلاة على سيدنا محمد سند الأنبياء وعلى آله وخير آل.

أمَا بعد فإنَ الدنيا عدوة الله تعالى بغرورها ظلَ من ظل، وبمكرها زلَ من زل، فحبها رأس الخطيئات السيئات وبغضها أم الطاعات ورأس القربات ، وقد قدمنا الكلام في بيان معناها والآن نتكلم في تحقيق هذه الأمور الثلاثة:

امَا الفقر فهو عبارة عن إنزواء الدنيا عن العبد وأمَا الزهد فهو إنزواء العبد عن الدنيا ، وأمَا التوكل فهو تفويض العبد أموره إلى مولاه بعد أن فعل ماأوجب عليه من الأسباب، وذلك كقول الصادق عليه السلام التوكل أن تعقل بعيرك ثمَ تقول توكلت على الله في حفظه ، يعني لايكون إعتمادك في حفظه على العقال، فكم من جمل قد سرق بعقاله ، ولاتترك العقال إعتمادا على التوكل فإنَ العقال جزء من مفهوم التوكل ومن أكمل شروطه؛ فأمَا الفقر فهوفقد ماهو محتاج إليه، فأمَا فقد مالا حاجة إليه فلا يسمى فقرا، فدل كهذا على أنَ ماسى الله فهو فقير لإحتياجه إليه في دوام الوجود؛ فالغنى المطلق ليس إلا هوتعالى شأنه ؛ والذي أردنا بيانه هنا هو الإحتياج إلى المال وفاقده يدور على خمسة أحوال:

الأولى وهي العليا أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب من أهله مبغضا له ، وهذا هو الزهد، الثانية أن يكون بحيث لايرغب فيه ولايكرهه وهذا هو الرضا، الثالثة أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبته له فيه ولكن لم تبلغ رغبته لأن ينهض بل إن أتاه من غيرطلب أخذه ، وهذا يسمى قانعاإذ أقنع نفسه بالموجودحتى ترك الطلب.

الرابعة أن يكون تركه للطلب لعجزه وإلا فهو راغب فيه رغبة لوجود سبيلا إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه ؛ وصاحب هذه الحالة يسمَى الحريص، الخامسة أن يكون مافقده من المال مضطرا إليه كالجائع الفاقد للخبز؛ وتسمى هذه لحالة مضطرا.

فأعلى هذه الأحوال هو الزهد، نعم إذا انضمَ الزهد إلى الإضطرار كان هو الأعلى ؛ وفوق هذه الحالات كلها حالة أخرى أعلى من الزهد:وهي أن يستوي عنده وجود المال وفقده ، وتسمى هذه الحالة غناء النفس وهي التي أشار إليها المسيح عليه السلام بقوله خادمي يداي ، ودابتي رجلاي، وفراشي الأرض ووسادي الحجر ، ودفئي في الشتاء مشارق الأرض وسراجي بالليل القمر، وأدامي الجوع ، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، وفاكهتي وريحانتي ماأنبتت الأرض للوحوش والأنعام، أبيت وليس لي شيء؛وأصبح وليس لي شيء ؛ وليس على وجه الأرض أحد اغنى مني ، والزهد الذي هو أعلى درجة الأبرار ذنب بالنسبة إلى صاحب هذه المرتبة السادسة ، لقول صلى الله عليه وآله وسلم حسنات الأبرار سيئات المقربين .

وقد حقق هذا المعنى بعض أرباب القلوب بأنَ الكاره للدنيا وهي درجة الزهد مشغول بكراهتها كما أنَ الراغب فيها مشغول بها ، والشغل بما سوى الله حجاب عنه، لأنَ لاحجاب بينك وبينه سوى شغلك بغيره، كما قال عليه السلام يامن كان الحاجب للعباد عنه هم العباد ، يعني به أنَ الحاجبللعباد عن الله سبحانه هو أنفسهم وماأقترفوه من المعاصي وأتوابه من الشغل بغيره؛ فكل مشغول عن الله بغيره سواء كان يحب الدنيا أو يبغضها يكون ذلك الشاغل حاجبا له

عن ذلك الجناب، وكثاله مثال الرقيب الحاضرفي مجلس يجمع العاشق والمعشوق فإن إلتفت قلب العاشق إلى الرقيب وإلى بغضه واستثقاله فهو في حالة اشتغال قلبه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه؛ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت إليه ، فكماأنَ النظر إلى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق ونقص فيه فكذا النظر إلى غير المحبوب لبغضه شرك فيه ونقص ، ولكنَ أحدهما أخفَ من الآخر، بل الكمال في أن لايلتفت القلب إلى غير المحبوب ؛بغضا وحبًا، فإنّه لايجتمع في القلب حبّان في حالة واحدة فلا يجتمع أيضا بغض وحب في حالة واحدة ؛ فالمشغول ببعض الدنيا غافل عن الله تعالى كالمشغول بحبها إلا أن المشغول بحبها غافل وهو في غفلته سألك في طريق البعد والمشغول ببعضها غافل لكنه سالك في طريق القرب، فالكمال له متوقع ؛ومثالهما كرجلين في طريق الحج مشغولين بعلف الناقة وركوبها لكن أحدهما مستقبل القبلة والىخر مستدبرها ، فكلاهما محجوب عن الكعبة إلا أنَ الأول يرجى له الوصول بخلاف الثاني فالاول حاله محمودة بالنظرإلى الثاني وإن كانت ناقصة بالنسبة إلى من هو مقيم على الإعتكاف في الكعبة ، ولذلك قيل من زهد في الدنيا واقتصرعليه فقد استعجل الراحة، فظهر من هذا كله أنَ الزهد الذي هو عدم الرغبة في الدنيا كمال بالإضافة إلى الراضي والقانع والحريص نقصان بالنسبة إلى غناء النفس.

واعلم أنَ اسم الفقر يطلق على المراتب الخمسة الأولى ؛ وأما السادسة فإن أطلق عليها اسم الفقرفإنما يراد بها الفقر إلى الله سبحانه لأنَه معنى من معاني الفقير، وحينئذ لامنافاة بين قوله صلى الله عليه وآله وسلَم اللهم إني أعوذ بك من الفقر، وقوله كاد الفقرأن يكون كفرا؛وبين قوله اللهم أحيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين إذ فقر المضطر هو الذي إستعاذ منه ، والإفتقار إلى الله عز وجلَ هو الذي سأله ، فلا منافاة.

أقول والأولى في رفع المنافاة التفريع على ماسبق ؛وهو أن من درجات الفقر وإطلاقاته وحالاته الإضطرار وهوشدة مايحتاج إليه من الأموال والمعايش ومنه أيضا درجة الرضا ؛وهو كما عرفت أن يكون بحيث لايرغب منه ولايكرهه، فيكون كل واحد من الحديثين منزلًا على درجة من درجات الفقر.

أمَا حديث الإستعاذة من الفقر فهو منزّل على درجة الإضطرار ، فإنَ الإنسان ربما لم يقدرمعها على القيام بوظائف العبودية كما تقدم من أنه صاى الله عليه وآله وسلم جاع في بعض أوقاته فاضطجع على قفاه ولم يتمكن من القيام للصلاة ، فكان يقول اللهم إني أعوذ بك من جوع يضجعني على الفراش وينسيني ذكرك ، وهذا المعنى هو المراد من قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام صارعت كل شيء فغلبته ، وصارعني الفقر فغلبني .

وروي أنه لَما جاء إعرابي إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال إنّي مأخوذ بثلاث علل :علَة النفس ، وعلَة الفقر، وعلَة الجهل، فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام وقال ياأخا العرب علَة النفس تعرض على الطبيب، وعلَة الجهل تعرض على العالم ؛وعلة الفقر تعرض على الكريم؛فقال الأعرابي ياأمير المؤمنين أنت الكريم وأنت العالم وأنت الطبيب ؛فأمر له أمير المؤمنين عليه السلام بأن يعطى من بيت المال ثلاثة آلاف درهم ، وقال تنفق ألفا بعلة النفس ، وألفا بعلة الجهل، وألفا بعلة الفقر.

وأمَا الدرجة التي طلبها صلى الله عليه وآله وسلَم فهي درجة القناعة والرضاالمشار إليها بقوله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم ارزق آل محمد الكفاف، وقوله اللهم لاتعطني قليلا فأشقى ولا كثيرا فأطغى والشقاء هنا بمعنى التعب من باب قوله تعالى طه ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى ، نزلت بعد أن كان يصلي عليه السلام كل الليل فورمت قدماه وتعب من جهة العبادة ، وهو المراد أيضامن قوله عليه السلامإذا رأيت الفقرمقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

ومن هذا الباب مارواه شيخنا الكليني (ره) عن النوفلي (ره) رفعه إلى علي بن الحسين عليه السلام قال مرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسَم براعي إبل فبعث يستسقيه، فقال أمّا ما في ضروعها فصبوح الحي ، وأما مافي آنيتها فغبوقهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَم اللهم أكثر ماله وولده ثمَ مرَ براعي غنم فبعث يستسقيه ، فجلب له مافي ضروعها وأكفأ مافي إنائه في إناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَم وبعث إليه بشاة؛ فقال هذا ماعندنا وإن احببت أن نزيدك زوَدناك ، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَم اللهم ارزقه الكفاف ، فقال له بعض أصحابه يارسول الله دعوت للذي ردَك بعاء عامتنا نحبه ودعوت للذي أسعفك بحاجتك بدعاء كلنا نكرهه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماقلَ وكفى خير من ما كثر وألهى، اللهم ارزق محمدا وآل محمد الكفاف .

وروي عن عمران بن حصين أنَه قال كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَم منزلة وجاء فقال ياعمران إنّ لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَم فقلت نعم بأبي أنت وأمي يارسول الله ؛فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة عليها السلام فقرع الباب وقال السلام عليكم أدخل، فقالت فاطمة أدخل يارسول الله ؛ قال أنا ومن معي ؟ قالت ومن معك يارسول الله ؟قال عمران قالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ماعليَ إلا عباءة قال اصنعي بها هكذاوهكذا اشار بيده ؛قالت هذا جسدي فقد واريته فكيف برأسي ؟ فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلفه فقال شدي بها على رأسك ، ثم أذنت له ،

فدخل فقال السلام عليكم يابنتاه كيف أصبحت ؟ قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على مابي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أضرني الجوع ، فبكى رسول الله صلى اله عليه وآله وسلم وقال لاتجزعي يابنتاه والله ماذقت طعاما منذ ثلاث ، وإني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ، ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها أبشرى فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة ، قالت فأين آسيةامرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد؟ قال آسية سيدة نساء عالمها، ومريم سيدة نساء عالمها، وخديجة سيدة نساء عالمها ، وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من قصب لاأذى فيها ولاصخب ولانصب، ثم؛ قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا وسيدا في الآخرة روى هذا الحديث الغزالي وغيره؛ومع هذا ذهبوا إلى عايشة أفضل من فاطمة، وهذا ليس بأول قارورة كسرت في الأسلام .

وعن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسئة عام حتى أن الرجل من الأغنياء يدخل في غماره فيأخذ بيده فيستخرج ، وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها وطلب إليه الرجل ؛ فقال أتريد أن أمحو إسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف لاأفعل، وقل أبو الدرداء مامن احد إلا وفي عقله نقص ؛ وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا، والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لايحزنه ذلك ، ويح ابن آدم ماينفعه مال يزيد وعمر ينقص، ويصدق هذا أن الرجل إذا كان له عند أحد دين أو عطاء مقرر ويكون موزعا على الشهور كيف تراه يحب أن يقض الأشهر والسنون حتى يحل وقت الدين والعطاء مع أن مايذهب من عمره لم يرجع إليه أبدا، مفقود المال يمكن رجوعه فهذا أيضا من نقصان العقل .

فقال الحسن عليه السلام لعن الله أقواما أقسم الله عزوجل لهم ثم لم يصدقوه ثم قرأ و في السماء رزقكم وماتوعدون فورب السماء والأرض ، وكان ابو ذر رضي الله عنه يوما جالسا فأته امرأة، فقالت له تجلس بين هؤلاء والله مافي البيت هفة ولاسفة [1] فقال ياهذه إن بين أيدينا عقبة كؤدا لاينجو منها إلا كل مخف ، فرجعت وهي راضية، وبروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب المنزلة يابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيركفأنا محسن إليك .

وعن أنس بن مالك قال بعث الفقراء رسولا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال إني رسول الفقراء إليك، فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم قوم أحبهم ، قاللوا

---

(١) يقال :مافي بيتك هفة ولاسفة أب لامشروب في بيتك ولامأكول

يارسول الله إنَ الأغنياء ذهبوا بالحسنة يحجون ولاتقدر عليه وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلَم بلّغ عني الفقراء إنّ لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء أمّا خصلة واحدةفإنّ في الجنة غرفا ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر اهل الأرض إلى نجوم السماءلايدخلها إلا نبي فقيرأوشهيد فقير ، او مؤمن فقير ، والثانية يدخل الفقراء الجنّة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ؛ الثالثة إذا قال الغني سبحان الله والحمدلله ولاإله الا الله والله أكبر؛ فقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وإن أنفق فيها عشرة آلاف درهم ؛وكذلك أعمال البر كلها؛ فرجعا اليهم فقالوا رضينا رضينا .

فإن قلت كيف فضل تسبيح الفقراء على تسبيح الأغنياء مع أن كلا منهماطاعة له تعالى كما هو المفروض وليس في لأحدهما رياء، قلت الجواب عن هذا من وجوه الأول أنأفضل أفراد الغني هو الذي ينفق في سبيل الله تعالى واجباته ومستحبانه ومع هذا فصاحبه في أمن من الدنيا مستشعرا راحة بذله وهو مما يورث الإنس لهذا العالم والوحشة من الآخرة؛ وبقدر مايستأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة لأنّهما كالمشرق والمغرب بقدر ماتقرب من أحدهما تبتعد من الآخر؛ ومهما إنقطعت اسباب الأنس بالدنيا تجافى القلوب عن الدنيا وزهرتها ؛والقلب إذا تجافى عن ماسوى الله عز وجل وكان مؤمنا بالله إنصرف لامحالة إلى الله ، إذلايتصور قلب فارغ، وليس في الوجود إلا الله، فمن أقبل على غيره تجافى عنه ومن أقبل عليه تجافى عن غيره ؛ فالغني قلبه مشغول بماله ومحبته كامنة فيه كمون النار في الأحجار، فعلاقة الفقير وأنسه في الدنيا أضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته ، فإن حركات اللسان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الإنس بالمذكور، فلايكون تأثيره في إثارة الأنس في قلب فارغ من غير المذكور كتأثيره في قلب مشغول ، ولذلك قيل مثل من تعبد في طلب الدنيا مثل من يطفى النار بالحلفاء ، ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك ومن دخل السوق فرأى شيئا يشتهيه فصبر واحتسب كان خيرا له من ألف دينارأنفقهاكلها في سبيل الله عز وجلّ

الثاني أنّ داعي الفقير إلى العبادةغايب وداعي الغنى حاضر لأنّ من دواعيه إلى العبادة إتمام النعمة عليه فهو ناظر إلى قوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم ؛فداعي الغني الذي ينشطه على العبادة حاضر موجود بخلاف الفقير فإنّه لاداعي له كذلك ، فاعتمادهعلى غايب دليل على قوة إيمانه ووفور إخلاصه .

الثالث أنّ مثل الفقير العابد والغني العابد مثل مولى له مملوكان فخلع على احدهما وكساه ولم يخلع على الآخر ولم يكسه وكلاهما مشغول بخدمته ؛ فلاريب أنّ خدمة ذلك العبد

الذي لم يخلع عليه ولم بعطه شيئا كثيرا أقبل عند اهل العقل والكمال من خدمة الآخر؛ وهذا الوجه في الحقيقة يرجع إلى الوجهين الأولين .

ولنرجع إلى الكلام الأول فنقول:للفقير قانون شرعي في باطنه وظاهره ومخالطته وأفعاله، امّا الباطن فأن لايكون فيه كراهة لما أورده الله سبحانه عليه من الفقر يعني لايكون كارها له من حيث أنه فعل الله سبحانه، وإن كان كارها له من حيث التألّم به وذلك كالحجّام فإنّ المحجوم وإن كان كره فعله من حيث الألم لكن من حبث أنه فعل الحجّام براد له ، ويرى أنّ للحجّام المنّة عليه بذلك؛ وهذا المعنى واجب ونقيضه حرام محبط للأجر، وألى هذا الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلّم يامعشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تضفروا بثواب فقركم، وإلا فلا ؛وارفع من هذاأن لايكون كارها للفقر بل يكون راضيا به، وأعلى منهما أن يكون طالبا لعلمه بغوائل الغنى .

وروي عن على عليه السلام أنّ لله عقوباتومثوبات بالفقر فمن علامات الفقر إذا كان مثوبة إن يحسن عليه خلقه ، ويطيع به ربّه ولايشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ، ومن علامة ان يكون عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي ربّه ويكثر الشكاية، ويتصخت القضاء ، وهذا يدل على أن الفقر المحمود ذلك الفرد إذ قيل ماأعطي عبد شيئا من الدنيا إلا قيل له خذه على ثلاثة أثلاث :شغل ، وهمّ، وطول حساب وأمّا الظاهرفبأن يظهر التعفف والتجمل ولايظهرالفقر والشكوى؛ففي الحديث أنّ الله تعالى يحب الفقير المتعفف أبا العيال ، وإذا أراد إظهاره فلا بظهر إلا لأخ في الأيمان لأنّ الشكوى إليه ربّما ترتب عليها بعض الفوائد، ولابدّ من شكوى إلى ذي صبابة يواسيك أويسليك أويتوجع، ولأن المحن وزحمات القلوب ربما كان القلب لايطيق تحملها كمالايطيق تحمل غيرها .

روي عن جابر بن يزيد الجغفي قل حدثني أبوجعفر عليه السلام سبعين ألف حديث لم أحدث بها احدا ولن أحدث بها أحداأبدا، قال جابر قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك إنّك قد حملّتني وقرا عظيما بما حدثتني به من سركم الذي لاأحدث به أحدا فربّما جاش في صدري حتى يأخني منه شبه الجنون ، قال ياجابر إذا كان كذلك فاخرج إلى الجبّانة فاحفر حفيرة ودلّ رأسك فيها ثمّ قل حدّثني محمد بن على بكذا وكذا؛ فإنّ الأرض تحمل حديثنا ، فإذا كانت القلوب لاتطيق حمل العلومع كونها لذة محضة فكيف تطيق حمل أثقال الهموم والغموم التي صرعت مثل أمير المؤمنين عليه السلام في قوله عليه السلام صارعني الفقر فغلبني [1]

---

(١)ينسب إلى أمير المؤمنين (ع) قوله:

روى أخطب خاوارزم إنّ إعرابيا جاء إلى الحسين عليه السلام وقال يابن رسول الله صلى اله عليه وآله وسلم قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن ادائه فقلت في نفسي أسأل أكرم النّاس ، ومارأيت أكرم من اهل بيت رسول الله ؛فقال الحسين عليه السلام ياأخا العرب اسألك عن ثلاث مسائل فإن أجبتك عن واحدة أعطيتك ثلث المال ، وإن اجبت عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال، وإن اجبت عن الكل أعطيتك الكل ، فقال الإعرابي يابن رسول الله أمثلك يسأل مثلي وانت من أهل بيت العلم والشرف ، فقال الحسين عليه السلام بلى سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول المعروف بقدر المعرفة ؛ فقال الإعرابي سل عمّا بدا لك فإن أجبت وإلا تعلمته منك ، ولاقوة إلا بالله ، فقال الحسين عليه السلام فما النجاة عن الهلكة ؟ فقال الإعرابي الثقة بالله فقال الحسين عليه السلام فما يزين الرجل؟ فقال الإعرابي علم معه حلم ، فقال فإن اخطأ ذلك ، فقال مال معه مبرة ، فقال فإن اخطأ ذلك فقال فقر معه صبر ، فقال الحسين عليه السلام فإن أخطأ ذلك ، فقال الإعرابي فصاعقة تنزل من السماء وتحرقه فإنّه اهل لذلك، فضحك الحسين عليه السلام ورمى إليه بصرّة فيها ألف دينار؛وأعطاه خاتمه وفيه فص قيمته مائتا درهم، وقال ياإعرابي إعط الذهب ألى غرمائك واصرف الخاتم في نفقتك فاخذ الإعراب وقال الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وامّافي مخالطته فبأن لايتواضع لغني لاجل غناه بل يتكبر عليه لاجله؛ روي عن مولانا امير المؤمنين عليه السلام انه قال ماأحسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله تعالى وأحسن منه تيه [1]الفقير على الغني ثقة بالله عزوجل فهذه رتبة وأدون منها أن لايرغب في مخالطة الأغنياء لأنّ ذلك من مباديء الطمع، قال بعضهم وإذا خالط الفقير الأغنياء فاعلم أنّه مراء وإذا خالط السلطان فاعلم أنّه لص وأماإذا في أفعاله فبأن لايفتر عن العبادات بسبب الفقر ولايمتنع عن التصدق الممكن ، ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم درهم من الصدقة أفضل عند الله تعالى من مائة ألف درهم، قيل وكيف يارسول الله؟ فقال أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف فتصدّق بها وأخرج رجل درهما لايملك غيرهما طيبة به نفسه؛ فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف، وقد تقدمت الرواية في ذلك الفقير الذي حمل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم تمرة واحدةفوضعها على تمور الصدقة؛فأنزل الله سبحانه قرآنا في مدائحه .

صـــارعت كـــل كريهـــة فغلبتهـــا   والفقرصــــارعني فأصــــبح غــــالبي
إن أخفــــه يقتـــل إن أبــــده يفــــضح   فيـــا عـــسا لـــه مـــن صـــاحب

(١) تاه تيها تكبّر

وينبغي ان لايدخره مالا بل ياخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي والإدخار على ثلاث مراتب ؛أحدهما أن لايدخر إلا ليومه وليلته وهي درجة الصدّقين، والثانية أن يدخر لأربعين يوما لأن مازاد داخل في طول الأمل كما فهمه العلماء من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام وهذه رتبة المتقين :والثالثة أن يدخر لسنة وهي رتبة الصالحين ، قال الصادق عليه السلام إنّ النفس اذا احرزت قوت سنتها أستقرت وما زادعلى ذلك فهو همّ وغمّ وخروج عن الوثوق بفضل الله سبحانه.

وامّا آداب الفقيرفي قبوله للعطاء بغير سؤال فهو ثلثه أيضا ، الأول لايلاحظ الفقير نفس المال وهو كونه حلالا خاليا عن الشبهات فأنّ البعد عن الشبهات درجة الصالحين ، الثاني ان يلاحظ غرض المعطي وهو أمّا أن تطيب قلب الفقير وطلب محبته وهو الهدية، أو الثواب والصدقة والزكاة او الذكر والرياء والسمعة أمّا على التجرد أو ممزوجا ببقية الأغراض، أما الأول وهو الهدية فلابأس بقبولها فأإن قبولها سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم :ولكن ينبغي أن لايكون فيها منّة ؛فإنَ علم أنّ بعضها مما يعظم فيه المنّة فليرد البعض دون البعض.

فقد أهدي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم سمن وأقط وكبش ، فقبل السمن والأقط ورد الكبش وكان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض ، حتى قال لقد هممت أن لا أتهب إلا من قرشي أو ثقفي أو دوسي، وأمّا إذا كان غرض المعطي الثواب المجرد كصدقة أو زكاة فعلى الفقير أن ينظر في صفات نفسه أنّه هل هو من اهل الإستحقاق لها أم لا ، وإن كانت صدقة وكان يعطيه لدينه ولظاهره من الصلاح فلينظر هو إلى باطن نفسه فإن كان مقارفا (متقا) لمعصية في السرويعلم انّ المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب إلى الله تعالى بالتصدق عليه فهذا حرام كما قيل ، وذلك كما لو عطى هو لظنّه أنه عالم أو علوي ولم يكن فإنّ أخذه لاشك في حرمته ، وقد يكون غرض المعطي الشهرة والرياء فينبغي للفقير ان لايأخذ لئلا يكون معينا له على ذلك الغرض الفاسد ، وعوتب بعضهم في رد ماكان يأتيه من صلة ؛فقال إنّما أردت صلتهم إشفاقا ونصحا لهم لأنّهم يذكرون ذلك ويحبون أنت يعلم يعلم به فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم ؛ فإذا علم الفقير هذه الأمور وخلّو ذلك المال منها فليأخذ ماأعطوه ؛كما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلّم قال ماالمعطي من سعة بأعظم اجرا من الىخذ إذا كان محتاجا ، ومن أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولاإستشراق فإنّما هو رزق ساقه الله إليه .

وقال الصادق عليه السلام تارك أخذ الزكاة وقد وجبت له كتارك دفعها وقد وجبت عليه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لاحق لابن آدم إلا في ثلاث : طعام يقيم صلبه

وثوب يواري عورته؛ وبيت يكنّه ، فما زاد فهو حساب ؛ فإذا أنت في أخذ الحاجة من هذه الثلث مثاب ، وفيما زاد عليه إن لم تعص الله متعرض وإن عصيت الله تعالى فأنت متعرض للعذاب .

واعلم أن السؤال من غير حاجة مما لايبعد القول بتحريمه لانّه لاينفك عن ثلاث أمور محرمة ؛الأول إظهار الشكوى من الله تعالى كما أنّ العبد المملو لو سأل لكان سؤاله تشنيعا على سيده فكذا سؤال العبد تشنيعا على الله تعالى ؛ وهذا ينبغي أن يحرم ولايحل إلا لضرورة كالميتة ، والثاني إنّ فيه إذلال السائل نفسه لغير مولاه وليس للمولى ان يذل نفسه إلا لله إلا لضرورة ؛ وكان الباقر عليه السلام إذا أعطى الفقراء أعطاهم من تحت حجاب فقيل له في ذلك فقال لئلا أرى ذل السؤال في وجوه السائلين وقال الصادق عليه السلام إنّ أمير المؤمنين عليه السلام بعث إلى رجل خمسة أو ساق من تمر وكان ذلك الرجل ممن يرجى رفده وكان لايسأل عليا عليه السلام ولاغيره شيئا ، فقال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام والله ماسألك فلان شيئا ولكان يجزيه من الخمسة الأوساق وسق واحد ، فقال له ياأمير المؤمنين عليه السلام لاكثر الله في المؤمنين مثلك ، اعطي أنا وتبخل أنت به ، إذا انا لم أعط الذي يرجوني إلا من بعد مسألتي ثمّ أعطيته بعد المسألة فلم اعط إلا ثمن ماأخذت منه ، وذلك لأنّي عرضته لان يبذل لي وجهه الذي يعفره في التراب لربي ولربه عزوجل عند تعبده له ، وطلب حوايجه إليه فمن فعل هذا باخيه المسلم وقد عرف أنّه موضع لصلته ومعروفه فلم يصدق الله عز وجل في دعاءه له حيث يتمنى له الجنة بلسانه ويبخل عليه بالحطام من ماله ، وذلك أنّ العبد قد يقول اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات فإذا دعى له بالمغفرة فقد طلب له الجنة فماأنصف من فعل هذا بالقول ولم يحققه بالفعل .

وروى صاحب كشف الغمّة أنّ رجلا جاء إلى الحسين عليه السلام وسأله حاجة فقال له ياهذا حق سؤالك يعظم لديّ وممعرفتي بما يجب لك تكبر لدي ، ويدي تعجز عن نيلك بما أنت اهله ، والكثير في ذات الله عزوجل قليل ، ومافي ملكي وفاء لشكرك ، فإن قبلت الميسور ورفعت عني معونة الاهتمام لما أتكلفه من واجبك فعلت، فقال يابن رسول الله أقبل القليل وأشكر العطية واعذر على المنع ؛ فدعا الحسن عليه السلام بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها ، فقال هاتي الفاضل من الثلثمائة الف درهم فاحضر خمسين ألفا ؛ قال فما فعل الخمسمائة دينار؟ قال هي عندي قال أحضرها؛ فأحضرها فاحضرها فدفع الدراهم والدنانيرإلى الرجل وقال هات من يحملها فاتاه بحمّالين فدفع الحسن عليه السلام إليه رداءه لكري الحمّالين ، فقال مواليه ماعندنا درهم ، فقال لكني أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم .

وروى أيضا عن المدايني قال خرج الحسن والحين عليهما السلام ، وعبد الله بن جعفر حجَاجا ففاتهم اثقالهم؛ فجاعوا وعطشوا فموا بعجوز ، فقالو هل من شراب؟ قالت نعم؛ فأناخواوليس لها إلا شويهة في كسر الخيمة ؛ فقالت إحلبوها وامتذقوا لبنها ، ففعلوا ذلك وقالوالها هل من طعام؟ قالت لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهييء لكم شيئا تأكلون فذبوحها فهيأت لهم طعاما فأكلوه؛ فلما ارتحلوا قالوا نحننفر من قريش نريد هذا الوجه ، فإذا رجعنا سالمين فألَمي بنا فإنّا صانعون إليك خيراثمّ ارتحلوا فأقبل زوجها فغضب على صنعها ، ثم بعد مدة ألجأتهم الحاجة إلى دخول المدينة ، فجعلا يبيعان البعر ويعيشان منه فمرت العجوز في بعض سكك المدينةفإذا الحسن عليه السلام على باب داره جالس ، فعرف العجوز وهي له منكرة ، فبعث له غلامها فردها، فقال يأمة الله تعرفيني ؟ قالت لا، قال انا ضيفك يوم كذا، فقالت العجوز بأبي أنت وأمي فأمر الحسن عليه السلامفاشترى لها من شاة الصدقة ألف شاة ، وأمر لها بألف دينار وبعث معها غلامه إلى أخيه الحسين عليه السلام، فقال بكم وصلك أخي الحسن ؟ فقالت بألف شاة وألف دينار فامرلها بمثل ذلك ؛ ثمّ بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر ، فقال بكم وصلك الحسن والحسين عليهما السلام ؟ فقالت بألفي دينار وألفي شاة فامر لها عبد الله بألفي شاة والفي دينار ، وقال لوبدأبي لأتعيتهما فرجعت العجوز إلى زوجها بذلك وفي بعض كتب العربيةانَ شاعرا أتى معن بن زايدة وهو في قصر إمارته فلم يجد إليه سبيلا ، فرأى نهرا يجري إلى داخل القصر ؛ فكتب هذا البيت بقرطاسةووضعها على خشبة وسيَرها الماء حتى ادخلها القصر ؛فاتفق أن معنا كان جالساعلى شاطيء النهرفرأى الخشبة وعليها القرطاسة، فأخذها وقرأ مافيهاوهو:

أياجود معن ناج معنا بحاجتي فليس إلى معن سواك شفيع

فخرج من قصره واستدعاه فأتى به فقال أنت الذي كتبت هذا الشعر ؟ فقال نعم ، فأمر له بمائة ألف درهم ؛ فأخذها ومضى إلى الخان ، فلمَا كان اليوم الثاني طلبه واخرج القرطاسة وقرأ ذلك الشعر وأمر له بمائة ألف درهم ، وبقي على هذا الحال خمسة أيَام ، ثمَ أن ذلك الشاعر خاف من ندامته على الدراهم فأخذها ومضى بها إلى البلد فطلبه اليوم السادس، فقيل له إنَه سافر فقال والله إنَ طالع خزانتي أقوى من طالعه فوالله لو بقي في البلد لأعطيته كل درهم ودينار في خزانتي ؛ فانظر إلى هذه السخاوة الجيدة .

الأمر الثالث في السؤال أنَه لاينفك عن إيذاء المسئول غالبا ؛ لأنَه ربَما لاتسمح له نفسه بالبذل عن طيبة قلب فإن بذل حياء من السائل ورياء فلعله يكون حراما على الآخذ ، وإن منع ربما استحى من المنع إذ يرى نفسه في صورة البخلاء ، ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان

جاهه وكلاهما مؤذيبان والسائل هو السبب في الأيذاء والأيذا حرام إلا لضرورة ، وقد اتضح بهذه الأمور الثلاثة معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلّم مسألة النّاس من الفواحش مأحلّ من الفواحش غيرها فسمّاها فاحشة ، ولاشك أنّما الفاحشة تباح عند الضرورة فقط.

وقال صلى الله عليه وآله وسلّم من سال عن غنى فإنّما يستكثر من جمر جهنّم ، ومن سأل وله مايعينه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم ، وماأحسن قول بعض العارفين بأنّ الفقير إذا أخذ مع علمه بأن باعث المعطي هو الحياء منه أو من الحاضرين ولولاه لما ابتدأه به يكون ذلك الأخذ حراما بلا خلاف فيه بين الأمة وحكمه حكم الآخذ من غيره بالضرب إذ لافرق بين أن يضرب جلده بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام ، وضرب الباطن أشد نكاية في قلوب العقلاء ؛ ولايجوز ان يقال هو في الظاهر رضي به ومدار الأحكام الشرعية على الظواهر ، لأن الفرق بين الصورتين ظاهر لايخفى ، نعم الإطلاع على البواطن عسر جدا لأن السائل ربما ظن أن المعطي راض وهو غير راض، ومن جهة هذا ترك المتقون السؤال رأسا؛ ولكن قرائن الاحوال ربما أطلعت السائل على بواطن بعض النّاس دون البعض، فإذا احتاج إلى السؤال فلا يسأل إلا من قامت له القرينة على حسن باطنه وإنّ عطاءه خال من الأمور، اما إذا علم السائل أو الوالي بأن المعطي إنّما اعطاه م فقره او لإضطراره الشديد كأن لايجد طعام ليلة أو أكثر أو أقل وكان عنده أزيد مما ظنّ به المعطي واعطاه لتلك الحالة فقد جزم أهل التحقيق بأنّ ذلك الطعام أو المال حرام على السائل ويجب عليها وعلى الوالي أن يرجعه إلى أهله، فإن لم يعرفوه تصدق لهم به على المساكين او صرفه في وجه من وجوه مصالح المسلمين، وينزل أخذ السائل مع إظهار الحاجة كاذبا كأخذ العلوي بقوله إني علوي وهو كاذب؛ فإنّه لايملك ماياخذ، وكأخذ الصوفي والصالح الذي يعطي لصلاحه وهو في الباطن يقترف معصية لو عرفها المعطي مااعطاه.

واما الشيء الذي يطلبه السائل فهو دائر بين أحوال أربعة أما أن يكون مضطرا إليه أومحتاجا إليه حاجة شديدةأو خفيفة او لاحاجة به إليه، أما المضطر إليه كسؤال الجائع عند الخوف على نفسه فهو واجب إلا أن يكون قادرا على الكسب وهو غير مشغول بتحصيل العلم بحيث يستغرق وقته فيه، وأما الذي لاحاجة به إلى السؤال فسؤاله حرام قطعا، وأمّا شدة الإحتياج كمن له جبة ولاقميص له تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد لكن لايبلغ تأذيه الضرر فهنا الأولى ترك السؤال ، وإذا سأل هذا ينبغي له الصدق في سؤاله كأن يقول ليس تحت جبتي قميص والبرد يؤذيني وانا أطيقه ولكن يشق عليَ وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصا يلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الخروق من ثيابه عن أعين الناس، ومن يسأل الإدام وهو قادر على

الخبز، أو أن يسأل كراء الفرس في الطريق وهو قادرعلى كراء الحمارفقد قيل إن كان فيه تلبيس حال بإظهار حاجة غير هذه فهو حرام، وإن لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة من الشكوى أو الذل أو إيذاء المسئول فهو حرام ؛ لأنّ مثل هذه الحاجة لاتصلح لأن يباح بها مثل هذه المحذورات ، وإن لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة .

فإن قلت كيف يمكن إخلاء السؤال عن هذه المحذورا ت؟ قلت ذكر له بعض أهل السلوك طريقا: وحاصله أنَ دفع الشكوى أن يظهر الشكر لله عند السؤال والإستغناء عن الخلق فلايسأل سؤال محتاج ولكن يقول أنا مستغن بماأملكه ولكن نفسي تطالبني بهذا ؛فيخرج به عن حد الشكوى ، وأما الخروج عن حد الذل فبأن يسأل شخصا لاينقصه ذلك في عينه ولايحتقره بسبب سؤاله ، وأما إيذاء المسئول فسبيل الخروج عنه هو أن لايعين شخصا حين السؤال بل يلقي الكلام مجملا بحيث لايقدم على البذل إلا متبرعا بصدق الرغبة وأما إذا سأل معينا فينبغي أن لايصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيل إلى التغافل إن أراد ؛ فإذا لم يتغافل مع القدرة عليه ذفلك دليل على رغبته به وينبغي للسائل أن يسأل من لايستحي منه لو رده أو تغافل عنه فإنَ الحياء من السائل يؤذي .

إذا عرفت هذا فاعلم أنَه قد سبق في الخبر تحريم السؤال عن ظهر غنى فما حد الغنى؟ وتحديده لايخلو من إشكال لإختلاف الأخبار، فقد ورد في الحديث إستغنوا بغناء الله تعالى، قالوا وماهو؟ قال غذاء يوم وعشاء ليلة، وفي خبر آخر من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب فقد سأل إلحافا، وفي حديث آخر أربعون درهما ، وينبغي تنزيل هذه الأخبار على الأحوال المختلفة.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لاحق لإبن آدم إلا في ثلاث: طعام يقيم به صلبه؛وثوب يواري به عورته ، وبيت يكنَه ، ومازاد فهو حساب ، وذكر هذه الأجناس الثلاثة مثالا لكثرة الإحتياج إليها وإلا فما بمعناها حكمه حكمها أيضا .

فأما الثواب فيراعى فيه مايليق بذوي الدين وهو قميص ومنديل وسراويل ومداس والثاني مستغنى عنه؛ وليقس على هذا أثاث البيت، وأما الطعام في اليوم فقدره في الشرع مد وأما المسكن فهو مايحتاج إليه من غير زينة ، وأما بالإضافة إلى الأوقات فمايحتاج إليه من الطعام في الحال مما لاشكَ فيه .

فأما السؤال لما سيأتي فالضابط فيه أنه إذا كان عنده طعام سنة فالسؤال حرام، وأما إذا كان أقل فله حالات ودرجات في الفضل والفضيلة حتى يبلغ الأربعين يوما فإذا كان عنده طعامها فلايسأل ، وأفضل من هذا كله ترك السؤال إذا كان عنده غداء يومه وعشاءه ، وفي الحديث

القدسي يابن آدم كما لاأطلب منك عمل غد في هذا اليوم فلاتطلب أنت منّي رزق غد في هذا اليوم ، هذا محصل الكلام في الفقر.

وأما مايوجبه فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أنه قال عشرون خصلة تورث الفقر ، أوله القيام من الفراش للبول عريانا ، والأكل جنبا ، وترك غسل اليدين عند الأكل ؛وإهانة الكسيرة من الخبز، وإحراق الفوم والبصل ، والقعود على أفنية البيت ، وكنس البيت بالليل وبالثوب، وغسل الأعضاء في موضع الإستنجاء ومسح الأعضاء المغسولة بالمنديل والكم ، ووضع القصاع والأواني غير المغسولة ، ووضع أواني الماء غير مغطاة الرؤوس ، وترك بيوت العنكبوت في المنزل ؛ واستخفاف الصلاة ، وتعجيل الخروج من المسجد؛ والبكور إلى التسوق ؛ وتأخير الرجوع عنه إلى العشاء، وشراء الخبز من الفقراء ؛واللعن على الأولاد، والكذب، وخياطة الثوب على البدن وإطفاء السراج بالنفس ، وفي خبر آخر والبول في الحمّام، والأكل على الجشاء، والتخلل بالطرفاء والنوم بين العشائين ، والنوم قبل طلوع الشمس ، ورد السائل الذكر بالليل ، والتمشط من قيام ، واليمين الفاجرة، وقطيعة الرحم وأما الزهد فهو إنصراف الرغبة عن الشيءإلى ماهو خير منه فإذا يستدعي حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوبا فيه بوجه من الوجوه ؛وبالجملة فلا يتصورالزهد إلا بالعدول غير المحبوب إلى الاحب والذي يرغب عن كل ماسوى الله تعالى حتى الفراديس فلا يحب إلا الله فهذا هو الزهد المطلق وأما الذي رغب عن الدنيا ولكن طمع في حور العين وقصورها فهذا أيضا زاهد ولكنه دون الأوّل .

وأما الذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك التوسع في الأكل ولايترك التجمّل في الزينة فلا يستحق إسم الزهد مطلقا وإن كان زهدا صحيحا كما أنّ التوبة عن بعض المعاصي صحيحة دون البعض الآخرعلى ماتقدم ، فإذن الزهد المبحوث عنه هو الرغبةعن الدنيا عدولا إلى الآخرة أو عن غير الله تعالىإليه تعالى، وإشترط بعضهم في المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه فإن ترك مالا يقدر عليه محال ؛ وقد يقوى اليقين في تلك النشأة حتى يبيع الرجل نفسه كما قال الله تعالى إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة ؛ ثمّ بين أنّ صفقتهم رابحة فقال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به.

وقد ورد في الأخبار أنّ عليا عليه السلام باع نفسه على الله تعالى ، وقد اشترط الله عليه وقت الشراء الصبر على ماأصابه بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الظالمين، وإلى ماذكرنا من أنه يشترط في الزهد الرغبة عن محبوب إلى أحب منه الإشارة بما روى أنّ رجلا قال في دعاءه اللهم ارني الدنيا كما تراها ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاتقل هكذا ولكن قل اللهم

أرني الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك، وذلك أنَ الله تعالى يراها حقيرة كما هي ، وأمأ العبد فيراها حقيرة في حق نفسه بالإضافة إلى ماهو خير له ؛وهذا هو الزهد فلابد في الثواب من أن تكون محبوبة له في نفسها حتى يتركها إلى غيرها ؛وليس من الزهد ترك المال وبذله لى سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب وإن كان كل ذلك من محاسن العادات ولامدخل له في العبادات ، وإنّما الزهد ات تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالإضافة إلىنفاسة الآخرة ، أما كل نوع من الترك فإنَه يتصور ممن لايؤمن بالآخرة .

وأما الاخبار الواردة في فضيلة الزهد فكثيرة جدا ، ففي الرواية عنه صلى الله عليه وآله وسلم من أصبح وهمَه الدنيا شتت االله عليه امره وفرَق عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنياإلا ماكتب الله له ، ومن اصبح وهمَه الآخرة جمع الله همَه وحفظ عليه ضيعته ، وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة ، وقال إبراهيم بن أدهم لشقيق بن إبراهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك ؟ قال تركتهم إن أعطوا شكروا وإذا منعوا صبروا؛ وظنَ أنَه لَما وصفهم بترك السؤال فقد أثنى عليهم غاية الثناء، فقال إبراهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا ؛ فقال شقيق فكيف الفقراء عندك ياابا إسحاق ؟قفال الفقراء عندنا إن منعوا شكروا وإذا أعطوا أثروا ، فقبَل رأسه فقال صدقت ياأستاذ وأمَا تفاصيل الزهد ودرجاته بالإضافة ألى نفسه فثلاث : الأولى ان يزهد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه إليها مايل ولكنَه يجاهد نفسه ويكفذها؛ وهذا يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد، وهذه هي الدرجة السفلى وصاحبها على خطر، فإنَه ربما تغلبه نفسه على العود إلى الدنيا .

الثانية الذي يترك الدنيا طوعا لإستحقاره إياها بالإضافة إلى ماطمع فيه كالذي يترك درهما لأجل درهمين فإنَه لايشق عليه ذلك، وهذا الزاهد يلتفت إلى زهده ويظن أنَه ترك شيئا له قدر إلى ما هو أعظم قدرا منه ؛وربَما أعجب بنفسه وزهده .

والثالثة وهي العليا التي يزهد طوعا ويزهد في زهده ولايرى أنَه ترك شيئا إذا عرف أنذ الدنيا لاشيء، فيكون عند نفسه كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فإنَه لايرى أنَ هذا معاوضة وأنه ترك شيئا بالإضافة إلى الله تعالى وإلى نعيم الآخرة؛ قيل ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أرباب القلوب وأهل المعرفة مثل من أراد الدخول على السلطان فمنعه كلبه عن الدخول ، فرمى إليه لقمة خبز فشغله بها فدخل على السلطان ونال على أعلى درجات القرب منه أفتراه يقدرأن يمنَ على الملك بأنَي أعطيت كلبك لقمة خبز حتى أنَك بلَغتني هذه الدرجة ، فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع النَاس من الدخول مع أنَ الباب مفتوح والحجاب مرفوع ، والدنيا كلقمة خبز بل

أقل بالنسبة إليَ ماأعد الله تعالى للزاهدين في دار النعيم ؛ فكل واحدة من هذه الدرجات لها درجات ؛وأمّا إنقسامه بالإضافة إلى المرغوب فيه فثلاث درجات أيضا .

الأولى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النّار ومن ساير الآلام كأن يسمع أنَ في جهنَم عقارب كالبغال المعلَقة وإنَ فيها حيّات لو نفخت منها حيّة في الدنيا لاذابت الجبال والأحجار ولما بقي على وجه الأرض رطب ولايابس إلا احترق، وإنَ الرجل ليوقف في الحساب حتى ولو وردت مائة بعير عطاشى على عرقه لصدرن رواء؛ فهذا زهد الخائفين وسمّى الصادق عليه السلام عبادة هؤلاء بأنها عبادة العبيد وهو الخوف من عقاب المولى وهذه هي الدرجة السفلى

الثانية ان يزهدرغبة في ثواب الله تعالى واللذات الموعودة في الجنة فهذا زهد الراجين ؛وسمى مولانا الصادق عليه السلام عباداتهم بأنهاعادة التجار؛فهؤلاء لاخطوا مع الخلوص من العذابنيل الثواب .

الثالثة وهي العلياان لايكون له رغبة الافي الله تعالى وفي رضائه ولقاءه ، وهذا هو التوحيد الحقيقي الذي أشار إليه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله ما عبدتك خوفا من نارك ، ولاطمع في جنّتك ولكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك ، وهذه الدرجة لايمكننا نيلها ولو قلبا بألسنتنا أنَ هذه الدرجة هي مقصودنا ، لكذّبنا الوجدان ، فلسان الحال يكَذب لسان المقال ، وإلى هذه الدرجات الإيماء بقوله تعالى قل للذي كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنَم وبئس المهاد ، ثمَ قال في ذلك السياق الذين اتقوا عند ربهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، وفي موضع آخر يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم؛ والإشارة إلى القريب وفي آية أخرى بعد أن ذكر ماهيأ لهم من مراتب النعيم : ورضوان من الله أكبر ؛ وذلك لعلمه سبحانه بأختلاف مطالب خلائقه وتشتت طبائعهم .

وروي أنَ عيسى عليه السلام جلس في ظلَ حايط إنسان فأقامه صاحب الحائط ، فقال ماأقمتني أنت إنّما أقامني الذي لم يرض لي أن أتنعم في ظل الحائط.

فإن قلت ذكرت أنَ الزهد ترك ماسوى الله تعالى فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس فإنَ هذا إشتغال بما سوى الله ؟ قلت معنى الإنصراف عن الدنيا وهو الإقبال بالقلب على الله تعالى ولايتصور ذلك إلا بضروريات الحياة ؛ فإذا كان المقصود بتلك الأمور التوصل إلى جناب الحق تعالى كان الإشتغال بها مثل إشتغال الحاج بإصلاح أحوال ناقته وعلفها في طريق الحج ، فإنَ الغرض منه التوصل إلى مكّة فهذا مما لاينافي الزهد وضروريات الإنسان في حياته كثيرة؛فمنها المطعم وذلك لأنَ الإنسان لابدَ له من طعام حلال يقيم به صلبه،

وللإنسان في هذا أحوال : الأ، لى وهو الأعلى(اعلاها) ان يقتصر على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع ودفع المرض فإذا استقلَ بما تناوله لم يدّخر من غذائه لعشائه ، الثانية أ، يدّخر لشهر أولاً ربيعن يوما ، الثالثة أن يدّخر لسنة فقط ؛ وهذه رتبة ضعفاء الزهّاد ومن ادّخر لأكثرمن ذلك لايسمّونه زاهدا .

وعن واحدة من زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت كانت تأتي أربعون ليلة ومايوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مصباح ولانار ، قيل لها فبم كنتم تعيشون؟ قالت بالأسودين التمر والماء، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف؛وينتعل المخصوف ويلعق اصابعه ويأكل على الأرض، ويقول إنّما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد، وقال عيسى عليه السلام بحق أقول أنّه من طلب الفردوس وخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير، وكان يقول يابني إسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير ، وإيّاكم وخبز البر فإنّكم لن تقوموا بشكره .

ومنها الملبس وأقل درجاته مايدفع الحر والب د ويستر العورة وهو كساء يتغطى به وأوسطه قميص وقلنسوة ونعلان ، وأعلاه أن يكون معه منديل وسراويل ، وماجاوز هذا من حيث المقدارفهو عنهم متجاوز حد الزهد، وشرطوا في الزاهد أن لايكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت ، وقيل لسلمان الفارسي رحمه الله مالك لاتلبس الجيد من الثياب ؟ قال ومالعبد والثوب الحسن فإذت أعتق فله والله ثياب لاتبلى أبدا .

ومنها المسكن وله فيه ثلاث درجات أعلاها أن لايطلب موضعا خاصا بل يقنع بزوايا المساجد ؛ واوسطها أن يطلب موضعا خاصا مثل كوخ مبني من سعف أو من خص أو مايشبهه ؛ وأدناها أن يطلب حجرة مبنية أمّا بشراء أو بأجارة، وقد اتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو بنيت ؟ فقال هذا لمن يموت كثير.

ومنها أثاث البيت وللزهد فيه أيضا درجات واعلاها حال عيسى عليه السلام إذ كان لايصحبه إلا مشط وكوز ؛فرأى إنسانا يمشّط لحيته بأصابعه فرمى المشط ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه؛ فرمى الكوز؛وهذا حكم كل أثاث فإنذه إنّما يراد لمقصود فإذا استغنى عنه فهو وبال في الدنيا والىخرة ، ومالايستغني عنه ينبغي أن يقتصر منه على أقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه ولايبالي في ان يكون مكسور الطرف وأوسطها أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد ؛ وادناه أن يكون له بعدد كل حاجة (حالة) آلة من الجنس الخسيس فإن تجاوز هذا القدر خرج عن أبواب الزهد.

ودخل رجل على أبي ذرفقال ياأبا ذر ماأرى في بيتك متاعا ولاغير ذلك من الاثاث ، فقال إنّ لنا بيتا نوجه صالح متاعنا إليه، فقال إنّه لابدّ لك من متاع مادمت هيهنا ، فقال ،نّ صاحب المنزل لايدعنا فيه، وفرشت عائشة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فراشا جديدا وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم ينام على عباءة مثنية فمازال يتقلّب ليلته ، فلمّا اصبح قال لها أعيدي العباءة الخلقة ونحّي هذا الفراش عني قد أسهرني الليلة.

ومنها المنكح وكان أزهد الناس النبي والأئمة عليهم السلام وقد نكحوا النساء، لكن الحق أنهم كانوا عالمين بعدم شغل النساء لهم عن الله سبحانه ، والأولى في الزهد الأقتصار على واحدة طلبا للنسل وحرصا على سنته صلى الله عليه وآله وسلم وماورد فيه من الثواب ، وبالجملة فمايحتاج إليه الأنسان في حفظ الحياة مما لاينافي الزهد بل يؤكده ويحققه ، روي أنّ الخليل أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فأوحى الله تعالى إليه لو سألت خليلك لأعطاك، فقال يارب عرفت مقتك للدنيا فخفت أن أسألك منها شيئا ؛فأوحى الله تعالى ليس الحاجة من الدنيا .

وروى الكليني طاب ثراه انّ رجلا سأل عن علي بن الحسين عليه السلام عن الزهد فقال عشرة أشياء فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع ، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين ، واعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا، ألا وإنّ الزهد في آية من كتاب الله : لكيلا تأسيوا على مافاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم ؛ هذا مجمل الكلام في الزهد .

وأمّا التوكل فهو مقام عظيم ومسلك من مسالك الموقنين ، وقد صرّحت به الأخبار النبويّة والآيات القرآنية، قال صلى الله عليه وآله وسلم لوأنّكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا ، واما الخليل عليه السلام فروي أنّ جبرئيل عليه السلام جاء إليه وقد رمي إلى النّار من المنجنيق فقال له الك حاجة؟ فقال إمّا إليك فلا قال له اسأل ربّك حتى ينجيك من نار نمرود ، قال يكفي علمه بحالي عن سؤالي ، فرجع جبرئيل فقال تعالى للنار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ، وهذا كان فائدة توكله على مولاه .

واعلم أنه او ادعى رجل دعوى لبّسها على رجل آخر وأراد الرجل المدعى عليه أن يوكل وكيلا في رفع تلبيس دعوى ذلك الرجل الآخر لعلمه أوظنّه بأنه هو لايقدرعلى جواب تلك الدعوى الملبسة فهو يقصد أن يكون في الوكيل نهاية الهداية والقوّة والفصاحة والشفقة، أما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس ، وأما القوّة فليستجري على التصريح بالحق ولاياهن ولايجبن ، وأمّا الفصاحة وهي قدرة اللسان فليكون بها قادرا على حلّ عقدة التلبيس ، وأمّا غاية الشفقة فليكون بها باذلا كل مجهوده في حقّه؛ فإن كان شاكا في هذه الأربعةأو في واحد أو جوّز أن يكون

خصمه أكمل في هذه الأربعة من الوكيل ، لم تطمئن نفسه إلى وكيله؛وتتفاوت أحواله في شدّة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوّة إعتقاده لهذه الخصال في وكيله ، وإذا وقع في يده مثل هذا الوكيل إعتمد عليه وفوّض كشف ذلك التلبيس إليه ، فإذا كان حاله هذا في حال رجل مثله ربما يظن فيه مثل هذه الامور وكان الواقع خلافها فكيف لايوكل من يعلم أنّه قد بلغ من هذه الخصال الأربع غايتها وهو جناب الحق سبحانه ، فيجعله وكيله فيما يعتريه من تلبيسات الشيطان ومن ألاسباب التي يحتاج إليها في عالم حياته في كلّ أوان ، وليفهم معنى قوله لاحول ولاقوة إلا بالله فإذا تفهم هذا المعنىقوي باعث توكله على الله تعالى في جميع الأمور ، وهذا اليقين حاصل لأكث النّاس ؛ نعم قد يضعف اليقين بانضمام الأوهام إليه فغنّ القلب قد ينزعج بتبعية الوهم ، فإنّ العاقل لو كلّف المنام مع الميت في بيت واحد لربّما جبن قلبه وخاف منه مع علمه بإنّه جماد وأنّه لافرق بينه وبين الأحجار الموضوعة في البيت، وإذا عرفت هذا فاعلم أنّ لتلك الحالة ثلاث درجات الأولى ماذكرناه، وهو أن يكون حاله في الثقة على الله والإعتماد على كفالته كحاله في الثقة بالوكيل.

الثانية وهي أقوى أن يكون حاله مع الله كحال الطفل مع أمّه فإنّه لايعرف غيرها ولايفزع إلى أحد سواها ، وإذا رآها تعلق بذيلها وإن نابه أمر في غيبتها كان أول سابق إلى لسانه؛ فهو قد وثق بشفقتها ثقة ليست خالية عن نوع إدراك بالتميز الذي له ، ويظنّ أنّه طبع من حيث أنّ الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلفيق لفظه ولا على إحضاره مفصلا ولكن كل ذلك وراء الإدراك والفرق بين هذه الدرجة وماقبلها أنّ هذا متوكل وقد فنى في توكله عن توكله إذ ليس قلبه يلتفت إلى التوكل وحقيقته بل إلى الوكيل ، وأما الأول فمتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله بل له إلتفات إليه وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده.

الثالثة وهي القصوى و يأن يرى نفسه بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي المغسّل فإنّه يقلبه كيف شاء والإختيار إنّما هو إليه لاغير وهذا يفارق الصبي فإنّ الصبي يفزع إلى أمّه ويصيح إليها بل هذا مثاله مثال من علم أنّه إن ترك الأم فهي لن تتركه وتبتدر بجميع أنواع المنافع، وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء إعتمادا على كرمه وعنايته كما نقلنا عن الخليل عليه السلام وصاحب هذه الرتبة لايبقى له تدبير في أموره بل الله تعالى هو المدبّر لأموره كما قاله أرباب السلوك.

وأما صاحب الدرجة الثانية فينبغي له تدبير مايأمره به الوكيل وإن كان قد ترك تدبير مايأمره به غيره، ومن هنا قال الصادق عليه السلام التوكل هو أن تعقل بعيرك وتتوكّل على الله

تعالى في حفظه ، وأمّا صاحب الدرجة الأ، لى وهو لايزال في التدبير من الوكيل وغيره ، فظهر بهذا أنَ التوكل لاينافيه الأعمال بل ربّما يحققه ، نعم إذا سعى الإنسان في مجاهدات نفسه حتى بلغ الدرجة الثالثة كان غير محتاج إلى التبير والأعمال ولكنّه هنا قد عمل أشقَ الأعمال ودبّر فوق كل تدبير وهو المجاهدة مع النفس حتى وطّنها على تلك الدرجة، فهذا غير مناف لما أمر الله سبحانه به من السعي لطلب الأرزاق، فإنَ مثل هذا السعي أشدَ من ركوب البحار وقطع القفار كما لايخفى على من له أدنى إنصاف، وأمّا أعمال المتوكلين فاعلم أن الأسباب التي بها تجلب المنافع ثلاث درجات أيضا مقطوع به ومظنونا ظنّا يوثق به وموهوم وهمّا لاتثق به النفس .

الدرجة الأولى المقطوع بها وذلك مثل الأسباب التي إرتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته إرتباطا مطردا لايختلف ، كما إذا كان الطعام موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج ولكنّك لست تمد يدك إليه وتقول أنا متوكل وشرط التوكل عدم السعي ومد اليد إلى الطعام سعي وحركة ، كذلك مضغة بالأسنان فهذا سفه وجنون وليس من التوكل في شيء بل التوكل في هذه الصورة هو أن تمدَ يدك وتاكل ويكون توكلك هذا علىفضله سبحانه حتى لاتجفَ يدك في الحال، ولاتفلج وليصيبك مايفزعك في حال الأكل .

الدرجة الثانية الأسباب التي ليست متعينة لكنَ الغالب أنَ المسببات لاتحصل بدونها كالذي يفارق الأمصار والقوافل ويسافر بالبوادي التي لايطرقها الناس إلا نادرا ويكون سفره من غير إستصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنّة الولين؛ ومن هذا كان الخواص إذا سافروا في القفار لاتفارقهم الإبرة والمقراض والحبل والركوة، وذلك لأنَ الأغلب في البوادي أنّها خالية من هذه الأربعة التي يحتاج إليها المسافر، ولو انحاز رجل إلى شعب من شعاب الجبل خال من الماء والكلأ والساكن وجلس متوكلا فهو آثم؛ كماروي أنَ ذزاهدا من الزهّاد فارق الأمصار واقام في سفح جبل سبعا ؛ وقال لاأسأل أحدا شيئا حتى يأتيني ربي برزقي ؛ فقعد سبعا فكاد يموت ولم يأته شيء، فقال يارب إن أحييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي وإلا فاقبضني إليك، فأوحى الله تعالى إليه وعزتي لاأرزقنّك حتى تدخل الأمصار وتعقج بين النّاس فدخل المصر وأقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب فأوجس في نفسه من ذلك ، فأوحى الله تعالى إليه أردت أن تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا ؛أما علمت أن رزق عبدي بأيدي عبادي أحب إلي من بيد قدرتي ، فإذن ترك الأسباب مراغم للحكمة لكن الإعتماد على الله سبحانه

كما روي أن عيسى عليه السلام قال انظروا إلى الطير لاتزرع ولاتحصد ولاتدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فإن قلتم نحن أكبر بطونا فانظروا إلى الأنعام كيف قيض الله لها هذا الخلق

الدرجة الثالثة ملابسة الأسباب التي يتوهم إفضاؤها إلى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الأكتساب ووجوهه وذلك يخرج عن درجات التوكل كلها كما هو الغالب على النّاس ؛فإذا ظهر أنَ الأسباب منقسمة إلى مايخرج التعلق بها عن التوكل وإلى ما لايخرج وإن الذي لايخرج ينقسم إلى مقطوع به وإلى مظنون والمتوكلون في ملابسة هذه الاسباب على ثلاث مقامات؛الاول مقام الخواص وقد مثّله اهل السلوك بالذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه في تيسير ما يمسك حياته ولو كان من بقول الارض وحشيشها، المقام الثاني ان يقعد في بيته او في مسجد ولكنه في القرى والامصار فهذا أضعف من الاول ولكنه ايضا متوكّل لأنه تارك للكسب والأسباب الظاهرة معتمد على فضل الله تعالى في تدبير أموره .

المقام الثالث أن يخرج ويكتسب إكتسابا رفيقا جميلا وهذا المقام هو الممدوح الوارد في الشريعة الذي أراده صلى الله عليه وآله وسلم من قوله إلا أن الروح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولايحملنّكم استبطاء شيء من الرزق على أن تطلبوه من الحرام فإنَ اله سبحانه قسَم الأرزاق بين عباده حلالا ولم يقسَمها حراما ، نعم من ترك الكسب إذا كان مستغرقا وقته في العلم أو العبادة كان له وجه في الجملة، مع إنَ الواردة عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام أنَ التكسب للعيال والأخوان أفضل من العبادة، نعم لايكون إعتماده على الكسب وعلى آلاته بل على ذلك الكفيل.

روي أنَ العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر اله إليه من فوق عرشه فيصرفه عنه ، فيصبح كئيبا حزينا يتظنن بجاره وابن عمّه من شيَعني من دهاني وما هو إلا رحمة رحمه الله تعالى بها ؛ وهذا مجمل الكلام في هذا المقام والله المستعان

خاتمة هذا البحث في الرزق ، إعلم أن الذي إتفق عليه أصحابنا رضوان الله عليهن والمعتزلة أنَ الرزق هو ماصحَ إنتفاع الحيوان به بالتغذي أو غيره ؛ فليس لأحد منعه فالحرام على هذا ليس برزق ؛وعند الاشاعرة كلما إنتفع به حي سواء كان بالتغذي أو بغيره مباحا كان أوحراما وقال الأشاعرة في الإستدلال لو لم يكن الحرام رزقا لم لم يكن المغتذي به طول عمره مرزوقا ، وليس كذلك لقوله تعالى، وما من دابّة في الأرض إلا على الله رزقها .

والجواب عن هذا ظاهر وهو أن المغتذي في الدنيا لايجوز أن يكون مغتذيا بالحرام طول عمره ، وذلك أن أيام الرضاع اللبن ليس بحرام عليه وفي كل أوقاته التنفس في الهوى ليس بمحرَم عليه أيضا مع أنَ الرزق على قسمين : منه ماكان غذاء للابدان ومنه وهو الأكمل الأعظم ماكان غذاء للأرواح كالعلوم والكمالات وهذا هو الغذاء الباقي بعد فناء الابدان وغذائها ، وبسببه

حرم الإعلام من كثرة الغذاء الأبداني لوجود الأرواح عندهم، وعلى هذا فالعلماء مرزوقون الرزق الأكمل ؛ وحينئذ فقوله :

كـم عــالم عــالم أعيــت مذاهبــه وجاهــل جاهــل تلقــلاه مرزوقــا
هــذا الــذي تــرك الأوهــام حــائرة وصــيّر العــالم النحريــر زنــديقا

ممالا ينبغي وذلك لأنّ العالم اكثر رزقا من الجاهل وإن كان له ملك كسرى أوقيصر، ومن كان له حظ من الإنصاف وكان له نوع اطلاع على بعض العلوم يعلم أنه لوأتى إليه جاهل سيّما الأحمق وكان عنده من المال مالايحصى، وقال أريد أن اعاوضك هذا المال الوافر بهذا العالم القليل الذي تعرفه لم يقبل ذلك العالم بل يرجع عليه ماله وذلك لأنّ الأموال لذّات خيالية ومايصل إلى مالكها منها إلا تعب الأرواح والأبدان والعلم لذّة حقيقية لايزال يصعد بصاحبه حتى يرقيه فوق مراتب الملوك والسلاطين ، وهل رأيت عالما عزل عن سرير علمه ؟وكم رأيت سلطانا عزل عن سرير ملكه وتاجر أغرق ماله أو سرق فبقي يتكفف الناس

ونظير هذا ماروي من أن رجلا من فقراء الشيعة أتى إلى الأمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فشكى إليه الفقر ، فقال له عليه السلام انت من شيعتنا تدعي الفقر شيعتنا كلهم أغنياء ، ثمّ قال له يافلان أنت(إنّ) لك تجارة قد أغنتك؛ فقال وماهي ؟قال لوأنّ رجلا غنيا قال لك أعطيك ملأ الدنيا فضة وتحول عن ولاية أهل البيت إلى ولاية غيرهم أكنت فاعلا قال لا يابن رسول الله ولو ملأت الدنيا لي ذهبا ، فقال عليه السلام إذن لست فقيرا وأنما الفقير من ليس له مالك ، ثمّ وصله بمال .

وروي انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوما لأصحابه من الفقير؟ قالوا الذي لادرهم له ولادينار ؛ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس هذا هو الفقير ، وإنّما الفقير الذي يؤتى به في عرصات القيامة ضاربا لهذا وشاتما لهذا وغاضبا من هذا ؛ فإن كان له شيء من الحسنات أخذت منه ودفعت ألى المضروب والمغصوب منه والمشتوم ، وإن لم يكن له حسنات أخذت ذنوبهموجعلت في عنقه ، أقول وذلك قوله تعالى وليحملنَ أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم .

ولنرجع إلى مانحن بصدده ، فنقول أن خطبته صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع قد رواها العامّة والخاصة وهي صريحة فما ذهبنا إليه غير قابل للتأويل ، رواها شيخنا الكليني طاب ثراه بإسناده ألى الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال :قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع ألا أنّ الروح الأمين نفث في روعي أنه لاتموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملو في الطلب ، ولايحملنّكم استبطاء شيء من الرزق أن

تطلبوه بشيء من معصية الله ، فإنّ الله تعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالا ولم يقسمها حراما ، فمن اتقى الله وصبر أتاه رزقه من حله ومن هتك حجاب ستر الله عز وجل وأخذه من غير حلّه قص به رزق الحلال وحوسب عليه يوم القيامة ، وأما مايترآى من بعض الأخبار التي أطلق عليها لفظ الرزق على الحرام فسبيله التأويل وارتكاب المجاز جمعا بين الأخبار ، مع أنّ الله سبحانه قال في كتابه العزيز ومما رزقناهم ينفقون ، فمدحهم على هذا الإنفاق ولامدح لمن أنفق من الحرام .

بقي الكلام في أن الرزق هل ينقص يزيد بتفاوت السعي ونقصانه ام لا؟ وظاهر الأخبار المعتبرة أنّه إذا ضمّ إليه السعي القليل المأمور به كان غير قابل لهما بل لايصل إليه إلا ماقدّر له ، وفي دعاء الصحيفة وجعل لكل أرواح منهم قوتا معلوما مقسوما من رزقه لاينقص من زاده ناقص ولايزيد من نقص منهم زايد ، وفي الحديث أنّ أرزاقكم تطلبكم كما تطلبكم آجالكم فلن تفوتوا الأرزاق كما لم تفوتوا الآجال ؛ نعم لو جلس الرجل في بيته وترك الطلب فهل يجب على الله سبحانه إيصال الرزق إليه أم لايجب؟ قال بعضهم بوجوب القدر الضروري وهو مايمسك به الحياة ؛ وقال بعضهم لايجب إلا لمن ألقى عنان التوكل إليه لقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، والحق إنّ مثل هذه الأيصال غير واجب عليه سبحانه ، نعم ربما تفضل به ولا مانع من التفضل .

في الحديث أنّه لما نزل قوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها قال أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنّ ربنا قد تكفل بأرزاقنا فلا نتعب في طلبها فغلقوا عليهم الأبواب وجلسوا في بيوتهم، فنزلت آية السعي في مناكب الأرض وأطرافها ، ففتحوا الأبواب وسعوا في تحصيل الأرزاق ، ومن هنا كان المحدّثون من أصحاب النبي والأئمة عليهم السلام أهل حرفة وكسب وتجارة ؛ نعم ذاك زمان وهذا زمان وذلك أن العلم كان علم الكلام والحديث وكانت عين الحياة موجودة عندهم يردونها في كل أوقاتهم ولا كانوا مثلنا يحتاجون إلى الاجتهاد في المسائل عند تعارض الأدلّة ؛ ولاكانوا يحتاجون إلى صرف أكثر أوقاتهم في الفحص عن أحوال العلوم ومقدماتها من العربية والمنطق واللغة إلى غير ذلك من علوم الإجتهاد الإثنى عشر علما ؛وقد اشتهر أن العلم نقطة كثرها الجاهلون وقد قلنا سابقا بدله أن العلم بسيط ركّبه العالمون ، فمن هذا لم يسع العلماء في هذه الأعصار الجمع بين الكسب للمعاش وتحصيل العلوم الكثيرة إلى أن يبلغوا درجة الأجتهاد فلا جرم وكلّوا أمور معاشهم إلى خالقهم وهو رازقهم وعليه فليتوكل المتوكلون ؛ وقد تتبعنا أكثر موارد الرزق وأسبابه فلم نر سببا أجلب للرزق من الصدقة ، فإن الوفاء حاضر وهو عشرة أو سبعون إلى سبعمائة عوض الواحد ، فمن أراد تصديق هذا فليتصدق على فقير بدرهم وينظر كيف يجازيه ربه في ذلك اليوم أو غده مع مايدّخر له من الأجر الجزيل والثواب

الجميل ، وماأحسن قول الشاعر في شأن أكثر أرزاق الجهال وسمو مكانهم ؛ وفقر العقلاء واتضاعهم

الدهر كالبحر يعلو وفقه جيف ويستقر بأقصى قعره الدرر
وفي السماء نجوم لاعداد لها وليس يكسف إلا الشمس والقمر

وهذا هو الذي جلب الدواهي إلى العقلاء ونفخ قلوبهم، وقرقر بطونهم وقال بعض مشائخنا من أهل الظرافة:

قلت لنحوي وفي بطنه قرقرة ماهذه القرقرة
فقال ياجاهل في نحونا هذا تسمى الضرطة المضمرة

وقال سيدنا المرتضى قدس اله روحه في عتاب الدنيا:

عتبت على الدنيا فقلت إلى متى أكابد ضرا همه ليس ينجلي
اكل شريف قد على بجدوده حرام عليه الرزق غير محلل
فقالت نعم يابن الحسين رميتكم بسهم عناد حين طلقني علي

وبالجملة شأن الدنيا ومدارها اعاننا اله وإياكم من خدائعها .

نور في احوال الملوك والولاة وكيفية ماينبغي لهم من السلوك في أنفسهم ومع رعيتهم ومايلحق بهذا

إعلم أيدك الله ووفقك أن قوله تعالى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء ؛ دليل على أن امور الملك مقدرة في عالم الملكوت ، وذلك أنا رأينا من أتعب نفسه وبذل ماله في تحصيل ملك أو ولاية فلم يصل إليها وبلغه غيره بلا تعب وبذل مال ، هذا مايقتضيه ظاهر لفظها ، وأما بطن الآية فقد ورد في الخبر أن المراد بالملك الذي يؤتيه الله من يشاء هو الملك الواقعي الذي يكون الله تعالى به راضيا وهو ملك آل محمد عليهم السلام وتوابعهم ، فهو الملك الذي آتاهم ولم يؤته غيرهم .

قال الصادق عليه السلام وأما ملك بني أمية فقد غصبوه من آل محمد ، وذلك كما أن الرجل له ثوب فيأتي إليه رجل فغصبه إياه فالله تعالى لم يؤته ذلك الثوب وإنما تعدى في أخذه

وغضبه ، وحاصل معنى الآية حينئذ أن إعطاء الملك بيدك فمن كان في علمك قابلا له نوهت بإسمه في هذا العالم وقررت أن يكون هو الملك والسلطان كأهل البيت عليهم السلام والمجتهدين من شيعتهم بعدهم ؛ ومن لم يكن في علمك قابلا للملك كأعداء آل محمد ومخالفيهم نزعته عن الملك وما أعلمت العباد إلا بعدم استحقاقه للملك ؛ فإن الخليل عليه السلام لما جعل ملكا وسلطانا وإماما لكافة الناس أراد إبقاء هذا الملك في ذريته فقال ومن ذريتي ، فأجابه تعالى لاينال عهدي الظالمين ، فأسمعه في القديم أنَ من كان ظالما كان معزولا عن الملك والدولة والإلهية، فلينظر الوالي والملك الموالين لأهل البيت عليهم السلام فإن كانوا من أهل الظلم والتعدي كانوا في معزل عن أن يكونوا قد آتاهم الله الملك ، وإن كانوا من أهل العدل وفي مقام قضاء حوائج الشيعة والتحنن على فقرائهم فليعلموا أنه ملك من الله سبحانه ودولة ساقها الله إليهم فيجب عليهم القيام بشكرها واعلم أنه ينبغي للولاة والسلاطين أن يجعلوا لهم وقتا خاصا مع ربهم يتضرعون فيه إليه وينزعون ثياب الملك ويلبسون الثياب الخشنة ويقرون له بالعبودية ليكون كفارة ماأظهروه من الجبروت في حضور الخلايق ، وقد نقل أهل السير والتواريخ أن عمر بن عبد العزيز كان له في كل يوم بيت يدخله وحده ويغلق عليه بابه ويلبث فيه كثيرا ثم يخرج منه ، فلما توفي وجلس في مكانه يزيد بن عبد الملك سأل خواص بن عبد العزيز عن خزانته ؛ فقالو لانعلم له خزانة ولكن له موضع كان يتفرد به وحده فلعل خزانته تكون هناك ، فلما ذهبوا إلى ذلك البيت وفتحوا قفله رأوه بيتا خاليا من الفروش أرضا بيضاء وفيه مكان مفروش بالتراب فوق الأرض مقدار ما يصلي فيه الإنسان عنده ثياب خشنة بعضها من الليف وبعضها من الكرباس الغليظ ؛ وفوقها طوق من الحديد كان يضعه في عنقه ويلبس تلك الثياب ويجلس فوق ذلك التراب للبكاء والتضرع

ونقل مثل هذا وامثاله من أطوار الملك الجليل الشاه عباس الأول أسكنه الله بحابيح الجنان وحكى رجل كان يخدمه لما كان ذلك الرجل صغير السن، قال أمرني ذات يوم بحمل الإبريق معه ليتطهر به من البول قال ذلك الولد فحملته ومشيت خلفهحتى صعد إلى سطح عال في بيوته ، فلما انتيت معه إلى أول السطح أخذ الإبريق من يدي وقال لي أجلس هنا حتى أرجع إليك؛ فأجلسني في مكان لاأراه فيه فغاب عني طويلا حتى خفت عليه ؛ فلحقته فرأيته ساجدا وهو يبكي وخده ملصق بالأرض وقد صار تحته شبه الطين من الدموع ، ثم رفع رأسه وغضب علي فاعتذرت إليه إني خفت عليك بطول مقامك على السطح فصببت الماء على يديه وغسل وجهه ، فلوى أذني وقال لايخرج منك شيء وإن سألك أحد من الخدام والعبيد فقل كان الشاه يلوط بي .

وقد عرفت أن العبادة هي التواضع لله سبحانه وأول من سبقهم بهذا ملك الملوك وسلطان السلاطين مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، لقد كان له حالات مع ربه في أوقات خاصة يجلس فيها على التراب ويتذرع إلى الله تعالى .

وفي الرواية عن عروة بن الزبير قال كنا جلوسا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان ، فقال ابو الدرداء ألا أخبركم بأقل القوم مال وأكثرهم ورعا وأشدهم اجتهادا في العبادة ؟ قالوامن؟ قال علي بن أبي طالب ، قال رأيته في حايط بني النجار يدعو بدعوات ، وذكر الدعوات إلى أن قال ؛ ثم انغمر في البكاء فلم أسمع له حسا ولاحركة ؛ فقلت غلب عليه النوم لطول السهر واوقظه لصلاة الفجر فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة ؛ فحركته فلم يتحرك ؛ فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون مات والله علي بن أبي طالب ، فأتيت منزله مبادرا أنعاه إليهم، فقالت فاطمة ياابا الدرداء ماكان من شأنه وقصته ؟ فاخبرتها الخبر فقالت هي والله ياأبا الدرداء الغشية التي تأخذه من غشية الله ، ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق ونظر إليّ وأنا أبكي ، فقال مابكاؤك ياأبا الدرداء ؟ فقلت بما أراه تنزله بنفسك فقال ياأبا الدرداء فكيف فقال ياأبا الدرداء فكيف اذا رأيتني أدعى إلى الحساب وأيقن أهل الجرائم بالعذاب واحوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ فوقفت بين يدي الملك الجبار قد أسلمني الأحباء ورفضني أهل الدنيا لكنت أشد رحمة لي بين يدي من رتخفى عليه خافية ، فقال أبو الدرداء فوالله مارايت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ولايجوز للولاة أن يقولوا نحن ملوك ولم يطلب اله تعالى منا العبادة وإنما أراد منا العدالة ، فيدلهم الشيطان بغروره ويستفزهم ، بل يجب أن يتصوروا بأن كلما عظمت النعمة على العبد عظم تكليفه بالشكر عليها ، ولاشكر إلا الطاعة والعبادة والإحسان إلى العباد ، وينبغي أن يعلموا أن طاعتهم من الصلاة والصوم ونحوها يترتب عليها من الثواب الكامل مالايترتب على غيرها وذلك لكثرة المشقة عليهم في تحملها لما تعودوا عليه من التنعم والتلذذ .

وروي أن أفضل الأعمال أحمزها ، وينبغي لكل وال من الولاة أن يميل إلى حب العلماء والأخيار وأن يكثر مصاحبتهم ومجالستهم ويختار له صاحبا منهم ؛ ويكون عالما ورعا سليم النفس ، راغبا في قضاء حوايج المؤمنين ليجلب للوالي أسباب الثواب.

اما حب العلماء فلما روي من قوله صلى الله عليه وآله وسلم كن عالماً او متعلماً او محبّاً لأهل العلم ولاتكن الرابع فتهلك، وفي الحديث ان من احب حجراً حشره الله معه والمرء مع من احب، وقال عليه السلام ان الله يغفر للمؤمنين ولمحبيهم ولمحبي محبيهم، فهذا من أفضل الأعمال للولاة وغيرهم، واما مجلستهم فلما ورد في الخبر من ان جلوس ساعة واحدة مع العالم يعدل من

الثواب مالايحصى وان النظر الى العلماء عبادة، واما اختيار صاحب منهم بتلك الأوصاف فليكون واعظاً له مذكراً له في احوال الغفلات لكثرة مشاغله فيحتاج الى الواعظ والمذكّر، وهكذا كان احوال الملوك والسلاطين في الأعصار الماضية.

وينبغي ان يعظه برفق، روي ان عابداً دخل على معاوية ليعظه، فقال يافاسق ياكلب هكذا تظلم الناس وأطال الكلام معه، فقال له معاوية ياعابد انت افضل من موسى نبي الله ام هو افضل منك؟ فقال بل موسى خير مني، فقال له وأنا أشقى ام فرعون؟ فقال بل فرعون، فقال انّ فرعون لما ارسل الله اليه واعظين وهما موسى وهارون قال لهما {فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى} فأمرهما الله سبحانه بالكلام اللّين وأنت تعظني بهذه الخشونة، وليكن هم المصاحب للوالي ان يقص عليه احوال الملوك والولاة المتقدمين الذين كانوا أشد منه بأساً وأقوى مراساً فأفناهم الزمان وجار عليهم الدهر الخوان، ومن اعظمهم نبي الله سليمان بن داود عليه السلام فلقد طلب من الله تعالى الملك بقوله {رب هب لي ملكا لاينبغي لأحد من بعدي انك انت الوهاب} حتى قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله اخي سليمان ماكان ابخله.

وقال الصادق عليه السلام لما سأل عن معنى الآية والحديث، فقال اما معنى الآية فهو ان سليمان اراد ملكاً لاينبغي لأحد من بعده ان يقول ان ملك سليمان قد حصّله سليمان بالغلبة والجنود مثل سلاطين الدنيا، فسخّر الله له الريح والطير والوحش وميز ملكه عن ملك الملوك حتى عرف الناس ان ملك سليمان قد أعطاه الله ايّاه واما معنى الحديث فقال عليه السلام رحم الله اخي سليمان ماكان ابخله بعرضه، او رحم اخي سليمان ماكا ابخله لو كان معنى الآية ماذهب اليه عوام الناس من الأخذ بظاهرها، وقد منح الله سبحانه سليمان عليه السلام ملكاً عظيماً حيث سخر لهى مافي الكونين فأمر سليمان عليه السلام الجن فنسجوا له بساطاً من الأبريسم والذهب، وكان يجلس عيه مع خاصته، وكان في مجلسه على البساط ستمائة ألف كرسي، ولسليمان عليه السلام سرير مرصع في وسط الكراسي يجلس عليها العلماء والأنبياء، وسخر له ريح الصبا غدوها شهر ورواحها شهر، وكان يسير في اول النهار من مكة ويتغذى في الكوفة ثم يسير من الكوفة ويتعشى في الشام.

وقد زاد الله في ملكه بانّه مايتكلم احد كلمة اين ماكان الا ألقتها الريح الى اذنه حتى يسمعها، ومع هذا الملك كان لم يأكل ما مسّه النار بل كان يعمل من سعف[1] الخوص زنبيلا ويشتري بثمنه شعيرا فيضعه بين صخرتين حتى يصير جريشاً ويجعله في الشمس حتى يجف فيأكله،

(١) محركة جريدة النخل او ورقه.

فاذا جنه الليل نزع ثياب الملك ولبس ثياباً من ليف النخل وغل يديه الى عنقه فقام باكياً الى الصباح.

وفي الرواية عن الصادق عليه السلام قال ان سليمان عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه ان الله تبارك وتعالى قد وهب لي ملكاً لاينبغي لأحد من بعدي سخر لي الريح والأنس والجن والطيور والوحوش، وعلمني منطق الطير وأتاني من كل شيء ومع جميع ماأوتيت الملك ماتم سروري يوماً الى الليل، وقد احببت ان ادخل قصري في غد فأصعد الى اعلاه وأنظر الى ممالكي ولاتؤذوا لأحد علي لئلا يرد عليَ ماينقص عليَ يومي، فقالوا نعم، فلما كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد الى اعلى موضع من قصره، ووقف متكيا على عصاه ينظر الى ممالكه مسروراً بما أوتي فرحا بما أعطاه، اذ نظر شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره، فلما بصر به سليمان قال له من أدخلك الى هذا القصر وقد اردت ان اخلو فيه اليوم؟ وباذن من دخلت؟ قال الشاب ادخلني هذا القصر ربه وباذنه دخلت، فقال ربه أحق مني فمن انت؟ فقال انا ملك الموت قال وفيم جئت؟ قال جئت اقبض روحك، قال امض لما امرت به فهذا يوم سروري وابى الله عز وجل ان يكون لي سرور دون لقائه، فقبض ملك الموت روحه وهو متكىء على عصاه، فبقي سليمان متكيا على عصاه وهو ميت ماشاء الله والناس ينظرون اليه وهم يقدرون(يعتقدون)انه حي فافتتنوا فيه واختلفوا.

فمنهم من قال ان سليمان قد بقى متكياً على عصاه الأيام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب انه لربنا الذي يجب علينا ان نعبده، وقال قوم ان سليمان سارح، وقال المؤمنون ان سليمان عبد الله ونبيه يدبر الله امره بما شاء، فلما اختلفوا بعث الله عز وجل الأرضة فدبت في عصا سليمان، فلما أكلت جوفها انكسرت العصا وخر سليمان من قصره على وجهه، فشكرت الجن للأرضة صنيعها، فلأجل ذلك لاتوجد الأرض في مكان الا وعندها ماء وطين، وذلك قول الله عز وجل {فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته} يعني عصاه، فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين.

ثم قال الصادق عليه السلام والله مانزلت هذه الآية هكذا وانما نزلت فلما خر تبينت الجن ان الأنس لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين، ثم لينظر العاقل اغلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم لو كانت الدنيا تسوى عند الله جناح بعوضة ماسقى كافراً منها شربة ماء، والى قول جبرئيل عليه السلام يامحمد ان الله يقول لك عش ماشئت فانك ميت، واحبب من شئت فانك مفارقه، واعمل ماشئت فانك مجزى به، ولما دخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز قال عظني يايزيد، قال ياامير المؤمنين اعلم انك لست اول خليفة تموت، فبكى عمر وقال

زدني يايزيد، فقال ياامير المؤمنين ليس بينك وبين آدم الا أب ميت، فبكى وقال زدني يايزيد، فقال ياامير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل، فسقط مغشياً عليه، وليتلوا الواعظ ان الدنيا دار من لادار له، ومال من لامال له، ولها يجمع من لاعقل له، وعليها يعادي من لاعلم له، وعليها يحسد من لافقه له، ومن صح فيها سقم، ومن سلم فيها هرم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب، من سعى اليها فاتته، ومن قعد عنها اتته، لاخيرها يدوم ولاشرها يبقى.

واعلم ان الذي اصبحت فيه من النعيم انما صار اليك بموت غيرك وهو خارج من يدك بمثل ماصار اليك وهل الدنيا الا كما قال الأول قدر يغلي وكنيف يملأ:

ولقد سألت الدار عن اخبارهم ... فتبسمت عجبا ولم تبدي
حتى مررت على الكنيف فقال لي ... أموالهم ونوالهم عندي

وقال الرشيد لأبن السماك عظني وبيده شربة من ماء، فقال ياامير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تشتريها بملكك؟ قال نعم، قال أرأيت لو حبس عنك خروجها أكنت تفتديها بملكك؟ قال نعم، قال فما(فلا) خير في ملك لايسوى شربة ولا بولة.

وحكى الأصمعي ان النعمان لما بنى الخورنق وأشرف عليه يوماً وقد اعجبه ملكه وسعته ونفوذ امره، فقال لأصحابه هل أوتي أحد مثل ماأوتيت؟ فقال له حكيم من حكماء اصحابه هذا الذي أوتيت شيء لم يزل ولايزول ام شيء كان لمن قبلك زال عنه وصار اليك؟قال بل شيء كان لمن قبلي وصار الي وسيزول عني، قال فسررت بشيء تذهب عنك لذته وتبقى تبعته، قال فاين المهرب؟ قال امّا تقيم وتعمل بطاعة الله او تلبس أمساحاً وتلحق بجبل تعبد ربك فيه وتفر من الناس حتى يأتيك أجلك، قال فاذا فعلت ذلك فمالي، قال حياة لاتموت وشباب لايهرم، وصحة لاتسقم وملك جديد لايبلىة، قال فاي خير فيما يفنى الله لأطلبن عيشاً لايزول ابدا، فانخلع من ملكه ولبس الأمساح وسار في الأرض وتبعه الحكيم، وجعلا يسيحان في الأرض ويعبدان الله حتى ماتا.

وهذا القصرقد بناه رجل اسمه سنماروفلما فرغ من بنائه دخله النعمان وخواصه وتعجبوا من عظم بنائه وارتفاعه، فقال لهم ذلك الباني وأعجب من هذا انَي اريك آجرة في حائطه اذا قلعتها تهدم هذا القصر العظيم كلَه فدلَه عليها، فأمر به فرموه من أعلى القصر، وقيل انَما رماه لئلا يبني لغيره من الملوك مثله، وقد صار جزاء سنمار مثلا بين الناس يضرب لمن يقابل الأحسان بالأسائة، ووجدت هذه الأبيات على مدينة سيف بن ذي يزن وهو من اعظم الملوك:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من معالي على(عن) معاقلهم فأسكنوا حفرا يابئس مانزلوا
ناداهم صارخ من مادفنوا اين الأسرّة والتيجان والحلل
اين الوجوه التي كانت محجبة من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حير سائلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتلل
قد طال ماأكلوا يوماً وماشربوا فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا

وقد رأيت مدينة عظيمة في فارس وهي على جبل ولها مصعد تصعد منه الدواب والحيوانات، وهو منه صخرة واحدة، وفيه درجات كثيرة وفوق تلك المدينة مجلس عظيم قد كان له سقف والآن ليس هو بمحوجود، وانّما الموجود منه اسطواناته وكل واحدة منها صخرة سوداء تقرب من المنارة ارتفاعا، وفيها حمام من صخرة واحدة، وامّا طرقاتها فوضعها عجيب وهو انّ الطريق وان طال قد صنعوه من اربعة احجار، فحجر هي أرضه وحجر في يمينه والأخرى عن شماله، والرابعة سقفه، وله فرج من الجانب الفوقاني للضوء، وحدثنا اهل تلك البلاد انّ تلك المدينة من بنيان الجن لسليمان عليه السلام ورأيت على بعض أحجارها مكتوبا هذين الشعرين:

اين الملوك التي كانت مسلطة حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
كم من مدائن في الآفاق قد بنيت أمست خراباً ودار الموت أهليها

وفي الأخبار ان اسكندر عليه السلام اجتاز يوماً في عسكره على رجل جالس في مقبرة وبين يديه عظام رميمة وجماجم بالية وهو ينظر اليها، فقال له الأسكندر ماتصنع في هذه العظام؟ فقال ان هذه المقبرة قد دفن فيها جماعة من الملوك فبعثني الله سبحانه ان أعزل عظام الملوك عن عظام الفقراء فأنا انظر في هذه الجماجم والعظام لاأعرف هذا من هذا، فمضى الأسكندر وقال والله ماعنى غيري، وهذا كان السبب في طلبه الموضع الذي مات فيه.

وفي الرواية ان داود عليه السلام اجتاز على غار فدخله فوجد فيه رجلاً ميتاً عظيم الخلقة واذا عند رأسه حجر مكتوب فيه انا دوسم الملك، ملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة، وهزمت ألف جيش وافترعت الف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ماترى(رميماً كما ترى) فصار التراب فراشي والحجارة وسادتي، والدّيدان جيراني فمن رآني فلا يغتر بالدنيا كما غرتني.

وروي ان عيس عليه السلام مرّ ذات يوم مع جماعة من اصحابه، فلما ارتفع النهارمرّوا بزرع قد امكن من الفرك، فقالوا يانبي الله انا جياع، فأوحى الله تعالى اليه ان ائذن لهم في قوتهم،

فأذن لهم فتفرّقوا في الزرع يفركون ويأكلون، فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزّرع وهو يقول زرعي وأرضي ورثتها من آبائي فباذن من تأكلون؟ قال فدعى عيسى عليه السلام ربه، فبعث الله تعالى جميع من ملك تلك الأرض من لدن آدم الى ساعته، فاذا عند كل سنبلة او ماشاء الله رجل او امرأة ينادون زرعي وأرضي ورثته عن آبائي؟ ففزع الرجل منهم وكان قد بلغه امر عيسى عليه السلام وهو لايعرفه، فلمّا عرفه قال معذرة اليك يارسول الله انّي لم اعرفك زرعي ومالي حلال لك، فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلّهم قد ورثوا الأرض وعمروها ثم ارتحلوا عنها، وانت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس لك أرض ولامال، وفي الدّيوان المنسوب الى مولانا امير المؤمنين عليه السلام انّه لّما رأى فاطمة عليها السلام مسجاة بثوبها بكى فرثاها ثم قال:

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وان الذي دون الممات قليل
أرى علل الدنيا عليَّ كثيرة ... وصاحبها حتى الممات عليل
وانَ افتقادي فاطما بعد احمد ... دليل على ان لايدوم خليل
الا ايها الموت الذي لست تاركي ... أرحني فقد أفنيت كل خليل
اراك بصيراً بالذين احبهم ... كأنّك تنحو نحوهم بدليل

ولما نفض يديه من ترابها تمثّل بقول بعض بني ضبّة:

أقول وقد فاضت دموعي حسرة ... أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب
أخلاي لو غير الحمام اصابكم ... عتبت ولكن ماعلى الموت معتب

وروي ان عيسى عليه السلام كان مع صاحب له يسيحان، فأصابهما الجوع فأنتهيا الى قرية فقال عيسى عليه السلام لصاحبه انطلق فاشتر لنا طعاما، وقام عيسى عليه السلام يصلي فجاء الرجل بثلاثة أرغفة، فأبطأ عليه انصراف عيسى عليه السلام، فأكل رغيفا، فأنصرف عيسى عليه السلام فقال اين الرغيف الثالثة؟ فقال ماكان الا رغيفين، قال فمرا على وجوههما حتى مرّا بظباء، فدعى عيسى عليه السلام ظبياً منها فنحروه وأكلوا منه، فقال عيسى عليه السلام للظبي قم باذن الله فقام حيا، فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟ فقال ماكانا الا اثنين فخرجا حتى اتيا قرية عظيمة، فاذا قريب منها ثلاث لبنات من ذهب، فقال الرجل هذا مال؟ فقال عيسى عليه السلام أجل هذا مال واحدة لي وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث، فقال الرجل انا صاحب الرغيف الثالث فقال عيسى عليه السلام هي لك كلها ففارقه، فأقام عليها ليس معه مايحمله عليه فمرَ عليه(به) ثلاثة

نفرات فقتلوه وأخذوا اللبن، فقال اثنان منهم لواحد انطلق الى القرية فأتنا بطعام، فذهب فقال احد الباقين للآخر تعالى نقتل هذا اذا جاء ونقسم هذا بيننا، وقال الذي ذهب أجعل في الطعام سمًاأفأقتلهما وآخذ اللبن، ففعل فلما جاء قتلاه وأكلا الطعام الذي جاء به فماتا، فمرّ بهم عيسى عليه السلام وهم حولها مصروعون، فقال الدنيا هكذا تفعل بأهلها، ووجد مكتوباً على قبر سيف بن ذي يزن:

مـن كـان لايطـأ الـتراب برجلـه ... وطـأ الـتراب بـصفحة الخـد
مـن كـان بينـك في الـتراب وبينـه ... شـبران كـان بغايـة البعـد
لـو بعثـرت للنـاس اطبـاق الثـرى ... لم يعـرف المـولى مـن العبـد

ووجد مكتوباً على قصر بعض الملوك:

هـذي منـازل اقـوام عهـدتهم ... يوفـون بالعهـد مـذ كـانوا وبالـذمم
تبكـي علـيهم ديـار كـان يطربهـا ... تـرنم المجـد بـين الحلـم والكـرم

ولبعضهم:

تـروح لـك الـدنيا بغير الـذي غـدت ... ويحـدث مـن بعـض الأمـور أمـور
وتجـري اللّيـالي باجتمـاع وفرقـة ... وتطلـع فيهـا أنجـم وتغـور
فمـن ظـنّ انّ الـدّهر بـاق سـروره ... فـذاك محـال لايـدوم سـرور
عفـى الله عمّـا صير الهـم واحـدا ... وأيقـن انّ الـدّيرات تـدور

وفي الرواية ان رجلين تنازعا في دار فأنطق الله لبنة من جدار تلك الأرض فقالت اني كنت ملكاً من ملوك الأرض ملكت الدنيا ألف سنة، فلما صرت تراباً أخذني خزّاف بعد ألف سنة فصيّرني خزفا، فبقيت ألف سنة فأخذني لبّان فصيرني لبنة وانا في هذا الجدار منذ كذا وكذا فلم تنازعا في هذه الأرض.

وروي انه سأل الخضر عليه السلام عن اعجب شيء رأيته؟ فقال أعجب مارأيته أني مررت على مدينة ولم أر على وجه الأرض أحسن منها، فسألت بعضهم متى بنيت هذه المدينة؟ فقالوا سبحان الله مايذكر آباؤنا وأجدادنا متى بنيت، ومازالت كذلك من عهد الطوفان، ثم غبت عنها نحو خمسمائة سنة وعبرت عليها بعد ذلك، فاذا هي خاوية على عروشها، ولم أر احد أسأله، واذا رعاة غنم فسألتهم عنها، فقالوا لانعلم، فغبي عنها نحواً من خمسمائة عام ثم انتهيت

اليهافاذا موضع تلك المدينة بحر، واذا غواصون يخرجون منها اللؤلؤ فقلت لبعض الغواصين منذ كم هذا البحر هيهنا؟ فقالوا سبحان الله مايذكر آباؤنا ولاأجدادنا الا انَ هذا البحر منذ بعث الله الطوفان، ثم غبت عنها نحواً من خمسمائة عام ثمّ انتهيت اليها فاذا ذلك البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه أجمة ملتفة بالقصب والبردي والسباع، واذا صيادون يصيدون السمك في زوارق صغار، فقلت لبعضهم اين البحر الذي كان هيهنا؟ فقال سبحان الله مايذكر آباؤنا واجدادنا انه كان هيهنا بحر قط، فغبت عنها نحواً من خمسمائة عام ثم اتيت الى ذلك الموضع فاذا هو مدينة على حالته الأولى والحصون والقصور والأسوار قائمة، فقلت لبعضهم اين الأجمة التي كانت هيهنا ومتى بنيت هذه المدينة؟ فقال سبحان الله مايذكر آباؤنا واجدادنا الا انَ هذه المدينة على حالها منذ بعث الله الطوفان، فغبت عنها نحواً من خمسمائة عام ثم انتهيت اليها فاذا عاليها سافلها وهي تدخن بدخان شديد فلم أر أحداً أسأله عنها، ثم رأيت واعياً فسألته اين المدينة التي كانت هيهنا؟ ومتى حدث هذا الدخان؟ فقال سبحان الله مايذكر آباؤنا واجدادنا الا انَ هذا الموضع كان هكذا منذ كان، فهذا أعجب شيء رأيته في سياحتي في الدنيا فسبحان مبيد العباد.

ولما ثقل عبد الملك بن مروان رأى غسّالاً يلوي بيده ثوباً، فقال وددت اني كنت غسّالاً لا أعيش الا بما أكتسبه يوماً فيوما، فبلغ ذلك اباحازم فقال الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون مانحن فيه ولانتمنى عنده ماهم فيه، وكانت العرب لاتعرف الألوان انّما طعامهم اللحم يطبخ بماء وملح حتى كان زمن معاوية، فاتّخذ الألوان واسرف فيها وما شبع من كثرة ألوانه حتى مات.

وقيل ان السبب الموجب لنزول معاوية بن يزيد بن معاوية عن الخلافة انّه سمع جاريتين يتلاحيان وكانت احديهما بارعة الجمال، فقالت لها الأخرى لقد أكسبك جمالك كبر الملوك، فقالت الحسناء واي ملك يضاهي ملك الحسن وهو قاض على الملوك وهو الملك حقا، فقالت لها واي خير في الملك وصاحبه امّا قائم بحقوقه وعامل بالشكر فيه فذاك مسلوب اللذة والقرار منغص العيش، وامّا منقاد لشهواته ومؤثر للذة ومضيّع للحقوق ومنصرف عن الشكر فمصيره الى النار، فوقعت الكلمة من نفس معاوية موقعاً مؤثراً وحملته على الأنخلاع عن الخلافة فقال له أهله أعهدت الى احد يقوم بها مكانك؟ فقال كيف اتجرّع مرارة فقدها وأتقلّد تبعة عهدها، ولوكنت مؤثراً بها لأثرت بها نفسي، ثم انصرف واغلق بابه ولم يأذن لأحد، فلبث بعد ذلك خمساً وعشرين ليلة ثمّ قبض، وقالت له امه عندما سمعت منه ذلك ليتك كنت حيضة، فقال ليتني كنت حيضة كما تقولين ولااعلم انّ للناس جنة ولانارا ولاللنار اناسا، ونحو ذلك من الموعظ والنصائح.

وينبغي للوالي ان لايتأنق في الملبس في غير ايام اعياده بل يلبس الأوسط من الثياب ليرغب الناس في لبس الأدنى، فتتوفر الأموال بين الرعية ويكثر اسباب الخير عندهم، ولعلم

الوالي انَ كلَ رداء يرتديه فهو جميل وانَ الثياب يعلو قدرها يلبسه لانّها هي التي ترفع قدره، وكان ملك السلاطين مولانا امير المؤمنين عليه السلام قد رفع جبّة عند الخياط ووضع فيها سبعين رقعة حتى قال والله انّي لأستحي من راقعها ان يرقعها لي مرة اخرى، والولاة لايقدرون على هذا لكن لايفوتهم الأقرب اليه، واما المطعم فان تأنقوا فيه فينبغي لهم ان يحضروا طعاماً مخصوصاً بهم ويكون على المائدة طعام خال من التكلف لتأكله الولاة، حتى انهم لو لم يأكلوا منه فلا أقل من ان يكون حاضراً معهم على الموائد وهو طعام الفقراء لتقتدي الناس به وليسهل على الفقيرفقره، وليكون مذكر للوالي واهل خاصته احوال الفقراء والمساكين ومشبّههم في بعض الأحوال فانَ من تشبّه بقوم كان منهم وان لم يعمل عملهم كما جاء في الرواية.

وروي ان فرعون كان له مضحكة يضحك من كلامه، فأتى يوماً الى باب فرعون ليدخل عليه فرأى رجلاً واقفاً على باب فرعون رث الهيئة عليه عباءة سملة وبيده عصاه، فقال له من انت؟ قال انا موسى نبي الله ارسلني الى فرعون أدعوه الى التوحيد، فرجع على طريق الأستهزاء، فاغتاظ موسى عليه السلام من إستهزائه به ثم لما انتهى حال فرعون الى ان اغرقه الله تعالى اياه وجنوده في شطّ النيل فنجا الله سبحانه ذلك الرجل الذي استهزىء بموسى، فقال يارب كيف لاتعزق هذا وهو قد أذاني؟ فأوحى الله تعالى ياموسى ان لااعذب من تشبّع بأحبابي وان كان على غير طريقهم.

وروي ان امير المؤمنين عليه السلام لَما صار والياً منع نفسه من ان يبات شبعانا، فقيل له في ذلك؟ فقال ينبغي للوالي ان يكون في مطعمه مثل أفقر رعيته، وانا أخاف ان يكون رجل في اليمامة قد بات جائعاً فكيف اشبع انا من الطعام.

وينبغي للوالي ان يرفع حجابه وأهل ابوابه في وقت الغداء والعشاء، ويأمر بفتح الأبواب لتدخل الأيتام وأهل السؤال فينالوا من طعامه شيئا، ولايكون أهل السؤال يصيحون من وراء الجدران والأبواب حتى لو أمر لهم بطعام بيد أحد غلمانه فربما أخذه الغلام لنفسه وربما اعطاه الفقير وأعقبه بالإهانة والضَرب حتى لايجيء مرة اخرى، اما لأن مايأخذه الفقير نقص من غداء الغلمان وعشائهم وامَا لأنَ الغلام اذا مشى الى الفقير الذي يكون واقفاً خارج الأبواب فات على ذلك الغلام شيء من مقرّره من المائدة واما لغير ذلك، بل ينبغي للوالي واهل الثروات ان يعاينوا ويطلعوا على اعطاء السائلين من موائدهم وان هم اعطوا بأيديهم فيالها من مكرمة لايعد لها ثوابها شيء.

وكان الصادق عليه السلام اذا اعطى السائل درهماً او نحوه اخذه من يد السائب فقبله ووضعه على عينه، ثم دفعه اليه مرة اخرى، فقيل له في ذلك؟ فقال لأنَ درهم السؤال اول مايقع

في يدي الله تعالى فأحب ان اتشرف به واعظمه لمكان يدي الرحمة، وكان الكاظم عليه السلام يتصدق بالسكر والحلوى فقيل له في سببه؟ فقال ان الله تعالى يقول{لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون} وأنا احب السَكر والحلوى فأحب ان أتصدق بهما، وفي الرواية انّ الله تعالى انّما امهل فرعون ومدّله في الملك مع ما كان عليه من الكفر انّه كان اذا حضرت موائده أمر بفتح الأبواب ورفع الحجاب، وكان كل من يمر على بابه من الفقراء والأيتام يأكل من طعامه، وفي رواية أخرىانه كتب على باب قصره بسم الله الرحمن الرحيم، فلما تعجّل موسى عليه السلام نزول العذاب عليه أوحى الله سبحانه اليه ياموسى انت تنظر الى كفره وانا انظر الى ماكتبه على باب قصره.

وروي ان رجلاً من اهل مصر رفع الى فرعون عنقود عنب، وقال له انت ربنا فأطلب منك ان تحول هذا العنب لئالىء كبارا، فأخذ العنقود من يده ودخل بيتاً من بيوته وغلق عليه الأبواب وجلس يتفكر كيف يصنع ذلك الأمر، فأتى عليه الشيطان ودق عليه الباب، فقال فرعون من بالباب؟ فقال ابليس ضرطتي بلحية رب لايدري من بالباب، فعرفه فرعون[1] فقال ادخل ياملعون، فقال ابليس ملعون يدخل على ملعون فدخل عليه فرآه متحيَراً متفكرا فأخذ العنقود وقرأ عليه اسماً فصيّره عنقوداً من اللؤلؤ فقال له يافرعون أنصف من نفسك أنا في هذا العالم والكمال وما قبلوني ان اكون عبداً وأنت في هذا الجهل والحماقة تريد ان تكون ربا، فقال له فرعون لم لاسجدت لآدم حين امرت بالسجود له؟ فقال له ابليس لأنّي علمت انّ مثلك في صلبه.

وما أحسن مراسلة وقعت بين كسرى وقيصر وهو انّ قيصر ملك الروم بعث الى كسرى ملك الفرس مّا ذا انتم اطول منّا اعمارا وأدوم ملكا؟ فأجابه كسرى امّا بعد ايها السيد الكريم والملك الجسيم، اما سبب الملك واغرازه في مغرزه ورسوخه في مركزه فلأمور أنتم غافلون ولستم لأمثالها فاعلون، منها ان ليس لنا نوّاب يرشي ويمنع ولابواب يدفع ويردع لم تزل ابوابنا مشرعة ونوَابنا لقضى الحوائج مسرعة، لاأقصينا صغيراً ولا أدنينا اميرا ولا احتقرنا بذوي العقول(الأصول)، ولاقدمنا الشّبان على الكهول ولاكذبنا في وعد ولاصدقنا في ايعاد ولاتكلّمنا بهزل ولاسمنا وزيرا الى عزل، موائدنا مبسوطة وعقولنا مضبوطة لانقطع في امل ولالجليسنا نمل، خيرنا مضمون وشرّنا مأمون وعطاؤنا غير ممنون، لانجوح احدا الى باب بل نقضي بمجرّد الكتاب، نرقّ للباكي ونستقصي قول الحاكي ماجعلنا همّنا بطوننا ولافروجنا، اما البطون فلقمة واما الفروج فأمة، ولانؤاخذ على قدر غيظنا بل نؤاخذ على قدر الجناية، ولانكلف الضّعيف المعدم

(١)كيف عرف فرعون ابليس وتكلمه ولذا اظن هذه القضية اسطورة ذكروها من باب المطايبة والأمثال.

مايتحمله الشَريف المنعم ولانؤاخذ البريء بالسقيم ولا الكريم باللئيم النمام عندنا مفقود والعدل في جانبنا موجود الظلم لانتعاطاه والجور أنفسنا تأبأه، لانطمع في الباطل ولانأخذ العشر قبل الحاصل، لاننكث العهود ولانحنث في الموعود الفقير عندنا مدعو والمفتخر لدينا مقصو، جارنا لايضام وعزيزنا لايرام رعيتنا مرعية وحوائجهم لدينا مقضية صغيرهم عندنا خطير وزريهم لدينا كبير، الفقير بيننا لايوجد والغنى بما لديه يسعد العالم عندنا مكرم معظم والتَقى عندنا(لدينا خ) موقَر مقدم، ولايسد بمملكتنا باب ولايوجد عندنا سارق ولامرتاب سماؤنا معطرة واشجارنا لم تزل مثمرة، لانعامل بالشهوات ولانجازي بالهفوات، الطير الينا شاكي والبعير اتانا متظلم وباكي عدلنا قد عم القاصي والداني وجودنا قد غمر الطائع والعاصي، عقولنا باهرة وكنوزنا ظاهرة وفروجنا عفايف وذيولنا نظايف، أفهامنا سليمة حلومنا جسيمة كفوفنا سوامح بحورنا طوافح نفوسنا ابية وطوالعنا المعية، ان سألنا اعطينا وان قدرنا عفينا(عفونا)وان وعدنا اوفينا وان غضبنا اغضينا، فلمَا وصل الكتاب الى قيصر قال يحق لمن يكون هذه سياسته ان تدوم رئاسته.

وينبغي للوالي ان لايشعر قلبه التَكبر وان اظهره في حضور الرعية لمصلحة الملك واذا جلس او ركب ورأى العساكر حافَة به فليذكر ذلك الوقت عظمه الله سبحانه وليذكر حقارته وهوانه، وان الملك زائل عنه اغلى غيره وانَه يصل الى طبقات الأرض ويصاحب الديدان، فاذا خطر بخاطره مثل هذا عرف قدر نفسه.

وفي كتب السير انَ عمر بن عبد العزيز كان له ابن وقد صاغ خاتماً من ألف درهم، فحكوا له ماصنع ابنه، فكتب اليه يابني بع الخاتم بألف درهم واشبع بها ألف مسكين وصغ خاتماً من اربعة دراهم واكتب على فصَه رحم الله امرأً عرف قدره، فصنع ماامره، وفي الحديث القدسي العز ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعنيهما ادخله ناري ولاابالي.

وقال عليه السلام ياابن آدم أني لك والفخر فانَ أولَك جيفة وآخرك جيفة وفي الدنيا حامل الجيف، وقد سبق تحقيق هذا في باب التكبر.

وينبغي للوالي ان يجعل لأمواله ثلاثة من الوكلاء:واحد منها يكون وكيله في قبض الأموال الحلال مثل مداخل أملاكه وتجاراته الحلال ونحو ذلك ليصرفها على نفسه وعلى تصدَقاته وعطاياه للعلماء والفقراء والأخيار، وثانيها ان يكون وكيله في قبض الخراج والأموال التي تجبى اليه كل سنة ويكون قانوناً سلطانياً على الرعية فانَ مثل هذه تقرب من الحلال ان لم تكن حلالا، وذلك انَ الوالي اذا كان عالماً عاملاً من عمَال السلطان وأولاه تلك البلاد فكأنه أعطاه مال خراجها ومقرَراتها ويكون الوزر على السلطان، فبهذا يكون داخلاً تحت الشبهات ولايكون حراماً محضا، وثالثها ان يكون وكيله في قبض المحرمات المحضة فانَ ولاة هذه الأعصار ولايتركون

مثله ويكون مصرف هذا اهله فانهم احق به من الغير والاّ فلا يكون مصرف مثل هذا الاّ في الأمور الحقيرة البعيدة من الشرع.

ويجب على الوالي الوجوب العيني وهو أهم مايجب عليه العدل وحياطة الرعية قال انوشيروان حصّن البلاد بالعدل فهو سور لايغرقه ماء ولايحرقه نار ولايهدمه منجنيق وكان كسرى اذا جلس في مجلس حكمه أقام رجلين عن يمينه وشماله وكان يقول لهما اذا زغت(١) فحرّكوني ونبّهوني، فقالا له يوما والرعية تسمع ايّها الملك انتبه فانّك مخلوق لاخالق وعبد لامولى، وليس بينك وبين الله قرابة انصف الناس وانظر لنفسك.

وقال بعض الحكماء اذا ولّيت ولاية فايّاك وان تسعين في ولايتك بأقاربك فتبتلي بما ابتلي به بن عثمان بن عفان واقض حقوقهم بالمال لابالولاية، وحمل بعض عمّال انوشيروان اليه في بعض السنين ثمانين ألف درهم زيادة على الموظف المقرّر، فسأله عن ذلك؟ فقال وجدت في ايدي قوم فضلاً فأخذته منهم، فقال ردّوا هذا المال على من اخذ منه فان مثلنا في ذلك كمثل من طين سطحه بتراب اسا بيته، فيوشك ان يكون ضعف الأساس وثقل السطح مسرعين في خراب بيته.

وفي الحديث من ولي من امور المسلمين شيئاً ثم لم يحطهم بنصحه كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار، وروي ايضاً انه اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالي فيقذف على جسر جهنم يأمر الله سبحانه الجسر فينتفض به انتفاضة فيزول كل عظم منه عن مكانه، ثم يأمر الله تعالى العظام فترجع الى اماكنها ثم يسألئ فأن كان مطيعاً أخذ بيده وأعطاه كفلين من رحمته وان كان لله عاصياً أخرق به الجسر فهوى به جهنّم مقدار سبعين خريفاً.

وفي الرواية انّه كان في زمن بني اسرائيل سلطان ظالم فأوحى الله سبحانه الى نبي من أنبيائه أن قل لهذا الظالم ماجعلتك سلطاناً الاّ لتكف أصوات المظلومين عن بابي، فوعزتي وجلالي لأطعمنَ لحمك الكلاب، فسلّط عليه سلطاناً آخر حتى قتله فأطعم لحمه الكلاب.

وروي ان كسرى صنع طعاماً فدعى الناس اليه، فلمّا فرغوا ورفعت الآلات وقعت عينه على رجل وقد أخذ جاماً له قيمة كثيرة، فسكت عنه وجعل الخدم يرفعون الآلات فلم يجدوا الجام، فسمعهم كسرى يتكلمون فقال مالكم؟ قالوا فقدنا جاماً من الجامات فقال لاعليكم أخذه من لابردّه وأبصره من لاينمّ عليه فلمّا كان بعد ايّام دخل الرجل على كسرى وعليه حلية جميلة وحال مستجدة، قال له كسرى هذا من ذاك؟ قال نعم، ولم يقل له شيئاً.

---

(١) أي ملت عن الحق.

وروي اهل السّر والتواريخ انّ كسرى انوشيروان قد ظلم في أوّل حكمه كثيراً حتى بلغ ظلمه الى رجل راهب كان يعبد الله في صومعته، فكتب العابد اليه كتاباً بسم الله الرحمن الرحيم ملكتم فأسأتم، ووضع عليكم فضيّقتم، نسيتم سهام الأسحار وهي صائبة خصوصاً اذا خرجت من قلوب قد اوجعتموها واجساد قد أعريتموها وأجفان عين قد أجريتموها، فأعملوا ماشئتم فأنا صابرون وجوروا فانّا بعزة الله واثقون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وينبغي يعلم نيّات الملوك والولاة له مدخل في زيادة معائش الرعية ونقصانها، وروى الكليني عن ابيه قال خرج كسرى في بعض ايّامه للصيد فعنّ له صيد فتبعه فانقطع عن اصحابه، فرفع له كوخ فقصده فاذا عجوز بباب الكوخ جالسة، فقالت له أنزل فنزل ودخل الكوخ فاذا ابنة العجوز قد جاءت ومعها بقرة، فأدخلتها الكوخ وكسرى ينظر وقال في نفسه:

ينبغي ان نجعل على كل بقرة اناوة فهذا حلاّب كثير، فلمّا مضى من الليل شطره قالت العجوز يافلانة قومي الى البقرة فاحلبيها فقامت الى البقرة فوجدتها حائلاً فنادت امّها يا اماه قد اضمر لنا الملك شراً قالت وماذلك؟ قالت لأن هذه البقرة حائل وماتدرّ بقطرة، فقالت لها امّها امكثي فانّ عليك ليلاً، فقال كسرى في نفسه من أين لها انّي اضمرت في نفسي الشر اما انّي لاأفعل ذلك، قال فمكثت قليلاً ثم نادتها يابنية قومي احلبي البقرة، فقامت اليه فوجدتها حاملا، فحلبتها وأقبل الصبح وتتبّع الرجال كسرى أثره حتى أتوه، فركب وامر بحمل العجوز وابنتها اليه فحملتا فأحسن اليهما، وقال كيف علمت ان الملك قد اضمر شرّاً وان الشر الذي قد اضمره قد عدل عنه؟ قالت العجوز انا بهذا المكان من كذا وكذا ماعمل فينا بعدل الا أخصب بلادنا واتّسع عيشنا، وماعمل فينا بجور الا ضاق عيشنا وانقطعت موادّ النفع عنا.

وفي كتاب عجائب المخلوقات انّ ريحان الفارسي وهو الأخضر لا الذي يميل الى الحمرة لم يكن قبل كسرى انوشيروان وانما وجد في زمانه، وسببه انّه كان ذات يوم جالساً كفوّاً عنها فانّي أظنها مظلومة، فمرت تنساب حتى استدارت على فوهة بئر، فنزلت فيها ثم أقبلت تتطلع فنظروا فاذا في قعر البئر حية مقتولة وعلى ظهرها عقرب اسود، فأدلي بعضهم رمحه الى العقرب فنخسها به وأتى الملك فخبّره بحال الحية، فلما كان في العام القابل أتت الحيّة في اليوم الذي كان كسرى جالساً فيه للمظالم وجعلت تنساب حتى وقفت ولفظت من فيها بذراً اسود، فأمر الملك ان يزرع فنبت منه اليرحان، وكان الملك كثير الزكام وأوجاع الدماغ فاستعمل منه ونفعه جدّاً، فانظر الى عدل هذا الملك اين بلغ، على انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ولدت في زمن الملك العادل يعني به كسرى.

ورووا انه لما اراد بناء قصره الذي في المدائن امر بشراء ماحوله ورغب الناس في الثمن الوافر الا عجوز كان لها بيت صغير قالت ما ابيع جوار السلطان بالدنيا كلها فاستحسن انوشيروان منها هذا القول وامر بترك ذلك البيت على حاله واحكام عمارته وبنى الأيوان محيطاً به وكان في جانب الأيوان قبة محكمة العمارة يعرفها اهل تلك الناحية بقبة العجوز وكان على الأيوان نقوش وصور بالتزاويق وقد شكوا غلمان الدار الى انوشيروان وقالوا ان العجوز تدخن في بيتها ودخانها يفسد نقوش الأيوان فقال كلما افسدت اصلحوها ولاتمنعوها من التدخين وكان للعجوز بقرة تأتيها آخر النهار لتحلبها، فاذا وصلت الى الأيوان طووا فرشه لتمشي البقرة الى باب قبة العجوز فاذا فرغت من حلبها رجعت البقرة وسووا الفراش وكان هذا مذهبه في العدل.

وروي ان المأمون ارق ليله فاستدعى سميره [١] تحدثه بحديث فقالت ياامير المؤمنين كان بالبصرة بومة وبالموصل بومة فخطبت بومة البصرة الى بومة الموصل بنتها لأبنها فقالت بومة البصرة لا انكحك ابنتي الا ان تجعل في صداقها مائة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لااقدر عليها الآن ولكن ان دام والينا سلمه الله تعالى علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك فاستيقظ المأمون وتفقد امر الولاة.

وروى شيخنا الكليني باسناده الى الأمام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال ان الله عز وجل جعل لمن جعل له سلطاناً أجلاً ومدّة من ليالي وايّاماً وسنين وشهور فان عدلوا في الناس امر الله عز وجل صاحب الفلك فأبطأ بادارته فطالت ايّامهم ولياليهم وسنونهم وشهورهم وقد وفى الله عز وجل بعدد الليالي والشهور.

قال شيخنا المعاصر ادام الله ايّامه لعل المراد بسرعة ادارة الفلك وبطؤها تعجيل زوال اسباب الملك وعكسه، ويجوز ان يكون لكل دولة فلك غير الأفلاك المعروفة الحركات فيكون سرعة الأدارة وبطؤها عارضين لذلك الفلك انتهى وكأنه ايده الله تعالى اراد دفع الأعتراض على ظاهر الحديث من وجهين:

الأول ماذهب اليه الحكاء والمنجمون من ان الفلك لايمكن ان يزول عن الحركة التي ههي عليها الآن وبرهنوا بزعمهم على هذا.

الثاني انه ربما كان سلطان جائر في بلاد من البلدان وسلطان عادل في بلاد اخرى فكيف يكون جور هذا وظلمه سبباً في زوال ملك الآخر ونقص عمره مع ان رعيه الجائر ايضاً مما ليس لهم ذنب في الجور فكيف تنقضي ايام اعمارهم على طريق السرعة

---

(١)الذي يحدث بالليل.

والجواب عن الأول انه قد ورد في الأخبار المستفيضة وقد تقد بعضها ان ايام دولة المهدي عليه السلارم انما تكونه كل سنة منها تعادل سبع سنين من هذه السنين فقيل له ياابن رسول الله ان الفلك لاتزول عن حركتها هذه ولو زال لفسد؟ فقال عليه السلام هذا قول الزنادقة والمنجمين، والمراد بازنادقة الحكماء واما الأشكال الثاني فالجواب عنه غير الجائر من الرعية والملوك ان قدروا على ازالته عن الملك وسكتوا عنه مداهنة فالذي يصيبهم من قصر الأعمار والملك انما هو بسبب المداهنة وقد عذب الله تعالى في الأمم السابقة من اذنب ومن داهن وجعلهم في العذاب سواء ومن لم يقدر على ازالته عن الملك فكان ينبغي له ان يفر عن بلاده ويطلب بلاد الله العريضة لأن السكنى مع الظالمين ذنب حتى انه ورد في الحديث لو ان الجعل يبني بيتاً في محلة الظالمين لعذبه الله تعالى بعذابهم واما من لم يقدر على الفرار وكان الظلم قد عم البلاد والعباد فيجوز ان يكون سبحانه وتعالى ان يضيف الى اعمار هؤلاء الذين

لم يذنبوا بوجه من الوجوه بقية ايامهم التي اسرع اليها الظلم بحركته فيعوضهم بدلها اياماً وليالي في دولة من يأتي من الملوك ويظهر من هذا الخبر وغيره ان يام دولة الولاة مكتوب عن الله تعالى لايزيد ولاينقص الا بالجور والعدل ولو اراد الناس والرعية والعساكر زواله ماقدروا عليه بوجه من الوجوه كما هو المشاهد حتى تنقضي الأيام ويأذن الله بزوا ذلك الملك فعند ذلك يزول بأنقص الأسباب وادناها فلا ينبغي ان يخطر بخاطر احد من الولاة انني اذا فعلت الفعل الفلاني كان سبباً لزوال ملكي الا ان يكون ظالماً في ذلك الفعل فحينئذ يجب على الوالي دفع الظالمين الذين يظلمون الرعية ويخيفون الطرقات ويمنعون المتمردين ويغيرون القوافل ونحو ذلك فان لم يدفعهم ظلمهم كان له الحظ الأوفر من العذاب والعقاب ويكون مداهنته مهم هي السبب الأقوى في زوال ملكه مع انه قد ظن انه سبب لبقاء ملكه.

وفي بعض الأخبار ان عدل الحاكم يوماً يعادل عبادة العابد خمسين سنة وليس العدل هو ان القضية اذا بلغت اليه حكم بها على طريق الحق وانما العدل وروده هو على القضايا لاورود القضايا عليه بأن يكون له اطلاع على بلاده ومحاله ويكون له العيون والجواسيس في اقطار ممالكه حتى يتعرف القضايا ويوردوها عليه، وهكذا كان احوال السلف من الملوك ولايجوز للوالي ان يضرب الأستار ويغلق الأبواب في وجوه المسلمين ولينظر الى قول الصادق عليه السلام من ضرب بينه وبين اخيه حجاباً ضرب الله بينه وبين الجنة سبعين حجاباً مسير كل حجاب منها سبعون عاماً او اكثر وليجعل له وقتاً خاصاً لتفرده بنفسه ومع عياله واهل بيته كما كان يصنع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد كتب مولانا امير المؤمنين عليه السلام لعامله مالك الأشترقانونا للإماره والولايه نقلها علماؤنا رضوان الله عليهم في الكتب المعتبرة وهذا لفظها:هذا ما امر به على عبد

الله امير المؤمنين مالك بن الحرث الأشتر في عهده اليه حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح اهلها وعمارة بلادها امره بتقوى الله وايثار طاعته واتباع ماأمره به في كتابه من فرائضه وسننه التي لايسعد احد الا بإتباعها ولا يشقى احد الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصرة من نصره واعزاز من اعزه وامره ان يكسر ممن نفسه عند الشهوات ونزعه عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء الا مارحم الله.

ثم اعلم يامالك اني قد وجهتك الى بلاد وقد خرجت عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من امورك في مثل ماكنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك ويقولون فيك ماكنت تقول فيهم وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده فليكن احب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لايحل لك فان الشح بالنفس الأنصاف فيما احبت او كرهت واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة واللطف بهم ولاتكونن عليهم سبعاً ضاريا تغتنم اكلهم، فانهم صنفان اما اخ لك في الدين واما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على ايديهم في العمد والخطاء فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاّك وقد استكفاك امرهم وابتلاك بهم، ولاتنصبن نفسك لحرب الله فانه لايدي لك بنقمة ولاغنى بك عن عفوه ورحمته، ولاتندمن على عفو ولاتبحجنَ بعقوبة ولاتسرعن الى بادرة وجدت عنها مندوحة، ولاتقولن انّي مؤمر آمر فأطاع فانَ ذلك ادغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير، واذا أحدث لك ماأنت فيه من سلطانك ابهة او مخيلة فانظر الى اعظم ملك الله فوقك وقدرته منك على مالاتقدر عليه من نفسك فانَ ذلك يطامن اليك من طماحك، ويكف عنك من عزمك ويفي اليك بما عزب عنك من عقلك، اياك ومسامات الله في عظمته والتّشبه به في جبروته فانَ الله يذل كل جبار ويهين كلَ مختال، انصف الله وانصف من نفسك ومن خاصّة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيّتك فانّك الا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب، وليس شيء ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فانَ الله يسمع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد.

وليكن احب الأمور اليك اوسطها في الحق واعمها فغي العدل واجمعها لرضى الرَعية، فان سخط العامَة يجحف برضا الخاصة، وان سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامّة، وليس احد من الرعية أثقل على الوالي مؤنة في الرخاء وأقل معونة له في البلاء وأكره للإنصاف وأسأل بالألحاف وأقل شكراً عند الأعطاء وأبطأ عذراً عند المنع وأضعف صبراً عند ملمَات الدهر من اهل الخاصة، وانما عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة فليكن صفوك لهم وميلك

معهم وليكن ابعد رعيتك منك وأشنأهم عندك اطلبهم لمعائد الناس فان في الناس عيوباً الوالي احق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك ، فاستر العوره ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك اطلق عن الناس عقدة كل حاقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل مالا يصح لك ، ولا تعجلن الى تصديق ساع فان الساعي غاش وان تشبه بالناصحين ولا تدخلن في مشاويرك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جبانا يضعفك عن الامور، ولا حريصا يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيرا ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة فانهم اعوان الأئمة واخوان الظلمة وانت واحد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفادهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لم يعونوا ظالماً على ظلمه ولاآثماً على اثمه أولئك أخف عليك مؤنة وأحسن لك معونة وأحنا عليك عطفا وأقل غيرك ألفاً فاتخذ أولئك خاصة من خلواتك وحفلاتك ثم ليكن أثرهم عندك أقولهم بمر الحق وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعاً ذلك من هواك حيث وقع والصق بأهل الورغ والصدق ثم رضهم على ان لايطروك ولايبحجوك بباطل لم تفعله فان كثرة الأطراء تحدث الزهو وتدني من الغرة ولايكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فانّ في ذلك تزييداً لأهل الأحسان في الأحسان وتدريباً لأهل الأساءة على الأساءة وألزم كلاً منهم ماألزم نفسه وأعلم انه ليس شيء بأدعى الى حسن ظن وال(راع خ)برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤنات عنهم وترك استكراهه اياهم على ماليس له قبلهم، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فانّ حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلا وان احق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وان احق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ولاتنقض سنة صالحة بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية ولاتحدثن سنة بشيء يضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها وأكثر مداومة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ماصلح عليه امر بلادك واقامة ماأستقام به الناس قبلك.

واعلم ان الرعية طبقات لايصلح بعضها الا ببعض ولاغنى لبعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الأنصاف والرفق، ومنها اهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار وأهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكل قد سمى الله سهمه ووضع على حده وفريضته في كتابه او سنة نبيه عهداً منه عندنا محفوظاً فالجنود بأذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الأمن وليس تقوم الرعية الا بهم ثم لاقوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به

في جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما أصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لأقوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها ولاقوام لهم جميعاً الا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لايبلغه رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر مايصلحه وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله تعالى الا بالأهتمام والأستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه او ثقل فول من جنودك انصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك اتقاهم حساً وافضلهم حملاً ممن يبطي عن الغضب ويستريح الى العذر ويرأف بالضعفاء وينبوا على الأقوياء وممن لايثير العنف ولايقعد به الضعف ثم ألصق بذوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهما جماع للكرم وشعب من العرف ثم تفقد من أمورهم ما تتفقده الوالدة من ولدها ولايتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به ولاتحقرن لطفاً تعاهدتم به وان قل فانه داعية الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولاتدع تفقد لطيف امورهم اتكالاً على جسميها فانَ لليسير منك موضعاً ينتفعون به وللجسيم موقعاً لايستغنون عنه وليكن اثر رؤوس جندك عندك من ساواهم في معونته وافضل عليهم من جدته بما يسعهم من وراءهم من خلوف اهليهم حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو فانَ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ولاتصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة أمورهم وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم وافسح في اموالهم واوصل من حسن الثناء عليهم وتعديل ما أبلى ذه البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن افعالهم يهز الشجاع ويحرض ان كل ان شاء الله ثم اعرف لكل مرء منهم ما أبلى ولاتضمن بلاء احد الى غيره ولاتقصرن به دون غاية بلاءه ولايدعونك شرف امرأ الى ان تعظم من بلاءه ماكان صغيراً ولاضعه امرأ الى ان تصتصغر من بلاءه ماكان عظيماً واردد الى الله ورسوله مايطعلك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور فقاد قال الله سبحانه لقوم احب ارشادهم {يايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله ورسوله} فلراد الى الله الآخذ بمحكم كتابه والراد الى الرسول الآخذ بسنته الجامعة غير المفرقة ثم أختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لاتضيق به الأمور ولاتمحقه الخصوم[1] ولايتمادى في الزلة ولايحسر من الفيء الى الحق اذاعرفه ولا تشرف نفسه على طمع

(١) امحكه جعله محكان أي عسر الخلق او اغضبه أي لاتحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والأصرار على رأيه.

ولايكتفي بأدنى فهم دون اقصاه اوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج واقلهم تبرماً بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الأمور واصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لايزهيه اطراء ولايستميله اغراء واولئك قليل ثم أكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل مايزيل علته وتقل معه حاجته الى الناس واعطه من المنزلة لديك ما لايطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك أغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظراً بليغا فان هذا الدين قد كان اسيراً في ايدي الأشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا ثم انظر في امور عمالك فاستعملهم في امورك اختياراً ولاتولهم محاباة وآثره فانهما جماع من شعر الجور والخيانة وتوخ منهم اهل التجربة والحياء من البيوتات الصالحة والقدم في الأسلام المتقدمة فانهم اكرم اخلاقاً واصح اغراضا وأقل في المطامع اشرافا وابلغ في عواقب الأمور نظراً ثم اسبغ عليهم الأرزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ماتحت ايديهم وحجة عليهم ان خالفوا امره او ثلموا امانتك ثم تفقد اعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك في السر لأمورهم جذوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية، وتحفظ من الأعوان فان احد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً وبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلّة ووسمته بالخيانة وخلّدته عار التهمة.

وتفقد الخراج بما يصلح اهله فانّ في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولاصلاح لمن سواهم الا بهم، لأنّ الناس كلهم عيال على الخراج واهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأنّ ذلك لايدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة وأخرب البلاد وأهلك العباد لم يستقم امره الا قليلا، فان شكوا ثقلاً او علة او انقطاع شرب او بالّة او احالة ارض اغتمرها غرق او احجف بها عطش خففت عنهم بما ترجوا ان يصلح به امرهم فلا يثقلن عليك شيء خففت به المؤنة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزين ولايتك مع استجلاب حسن ثناؤك وتبحجك باستفاضة العدل فيهم متعمد افضل قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمالك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم فربما حدث من الأمور ما اذا عولّت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة انفسهم به فان العمران محتمل ماحملته وانما يؤتى خراب الأرض من أعواز اهلها وانما يعوز اهلها لأشراف انفس الولاة على الجمع وسوء ظنه بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر ثم انظر في حال كتابك فول من امورك خيرهم واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك واسرارك باجمهم لوجود صالح الأخلاق ممن لاتبطره الكرامة فيجترى بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ ولاتقصر به الغفلة عن ايراد مكاتبان عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما يأخذ لك ويعطي منك،

ولايضعف عقداً عقده لك ولايعجز عن اطلاق ماعقد عليك ولايجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور فان الجاهل يقدر نفسه يكون بقدر غيره اجهل ثم لايكن اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك فان الرجال يتعرفون بفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء ولك اختبرهم بما ولوا الصالحين غيرك فأعهد لأحسنهم كان في العامة اثر او اعرفهم بالأمانة وجهاً فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت امره واجعل لرأس كل امر من امورك رأساً منهم لايقهرها كبيرها ولايتشتت عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه الزمته ثم استوص بتجار وذوي الصناعات واوصي بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب والمترفق بيديه فانهم مواد المنافع واسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لايلتأم الناس لمواضعها ولايجترؤن عليها فانهم سلماً لاتخاف بائقته والصلح لاتخشى غائلته وتفقد امورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم مع ذلم ان في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الأحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منع منه وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل واسعار لايجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكره بعد نهيك اياه فنكل وعاقب في غير اسراف ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم والمساكين والمحتاجين والبؤساء والزمني فان في هذه الطبقة قانعاً ومعتر او احفظ الله مااستحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الأسلام في كل بلد فان للأقصى منهم مثل الذي للأدنى وكان قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطرفانك لاتقدر بتضييعك ألطافه لأحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولتصعر خدك لهم وتفقد امور من لايصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالأعذار الى الله سبحانه يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الأنصاف من غيرهم وكل فاعذر الى الله في تأدية حقه اليه وتعهد أهل اليتيم وذوي الرقة في السن مما لا حيلة له ولاينصب للمسئلة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً فتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك حتى يكلمك مكلمهم غير متتعتع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في غير موطن لن تقدس امة لايؤخذ فيها للضعيف حقه من القوي غير متعتع ثم احتمل الخرق منهم والعي ونح عنك الضيق والأنف يبسط الله عليك بذلك أمناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته واعط ما اعطيت هنيئاً

وامنع اجمال واعذار ثم امور من امورك لابد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعي عنه كتابك ومنها اصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك مما تحرج منه صدور اعوانك وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم مافيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله افضل تلك المواقيت واجزل تلك الأقسام وان كانت كلها لله اذا صلحت فيه النية وسلمت منها الرعية وليكن في خاصة ماتخلص لله به دينك اقامة فرائضه التي هي له خاصة فاعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ووف ماتقربت به الى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولامنقوص بالغامنة بالغاً من بدنك مابلغ واذا اقمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفراً ولامضيعا[١] فان في الناس من به العلة وله الحاجة، وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واله حين وجهني الى اليمن كيف اصلي بهم؟ فقال صلِ بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما.

واما بعد هذا فلاتطولنَ احتجابك عن رعيتك فانَ احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور، والأحتجاب منهم يقطع عنهم علم ماحتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشابه الحق بالباطل وانّما الوالي بشر لايعرف ماتوارى عنه الناس به من الأمور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانّما انت احد رجلين امّا امرء وسخت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه او فعل كريم تسديه او مبتلى بالمنع فما اسرع كفَ الناس عن مسألتك اذا أيسوا من بذلك، مع انَ اكثر حاجات الناس منك لغيرك وعمّا قليل تنكشف عنك اغطية الأمور وينتصف منك للمظلوم، املك حميّة أنفك وسورة حدك وسطوة يدك وعزب لسانك واحترس من كل ذلك بكف الباذرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الأختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك، والواجب عليك ان تتذكر مامضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنّة فاضلة او أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدته مما علمنا به فيها وتجتهد نفسك في اتباع ماعهدت اليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك لئلا تكون لكعلّة عند تسرع نفسك الى هواها، وان ظنّت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك، فانَ في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيتك واعذاراً تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحق ولاتدفعن صلحا دعاك اليه عدوّك لله فيه رضى فانَ في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك، ولكن الحذر من عدوك بعد صلحه فانَ العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتّهم في ذلك حسن الظن، وان عقدت بينك

---

(١)التنفير بالتطويل والتضييع بالنقص في الأركان والمطلوب التوسط.

وبين عدوك عقدة او ألبسته منك ذمة فحطَ عهدك بالوفاء واردع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ماأعطيت فانّه ليس من فرائض الله سبحانه شيء الناس اشدّ عليه اجتماعاً مع تفريق اهوائهم وتشتّت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر، فلا تغدرن بذمتك ولاتخيسنّ بعهدك ولاتختلن عدوك فانّه لايجتري على الله الا جاهل شقي وقد جعل الله عهده وذمته امناً أقضاه بين العباد برحمته وحريماً يسكنون الى منعته ويستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولاخداع فيه ولاتعتقد عقداً تجوز فيه العلل ولاتعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة، ولايدعونك ضيق امر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق فانّ صبرك على ضيق أمر ترجوا انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك من الله فيه طلبة لاتستقيل فيها دنياك ولاآخرتك.

اياك والدماء وسفكها بغير حلها فانّه ليس شيء أدعى لنقمته ولاأعظم لتبعة ولاأحرى بزوال نعمة وانقطاع مدّة من سفك الدماء بغير حقّها، والله سبحانه مبتدىء بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فانّ ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولاعذر لك عند الله ولاعندي في قتل العمد لأنّ فيه قيود البدن، وان ابتليت بخطأ، وأفرط عليك سوطك او سيفك او يدك بعقوبة فانّ في الزكاة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن ان تؤدي الى اولياء المقتول حقهم.

واياك والأعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الأطراء فان ذلك من اوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق مايكون من احسان المحسن، واياك والمن على رعيتك باحسانك والتزيد فيما كان من فعلك أو ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فانّ المنّ يبطل الأحسان والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس قال الله سبحانه{كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لاتفعلون}.

واياك والعجلة بالأمور قبل اوانها والتساقط[١] فيها عند امكانها او اللجاجة فيها اذا نكرت[٢] (تنكرت خ) والوهن عنها اذا استوضحت فضع كل امر موضعه وأوقع كل عمل موقعه، واياك والأستئثار بما الناس فيه اسوة والتغابي عما يعني به مما قد وضح للعيون فانّه مأخوذ منك الناس اليك بلا مؤنة فيه عليك من شكاة مظلمة او طلب انصاف في معاملة.

---

(١) التساقط ـ بمد السين ـ من ساقط الفرس عدوه اذا جاء مسترخيا وفي نسخة نهج البلاغة المطبوعة مع شرح عبده: التسقط من قولهم في الخبر يتسقط اذا اخذه قليلا قليلا يريد به هنا التهاون.

(٢) قال عبده تنكرت لم يعرف وجه الصواب فيها واللجاجة الأصرار على منازعة الأمر ليتم على عسر فيه.

ثم ان للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة انصاف فاحسم مؤنة(مادة خ) اولئك بقطع اسباب تلك الأحوال ولاتقطعنَّ لأحد من حاشيتك وخاصتك(حامتك) قطيعة ولايطمعن منك في اعتقاد عقدة تضرَّ بمن يليها من الناس في شرب او عمل مشترك يحملون مؤنته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والآخرة، والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك من قرابتك وخاصّتك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فانَّ بغية(مغبّة) ذلك محمودة وانا اسأل الله تعالى بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقني وايّاك لما فيه رضاه من الأقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء في العباد وجميل الأثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة، وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة وانا اليه راعبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيرا هذا آخر رسالته عليه السلام وهي كافية لمن اراد العمل بها من الحكام والولاة، وفيها سلطان الدنيا وملك الآخرة، فمن قصد العمل بها أوتي خير الدنيا والآخرة، وهذه الوصية تحتاج الى شرح حسن منقح لايخلو من بعض الطول لأنّها كلام من قيل فيه ان كلامه فوق كلام المخلوق وتحت كلام الخالق، وحيث انَّ شرحها هنا يحتاج الى بسط فيطول الكتاب فان وفق سبحانه جعلناه كتاباً منفردا وبالله الأستعانة في كل الأمور.

وقد بقي رسالة اخرى رويناها بأسانيد متعددة الى عبد الله بن سليمان النوفلي قال كنت عند جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فاذا بمولى لعبد الله النَجاشي قد ورد عليه فسلم واوصل اليه كتاباً ففضَه وقرأه فاذا اول سطر فيه بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاء سيدي وجعلني من كل سوء فداه ولا أراني فيك مكروهاً فانّه ولى ذلك والقادر عليه اعلم سيدي اني بليت بولاية الأهواز فان رأى سيدي ان يحد لي حداً ويمثل لي مثالا لأستدل به على مايقربني الى الله عز وجل والى رسوله، ويلخص في كتابه مايرى لي العمل به وفيما ابتذله واين اضع زكاتي وفيمن اصرفها؟ وبمن آنس والى من استريح والى من أثق وامن والجأ اليه في سري، فعسى الله ان يخلصني الله بهدايتك ودلالتك(وولايتك) فانّك حجة الله على خلقه وأمينه في بلاده لازالت نعمته عليك.

قال عبد الله بن سليمان فأجابه ابو عبد الله عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم حاطك الله بصنعه ولطف بك بمنه، وكلأك برعايته فانّه ولى ذلك، امّا بعد فقد جائني رسولك بكتابك وقرأته وفهمت ماذكرته وسألت عنه وزعمت(وذكرت) انّك بليت بولاية الأهواز فسرني ذلك وسائني، وسأخبرك بما سائني من ذلك وما سرني ان شاء الله تعالى، فامّا سروري بولايتك فقلت عسى ان يغيث الله بك ملهوفاً خائفاً من أولياء آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويعزَّ بك ذليلا، ويكسو بك عاريهم، ويقوي بك ضعيفهم، ويطفىء بك نار المخالفين عنهم، واما الذي

سائني من ذلك فان ادنى ما أخاف عليك ان تعثر بوليّ لنا فلا تشم حظيرة القدس فانّي ملخص لك جميه ما سألت عنه ان انت عملت به ولم تجاوزه رجوت ان تسلم ان شاء الله تعالى أخبرني ياعبد الله ابي عن آبائه عن علي بن ابي طالب عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من استشاره اخوه المؤمن فلم يمحضه النصيحة سلبه الله لبه عنه، واعلم انّي سأشير عليك برأي ان انت عملت به تخلّصت ممّا انت متخوفه(تخافه خ) واعلم انّ خلاصك ونجاتك في حقن الدماء وكف الأذى عن اولياء الله، والرفق بالرعية والتأني وحسن المعاشرة مع لين في ضعف وشدة في غير عنف ومداراة صاحبك ومن يرد عليك من رسله، وارتق فتق رعيتك بأن توقفهم على ماوافق الخير والعدل ان شاء الله تعالى.

اياك والسعاة واهل النمائم فلا يلتزقنّ بك منهم أحد ولا يراك الله يوماً وليلة وانت تقبل منهم صرفاً ولاعدلاً[١] فيسخط الله عليك ويهتك سترك، واحذر مكرخوز الأهواز فانّ ابي أخبرني عن آبائه عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال ان الأيمان لاينبت في قلب يهودي لاخوزي ابدا، فاما من تأنس به وتستريح اليه وتلجأ أمورك اليه فذلك الرجل الممتحن المستبصر الأمين الموافق لك على دينه، وميز اعوانك وجرب الفريقين فان رأيت هنالك رشداً فشأنك واياه، واياك ان تعطي درهماً او تخلع ثوباً او تحمل على دابّة في غير ذات الله لشاعر او مضحك او ممتزح الا أعطيت مثله في ذات الله، وليكن جوائزك وعطاياك وخلعك للقوّاد والرسل والأجناد وأصحاب الرسائل واصحاب الشرط والأخماس، وما أردت أن تصرفه في وجوه البر والنّجاح والفتوة والصدقة والحج والمشرب والكسوة التي تصل فيها وتصل بها والهدية التي تهديها الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من أطيب كسبك.

ياعبد الله اجهد ان لاتكثر ذهباً ولافضة فتكون من اهل هذه الآية التي قال الله عز وجل {الذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله} الآية، ولاتستصغرن من حلو او فضل طعام تصرفه في بطون خالية تسكن بها غضب الرب تبارك وتعالى، واعلم اني سمعت ابي يحدث عن آبائه عن امير المؤمنين عليه السلام انّه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لأصحابهيوماً ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعاناً وجاره جائع، فقلنا هلكنا يارسول الله؟ فقال من فضل طعامكم ومن فضل تمركم ورزقكم وخلقكم وخرقكم تطفئون به غضب الرب، وسأنبئك بهوان الدنيا وهو ان شرفها على مامضى من السلف والتابعين، فقد حدثني ابي محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام لما تجهز الحسين عليه السلام الى الكوفة أتاه عبد الله بن عباس

---

(١) يقال لايقبل منه صرف ولاعدل أي توبة وفدية او نافلة وفريضة والمراد.

فناشده الله والرحم ان يكون هو المقتول بالطف، فقال اني اعرف بمصرعي منك وما وكدي من الدنيا الا فراقها، الا اخبرك ياابن عباس بحديث امير المؤمنين عليه السلام والدنيا؟ فقال له بلى لعمري انّي احب ان تحدثني بأمرها، فقال قال ابي قال علي بن الحسين عليهما السلام سمعت اباعبد الله الحسين عليه السلام يقول حدثني امير المؤمنين عليه السلام قال انّي كنت بفدك في بعض حيطانها وقد صارت لفاطمة عليها السلام، فاذا انا بامرأة قد قحمت[١] عليّ وفي يدي مسحاة وانا اعمل بها، فما نظرت اليها طار قلبي ممّا تداخلني من جمالها، فشبهتها ببثينة بنت عامر الجمحي وكانت من اجمل نساء قريش، فقالت ياابن ابي طالب هل لك ان تتزوج بي فاغنيك عن هذه المسحاة؟ وادلّك على خزائن الأرض فيكون لك الملك مابقيت ولعقبك من بعدك؟ فقال لها عليه السلام من انت حتى اخطبك من اهلك؟ قالت انا الدنيا، قال لها فارجعي واطلبي زوجاً غيري فأقبلت على مسحاتي وأنشأت أقول:

لقد خاب من غرته دنيا دنية ... وماهي ان غرت قرونا بنائل
أتتني على زي العزيز بثينة ... وزينتها في مثل تلك الشمائل
فقلت لها غري سواي فانني ... عزوف[٢] عن الدنيا ولست بجاهل
وما أنا والدنيا فانّ محمدا ... أحل صريعاً بين تلك الجنادل
وهيها اتتني بالكنوز ودرّها ... وأموال قارون وملك القبائل
أليس جميعاً للفناء مصيرها ... ويطلب من خزانها بالطوائل
فغرّي سوائي انّني غير راغب ... بما فيك من ملك وعز ونائل
فقد قنعت نفسي بما قد رزقته ... فشأنك يادنيا وأهل الغوائل
فانّي أخاف الله يوم لقائه ... وأخشى عذاباً دائماً غير زائل

فخرج من الدنيا وليس في عنقه تبعة لأحد حتى لقي الله محموداً غير ملوم ولامذموم، ثم اقتدت به الأئمة من بعده بما قد بلغكم لم يتلطخوا بشيء من بوائقها عليهم السلام أجمعين وأحسن مثواهم، وقد وجهت اليك بمكارم الدنيا والآخرة عن الصادق المصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان انت عملت بما نصحت لك في كتابي هذا ثمّ كانت عليك من الذنوب والخطايا كمثل اوزار الجبال وامواج البحار رجوت الله ان يتحامى عنك جل وعز بقدرته ياعبد الله اياك ان تخيف مؤمناًفانّ ابي محمد بن علي حدّثني عن ابيه عن جدّه علي بن ابي طالب عليه

(١) الأقحام الدخول في الشيء بشدة وقوة.

(٢) عزفت نفسي عنه تعزف عزوفاً بالزاء المعجمة زهدت فيه وانصرفت وبالفارسية(روبر تافتن).

السلام انّه كان يقول من ظر الى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله يوم لاظل الا ظله، وحشره الله في صورة الذَر لحمه وجسده وجميع أعضائه حتى يورد مورده وحدّثني ابي عن آبائه عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من أغاث لهفاناً من المؤمنين أغاثه الله يوم لاظل الا ظله وآمنه يوم الفزع الأكبر وآمنه من سوء المنقلب ومن قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له حوائج كثيرة احديها الجنة، ومن كسى أخاه المؤمن من عري كساه الله من سندس الجنة واستبرقها وحريرها ولم يزل يخوض في رضوان الله مادام على المكسوَ منه سلك، ومن أطعم أخاه من جوع أطعمه الله من طيبات الجنة، ومن سقاه من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم ريّه، ومن أخدم أخاه أخدمه الله من الولدان المخلدين وأسكنه مع أوليائه الطاهرين، ومن حمل أخاه المؤمن من رجله(على راحلة) حمله الله على ناقة من نوق الجنة وباهى به الملائكة المقربين يوم القيامة ومن زوّج أخاه المؤمن امرأة يأنس بها ويشدَ عضده ويستريح اليها زوّجه الله من الحور العين وآمنه بمن أحب من الصّديقين من أهل بيت نبيه وأخوانه وآنسهم به، ومن أعان أخاه المؤمن على سلطان جائر أعانه الله على اجازة الصراط يوم زلّت الأقدام، ومن زار أخاه المؤمن الى منزله لالحاجة منه اليه كتب من زوار الله وكان حقيقاً على الله ان يكرم زائره.

ياعبد الله وحدثني ابي عن آبائه عن علي عليه السلام انّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول لأصحابه يوماً معاشر الناس انه ليس بمؤمن من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه فلا تتَبعوا عثرات المؤمنين فانه من تتبع عثرة مؤمن تتبع الله عثراته يوم القيامة وفضحه في جوف بيته، وحدثني ابي عن آبائه عن علي عليه السلام انّه قال أخذ الله ميثاق المؤمن ان لايصدق في مقالته ولاينتصف من عدوه، وعلى ان لايشفى غيظه الا بفضيحة نفسه[١] لأنَ كل مؤمن ملجم وذلك لغاية قصيرةوراحة طويلة، أخذ الله ميثاق المؤمن على أشياء أيسرها عليه مؤمن مثله بمقالته[٢] يبغيه ويحسده وشيطان يغويه ويفتنه(يضله) وسلطان يقفو أثره ويتتبع عثراته وكافر بالله الذي هو به مؤمن يرى سفك دمه ديناً واباحة حريمه غنماً فما بقاء المؤمن بعد هذا؟ ياعبد الله وحدثني ابي عن آبائه عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال نزل جبرئيل عليه السلام فقال يامحمد ان الله يقرئك السلام ويقول اشتققت للمؤمن اسماً من اسمائي سميّته مؤمناً فالمؤمن منّي وانا منه من استهان بمؤمن فقد استقبلني بالمحاربة.

ياعبد الله وحدثني ابي عن آبائه عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال يوماً ياعلي لاتناظر رجلاً حتى تنظر في سريرته فان كانت سريرته حسناء فانَ الله عز

---

(١) أي بتعييبها وتعجيزها عن ان يفعل شيئاً للعدو لشفاعة نفسه بل تشفي المؤمن بملامة نفسه واظهار عجزه وذله.

(٢) أي يعتقد مثل ما أعتقده في الدين ومع ذلك يبغيه.

وجل لم يكن ليخذل وليه، وان كانت سريرته ردية فقد يكفيه مساويه، فلو جهدت ان تعمل به أكثر مما عمله من معاصي الله عز وجل ماقدرت عليه، ياعبد الله وحدثني ابي عن آبائه عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال أدنى الكفر ان يسمع الرجل عن أخيه الكلمة فيحفظها عليه يريد ان يفضحه بها اولئك لاخلاق لهم.

ياعبد الله وحدثني ابي عن آبائه عن علي عليه السلام انّه قال من قال في مؤمن مارأت عيناه وسمعت اذناه مايشينه ويهدم مروّته فهو من الذين قال الله عز وجل{ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم} ياعبد الله وحدثني ابي عن آبائه عليه السلام انه قال من روى عن اخيه المؤمن رواية يريد بها هدم مروّته وشينه أوثقه الله بخطيئته يوم القيامة حتى يأتي بالمخرج مما قال ولن يأتي بالمخرج منه ابداً ومن ادخل على اخيه المؤمن سرورا فقد ادخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرورا، ومن أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سروراً فقد سرّ الله ومن سرّ الله فحقيق عليه ان يدخله الجنة.

ثم اني اوصيك بتقوى الله وايثار طاعته والأعتصام بحبله فانّه من اعتصم بحبل الله فقد أهدي الى صراط مستقيم، فاتق الله ولاتؤثر أحداً على رضاه وهواه فانّه وصية الله عز وجل الى خلقه لايقبل منهم غيرها ولايعظم سواها، واعلم ان الخلائق لم يوكلوا بشيء أعظم من التقوى فانه وصيتنا اهل البيت فان استطعت ان لاتنال من الدنيا شيئاً تسأل عنه غداً فافعل، قال عبد الله بن سليمان فلما وصل كتاب الصادق عليه السلام الى النّجاشي نظر فيه وقال صدق والله الذي لااله الا هو مولاي فما عمل احد بما في هذا الكتاب الاّ نجا، فلم يزل عبد الله يعمل به ايام حياته، هذا تمام الرسالة بلفظها وقد اشتملت على قوله عليه السلام مانبت الأيمان في قلب يهودي ولاخوزي ابداً ولعل ظاهره لايخلو من اشكال، اذ قوله ابداً يدل بظاهره على استغراق الأزمنة المستقبلة بالنّظر الى زمن مولانا امير المؤمنين عليه السلام مع انّ الأهواز قد كان منها المؤمنون في كل الأعصار سيما هذه الأزمان(الأعصار)، وحينئذ فمامعنى هذا النفي المؤكد بالدوام؟ قلت يمكن الجواب عنه من وجوه:

اولها انّ المراد من قوله خوزي كفّارهم بقرينة ذكرهم مع اليهودي، فيكون اشارة الى انّ كفارهم قد طبعوا على الكفر بحيث لايقبلون دخول الأيمان في قلوبهم، وكأنهم ينشأوا على الفطرة التي قال فيها علي عليه السلام كلّ مولود يولد على الفطرة حتى انّ ابويه يهوّدانه وينصرانه.

وثانيها ان نبات المؤمن مغاير لحصولهواستقراره بعد الحصول وذلك اَ نبات الأيمان في القلب عبارة عن تأصّله فيه وأستحكام ثباته فيه كأستحكام نبات الشجرة في الأرض وحينئذ فمعناه انّ ايمان غيرهم في القلوب نبات كنبات الشجر في اعماق الأرض واما ايمان اهل الأهواز فهو

كشجرة زرعت على وجه الأرض ودخلت عروقها في الأرض للبقاء لكن اين لإستحكام هذه الشجرة التي نبتت في الأرض وطلعت اغصانها خارج القلب لكن اين لإستحكام هذه الشجرة التي نبتت في الأرض وطلعت اغصانها خارج القلب بعد ان كان مستقرها القلب، وبالجملة فايمان غيرهم قد خرج من داخل القلب وجرى على ظاهره وايمان اهل الأهواز قد أتى الى القلب من الأعضاء الخارجة عنه، فيكون كناية عن عدم كمال استقراره وثباته في القلب كما قال عزَ من قائل في قسمي الأيمان{فمستقر ومستودع}.

وثالثها ان قوله عليه السلام لاينبت الأيمان المراد به الأيمان الكامل لما تقدم من انَ الأيمان عشر درجات، ولاريب انَ امير المؤمنين عليه السلام اذا اطلق لفظ الأيمان لايريد به غالباً الا الدرجة العالية منه او ماقاربها كايمان سلمان او ابي ذر والمقداد وعمار ونحوهم من اكابر الصحابة، فمثل هذا الأيمان لاينبت ولايدخل في قلوبهم فلا ينافيه دخول الإيمان بأقسامه الأُخرى، ولاتظن انَ هذا الجواب هو عين الجواب الثاني بل هو غيره وحينئذ فيكون النابت في قلوبهم أقل درجاته.

واما الحويزة فهي داخلة في الأهواز، وقد ذكر صاحب كتاب غرائب البلدان مذمة ابلدين(الحويزة) قال الحويزة وما أدراك ما الحويزة دار الهوان ومنزل الحرمان، ثم ماأدراك ما الحويزة أرضها رغام وسماؤها قتام وسحابها جهام وسمومها شهام ومياهها سمام وطعامها حرام واهلها لئام، وخواصها عوام وعوامها طغام، لايدري ريعها ولايرجى نفعها ولايعرى ضرعها ولايرعى ذرعها، ولقد صدق الله قوله فيها{ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثَمرات}الآية، وهم يتخذون الغمز والزور الى ارزاقهم سبباً ويأكلون الدنيا سلباً ويعدَون الدنيا لهوا ولعبا ولو اطَلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً وفيهم يقول الشاعر:

اذا سقى الله أرضاً صــــوب غــادية   فلا ســقاها سوى النَيران تضــطرم

وينسب اليها ابو العباس احمد بن محمد الحويزي وكان اذا عزل عن الدولة شرع في العبادة والزهد ومطالعة الكتب حتى يظهر للناس انَه كان يتمنى العزل، واذا أقبلت عليه الدَولة كان من أظلم الظلمة، فصعد اليه جماعة وشقوا بطنه.

قال مؤلف هذا الكتاب عفى الله عنه قد كان أوائل تحصيلنا العلوم فيها في أول زمان حكومة الوالي المرحوم السيد علي خان ورأينا ان الغالب على اهلها العبادة والزهادة ومطالعة العلوم وكتابة الكتب وأهلها في غاية الذكاء، وذلك انَ الرعية تبع للوالي وكان واليها المذكور قد حاز الحظ الأوفر من العبادة والزهادة والتَبحر في فنون العلوم ونظم الأشعار والقصائد الرائقة

وقد اكثر من التصانيف العالية في انواع العلوم وقد كان في الحلم والعفو عمّن اساء اليه بمكان لايدانى فيه، واما شجاعته وقوة قلبه فقد كانت تضرب بها الأمثال، وقد اتصلنا بملازمة مجلسه العالي اوقاتاً كثيرة وما كان عيب مجلسه الاذكر فنون العلوم والآداب فيه كما قال الشاعر:

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم   بهنّ فلول من قراع الكتائب

وقد ذكرنا فيما تقدم مكاتبة أرسلها الينا أكثر فيها الملاطفة واظهار المحبة، وفي وقت تأليف هذا الكتاب صار الوالي ولده المبارك الذي اقتفى أثر ابيه في مكارم الأخلاق السيد حيدر خان، وبالجملة فالولاة اذا جعلوا هذا النور قانوناً لأعمالهم وأحكامهم فازوا بالنّشأتين ووفقوا للدولتين.

(نور في احوال العالم والمتعلم وكيفية آدابهما)

وهذا النور يشتمل على فوائد:الفائدة الأولى آدابهما في أنفسها وهي على أمور:

الأول في نية التعليم والتعلم فانك قد عرفت انّ مدار قبول الأعمال على النّية وبسببها يكون العمل ارة خزفة لاقيمة لها وتارة وبال على صاحبه مكتوب في ديوان السّيئات وان كان في صورة الواجبات.

روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان اول اناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به الى فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت، قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال جريٌ فقد قيل ذلك ثم امر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلّمه وقرأ فيك القرآن قال كذبت ولكنّات تعلّمت ليقال انّك قارىء فقد قيل ثمّ امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار.

وهذه الدرجة هي درجة الأخلاص عظيمة المقدار كثيرة الأخطار، وذلك انّ الأنسان لو فكر في نفسه لعلم انّ الباعث الأكثر سيّما في الأبتداء لطالب العلم طلب الجاه والمال اوالشهرة وانتشار الصيت ولذة الأستيلاء واستثارة الحمد والثناء وربما لبس الشيطان عليه مع ذلك ويقول لهم غرضكم نشر دين الله.

وهذه المقاصد تظهر عند ظهور واحد من الأقران اكثر علماً منه وأحسن حالاً بحيث يصرف الناس عنه فلينظر حينئذ فان كان حاله مع الموقّر له والمعتقد لفضله احسن وهو له اكثر احتراماً وتلقى به أشدّ استبشاراً ممّن يميل الى غيره مع كون ذلك الغير مستحقاً للموالاة فهو مغرور عن دينه مخدوع وهو لايدري، وربّما انتهى الأمر بأهل العلم الى ان يتعايروا تعاير النساء فيشقّ على احدهم ان يختلف بعض تلامذته الى غيره وان كان يعلم انه ينتفع بغيره ويستفيد في دينه، ولو كان الباعث على العلم هو الأخلاص لكان اذ اظهره غير شريكاً او مستبداً او معناً على التّعليم

لشكر الله تعالى اذ كفاه او اعانه على هذا المهم بغيره، وايضاً فيه تكثر المرشدين الهادين وأوتاد الأرض وربما لبس عليه الشيطان وقال انما غمك من ظهور هذا العالم لإنقطاع الثواب عنك ووصوله الى غيرك لا لأجل انصراف الناس عنك ولم يعلم ان انقياده للحق أفضل من انفراده بهذا المعنى بل قد ينخدع الأنسان ويحدث نفسه بانه لو ظهر من هو أولى منه واعلم لفرح به واختاره على نفسه، ثم اذا ظهر ذلك العالم كذب عليه في الذي حدثته به نفسه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انَ الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم فيه، وقال ايضاً انَ الله يؤيَد هذا الدين بالرجل الفاجر.

الأمر الثاني استعمال ماعلماه فانَ العاقل همَه الرعاية والجاهل همه الرواية وجاء رجل الى علي بن الحسين عليه السلام فسأله مسائل، فأجاب ثم عاد ليسأل مثلها فقال علي بن الحسين عليه السلام مكتوب في الأنجيل لاتطلبوا علو مالاتعلمون، ولما تعملوا بما علمتم، فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه الا كفراً ولم يزدد من الله الا بعداً ومثال الفقيه المتقن للعلوم من غير عمل مثل مريض به علّة لايزيلها الا دواء مركب من أخلاط كثيرة لايعرفها الا حذائق الأطباء فسعى في طلب الطبيب بعد ان هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق، فعلَمه الدواء وفصل له الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ةمعادنها التي منها يجلب وعلَمه كيفية دقَها وعجنها، فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخاً حسنة بحسن خط ورجع الى بيته وهو يكررها ويقرأها ويعلَمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى انَ ذلك يغني عنه من مرضه شيئاً؟ هيهات لو كتب منه ألف كتاب وعلَمه ألف مريض حتى شفي جميعهم وكرَره كل ليل ألف مرَة لم يغنه ذلك من مرضه شيئاً الى ان يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته بعد تقديم الأحتماء وجميع شروطه، واذا فعل جميع ذلك كلَه فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلاً، هكذا الفقيه اذا أحكم علم الطاعات ولم يعمل بها، واحكم على المعاصي ولم يجتنبها، وأحكم علم الأخلاق المذمومة ومازكى نفسه منها، واحكم علم الأخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور في نفسه مخدوع عن دينه، وقد يغرَه الشيطان فيقول له ماانت وهذا المثال لأنَ مطلبك القرب من الله تعالى ويتلو عليه الأخبار الواردة في فضائل العلم ولم يعلم ماوصف الله به العالم التَارك لعلمه كقوله تعالى في وصف بلعم بن باعور الذي كان في حضرته اثنا عشر ألف محبرة يكتبون عنه العلم مع ماآتاه الله من الآيات المتعددة التي كان من جملتها انَه كان بحيث اذا نظر يرى العرش، كما نقله جماعة من العلماء، فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث، فاذن المطلوب من العالم انَما هو العلم والعمل.

واماَ طلب الرزق فقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى قد تكفل لطالب العلم برزقه خاصة عما ضمنه لغيره، بمنى ان غيره يحتاج الى السعي على الرَزق حنى يحصل غالباً وطالب العلم لايكلفه بذلك بل كفاه مؤنة الرَزق ان احسن الظن به وعندي في ذلك من الوقائع من ألطاف الله تعالى بي من أول اشتغالي بالعلم وهو اوائل سنة الستين بعد الألف الى هذا الوقت وهو عام التاسع والثمانين بعد الألف من انواع الأرزاق وكيفية التَسبب اليها ما لايحصيه الا الله تعالى.

الأمر الثالث حسن الخلق زيادة على غيرهما من الناس والتواضع وبذل الوسع في تكميل النفس، وذلك ان المتلبس بالعلم ينظر الناس الى اوصافه فتتعدى اوصافه الى غيره من الرعية فيكون في حسن اخلاقه انتظام النَوع كما انَ في فساده فسادها وياليته اذ هلك انقطعت مفاسد اعماله بل هي باقية بعده فيمن استن بأخلاقه وأفعاله، قال بعض العارفين ان عامة الناس ابداً دون المتلبس بالعلم بمرتبة، فاذا كان ورعاً تقياً صالحاً تلبست العامة بالمباحات، واذا اشتغل بالمباح تلبست العامة بالشبهات، فان دخل بالشبهات تعلق العامي بالحرام كفر العامي، وهذا مما هو مشاهد بالعيان فلا يحتاج الى النقل من الأعيان.

الأمر الرابع ان يكون على الهَمة منقبضاً عن الملوك واهل الدنيا لايدخل اليهم طمعاً ماوجد الى الفرار منهم سبيلا صيانة للعلم عما صانه سلف، ومن فعل ذلك فقد خان امانته وعرض نفسه، وفي اغلب الأحوال لم يبلغ بغيته، قال صلى الله عليه وآله وسلم الفقهاء أمناء الرسل مالم يدخلوا في الدنيا، قيل يارسول الله ومادخولهم في الدنيا؟ قال اتباع السلطان فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم، اما لو اتبع السلطان ليجعله وسيلة الى اعلاء كلمة الحق وترويج الدين وقمع اهل البدع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك فهو افضل الأعمال، وبه يجمع بين الأخبار وقد فعل ذلك جماعة من الأعيان كعلي بن يقطين وعبد الله النجاشي وابي القسم بن روح احد الأبواب الشريفة ومحمد بن اسماعيل بن بزيع، ونوح بن دراج وغيرهم من اصحاب الأئمة الطاهرين، ومن الفقهاء مثل السيدين الأجلين المرتضى والرضي وابيهما، وخوجا نصير الدين الطوسي والعلامة الحلي، ومن المتأخرين شيخنا بهاء الدين محمد العاملي والفاضل الورع المولى عبد الله التستري، والمحقق الكاشي وفي هذا العصر استاذنا الخونساري.

روى الصدوق باسناده الى الرضا عليه السلام انَه قال انَ لله تعالى بأبواب الظالمين من نور الله به البرهان ومكن له في البلاد ليدفع بهم عن اوليائه ويصلح الله به امور المسلمين لأنه ملجا المؤمنين من الضررواليه يفزع ذوو الحاجة من شيعتنا بهم يؤمن الله روعة المؤمن في دار الظلمة اولئك المؤمنون حقاً اولئك امناء الله في ارضه، اولئك نور الله في رعيتهم يوم القيامة

ويزهر نورهم لأهل السماوات كما يزهر الكواكب الزّهرية لأهل الأرض، اولئك من نورهم نور القيامة تضيء منهم القيامة خلقوا والله للجنة وخلقت الجنة لهم فهنيئاً لهم ماعلى احدكم ان لو شاء لنال هذا كله، قال الراوي وهو محمد بن اسماعيل بن بزيع بماذا جعلني الله فداك؟ قال تكون معهم فتسرنا بادخال السرور على المؤمنين من شيعتنا فكن منهم يامحمد، ولكنَ الحق انَ هذا موضع خطر فانَ حب الرئاسة ربما حجب القلب عن طرق الصواب، ومن هذا بعد عنه العلماء الأعلاموقد حدثني اوثق مشايخي انَ السيد الجليل محمد صاحب المدارك والشيخ المحقق الشيخ حسن صاحب المعالم قد تركا زيارة المشهد الرضوي على ساكنه افضل الصلوات خوفاً من أن يكلفهم الشاه عباس الأول بالدخول عليه مع انه كان من اعدل سلاطين الشيعة فبقيا في النجف الأشرف ولم يأتيا الى بلاد العجم احترازاً من ذلك المذكور.

الأمر الخامس ان يحافظ على القيام بشعائر الأسلام وظواهر الأحكام كإقامة الصلوات في الجماعات وافشاء السلام للخاص والعام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى بسبب ذلك صادعاً بالحق متكلّماً باذلاً نفسه لله لايخاف لومة لائم متأسياً في ذلك بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره من الأنبياء، متذكراً لما نزل بهم من المحنعند القيام بأوامر الله تعالى، فإن العلماء هم القدوة ويقتدي بهم من لاينظرون اليه ولايعلمون به وبالجملة فهم قد ورثوا الأنبياء عليهم السلام ووارث النبي الأخذ عنه يجب عليه ان يراعي نسبة من اخذ عنه الميراث.

الفائدة الثانية آدابهما في درسهما واشتغالهما وهو يشتمل ايضاً على امور:

أولها ان لايزال كل منهما مجتهد في الأشتغال قراءة ومطالعة وتعليقاً ومباحثة ومذاكرة وحفظاً وفكراً واقراءً وغيرها، وان يكون ملازمته للعلم هي رأس ماله، ومن هنا قيل اعط العلم كلّك يعطك(يعطيك) بعضه، وعن الباقر عليه السلام رحم الله عبداً أحيا العلم فقيل وما احياؤه؟ قال ان يذاكر به أهل الدين والورع.

وثانيها ان لايسأل احداً تعنتاً اوتعجيزاً بل سؤال متعلم لله او معلّم له منبه على الخبر قاصداً للأرشاد او الأسترشاد فهناك تثمر شجرة العلم، فاما اذا قصد المراء والجدال واحب ظهور الفلج والغلبة فان ذلك يثمر في النفس ملكة ردية ويستحق المقت من الله تعالى ومع ذلك فهو منقص للعيش فانّك لاتماري سفيها الا ويؤذيك ولاحليماً الا ويقيلك(ويغلبك خ) وفي تركه ثواب جزيل قال صلى الله عليه وآله وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة، ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في رنط الجنة وحقيقة المراء الإعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه او لفظاً او معنى او قصداً لغير غرض ديني أمر الله تعالى به، فامّا اللفظ فهو كاظهار خلل فيه من جهة النحو او اللغة او النظم او التّرتيب بسبب قصور المعرفة او طغيان اللسان، واما في المعنى

كإن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه لكنّه كذا، واما في قصده فمثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق ومايجري مجراه وعلامة فساد مقصد المتكلم يتحقق بكراهة ظهور الحق على غير يده.

وثالثها ان لايستنكف من التّعلم والإستفادة ممّن هو دونه في منصب او شهرة او سن او في علم آخر، بل يستفيد من كل من يفيده لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها، وليس العمى طول السؤال وانّما تمام العمى طول السّكوت على الجهلومن هذا الباب ان يترك السؤال استحياء فانه كما قال الصادق عليه السلام من رقّ وجهه رق عمله، وقال عليه السلام هذا العلم عليه قفل ومفتاحه السؤال.

ورابعها وهي اهمها الإنقياد للحق بالرجوع عند الهفوة ولو ظهر على يد من هو اصغر منه، فانه هو المكبر المذكور في الأخبار الذي هو رد الحق الى اهله وعدم قبوله منهم، وما أحسن الأنصاف من العالم، وقد كان لي شيخ جليل قرأت عليه كثيراً من العربية والأصول فما وجدت احداً أنصف منه، وذلك انه ربما أشكلت المسئلة علينا وقت الدرس فاذا طالعتها انا وكنت اصغر الشركاء سنّاً قال لي ذلك الشيخ هذا الحق وغلطت انا وجميع هؤلاء فيغلط نفسه والطلبة لأجل معرفته بصحة كلامي، ثم يقول لي امل على ما خطر بخاطرك حتى أعلقه حاشية على كتابي، فأملي لنا عليه وهو يكتبه حاشية، وهو وقت تأليف هذا الكتاب في بلاد حيد آباد من بلاد الهند واسمه الشيخ جعفر البحريني مدّ الله ايام سعادته، ومن جملة اخلاقه ان استاذنا الشيخ عبد الله الحويزي قد ألّف تفسيراً غريباً بالأحاديث وحدها سماه نور الثقلين، فسألت الشيخ جعفر سلّمه الله تعالى عن ذلك التفسير وكيف هو؟ فقال لي يافلان هذا التفسير في حياة مؤلفه مايسوي عندنا شيئاً ولاهو جيد فاذا مؤلفه فأوّل من يكتبه بماء الذهب انا، ثمّ تلى عليّ هذين الشعرين:

ترى الفتى ينكر فضل الفتى ... مادام حياً فاذا ماذهب

لجّ به الحرص على نكتة ... يكتبها عنه بماء الذهب

ولقد صدق في هذا، وقد كان في اصفهان رجل فاضل فصنف كتاباً مليحاً فلم يكتبه احد ولم يلتفت اليه، فقال له رجل من الطّلبة لم لايشتهر كتابك؟ فقال لأنّ له عدواً فاذا أزال الله سبحانه ذلك العدو اشتهر كتابي، فقال له ومن هو؟ فقال انا وقد صدق في كلامه هذا.

وبالجملة فارتكاب طريقة الأنصاف طريقة الحكماء الألهين كيف لاوقد روي ان الله سبحانه أمر نوحاً عليه السلام بالرجوع الى قبول كلام الشيطان حتى نصح نوحا، وقال له وهو في

السفينة يانوح اياك والحرص فانه الذي أخرج أباك آدم من الجنة حين أباح الله له جميع ثمارها ونهاه عن شجرة الحنطة فدعاه الحرص الى الأكل منها، واياك والتكبر فانه الذي بلغ بي الى ماترى بعدما كنت طاووساً للملائكة، وذلك انه أمرني بالسجود لأبيك آدم فتكبرت عنه وأبيت، واياك ان تخلو بامرأة أجنبية في بيت واحد فانّك اذا خلوت بها أكون انا الثالث فاوقعك بوسواسي في الفتنة، فأوحى الله سبحانه الى نوح ان اقبل كلام الشيطان فانّي اجريت الحق على لسانه.

وخامسها ان يتأمل ويهذّب مايريد ان يورده او يسأل عنه قبل ابرازه والتفوه به ليأمن من صدور هفوة او زلة او انعكاس فهم فيصير له بذلك ملكة.

وسادسها ان لايحضر مجلس الدرس الا اذا كان متطهراً من الحدث والخبث متنظفاً متطيباً في بدنه وثوبه لابساً أحسن ثيابه قاصداً بذلك تعظيم العلم وترويح الحاضرين من الجلساء والملائكة سيّما اذا كان في مسجد.

الفائدة الثالثة آداب يختص بها المعلم وهو يشتمل على بيان امور:الأول ان لاينتصب للتدريس حتى يكمل اهليته ويظهر استحقاقه لذلك ويشهد له صلحاء مشايخه ففي الخبر المشهور:المتشبع بما لم يعط كلابس ثوب زور، واذا نصب نفسه للتدريس وكان محتاجاً الى قراءة الدّرس(دروس) عسر عليه جداً فلا ينبغي له ان يتصدى للتدريس الا بعد قضاء الوتر من قرائة الدرس.

الثاني ان لايذل العلم ببذله لغير اهله ويذهب الى بيوت الأكابر لتعليم العلم الا ان تدعوا اليه ضرورة وتقتضيه مصلحة دينية، الثالث ان يكون عاملاً بعلمه زيادة على ماتقدّم في الأمر المشترك، قال سبحانه{كبر مقتاً عند الله ان تقولوا مالاتفعلون} وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغش الناس بنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه.

الرابع زيادة حسن الخلق فيه وتكميل النفس فانّ العالم الصالح في هذا الزمان بمنزلة نبيّ من الأنبياء كما جاء في الحديث من قوله صلى الله عليه وآله وسلم علماء امتى كأنبياء بني اسرائيل بل قيل انّ العالم أعظم في هذا الزمان، وذلك لأن انبياء بني اسرائيل كان يجتمع منهم في العصر الواحد ألوف، واما العلماء في هذه الأعصار فلا يوجد منهم الا واحد بعد واحد.

الخامس ان لايمتنع من تعليمه لأحد لكونه غير صحيح النية على كثير من الطالبين ابتداء الطلب لقلة أنسهم بموجبات تصحيح النية فيؤدي الى تفويت كثير من العلم مع انّه يرجى اذا توسّع في العلم النيّة الصحيحة منه، قال بعض العلماء طلبنا العلم لغير الله فأبى ان يكون الا لله، ومعناه انّه صارت عاقبته ان صار لله، لكن يجب على العالم اذا عرف من المتعلم مثل هذا ان

يرشده الى نية الخير بتلاوة الأخبار والآيات الواردة فيه فان لم ينجع ذلك فيه فليتركه، وقد أشار الى هذا مولانا امير المؤمنين عليه السلام بقوله لاتعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير، وعن الصادق عليه السلام قال قام عيسى بن مريم خطيباً في بني اسرائيل لاتحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولاتمنعوها اهلها فتظلموهم.

السادس بذل العلم عند وجود المستحق فانه تعالى قد أخذ على العلماء في شأن تعليم الجهّال مأخذه على الأنبياء، وقال مولانا الصادق عليه السلام قرأت في كتابي علي عليه السلام انَ الله لم يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلما عهداً ببذل العلم للجهال لأنَ العلم كان قبل الجهل، فان قلت بناء على ماتقدم من أخذ العهد على العلماء أيجب عليهم تعليم الجهّال قبل ان يبتدأوهم ام لايجب الا بعد السؤال؟ قلت هذه مسئلة غامضة ومارأينا من تعرض لها ولكن الذي يظهر من ممارسة الأخبار وأطوار الأئمة الأطهار عليهم السلام مع جهّال شيعتهم انَ وجوب بذل العلم لايكون الا بعد السؤال بشرط ان يعرفوا الجهّال ان أخذ العلم واجب عليكم، فاذا ألقى العالم مثل هذا الكلام المجمل الى الجهال وجب على الجهال التفحص والسؤال وعلى العلماء الجواب.

نعم اذا رأوا جاهلاً بحكم ظهر جهله عندهم وجب عليهم ارشاده، وعلى هذا ينحل معنى الحديث الذي نقله المشايخ رضوان الله عليهم وهو ان سائلاً سأل الصادق عليه السلام عن النساء أيحتلمن؟ فقال نعم ولكن لاتحدثوهنَ به فيتخذنه علة، حيث أشكل ظاهره بأن ارشاد الضال وتعليم الجهال واجب واجب فكيف لم يوجب عليه السلام هذا الحكم؟ حتى انه ذخب شيخنا المعاصر أدام الله أيامه الى انَ هذا الحديث مخصص لذلك العام، وبيان دفع الأشكال انه عليه السلام قال لاتحدثوهنَ يعني لاتخبروهنَ به ابتداء منكم لما عرفت من عدم وجوب مثله ولم يقل عليه السلام لاتجيبوهنَ عن هذه اذا سألنكم، وهذا ظاهر من قوله لاتحدثوهنَ فانَ ظاهره ابتداؤهن به على مالا يخفى، وقال الباقر عليه السلام زكاة العلم ان تعلّم عباد الله.

السابع ان يحترز عن مخالفة أفعاله لأقواله وان كانت على الوجه الشرعي مثل أن يأمر بشيء من المستحبات وهو لايأتي بها لإشتغاله بما هو أهم منها، فان هذا وان كان جائزاً الا ان العوام ربما توهّموا انه تلبيس عليهم، فانه ينبغي للعالم كشف مايلتبس حاله على الناس كما اتفق للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حين رآه بعض أصحابه يمشي ليلاً مع بعض زوجاته الى منزلها، فخاف ان يتوهم انها ليست من نسائه فقال له انَ هذه زوجتي فلانة، ونبّهه على العلّة لخوفه من تلبيس ابليس عليه.

الثامن اظهار الحق بحسب الطاقة من غير مجاملة لأحد ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا ظهرت البدع في امتي فليظهر العالم علمه ومن لم يفعل فعليه لعنة الله، وماجاءت الغفلة في الغالب واستيلاء الجهالة والتقصير عن معرفة الفرائض والقيام بالواجبات والسنن الا من تقصير العلماء عن اظهار الحق على وجهه واتعاب النفس في اصلاح الخلق وردهم الى سلوك سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، بل لايكتفي علماء السوء بهذا حتى يوافقون العوام والفساق على مايصنعون، فعند ذلك ينزل من السماء الويل والثبور، قال بعض العلماء ان كل قاعد في بيته اين ما كان فليس خالياً عن المنكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم معالم الدين وحملهم على المعروف سيما العلماء، فانَ اكثر الناس جاهلون في الشرع في الواجبات العينية كالصلاة وشرائطها سيما في القرى والبوادي فيجب كفاية ان يكون في كل بلد وكل قرية واحد يعلم الناس دينهم باذلاً نفسه للإرشاد والتعليم، وقد سبق الكلام فيه اما اذا احتاج العالم الى كتمان العلم للضرورة فلا بأس بكتمانه وان كان في بلاد الإيمان، فإنا رأينا انَ الضرر الذي يحصل من عوام الشيعة لعلمائهم لايقصر عن الضرر الذي يحصل للعلماء من المخالفين في المذهب.

الفائدة الرابعة في آداب المعلم مع تلاميذه وهو يشتمل ايضاً على أمور:

أولها ان يؤد بهم على التدريج بالآداب السنيَة والشيم المرضية، وأول ذلك أن يحرص الطالب على الأخلاص لله تعالى في سعيه ومراقبة الله تعالى، وان يعرفه انَ ذلك يفتح عليه أبواب العلم وينابيع الحكمة.

وثانيها ان يرغبهم في العلم ويذكرهم فضائله وفضائل العلماء وانَهم ورثة الأنبياء وانذهم على منابر من نور يغبطهم الأنبياء والشهداء، ونحو ذلم مما ورد في فضائل العلم والعلماء من الآيات والأخبار والأشعار والأمثال، ففي الأدلَة الخطابية والأمارات الشعرية(حظ) هز[1] عظيم للنفوس الإنسانية.

وثالثها ان يحب لهم مايحب لنفسه ويكره لهم مايكره لنفسه من الشرَ فان ذلك من تمام الإيمان ومقتضى المؤاساة، ففي صحيح الأخبار لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه، ولاشك ان المتعلم أفضل الأخوان بل الأولاد فانَ العلم كما عرفت قرب روحاني وهو أجل من الجسماني.

ورابعها ان يزجره عن سوء الأخلاق وارتكاب المناهي او ترك الإشتغال او إسائة أدب أو كثرة كلام لغير فائدة او معاشرة من لايليق بع معاشرته او نحو ذلك بطريق التعريض لا التصريح،

---

(١) هز أي تحريك.

لأنَه يهيج الحرص على الإصرار، وقد ورد لو منع الناس عن غتَ البعر لفتّوه وقالوا مانهينا عنه الا وفيه شيء، فان لم ينته بالتعريض فبالتصريح والا فيغلظ عليه القول فان لم ينته يطرده، وبالجملة فكما يعلمهم مصالح دينهم يعلمهم مصالح دنياهم ليكما عليهم فيلة الحالتين.

وخامسها ان لايتعاظم على المتعلمين بل يتواضع لهم، قال تعالى{واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين} وفي الخبر عنه صلى الله عليه وآله وسلم علّموا ولاتعنفوا فان المعلم(العلم) خير من المعنف(العنف) وعنه صلى الله عليه وآله وسلم لينوا لمن تعلّمون ولمن تتعلمون منه، وينبغي ان يخاطب كلاً منهم سيّما الفاضل المتميز بكنية ونحوها من أحب الأسماء اليه، فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكني أصحابه إكراماً لهم، وقال صلى الله عليه وآله وسلم انَ رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فاذا أتوكم فاستو صوابهم خيراً.

وسادسها اذا غاب أحد منهم او من ملازمي الحلقة زائداً على العادة يسأل عنه وعن أحواله وموجب انقطاعه فان لم يخبر عنه أرسل اليه او قصد منزله بنفسه وهو أفضل كما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فان كان مريضاً عاده او في غمّ فرجّه عنه او مسافراً تفقّد اهله وتعرّض لحوائجهم ووصلهم بما أمكن.

وسابعها ان يستعلم اسماء طلبته وحاضري مجلسه وأنسابهم وكناهم ومواطنهم واحوالهم ويكثر الدعاء لهم.

وثامنها ان يكون سمحاً ببذل ماحصّله من العلم متلطّفاً في افادته طالبيه، ولاينبغي ان يدخّر عنهم شيئاً من انواع العلوم التي يحتاجون اليها او يسألون عنها اذا كان الطّالب أهلاً لذلك، وليكتم عنهم مالم يتأهلوا له من المعارف لأنَ ذلك ممّا يفرق الهمّ، فان سأله عن شيء من ذلك نبهَه على انَ ذلك يضرّه وانّه لم يمنعه منه شحاً بل شفقة ولطفاً.

وتاسعها منع المتعلم ان يشتغل بغير الواجب قبله وبفرض الكفاية قبل فرض العين ومن فرض العين إصلاح قلبه وتطهير باطنه بالتّقوى وكذلك يمنعه علم الأدب قبل علم السنة وهكذا.

وعاشرها ان يكون حريصاً على تعليمهم باذلاً وسعه في تقريب الفوائد الى أفهامهم متهماً بذلك مؤثراً له على حوائجه ومصالحه مالم يكون ضرورة الى ماهو أرجح منه، ويفهم كل واحد منهم بحسب فهمه فلا يلقى اليه مالا يحتمله فهمه، ويخاطب كل واحد منهم بحسب فهمه فلا يلقى اليه مالايحتمله فهمه، ويخاطب كل واحد على قدر درجة فهمه، ويكرر المسئلة من الأقوال والدلائل القويّة والضعيفة وينبه على وجه ضعفه.

وحادي عشرها ان يذكر في تضاعيف الكلام مايناسبه من قواعد الفن الكلية التي لاتنخرم او يضبط مستثنياتها ان كانت كقوله كل ركن يطل الصلاة بزيادته ونقصانه مطلقاً الاّ مواضع مخصوصة ويذكرها مفصلة.

وثاني عشرها ان يحرصهم على الأشتغال في كل وقت ويطالبهم باعادة محفوظاتهم ويسألهم عمّا ذكر لهم من المهمات والمباحث فمن وجده حافظاً مراعياً اكرمه وأثنى عليه وأشاع ذكر ذلك، ومن وجده مقصراً عنفه في الخلوة، وان رأى مصلحة في الملأ فعله فانّه طبيب.

وثالث عشرها ان يطرح على اصحابه مايراه مستفاد المسائل الدقيقة والنكت الغريبة يختبر بذلك أفهامهم ليتدبروا بذلك ويعتادوه، وقد روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلمقال ان من الشجرة شجرة لايسقط ورقها وانها مثل المسلم حدثوني ماهي؟ فوقع الناس في شجر البوادي، قال ابن عمر ووقع في نفسي انها النخله فاستحيت ، ثم قالوا حدثنا ماهي يا رسول الله ؟ فقال هي النخله ، فقال له ابوه لو قلتها لكان لكان احب الي من كذا وكذا وكذلك اذا فرغ من شرح الدرس فلا بأس بأن يطرح مسائل تتعلق به على الطلبة واعادة ذكر ماأشكل منه ليمتحن بذلك فهمهم وضبطهم لما شرح لهم، فمن ظهر استحكام فهمه له شكره ومن لم يفهمه تلطّف في اعادته له، وينبغي للشيخ ان يأمر الطلبة بالإجتماع في الدرس لما يترتب عليه من الفائدة التي لاتحصل مع الأنفراد واعادة ماوقع من التقرير بعد فراغه فيما بينهم ليثبت في أذناهم.

ورابع عشرها ان ينصفهم في البحث فيعترف بفائدة يقولها بعضهم وان كان صغيراً فانّ ذلك من بركة العلم، وقد قدّمنا الكلام فيه.

وخامس عشرها ان لايظهر للطلبة تفضيل بعضهم على بعض عنده في مودّة او اعتناء مع تساويهم في الصفات من سنّ او فضيلة او ديانة فانّ ذلك مّما ينفر القلوب وان كان بعضهم اكثر تحصيلا وأشدّ اجتهاداً فلا بأس بترجيحه بشرط أن يذكر لهم انّ ترجيحه وإكرامه انّما هو لهذه الفضيلة، وذلك لينشط باقي الطلبة فيحصلون صفاته.

وسادس عشرها ان يقدّم في تعليمهم اذا ازدحموا الأسبق ولايقدمه بأكثر من درس الاّ برضاء الباقين، ويختار اذا كانت الدروس في كتاب واحد باتفاق منهم وهو المسمى بالتقسيم ان يبدأ في كل يوم بدرس واحد منهم فانّ الدرس المبدأ به ربّما حصل فيه من النشاط في التقرير مالايحصل في غيره الا اذا علم من نفسه عدم الملالة وبقاء النّشاط فيرتّب الدرس ترتيب الكتاب، فيقدّم درس العبادات على درس المعاملات وهكذا، وان رأى مع ذلك تقديم الأسبق ليحرص المتأخر على التّقدم كان حسناً، وينبغي ان لايقدم احداً في نوبة غيره ولايؤخره عن نوبته الاّ اذا رأى في ذلك مصلحة كما عرفته، وان جاؤا معاً وتنازعوا أقرع بينهم بشرطه الآتي.

وسابع عشرها اذا سلك الطّالب في التحصيل فوق مايقتضيه حاله وخاف ضجره أوصاه بالرفق بنفسه وذكره قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم انّ المنبت(المنبث) لاأرضا قطع ولاظهرا أبقى، وكذلك اذا ظهر له منه نوع ملالة او ضجر أمره بالرّاحة وتخفيف الإشتغال وليزجره عن تعلّم مالا يفهمه فان استشاره من لايعرف حاله في الفهم في قراءة فن او كتاب لم يشر عليه حتى تجرّب ذهنه ويعلم حاله.

وثامن عشرها اذا كان عالماً ببعض العلوم لاينبغي له ان يقبّح الطالب غيره من العلوم كما يتفق ذلك لكثير من جهلة المعلمين، فان المرء عدوّ ماجهل حتى اذا كان غيره أعرف منه بذلك وجب عليه هداية المتعلم اليه بأن يقول له هذا العلم الذي تقرأه عندي فلان أعرف منّي به، لأنّ هذا نصح أخيه المسلم بل ولده الروحاني كما عرفت.

وتاسع عشرها ان لايتأذى ممّن يقرأ عليه اذا قرأ على غيره لمصلحة راجعة الى المتعلم فانّ هذه مصيبة يبتلي بها جهلة المعلّمين ومن لايريد بعلمه وجه الله تعالى وهو من أوضح الدلائل على فساد النية فانّه عبد مأمور بأداء رسالة ملك الى بعض عبيده، فاذا أرسل الملك عبداً آخر لأداء الرسالة لاينبغي للأول الغضب فانّ ذلك لاينقصه عند السيد بل يزيده قدراً ورفعة عنده اذا وجده راضياً، فالواجب على المعلم اذا رأى المتعلم قابلاً لقراءة درسين وهو يملّ من الدرس الآخر ان يهديه على معلم آخر، امّا لو كان جاهلاً او فاسقاً او مبتدعاً او كثير الغلط بحيث يفيد الطالب ملكة رديّة وكان الطالب جاهلاً بحاله فالتّحذير من الأغترار به حسن مع مراعاة المقصد الصحيح.

العشرون اذا تكمل الطالب وتأهل للإستقلال بالتّعليم وأراد ان يصير مدرساً فينبغي ان يقوم المعلم بنظام أمره في ذلك ويمدحه في المحافل ويأمر الناس بالأخذ عنه، ولينبّه الناس على قدر معلوماته وتقواه وصلاحه كما انّه لو رأى منه ميلاً الى الأستقلال بالتّعليم ولم يبلغ درجته ينبغي له ان يقبح له ذلك عنده ويشدّد النكير عليه في الخلاء فان لم ينجع فليظهر ذلك على وجه صحيح حتى يرجع الى الإشتغال.

الفائدة الخامسة آدابه في درسه وهي أمور:الأول ان لايخرج الى الدرس الاّ كامل الهيئة من الثّياب التي توجب له الوقار واقبال القلوب عليه، وأفضلها البيض وهذا مذكور في كتاب التجمل من الكافي، وليقصد بذلك تعظيم العلم وتبجيل الشريعة وليتطيب ويسرح لحيته ويزيل عنه كلما يشينه، وكان بعض المحدّثين اذا جلس لتعليم الحديث لبس أحسن ثيابه ولايزال يبخر بالعود الى ان يفرغ، ويقول أحب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني ان تدعو عند خروجه للدرس بالدعاء المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللّهم انّي أعوذ بك انّ أضلّ او أضل، وأزل او أُزل وأظلم او أُظلم او أجهل أو يجهل عليّ عزّ

جارك وجل ثناؤك ولااله غيرك ولااله غيرك، ثم يقول بسم الله حسبي الله توكَلت على الله ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم، اللهم ثبت جناني وأدر الحق على لساني، ويديم ذكر الله الى ان يصل المجلس.

الثالث ان يسلِّم على من حضر اذا وصل المجلس ويصلّي ركعتين تحية المسجد ان كان مسجداً والا نوى بهما الشكر لله تعالى على توفيقه وتأهيله لذلك، او للحاجة الى تسديده وعصمته عن الخطاء او مطلقتين، فانّ الصلاة خير موضوع، واما استحبابها لذلك بخصوصه فلم يثبت وان استحبَه العلماء ثم يدعو بعدهما بالتوفيق والإعانة والعصمة.

الرابع ان يجلس على سكينة ووقار مطرقاً ثانياً رجليه او محتبياً غير متربع ولامقع ولاغير ذلك من الجلسات المكروهة مع الأختيار كل ذلك في حال الدرس امّا في غيره فلا بأس بمد رجليه او احدهما او اتكائه فانّ الطلبة بمنزلة أولاده.

الخامس قيل يجلس مستقبل القبلة لأنه أشرف ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم خير المجالس ما استقبل بها القبلة، ويمكن ان يقال باستحباب استدباره لها ليخصَ الطّلبة بالإستقبال لأنَهم اكثر وكذا من يجلس اليهم للإستماع.

السادس ان ينوي حين خروجه من منزله تعليم العلم ونشره وتبليغ الأحكام الدينية التي أوتمن عليها، وأمر بتبيانها والأزدياد في العلم بالمذاكرة والأجتماع على ذكر الله تعالى، والدعاء للعلماء الماضين وغير ذلك من المقاصد التي يزيد بها جزيل الثواب وليس المراد بنية هذه المطالب الجليلة ان يقول افعل كذا لأجل كذا بل ماعرفت في تحقيق النية من ان يكون تلك المقاصد هي الباعثة والمحركة له على ذلك الفعل.

السابع ان يصون بدنه عن الزحف والتَنقل عن مكانه والتقلقل، ويديه عن البعث والتَشبيك، وعينيه عن تفريق النَظر بلا حاجة، ويتَقي كثرة المزاح والضَحك فانَه يقلّل الهيبة، وامَا القليل من المزاج والضَحك فمحمود كما كان يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان يضحك حتى تبدو نواجده ولكن لايعلو الصوت.

الثامن ان يجلس في موضع يبرز وجهه فيه لجميع الحاضرين ويفرق النظر بينهم ويخص من يكلمه او يسأله، وان يقدم على الشروع في البحث والتدريس الإستعاذة من الشَيطان وحمد الله والصلاة على محمد وآله والدعاء للعلماء الماضين ولمشائخه خاصّة ولوالديه وللحاضرين، وان كان في مدرسة دعى للواقف ولم يرد في هذا نص لكن فيه خير عظيم، واذا تعددت الدروس فليقدم منها الأشرف والأهم فالهم، فيقدم أصول الدين ثم التَفسير ثم الحديث ثم اصول الفقه ثم النحو ثم المعاني وعلى هذا القياس باقي العلوم بحسب مرتبتها والحاجة اليها، وان لايشتغل بالدروس

وفيه مايزعجه ويشوش فكره من مرض او جوع او مدافعة حدث او خبث او غضب او نعاس او برد او حرَ او نحو ذلك، وان لايكون في مجلسه مايؤذي الحاضرين من دخان او غبار او صوت يزعج او شمس حارَة او نحو ذلك.

التاسع ان يتودد لغريب حضر عنده وينبسط عنده فأن للقادم دهشه سيما بين يدي العلماء ، ولايكثر النظروالالتفات اليه استغرابا له فانه يخجله ، واذا اقبل بعض الفضلاء وقد شرع في مسئله امسك عنها حتى يجلس، وان جاء وهو يبحث اعادها له، واذا أقبل وقد بقى للفراغ وقيام الجماعة بقدر ما يصل الى المجلس فليؤخر تلك البقية وليشتغل عنها الى ان يصل ثم يعيدها او يتم تلك البقية كي لا يخجل المقبل بقيامهم عند جلوسه.

العاشر وهو الأهم منها اذا سأل عن شيء لايعرفه او عرب في الدرس مالايعرفه فليقل لأعرفه او لاتحققه او حتى اراجع النظر ولايستنكف عن ذلك فيمن(لمن)علم العالم ان يقول فيما لايعلم لاعلم والله اعلم، قال علي عليه السلام اذا سألتم عن مالاتعلمون فاهربوا، قالوا وكيف المهرب؟ قال تقولون الله اعلم، وعن ابي جعفر الباقر عليه السلام قال ماعلمتم فقولوا وما لم تعلموا فقولوا الله اعلم ان الرجل ليشرع بالآية من القرآن يخر فيها ابعد مابين السماء والأرض وعن ابي عباس رضي الله عنه اذا ترك العالم لأدري اصيبت مقاتله وقال ابن مسعود لادري ثلث العالم وقال بعض الفضلاء ينبغي للعالم ان يورث اصحابه لادري يعني يقولها كثيراً حتى يعتادوها وقول العالم لادري مما يزيد في قدره ومحله وهو دليل واضح على تقواه وانما يمتنع من لادري من قل علمه وعدمت تقواه حتى لايسقط من العيون.

الحادي عشر اذا اتفق له تقرير او جواب فتوهمه صواباً ثم ظهر له خطأه فيجب عليه ان يبادر الى التنبيه على فساده ويبين لهم خطأه قبل تفرق الحاضرين ولايمنعه الحياء عن ذلك فيؤخره الى وقت آخر لأن فيه استقرار الخطاء في قلوب الطلبة وتأخير بيان الحق مع الحاجة اليه وخوف عدم حضور اهل المسجد فيستمر على فهم الخطأ وفيه طاعة للشيطان في الإستمرار على الخطأ مع ان في رجوعه تعليم للطلبة هذه الخصلة الحميدة ويرفعه الله تعالى بذلك على خلاف مايظنه الأحمق ويتوهمه الجاهل وينبغي ان ينبه المتعلم عند فراغ الدرس بما يدل عليه ان لم يعرفه القارىء وقد جرت عادة السلف ان يقولوا اجد والله اعلم وينبغي ان يختم الدرس بذكر شيء من الدقائق والحكم والمواعظ وتطهير الباطن يتفرقوا على الخضوع والإخلاص فان البحث يورث في القلب قوة وربما اعقب قسوة فليحركه في كل وقت الى الإقبال وان يختم المجلس بالدعاء بما قد غشيهم من الرحمة وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا اراد ان يقوم من مجلسه يقول اللهم اغفر لنا ماأخطأنا او ماتعمدنا وما أسررنا ومأأنت أعلم به منا وانت المقدم انت المؤخر لااله الا

انت وينبغي ان يمكث قليلاً بعد قيام الجماعة فان فيه فوائد وآداب له ولهم: منها ان كان في نفس احدهم بقايا سؤال تأخر ومنها ان كان لأحد به حاجة قد صبر عليها حتى فرغ يذكرها له ومنها عدم خفقان النعال خلفه ومنها عدم ركوبه بينهم ان كان يركب وينبغي ان ينصب لهم نقيباً فطناً يرتب الحاضرين ومن يدخل عليه على قدر منازله ويوقظ النائم وينبه الغافل ويأمر بسماع الدروس والأنصاف اليها لمن لايعرف وكذلك ينصب لهم رئيساً آخر يعلّم الجاهل ويعيد درس من اراد ويرجع اليه في كثير مما يستحي ان يلقى به العالم من مسئلة او درس فان فيه ضبطاً لوقت العالم واذا قام من مجلسه فينبغي له ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لااله الا انت استغفرك واتوب اليك سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ورواه جماعة من فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي بعض الروايات ان الثلاث آيات كفارة المجالس، وكما يستحب للعالم يستحب لكل قائم.

الفائدة السادسة في آداب المتعلم وهي أمور: أولها ان يحسن نيته ويطهر قلبه من الأدناس ليصلح لقبول العلم وحفظه، وان يغتنم التحصيل في أيام الشباب وقبل الإتسام بالعلم والفضل، قال بعضهم تفقهوا قبل ان تسودوا وفي الخبر مثل الذي يتعلم العلم في الصغر كالنقش على الحجر، ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء وهذا بإعتبار الغالبوولاينبغي لمن كبر ان يمنع نفسه عن الطّلب فانّ فضل الله واسع، وقد اشتغل جماعة من السلف في حال كبرهم ففقهوا وصاروا أساطين في الدين ومصنّفين في الفقه وغيره.

وثانيها ان يقطع ماقدر عليه من العوائق الشاغلة والعلائق المانعة عن تمام الطلب وكمال الإجتهاد ويرضى بماتيسر من القوت وبما يستر مثله من اللباس وان كان خلقاً، فبالصبر على ضيق العيش ينال سعة الحلم ويجمع شمل القلب عن متفرقات الآمال لينفجر عنه ينابيع الحكمة والكمال، قال بعض السلف لايطلب احد هذا العلم بعز النَفس فيفلح ولكن طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح، وقال بعضهم لاينال هذا العلم الا من عطّل دكانه وخرب بستانه وهجر اخوانه ومات أقرب الى اهله فلم يشهد جنازته، وهذا كله وان كان فيه مبالغة فالمقصود انّه لابد فيه من جمع القلب واجتماع الفكر، وبالغ بعض المشايخ لبعض تلامذته اصبغ ثوبك حتى لايشغلك فكر غسله، ومن أقوى موانع الطّلب للتزويج فينبغي تركهايام التحصيل لأنه قلمَا يجتمع مع العلم حتى قال بعضهم ذبح العلم في فروج النساء، وعن ابراهيم بن أدهم من تعود أفخاذ النساء لم يفلح، يعني اشتغل بهن عن الكمال، وفي المثل السائر لو كلّفت بصلة مافهمت مسئلة، ولايغتر الطالب بماورد في النَكاح من التَرغيب فان ذلك حيث لايعارضه واجب أولى منه ولاواجب أضيق من العلم سيّما في هذا الزمان فانّه كما قيل وان وجب على الأعيان

والكفاية على تفصيل فقد وجب في هذا الزمان على الأعيان مطلقاً، لأنَ فرض الكفاية اذا لم يقم به من فيه كفاية يصير كالواجب العيني في مخاطبة الكل وتأثيمهم وينبغي له ان يترك المعاشرة مع من يشغله عن مطلوبه فانَ تركها من أهم ماينبغي لطالب العلم ولاسيما لغير الجنس وخصوصاً لمن كثرت بطالته فانَ الطبع سرّاق، فاذا خالط فلا يخالط الا من يفيده او يستفيد منه فان لم يتفق فالوحدة ولاقرين السوء، قال مؤلف هذا الكتاب عفى الله عنه سنذكر ان شاء الله تعالى في نور آخر أحوالنا وماجرى علينا من ضيق المعاش ايام تحصيل العلم وكيف تنقلنا لأجل العلم من بلاد الى بلاد فمن راجعه سهل عليه الصبر على مضائق العلم وعلى الله التوكل.

وثالثها ان يكون حريصاً على التعلم مواظباً عليه في جميع أوقاته ليلاً ونهاراً سفراً وحضراً ولايذهب شيئاً من اوقاته في غير العلم الاّ بقدر الضرورة لما لابدّ منه من أكل ونوم واستراحة بسيرة لإزالة الملل ومؤانسة زائر وتحصيل قوت وغيره فانَ بقيَة العمر لأثمن لها ومن استوى يوماه فهو مغبون، وليس بعاقل من امكنه الحصول على درجة ورثها(ورثة) الأنبياء ثم فوتها ولابدّ دون الشَهد من ألم النحل وقيل:

لاتحسب المجد تمراً انت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وان يكون عالي الهمة فلا يرضى باليسير مع امكان الكثير، ولايؤخر فائدة الى وقت آخر يرجو فيه ازالة الموانع فانَ هذا الوقت لم يخلق واذا خلق فله فائدة أخرى وفي الخبر الوقت سيف فان قطعته والا قطعك، وينبغي ان يأخذ في ترتيب العلم بما هو الأولى، واذا اشتغل في فن فلا ينتقل عنه حتى يتقن فنه كتاباً او كتابان ان امكن، وليحذر التنقل من كتاب الى كتاب ومن فن الى غيره من غير موجب فانَ ذلك علامة الضجر وعدم الفلاح، فاذا تحققت أهليته فالأولى له ان لايدع فنّاً من العلوم المحدودة الاّوتنظر فيه نظر تطلع، ثم ان ساعده العمر طلب التّبحر فيه فانَ العلوم متقاربة وبعضها مرتبط ببعض.

الفائدة السابعة آدابه مع شيخه، قال الصادق عليه السلام كان امير المؤمنين عليه السلام يقول ان من حق العالم ان لاتكثر عليه السؤال، ولاتأخذ بثوبه واذا دخلت عليه وعنده قوم فسلم عليهم وخصّه بالتحية دونهم، واجلس بين يديه ولاتجلس خلفه ولاتغمز بعينك وانّما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها متى يسقط عليك منها شيء، والعالم اعظم أجراً عند الله من الصائم القائم الغازي في سبيل الله، وفي الحديث المروي عن مولانا زين العابدين عليه السلام وحق سائسك بالعلم التعظيم له والتوفير لمجلسه وحسن الإستماع عليه والإقبال عليه وان لاترفع عليه صوتك ولاتجيب احداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب ولاتحدث في مجلسه احدا، ولاتغتاب احدا، وان تدفع عنه اذا ذكر عندك بسوء، وان تستر عيوبه وتظهر مناقبه، ولاتجالس له عدواً

ولاتعادي له ولياً، فاذا فعلت ذلك شهدت لك ملائكة الله عز وجل بأنك قصدته وتعلمت علمه لله جل جلاله اسمه لاللناس وفي هذه الفائدة أمور:

اولها وهو الأهم ان يقدم النظر فيمن يأخذ عنه العلم فان تربية الشيخ لتلميذه مما تكسبه جميع أخلاقه بل ودينه ايضاً على ماشهدناه، مع ان العالم نائب عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وليس كل عالم يصلح لهذا، فليختر من كملت اهليته وظهرت ديانته وعرفت عفته واشتهرت صيانته وسيادته، وظهرت مروته وحسن تعليمه، ولايغتر الطالب بمن زاد علمه مع نقص في ورعه او دينه او خلقه، وليحترز ممن أخذ علمه من بطون الكتب من غير قراءة على الشيوخ خوفاً من وقعه في التصحيف والغلط والتحريف، قال بعض السلف من تفقّه من بطون الكتب ضيّع الأحكام وقال آخر اياكم والصَحفيّين الذين يأخذون علمهم من الصحف فانما يفسدون اكثر مما يصلحون وليحذر من التقييد بالمشهورين وترك الأخذ من الخاملين فان ذلك من الكبر على العلم وهو عين الحماقة لأن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها.

وثانيها ان يعتقد في شيخه انه الأب الحقيقي والوالد الروحاني وهو اعظم من الوالد الجسماني فيبالغ في حقه اعظم من رعايته في حق ابيه، وسأل الأسكندر عليه السلام مابالك توقر معلمك وأكثر من والدك فقال لأن المعلم سبب لحياتي الباقية ووالدي سبب لحياتي الفانية وايضاً فالأب لم يقصد حال الجماع وجود الولد ولاكمال وجوده وانما قصد لذة نفسه واما المعلم فقصد تكميل وجوده وسببه وبذل فيه جهده وقد روي ان السيد الرضي قدس الله روحه كان عالي الهمة أبيَ النفس عن ان يقبل من أحد شيئاً فقال له يوماً بعض مشايخه ان دارك ضيقه لاتليق بحالك ولي دار واسعة وهيأتها لك فأنتقل اليها فأبى فأعاد عليه الكلام فقال ياشيخ انا لم اقبل بر ابي قط فكيف اقبل من غيره فقال له الشيخ انما حقي عليك اعظم من حق ابيك لأني ابوك الروحاني وهو ابوك الجسماني، فقال السيد رحمه الله قد قبلت الدار ومن هنا قال بعض الفضلاء:

من علم الــعلم كان خــير اب	ذاك ابو الروح لا ابو النـطف

وثالثها ان يعتقد انه مريض وشيخه طبيب وذلك لأن المرض هو انحراف الروح عن المجرى الطبيعي وطبيعة النفس العلم وقد خرجت عنه بسبب اشتغال القوى البدنية واخلاطها فلا ينبغي ان يخالفه فيما يشير عليه كأن يقول له أقرأ الكتاب الفلاني وأكتف بهذا القدر من الدرس فإذا خالفه كان بمنزلة المريض الذي يرد على الطبيب وقد قيل في الحكمة مراجعة الطبيب مريضه يوجب تعذيبه وكما ان الواجب على المريض ترك تناول المؤذيات والأغذية المفسدة والدواء في حضرة الطبيب وغيبته كذلك المتعلم وينبغي ان ينظر الى الشيخ بعين الإجلال والإحترام ويضرب صفحاً من عيوبه وقد كان بعض السلف اذا ذهب الى شيخه تصدّق بشيء وقال اللهم استر عيب

معلمي عني ولاتذهب ببركة علمه مني وقال آخر كنت اصفح الورقة بين يدي شيخي صفحاً رقيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها وقال آخر والله ماإجترأت ان اشرب الماء وشيخي ينظر الى هيبة له، وقال حمد ان الأصفهاني كنت عند شريكه فآتاه بعض أولاد الخليفة المهدي فاستند الى الحائط وسأله عن حديث فلم يلتفت اليه وأقبل علينا ثم عاد فعاد شريك لمثل ذلك فقال اتستخف بأولاد الخلفاء؟ قال لاولكن العلم أجل عند الله من أن أضيعه فجثى على ركبتيه، فقال شريك هكذا يطلب العلم وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من علم احداً مسئلة ملك رقه قيل ايبيعه ويشتريه؟ قال بل يأمره وينهاه، ونقل بعض الأفاضل قال حكيت لشيخي منا مالي فقلت رأيت انك قلت لي كذا وكذا فقلت لك لم ذاك؟ فهجرني شهراً ولم تكلمني، وقال لولا انه كان في باطنك تجويز المطالبة وانكار ماأقوله لك لما جرى ذلك على لسانك في المنام والأمر كما قال، قال مؤلف الكتاب عفى الله عنه قد كان حالي مع شيخي صاحب كتاب بحار الأنوار[١] لما كنت أقرأ عليه في أصفهان انه خصني من بين تلامذته مع انهم كانوا يزيدون على الألف بالتأهل عليه والمعاشرة معه ليلاً ونهاراً وذلك انه لما كان يصنف ذلك الكتاب كنت ابات معه لجل بعض مصالح التصنيف وكان كثير المزاح معي والضحك والضرائف حتى لاأمل من المطالعة ومع هذا كله كنت اذا أردت الدخول عليه أقف بالباب ساعة حتى أتأهب للدخول عليه ويرجع قلبي الى استقراره من شدة ماكان يتداخلني من الهيبة والتوقير الإحترام حتى أدخل عليه ولقد كنت وحق جنابه الشريف والأيام التي قضيناها في صحبته ونرجوا من الله ان تعود أستسهل لقاء الأسود على الدخول عليه هيبة له وإجلالاً وينبغي ان يعظمه في حال الخطاب ولايخاطبه بتاء الخطاب وكافة ولايناديه من بعد بل يقول ياسيدي ويااستاذي وماأشبه ذلك ويخاطبه بصيغ الجمع وينبغي ان يرد غيبته زيادة على مايجب رعايته في غيره فان عجز عن ذلك قام وفارق المجلس، ويرعى ذريته وأقاربه وأودذاءه ومحبيه في حياته وبعد موته.

ورابعها ان يصبر على جفوة تصدر من شيخه او سوء خلق ولايصدّه ذلك عن ملازمته وحسن عقيدته ويتأول أفعاله التي ظاهرها مذموم على أحسن تأويل وأصحه فما يعجزه عن ذلك الا قليل الوفيق، ويبدأ هو عند جفوة شيخه بالإعتذار والتوبة مما وقع والأستغفار وينسب الموجب اليه ويجعل العتب فيه عليه فانّ ذلك أبقى لمودّة شيخه وعن بعض السلف من لم يصبر على ذلّ التعليم بقي عمره في عماية الجهالة، ومن صبر عليه آل أمره الى عزّ الدنيا والآخرة، وأما نحن فسنذكر ان شاء الله تعالى الذلّ الذي أصابنا في تحصيل العلم في النّور الآتي وبحمد الله وتوفيقه آل

---

(١) هو العلامة المحدث شيخ الأسلام والمسلمين المولى محمد باقر المجلسي رحمه الله المتوفي(١١١١) هـ وقد صنف المحدث النوري(ره) كتاب فيض القدسي في أحواله وترجمة حالاته.

أمرنا الى عز الدنيا ونرجو منه تعالى عز الآخرة وهو المطلوب، وبقيت أمور أخرى كثيرة تركناها حذراً من التطويل وبما ذكرناه كفاية للعامل.

الفائدة الثامنة آدابه في درسه وقراءته وهي امور:الأوّل ان يبتدىء اولاً بحفظ كتاب الله العزيز حفظاً متقناً فهذا أصل العلوم وأجلّها وكان السلف لايعلّمون الفقه والحديث الاّ لمن حفظ القرآن.

الثاني ان يقتصر من المطالعة على مايحتمله فهمه ولايمجه طبعه وليحذر من تحيّر الذهن في مطالعة الكتب الكثيرة فانّه يضيع زمانه، وليعط الكتاب الذي يقرأه والفن الذي يأخذه كلّيته حتى يتقنه حذراً من الخبط، ومن هذا الباب الإشتغال بكتب الخلاف في العقليات ونحوها قبل ان يصح فهمه ويستقر رأيه على الحق.

وينبغي ان يعتني بتصحيح درسه الذي يحفظه قبل حفظه تصحيحاً متقناً ثم يحفظه حفظاً محكما، ثم يكرره وان يحضر معه الدواة والقلم للتصحيح، واذا ردّ عليه الشيخ لفظة فظن او علم انّ ردّه خلاف الصواب كرر اللفظة مع ماقبلها لينبه بها الشيخ او يأتي بلفظها الصواب على وجه الإستفهام، فربما وقع ذلك سهواً ولايقل بل هي كذا، فان رجع الشيخ الى الصواب فذاك والاّ ترك تحقيقها الى مجلس آخر بتلطف ولايبادر الى اصلاحها على الوجه الذي عرفه مع اطلاع الشيخ والحاضرين، وكذلك اذا تحقق خطأ الشيخ في جواب مسئلة وكان لايفوت تحقيقه فان كان كذلك كالكتابة في رقاع الأستفتاء وكون السائل غريباً او بعيد الدار او مشنّعاً تعيّن تنبيه الشيخ على ذلك في الحال بالإشارة ثم التصريح، فانّ تركه ذلك خيانة للشيخ فيجب نصحه بما أمكن من تلطف وغيره، فاذا وقف على مكان في التصحيح كتب قبالته بلغ العرض او التصحيح.

وينبغي له ان يقسم اوقات ليله ونهاره على مايحصله فانّ الأوراد توجب الأزدياد وأجود الأوقات للحفظ الأسحار وللبحث الأبكار وللكتابة وسط النهار وللمطالعة والمذاكرة الليل وبقايا النهار، ومما قالوه ودلت عليه التجربة انّ حفظ الليل انفع من حفظ النهار، ووقت الجوع انفع من وقت الشبع والمكان البعيد عن الملهيات انفع، وان يباكر بدرسه لخبر بورك لأمتي في بكورها، ولخبر اغدوا في طلب العلم فانّي سألت ربّي ان يبارك لأمتي في بكورها، ويجعل ابتداءه يوم الخميس، وفي رواية يوم السبت او الخميس وفي آخر عنه صلى الله عليه وآله وسلم اطلبوا العلم يوم الإثنين فانّه ميسر لطالبه، وروي في يوم الأربعاء خبر مامن شيء بدء به يوم الأربعاء الا وقد تم، وربما اختار بعض العلماء الإبتداء يوم الأحد ولم نقف على مأخذه.

الثالث اذا حضر مجلس الشيخ فليسلّم على الحاضرين ثمّ يخصّ الشيخ بزيادة تحية واكرام، وعدّ بعضهم حلق العلم حال أخذهم في البحث من المواضع التي لايسلم فيها، واختاره

جماعة من الأفاضل وهو متجه حيث يشغلهم ردَ السلام عمّا فيه من البحث وحضور القلب كما هو الغالب، سيّما اذا كان في أثناء تقرير مسئلة فانّ قطعه عليهم أضرّ من كثير من الموارد التي ورد انّه لايسلم فيها، لكن متى أريد ذلك فليجلس الداخل عليهم على بعد من مقابلة الشيخ بحيث لايشعر به حتى يفرغ ان امكن جمعا بين حق الأدب وحق البحث في دفع الشّواغل، وينبغي له اذا سلم ان لايتخطى رقاب الحاضرين الى قرب الشيخ ان لم يكن منزلته كذلك بل يجلس حيث ينتهي به المجلس كما ورد في الحديث، فان صرح له الشيخ او الحاضرون بالتقدم او كانت منزلته او كان يعلم ايثار الشيخ والجماعة لذلك او كان جلوسه بقرب الشيخ لمصلحة كأن يذاكره مذاكرة ينتفع بها الحاضرون او لكونه كبير السن او كثير الفضيلة والصلاح فلا بأس، قال شيخنا الشيخ زين الدين طاب ثراه واعلم انّه متى سبق الى مكان من مجلس الدرس كان أحقّ به فليس لغيره ان يزعجه منه وان كان أحقّ به بحسب الآداب، قيل ويبقى بعد ذلك أحق به كالمحترف اذا ألف مكاناً من السوق او الشارع فلا يسقط حقه منه بمفارقته وان انقطع عن الدرس يوماً او يومين اذا حضر بعد ذلك انتهى، وفيه مالايخفى.

وينبغي ان لايجلس بين أخويه او اب او ابن، او قريبين او متصاحبين الاّ برضاهما معاً لماروي انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهي ان يجلس الرجل بين الرجلين الا بإذنهما، وينبغي ان لايقرأ الاّ بإذن الشيخ ذكره جماعة من العلماء، فاذا اذن له استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ثم سمى الله تعالى وحمده وصلى على النبي وآله ثم يدعو للشيخ ولوالديه ولمشايخه وللعلماء ولنفسه، وينبغي ان يتذاكر مع من يوافقه من مواضبي مجلس الشيخ بما وقع فيه من الفوائد فانّ في المذاكرة نفعاً عظيماً وقدم على نفع الحفظ وينبغي الإسراع بها قبل تفرق اذهانهم فان لم يجد من يتذاكر معه ذاكر نفسه بأن يكرر معنى ماسمعه ولفظه على قلبه ليتعلق ذلك بخاطره، وقد اشتهر انّ الأخفش كان له عنز يتذاكر اليه.

الفائدة التاسعة في آداب الفتوى والمفتي والمستفتي اعلم اولاً انّ الإتاء ولن كان كثير الأجر لكنه عظيم الخطر لأنّ المفتي وارث النبي وهو موقع عن الله تعالى ونائبه ولسانه الناطق عنه فليعرف كيف يكون، قال سبحانه في التحذير{ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب} وانظر الى خطابه لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم{ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين} فكيف يكون حاله مع غيره اذا تقوّل عليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً او قتله نبي او رجل يضل الناس بغير علم او مصوّر يصوّر التماثيل، وعن ابي عبيدة الحذاء قال سمعت

اباجعفر الباقر عليه السلام يقول من أفتى الناس بغير علم ولاهدى لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه.

واعلم انه يجب في المفتي ان يكون مكلفاً مسلماً عادلاً مجتهداً ومن لم يكن مجتهداً فلا يجوز له الإقدام على الإفتاء(الفتوى) والفتوى فرض كفاية فاذا سأل زليس هناك غيره تعيَن عليه الجواب، وينبغي ان لايفتي في حال تغيَر أخلاقه من الغضب والجوع والعطش والحزن والفرح والنَعاس والحر والبرد ومدافعة الأخبثين، واذا أفتى في واقعة ثم تغيَر اجتهاده وعلم المقلد برجوعه من مستفت او غيره عمل بقول الثاني، فان لم يكن عمل بالقول الأول لم يجز العمل به وان كان قد عمل به قبل علمه لم ينقض ولم لو يعلم المستفتي رجوع المفتي فكأنه لم يرجع في حقه ويلزم المفتي اعلامه برجوعه قبل العمل وبعده ليرجع عنه في عمل آخر(عمله الآخر ولو أفتى في حادثة ثم حدث مثلها فان ذكر الفتوى الأولى ودليلها افتي بذلك، ثانياً بلا نظر، وان ذكرها ولم يذكر دليلها ولاطرى مايوجب رجوعه ففي جواز افتائه بالأولى او وجوب اعادة الإجتهاد قولان، ومثله تجديد الطلب في التيمم والإجتهاد في القبلة، والقاضي اذا حكم بالإجتهاد ثم وقعت المسئلة وليس للمفتي ان يكتب السؤال على علمه من صورة الواقعة اذا لكم يكن في الوقعة تعرض له بل على مافي الرقعة، فان أراد خلافه قال ان كان الأمر كذا فجوابه كذا، واستحبوا ان يزيد علو مافي الرقعة ماله تعلق بها مَا يحتاج اليه السائل لحديث ماهو الطَهور ماؤه أيحلَ ميتته؟

ويستحب ان يكتب في اول فتواه الحمد لله او الله الموفق او حسبنا الله او حسبي الله، او الجواب وبالله التوفيق او نحو ذلك، واحسنه الإبتداء بالتحميد للحديث، وينبغي ان يقول بلسانه ويكتب ثم يختمه بقوله والله اعلم او بالله التوفيق ويكتب بعده قال او كتبه فلان بن فلان الفلاني فينتسب الى مايعرف به من قبيلة او بلد او صفة او نحوها، وينبغي ان يقتصر(يختصر) جوابه غالباً ويكون بحيث يفهمه العامة فهماً جليا، حتى كان بعضهم يكتب تحت ايجوز:يجوز او لايجوز، وتحت ام لا:لا او نعم او نحوهما، واذا رأى المفتي رقعة الإستفتاء وفيها خط غيره ممَن هو اهل للفتوى فان كان دونه ووافق ماعنده كتب تحت خطه الجواب صحيح او هذا جواب صحيح او جوابي كذلك أومثل هذا او بهذا أقول او نحو ذلك، واما اذا رأى فيها خط من ليس أهلاً للفتوى فلا يفتي معه لأنَ في ذلك تقريراً منه لمنكر بل له ان يضرب عليه وان لم يأذن له صاحب الرقعة لكن لاتحبسها عنده الا بإذنه، وله نهي السائل وزجره وتعريفه قبح مافعله، وان رأى فيها اسم من لايعرفه سأل عنه فان لم يعرفه فله الإمتناع من الفتوى معه خوفاً ممَا قلناه، ولو خاف فتنة من الضرر على فتيا علدم الأهلية ولم يكن خطأ عدل الى الإمتناع من الفتيا معه واما اذا كانت خطاء وجب التنبيه عليه وحرم الإمتناع من الإفتاء تاركاً للتنبيه على خطائها.

ولو اجتمع مفتيان او اكثر ممّن يجوز استفتاؤهم فان اتفقوا في الفتوى أخذ المستفتي بها، وان اختلفوا وجب عليه الرجوع الى الأعلم الأتقى، وان اختلفوا في الوصفين رجع الى اعلم الورعين وأورع العالمين، فان تعارض الأعلم والأورع قدّم الأعلم في التقليد امّا لو كان المفتي ميتاً فهل يجوز تقليده مع وجود الحي اولامعه؟ للجمهور اقوال اصحّها عندهم جوازه مطلقاً لأنَ المذاهب لاتموت بموت اصحابها ولهذا يعتدّ بها بعدهم في الإجماع والخلاف، وانَ موت الشّاهد قبل الحكم بشهادته لايمنع الحكم بشهادته بخلاف فسقه.

والثاني لايجوز مطلقاً لفوات اهليته بالموت ولهذا ينعقد الإجماع بعده ولاينعقد في حياته على خلافه وهذا هو المشهور بين أصحابنا خصوصاً المتأخرين منهم، والذي استوجهناه في تضاعيف هذا الكتاب هو جواز تقليد المجتهد الميّت لأنَ كلَ مادلَ على جواز تقليد المجتهد الحيَ يدل على جواز تقليد المجتهد الميّت خصوصاً شيخنا المحقق قدس الله روحه في كتابه الشّرائع والمعتبر فانّه نقل(ينقل) متون الأخبار في اكثر المسائل بخلاف العلاّمة طاب ثراه فانّه كثير الإجتهاد والفتوى.

الفائدة العاشرة في المناضرة وآدابها، اعلم انَ المناضرة في احكام الدين من الدين، وينبغي ان يقصد بها اصابة الحق وطلب ظهوره كيف اتفق لاظهور عزارة علمه وصحة نظره فانَ ذلك من أقبح القبائح، ومن آيات هذا القصد ان لايوقعها الاّ مع رجاء المباشرة، فأما اذا علم عدم قبول المناظرة للحق وانه لايرجع عن رأيه وان تبين خطاؤه فمناظرته غير جائزة، وشرط المناظرة في الدين ان يكون مجتهداً يفتي برأيه لابمذهب أحد حتى اذا بان له الحق على لسان خصمه انتقل اليه، فأما من لايجتهد فليس له مخالفة مذهب من يقلّده فأيَ فائدة له في المناظرة.

وينبغي ان يناظر في واقعة مهمة او في مسئلة قريبة من الوقوع والمهم ان يبيّن الحق ولايطول الكلام زيادة على مايحتاج اليه في تحقيق الحق، وان يكون المناظرة في الخلوة احب اليه منها في المحفل والصدور فانَ في حضور الخلق مايحرك دواعي الرياء والحرص على الإقحام ولو بالباطل، وينبغي ان لايمنع مفتيه من الإنتقال من دليل الى دليل ومن سؤال الى سؤال بل يمكنه من ايراد مايحضره ويخرج من كلامه مايحتاج اليه في اصابة الحق، فان وجده في جملته او استلزمه وان كان غافلاً عن اللزوم فليقبله ويحمد الله تعالى فانَ الغرض إصابة الحق، وان كان في كلام متهافت اذا حصل منه المطلوب، واما قوله قد تركت كلامك الأول وليس لك ذلك ونحو ذلك من أراجيف المناظرين فهو محض العناد، واما آفات المناظرة فهي أكثر من ان تذكر فلا ينبغي الوقوع فيها وقبولها الاّ عند الإضطرار اليها.

الفائدة الحادية عشر في آداب الكتابة ومايتعلق بها إعلم ان الكتابة من أجل المطالب الدينية وهو تابع للعلم فان كان واجباً عينياً كان الكتابة كذلك اذا توقف الحفظ عليه وان كان واجباً كفائياً كانت الكتابة كذلك، روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال قيّدوا العلم، قيل وماتقييده؟ قال كتابته، قال الصادق عليه السلام لعبيد بن زرارة احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون اليها، وروى الصدوق في أماليه باسناده الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال ان المؤمن اذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم كانت الورقة ستراً فيما بينه وبين النار، واعطاه الله تعالى بكل حرف مدينة أوسع من الدّنيا ومافيها، ومن جلس عند العالم ساعة ناداه الملك جلست الى عبدي وعزّتي وجلالي لأسكنتك الجنّة معه ولاأبالي، ويجب على الكاتب اخلاص النية الى الله تعالى كما يجب اخلاصها في طلب العلم لأنّه عبادة وضرب من تحصيل العلم بل هو في بعض الموارد أكثر ثواباً من العلم بسبب كثرة الإنتفاع به ودوامه، ومن هنا جاء تفضيل مداد العلماء على دماء الشهداء حيث انّ مدادهم ينتفع به بعد موتهم ودماء الشهداء لاينتفع به بعد موتهم.

وينبغي لطالب العلم ان يعتني بتحصيل الكتب بأي نوع كان لأنّه قد حصل بها نوف زائداً لمن حصلّها على من لم يحصلها، وينبغي ان لايشتغل بنسخها ان امكنه تحصيلها بشراء و نحوه، ويستحب اعارة الكتب لمن لاضرر عليه فيها ممّن لاضرر منه بها استحباباً مؤكداً لما فيه من الإعانة على العلم والمساعدة على البرّ والتقوى، وقال بعض السلف من بخل بالعلم ابتلي باحدى ثلاث:ان ينساه او يموت فلا ينتفع به او تذهب كتبه، وهذا شيء شاهدناه مراراً كثيرة، وقد كان لنا شيخ يحصل منه بعض البخل بالكتب فبقيت كتبه بعده قد باعها بناته في الأسواق بأبخس قيمة، وكان لنا شيخ آخر اذا طلبنا نحن او غيرنا منه كتاباً وكان له حاجة اليه قلع الأوراق التي يحتاج اليها وأعطى الباقي فنمت كتبه وانتفع العلماء بها وأعطاه الله تعالى اولاداً قابلين للعلم وفهمه، واذا قضى حاجته من الكتاب فلا يحبسه لئلا يمنع صاحبه من اعارة غيره، اما اذا طلبه المالك حرم عليه حبسه ويصير ضامناً له، ولايجوز ان يصلح كتاب غيره المستعار او المستأجر بغير اذن صاحبه فلا يحسّنه ولايكتب له شيئاً في بياض فواتحه الاّ اذا علم رضاء مالكه ولاينسخ منه بغير اذن صاحبه فانّ النسخ انتفاع زائد على الإنتفاع بالمطالعة.

وينبغي ان يراعي الأدب في وضع الكتب باعتبار علومها وشرفها وشرف مصنفها فيضع الأشرف على الكل ثم يراعي التدريج، فان كان فيها المصحف الكريم جعل اعلى الكل، والأولى ان يكون في خريطة ذات عروة في مسمار او وتد في حائط طاهر نظيف في صدر المجلس ثم كتب

الحديث الخالص، ثم تفسير القرآن، ثم تفسير الحديث ثم اصول الدين، ثم اصول الفقه، ثم العربية، ولايضع الكبير فو قالصغير لئلا يكثر تساقطها.

وينبغي ان يكتب اسم الكتب في جانب آخر الصفحات، وفائدته معرفة الكتاب وتيسّر اخراجه، ولاينبغي ان يجعل الكتاب خزانة الكراريس او غيرها، ولامخدّة ولامروحة ولامسنداً ولامقتلة للبراغيث، ولايطوي حاشية الورقة او زاويتها، وكان شيخنا صاحب كتاب بحار الأنوار أدام الله ايام سعادته يعير تلامذته كتب الحديث فاذا ارجعوها يخرج من تحت الأوراق من فتات الخبر ما يزيد على شبع الرجل، ثمّ انه سلمه الله تعالى صار اذا أراد ان يعير كتاباً لواحد من الطلبة يقول ان كان عندك طبق تأكل فيه الخبز والا اعرناك طبقاً مدّة كون الكتاب عندك.

وينبغي لمن استعار كتاباً ان يتفقده عند أخذه ورده، واذا اشترى كتاباً تعهّد أوله وآخره ووسطه ويصفح أوراقه ويعتبر صحّته وممّا يغلب على ظنه صحّته اذا ضاق الزمان تفتيشه ان يرى الحاقاً او اصلاحاً فانّه من شواهد الصّحة، حتى قال بعضهم لايضيء الكتاب حتى يظلم، يريد اصلاحه بالضّرب والكشط والإلحاق ونحوه، وينبغي له اذا نسخ شيئاً من الكتب الشرعية ان يكون على طهارة مستقبلاً طاهر البدن والحبر والورق ويبتدي الكتاب بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة على رسوله وآله، وكلما كتب اسم الله تعالى أتبعه بالتعظيم مثل تعالى او عزّ وجل او تقدّس او نحو ذلك ويتلفظ بذلك وكلما كتب اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتب بعده عليه وآله، بل قال بعضهم والسلام ايضاً، ويصلّي هو بلسانه ايضاً، ولايختص الصّلاة في الكتاب ولايسأم من تكريرها ولو وقعت في السّطر مراراً كما يفعله بعض المحرومين من الثّواب لطلب الإختصار، فيكتبون صلعم، اوصل او صه او نحو ذلك، فانّ ذلك كله كما قال شيخنا الشهيد الثاني طاب ثراه خلاف الأولى والمنصوص، بل قال بعض العلماء انّ اول من كتب صلعم قطعت يده، واقل مافي الإخلال بها تفويت الثواب العظيم عليها، فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من صلى عليّ في كتب لم تزلالملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب، واذا مرّ بذكر احد من الصحابة الأكابر رضي الله عنه او رضوان الله عليه او بذكر احد من السلف الأعلام كتب رحمه الله او تغمده الله برحمته ونحو ذلك، وينبغي ان لايكتب الكتب بالكتابة الدقيقة، قال بعض السلف لكاتب وقد رآه يكتب خطّاً دقيقاً:لاتفعل فانّه يخونك أحوج ماتكون اليه.

واما القلم فقالوا لاينبغي ان يكون صلباً جداً فيمنع من سرعة الجري او رخواً جداً فيسرع اليه الحفاء، قال بعضهم اذا أردت ان يجود خطك فأطل جلفتك واسمنها، وحرف قطّتك وأيمنها، وليكن السكين حادة لبرائة الأقلام وكشط الورق خاصّة ولاتستعمل في غير ذلك، وليكن

مايقطَ عليه القلم صلبا، وقالوا الأحسن ان يكون القصب الفارسي اليابس جداً، وينبغي ان لايقرطم(يقرمط خ) الحروف ولايأتي بها مشبهة بغيرها بل يعطى كلَ حرف حقه وكل كلمة حقَها ويراعى من الآداب الواردة مطلقاً في ذلك ماروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لبعض كتَابه الف(الق) الدَواة وحرَف القلم وانصب الباء وفرَق السين ولاتعور الميم وحسَن الله ومدَ الرحمن وجوَد الرحيم، وضع قلمك على اذنك اليسرى فانَه اذكر لك.

وعن زيد بن ثابت انَه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فبيَن السين فيه، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاتمد الباء الى الميم ترفع السين، وعن انس قال:قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمدَ الرحمن، وعنه من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فغفر له، وقد كرهوا في الكتابة فصل مضاف اسم الله تعالى منه كعبد الله او رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا يكتب عبداً ورسول في آخر سطر والله مع مابعده اول سطر آخر لقبح الصورة، وهذه الكراهة للتنزيه، وذكروا ان الضرب على الغلط هو اجود من الكشط والمحو لاسيما في الحديث لأنَ كلاً منهما يضعف الكتاب ورما أفسد الورق، وعن بعض المشايخ انَه كان يقول كان الشيوخ يكرهون حضور السكين مجلس السماع، وفي كيفية الضرب خمسة اقوال:

احدها ان يصل بالحروف المضروب عليها ويخطَ عليها ممتَد أويسمى عند المغاربة بالشَق، وأجوده ماكان دقيقاً بيناً يدل على المقصود، ولايسود الورق ولايطمس الحروف ولايمنع قراءة ماتحته.

وثانيها ان يجعل الخط فوق الحروف منفصلاً منعطفاً طرفاه على أول المبطل وآخره ومثاله هكذا.

وثالثها ان يكتب لفظة لا أو لفظة"من" أوله ولفظة"الى" فوق آخره، ومعناه من هنا ساقط الى هنا ومثل هذا يحسن فيما صح في رواية وسقط اخرى.

ورابعها ان يكتب في أول الكلام المبطل وفي آخره نصف دائرة ومثاله(هكذا) فان ضاق المحل جعله في أعلى كل جانب، وخامسها ان يكتب في أول المبطل وفي آخره صفراً وهو دائرة صغيرة سميَت بذلك لخلو ما أشير اليه بها من الصَحة كتسمية الحساب لها بذلك لخلو موضعها من عدد، واذا صحح الكتاب على الشيخ او في المقابلة علم على موضع وقوفه يبلغ او بلغت او بلغ العرض او نحو ذلك ممَا يفيد معناه.

وينبغي ان يفصل كل كلامين او حديثين بدائرة او قلم غليظ ولايوصل الكتابة كلها على طريقة واحدة لما فيه من عسر استخراج المقصود، ورجحوا الدَائرة على غيرها وعمل عليها غالب

المحدثين وأختار بعضهم اعتمال الدائرة حتى تقابل، فكل كلام يفرغ منه ينقط في الدائرة التي تليه نقطة وفي المقابلة ثانية وهكذا.

الفائدة الثانية عشر في أقسام العلوم الشرعية ومايتوقف عليه من العلوم العقلية والأدبية، إعلم انَ العلوم الشرعية الأصلية أربعة:علم الكلام، وعلم الكتاب العزيز وعلم الأحاديث النبوية ، وعلو الأحكام الشرعية، وهو المعبر عنه بالفقه ، فأما علم الكلام وهو أصول الدين فهو أساس العلوم الشرعية لأن معلوماته أشرف المعلومات وقد ورد الحث على تعلمه ، قال ابن عباس جاء إعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يارسول الله علمني من غرائب العلم ، قال ماصنعت في رأس العلم حتى تسأل عن غرائب العلم؟ قال الرجل مارأس العلم يارسول الله ؟ قال معرفة الله تعالى حق معرفته ، قال الإعرابي ومامعرفة الله حق معرفته ؟ قال تعرفه بلا مثل ولاشبيه ، ولاند وأنه واحد أحد ظاهر باطن أول آخر لا كفو له ولانظير فذلك حق معرفته .

وأما علم الكتاب فقد استقر الإصطلاح فيه على ثلاثة فنون قد أفردت بالتصنيف قد أطلق عليها إسم العلم : أحدها علم التجويد وفائدته معرفة أوضاع حروفه وكلماته مفرده ومركبه ، فيدخل فيه معرفة مخارج الحروف وصفاتها ومدها وإظهارها وإخفائها وإدغامها .إمالتها وتفخيمها وترقيقها ونحو ذلك ، وثانيها علم القراءة ، وفائدته معرفة الوجوه الإعرابية والبنائية التي نزل القرآن وادعوا نقلها عن النبي صلى اله عليه وآله وسلم تواتوا ويندرج فيه بعض ماسبق في الفن الأول ؛وقد يطلق عليهما واحد ويجمعهما تصنيف واحد وثالثهما علم التفسير وفائدته معرفة معانيه وأحكامه ؛ وأما علم الحديث فهو من أجلَ العلوم قدرا وأعلاها رتبة وأعظمها مثوبة بعد القرآن ، وأما الفقه فهو العلم بالحكم الشرعي المأخوذ عن الدليل فهذه الأربع هي أصول العلوم وهي المقصود بالذات .

وأما العلوم الفرعية وهي التي يتوقف هذه الأربعة عليها أما معرفة الله تعالى ومايتبعه فلا يتوقف أصل تحققه علىشيء من العلوم بل يمفي فيه مجرد النظر وهو أمر عقلي يجب على كل مكلف ، وهو أول الواجبات بالذات وإن كان الخوض في مباحثه وتحقيق مطالبه ودفع شبه المبطلين فيه يتوقف على بعض العلوم العقلية كالمنطق وغيره واما الكتاب العزيز فإنه بلسان عربي مبين فيتوقف معرته على علوم العربية من النحو والتعريف والإشتقاق والمعاني والبيان والبديع ولغة العرب وأصول الفقه ليعرف به حكم عامه وخاصه ومطلقه ومقيده ومحكمه ومتشابهه إلى غير ذلك .

وأما الحديث النبوي فالكلام فيه كالكلام في الكتاب وعلومه ويزيد الحديث عليه بمعرفة رواته من حيث الجرح والتعديل ؛ وأما الفقه فيتوقف معرفته على جميع ماذكر من العلوم الفرعية والأصلية ، والمنطق آلة شريفة لتحقيق الأدلة مطلقا فهذه عشرة علوم يتوقف عليها العلوم الشرعية وجملة مايتوقف عليها الفقه اثني عشرة وهي ترجع بحسب مااستقر عليه تدوين العلماء إلى ثمانية فإن علم الأشتقاق قد أدرج في أصول الفقه غالبا وفي بعض علوم العربية وعلم المعاني والبيان والبديع قد صار علما واحدا في أكثر الكتب الموضوعة لها ، والتصريف داخل في النحو في أكثر الكتب وقل من أفرده علما خصوصا المتقدمين .

الفائدة الثالثة عشر في بيان العلم الشرعي وماألحق به على ثلاث مراتب فرض عين، وفرض كفاية ، وسنة ، فالأول مالايتأذى الواجب عينا إلا به وعليه حمل حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وأما فرض الكفاية فمما لابد للناس منه في إقامة دينهم من العلوم الشرعية كحفظ القرآن والأحاديث وعلومهما والفقه والأصول والعربية ومايحتاج إليه في قوام أمر المعاش كالطب والحساب ؛ وتعلم الصنائع الضرورية كالخياطة والفلاحة حتى الحجامة ونحوها ، وقال بعض العلماء فرض الكفاية أفضل من فرض العين لأنّه يصان البعض به جميع المكلفين عن أئمتهم المترتب على تركهم له بخلاف فرض العين فإنه إنما يصان به عن الإثم القائم به فقط ، وأما السنة فكتعلم نقل العبادات والآداب الدينية ومكارم الأخلاق وشبه ذلك وهو كثير ومنه تعلم الهيئة للإطلاع على عظمة الله تعالى ومايترتب عليه من الهندسة وغيرها .

وبقي علوم أخرى بعضها محرم مطلقا كالسحر والشعبذة وبعض الفلسفة ، كل مايترتب عليه إثارة الشكوك وبعضها محرم على وجه دون آخر كأحكام النجوم والرمل فإنه يحرم تعلمها مع اعتقاد تأثيرها وتحقيق وقوعها ويباح مع اعتقاد كون الأمر مستندا إلى الله تعالى وإنه أجرى بالعادة كونها سببا في بعض الآثار وعلى سبيل التفاؤل كما قاله بعض الأصحاب ؛ وقد تقدم أن الأولى هو القول بتحريم تعلم علم النجوم وتعليمه مطلقا ، وبعضها مكروه كأشعار المولدين المشتملة على الغزل وترجية الوقت بالبطالة وتضييع العمر بغير فائدة، وبعضها مباح كمعرفة التواريخ والوقائع والأشعلر الخالية عَما ذكر مما لايدخل في الواجب كأشعار العرب العارية التي تصلح للإحتجاج بها في الكتاب والسنة فإنها ملحقة باللغة ، وباقي العلوم من الطبيعي والرياضي والصناعي أكثره موصوفا بالإباحة بالنظر إلى ذاته وقد يمكن جعله منه (مستحبا لتكميل النفس خ) وبالتكميل للنفس وإعدادها لغيره من العلوم الشرعية بتقويتها في القوة النظرية ، قد يكون حراما إذا استلزم التقصير في العلم الواجب عينا أو كفاية كما يتفق كثيرا في زماننا هذا لبعض المحرومين الغافلين عن حقائق الدين .

الفائدة الرابعة عشر في ترتيب العلوم بالنظر إلى المتعلم ، إعلم أنه لكل علم من هذه العلوم مرتبة من التعلم لابد لطالبه من مراعاتها لئلا يضيع سعيه وليصل إلى بغيته بسرعة ، وكم قد رأينا طلابا للعلم سنين كثيرة لم يحصلوا منه إلا القليل ، وآخرين حصلوا منه كثيرا في مدة قليلة بسبب مراعاة ترتيبه ، فينبغي أن يشتغل في أول أمره بحفظ كتاب الله تعالى وتجويده على الوجه المعتبر ليكون مفتاحا صالحا ومعينا ناجحا فإذا فرغ منه اشتغل بتعلم العلوم العربية فإنها أول آلات الفهم وأعظم أسباب العلم الشرعي ، فيقرأ أولا علم التصريف و يتدرج في كتبه من الأسهل إلى الأصعب حتى يتقنه ويحيط به علما ، ثم ينتقل إلى النحو فيشتغل فيه على هذا النهج ويزيد فيه والجد بالحفظ ؛ ثم ينتقل منه إلى بقية العلوم العربية ، فإذا فرغ منها أجمع إشتغل بالمنطق وحقق مقاصده على النمط الأوسع ولايبالغ فيه مبالغته في غيره لأن المقصود منه يحصل بدونه .

وحدثني جماعة من الثقاة أن السيد المحقق السيد صاحب المدارك وخاله الشيخ الأجل الشيخ حسن بن الشهيد الثاني ره كانا يقرءان في النجف الأشرف عند الزاهد الورع المولى أحمد الأردبيلي فقرءا عليه من شرح الشمسية مايتوقف عليه الإجتهاد من مباحث الألفاظ وبعض أحوال القضايا والقياسات والظاهر أنه لايزيد على عشرة دروس وقرءا من شرح مختصر بن الحاجب للعضدي ما يتوقف عليه أيضا الأجتهاد وهي دروس معدودة ، وكان الجماعة الذين يقرأون عند المولى الأردبيلي يهزؤن بهما على هذا النمط من القراءة، فقال لهم المولى لاتهزؤا بهما فعن قليل يصلون إلى درجة الإجتهاد وأحتاج انا إلى أن آخذ تصديق اجتهادي عنهم [١] فكان الحال كما قال ، فإنهم بلغوا رتبة التصنيف والإجتهاد في مدة ثمان سنين ، ثم إذا فرغ من المنطق إنتقل إلى علم الكلام ويتدرج فيه كذلك ، ثم ينتقل منه إلى اصول الفقه متدرجا في كتبه ومباحثه وهذا العلم أولى بالعلوم تحريرا فلا يقتصر منه على القليل فبقدر ما تحقّقه يتحقّق عنده المباحث الفقهية؛ثمّ ينتقل منه الى علم دراية الحديث فيطالعه ويحيط بقواعده و ليس هو من العلوم الدقيقة وانّما هو من مصطلحات مدونة وفوائد مجموعة ، فإذا وقف على مقاصده إنتقل إلى قراءة الحديث بالرواية والتفسير والبحث والتصحيح على حسب مايقتضيه الحال ويسعه الوقت ، ولا أقل من أصل منه يشتمل على أبواب الفقه وأحاديثه .

وكان شيخنا المعاصر أدام الله عزه يقول يكفي من الأصول الأربعة كتاب التهذيب ثم ينتقل منه إلى البحث عن الآيات القرآنية المتعلقة بالأحكام الشرعية فقد أفردها العلماء رضوان الله

---

(١) هذا الكلام من المحقق الأردبيلي ره من باب التواضع.

تعالى عليهم بالبحث وخصوها بالتصنيف فليطالع فيها كتابا وأحسنها في هذه الأيام الآيات الأحكامية التي صنفها شيخنا الشيخ جواد الكاظمي تغمده اله برحمته [١] واستنباط الفروع من الأصول واستفادة الحكم من كتاب أو سنة من جهة النص أو الإستنباط من عموم لفظ أو إطلاقه ومن حديث صحيح أو حسن أو غيرهما ليتدرب على هذه المطالب على التدريج ؛وهذا لايحصل إلا بقوة قدسية يمنحها الله سبحانه لعبده ولاحيلة للعبد فيها نعم للجد والمجاهدة والإنقطاع إلى الله سبحانه أثرين في تحصيلها كما قال : والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع المحسنين ؛ فإذا فرغ من ذلك كله شرع في تفسير الكتاب العزيز بأسره فكل هذه العلوم مقدمة له ، فإذا وفق له فلا يقتصر على مااستخرجه المفسرون بأنظارهم فيه بل يكثر من التفكر في معانيه ويصفي نفسه للتطلع على خوافيه وبتهل إلى الله تعالى في أن يمنحه من لدنه فهم كتابه وأسرار خطابه ، فحينئذ يظهر عليه من الحقائق مالم يصل إليه غيره من المفسرين ، لأن الكتاب العزيز بحر لجيَ في قعره درر وفي ظاهره خبر ، والناس في التقاط درره والإطلاع على بعض حقائقه على مراتب ومن ثم ترى التفاسير مختلفة حسب اختلاف أهلها فيما يغلب هليهم .

فمنها مايغلب عليه العربية ككشاف الزمخشري ، ومنها مايغلب عليه الحكمة والبرهان الكلامي كمافتح الغيب للرازي ، ومنها مايغلب عليه القصص كتفاسير الثعلبي ومنها مايسلط على تأويل الحقائق دون التفسير الظاهر كتفسير عبد الرزاق الكاشي إلى غير ذلك من المظاهر فإذا فرغ من ذلك وأراد الترقي وتكميل النفس فليطالع كتب الحكمة من الطبيعي والرياضي والحكمة العملية المشتملة على تهذيب الأخلاق في النفس وماخرج عنها من ضرورات دار الفنا ، ثم ينتقل بعده إلى العلوم الحقيقية والفنون الخفية فإنها الباب لهذه العلوم ونتيجة كل معلوم وبها يصل إلى درجة المقربين ويحصل على مقاصد الواصلين ، هذا كله ترتيب من هو أهل لهذه العلوم وله استعداد لتحصيله ونفس قابلة لفهمها ، فأما القاصرون عن درك هذا المقام والممنوعون بالعوائق عن الوصول إلى هذا المرام فليقتصروا منها على ما يمكنهم الوصول إليه متدرجين فيه حسب ما دللنا عليه ، فإن لم يكن لهم بد من الأقتصار فلا أقل من الإكتفاء بالعلوم الشرعية والأحكام الدينية ، فإن ضاق الوقت وضعفت النفس عن ذلك فالفقه أولى من الجميع فبه قامت النبوات وانتظم أمر المعاش والمعاد مضيفا إليه ما يجب مراعاته من تهذيب النفس وإصلاح القلب ليترتب عليه العدالة التي بها قامت السموات والأرض والتقوى الذي هو ملاك الأمر فإذا فرغ عما خلق له من العلوم فليشتغل بالعمل الذي هو زبدة العلم وعلة الخلق قال الله تعالى وماخلقت الجن

(١)هو تلميذ الشيخ البهائي قدس سره وكتابه في آيات الأحكام وهو كتاب جليل من نفائس الآثار.

والإنس إلا ليعبدون ، وما أجهل وأخسر وأحمق من يتعلم صنعة لينتفع بها في أمر معاشه ثم يصرف عمره ويجعل كده في تحصيل آلاتها من غير أن يشتغل بها اشتغالا لايحصل به الغرض منها وكم قد رأينا في شيراز وأصفهان من طالب اشتغل بالمقدمات وأمعن النظر فيعا حتى انقضى عمره ولم يعرف شيئا من العلوم الشرعية، وربما آل الأمر إلى احتقارها واحتقارمن يعرفها بل يعدون الفقيه حمارا وليس هذا إلا من عدم ثبات الأيمان في قلوبهم .

واعلم أن ترتيب العلوم على نحو ماذكرنا مأخوذ من كلام شيخنا الشهيد الثاني نور الله ضريحه بل أكثر فوائد هذا النور مأخوذة من كلامه ولاعيب علينا في أخذ كلامه لأنه البحر الذي عرف منه المتأخرون بأسرهم وحيث أنك قد عرفت أولا أن الأذهان تحتاج إلى تشحيذ لأنها تكل كما كل الأبدان وتشحيذها إنما يكون بلطائف العلوم وغوامض الفنون وهو الذي فهمه المحققون من قوله صلى الله عليه وآله وسلم روحوا ارواحكم ببدايع الحكمة فإنها تكا كما تكل الأبدان ، فلابأس بذكر نور يشتمل على لعض ما في الفنون من الؤعربية وغيرها والله الموفق .

كان من قصد الناشرين للكتاب بهذه الحلة الرائقة أتمام طبعه في ثلاث أجزاء على حسب تجزئتهم في الطبع كما ذكروا ذلك في إعلان نشر الكتاب وقبوضه ولكن الكتاب لم يتم واحتاج إلى جزء آخر فانتظرو الجزء الرابع وبه يتم الكتاب وسيصدر عن قريب أن شاء الله تعالى .

بسمه تعالى

نجز الجزء الثالث من الكتاب على حسب تجزئتنا في الطبع ويليه الجزء الرابع وأوله :(نور في بعض التراكيب المشكلة والأخبار الدقيقة)ونسأل الله تعالى التوفيق لأتمامه والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين وقد تصدى لتصحيحه وبذل الجهد فيه : عمران بن على حسين الـ (غريبدوستي) عفا الله عنه ووفقنا الله تعالى لأتمامه في أوائل شهر محرم الحرام سنة : (١٣٨٠) هـ ق المطابق (١٣٣٩) هـ ش .

الفهرست